

العنصرية اليهودية

وآثارها في المجتمع الإسلامي

والموقف منها

دراسة علمية موثقة في (مكائد اليهود العنصرية)، ضد كافة الجماعات البشريّة، ولاسيّما (المجتمع الإسلامي) منذ (العهد النبوي) حتى (العهد الحاضر)، في كافة المجالات: الدينيّة، والإقتصاديّة، والسياسيّة، والعسكريّة، والثقافيّة، والإجتماعيّة، وغيرها.

تأليف

الدكتور / أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبني

أستاذ (الثقافة الإسلامية) - المساعد - في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

الجزء الثاني

مكتبة العبيكان

٢ مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزغبني: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم

العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها - الرياض.

...ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢٧١-٢٠-٩٩٦ (مجموعة)

٢٧٣-٢٠-٩٩٦ (٢٤)

١- اليهودية ٢- اليهود - تاريخ ٣- التفرقة العنصرية ٤- الإسلام واليهودية

أ- العنوان

١٧/٠٥٤

ديوي: ٩٠٩.٤٩٢٤

ردمك: ٢٧١-٢٠-٩٩٦ (مجموعة)

رقم الإيداع: ١٧/٠٥٤

٢٧٣-٢٠-٩٩٦ (٢٤)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروة

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿الْبَجَرِ وَالْأَسَدِ النَّاسِ عَذَابَ الَّذِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ الْأَشْرَ كُورِ﴾

سورة البقرة، آية : ٨٢

﴿وَالَّذِينَ بَاتِمُوا فِي الْبُيُوتِ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُولَئِينَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَالَمُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سورة آل عمران، آية : ٧٥

الباب الثاني :

(آثار العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي)

ويحتوي على مدخل وفصلين :

مدخل في : الآثار العنصرية •

الفصل الأول : أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي

قبل ظهور الحركة الصهيونية •

الفصل الثاني : أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي

بعد ظهور الحركة الصهيونية •

مدخل في :

(الآثار المصرية)

(الآثار العنصرية)

قبل أن نبدأ الحديث عن (آثار العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي) - بشكل خاص - ، يحسن بنا أن نتحدث - بإيجاز - عن (الآثار العنصرية) - بشكل عام - ، وذلك من خلال ما يأتي :

أولاً : آثار العنصرية على المجتمع الإسلامي :

إن (آثار العنصرية) - بشكل عام - على (المجتمع الإسلامي) - بل وعلى كافة (المجتمعات البشرية) - عظيمة جداً . والعنصريات التي لها تأثير مباشر على (المجتمع الإسلامي) كثيرة ، من أهمها :

- ١ - العنصرية النصرانية : الصليبية (١) ، والاستعمارية (٢) .
- ٢ - العنصرية الفارسية : الشعبية ، والشيعية (٣) .
- ٣ - العنصرية الهندوسية : الطبقية (٤) .

ولا يتسع المقام للحديث التفصيلي عن آثار تلك العنصريات في (المجتمع الإسلامي) ؛ لأنه لا يدخل في نطاق بحثنا الذي يخص (العنصرية اليهودية) - فقط - .

ولكن ، لما كانت تلك العنصريات على ارتباط وثيق - ولو في الهدف - مع (العنصرية اليهودية) منذ ظهور الإسلام ، وإلى يومنا هذا ؛ فقد أصاب (المجتمع الإسلامي) من جراء هذا الرباط تأثير عظيم في بعض شؤون

١ راجع : (العداء للعالم الإسلامي) ج ١ ص ٣٣ .

٢ راجع : (العنصرية الاستعمارية) ج ١ ص ٣٨ .

٣ راجع : ج ١ ص ٣٠ .

٤ راجع : ج ١ ص ٣٣ .

حياته ، مما سنعرض له في مواضع متفرقة (١) من هذا البحث - إن شاء الله تعالى - .
وما دام حديثنا عن (اليهود في المجتمع الإسلامي) - فقط - ،
فسنوضح ما يأتي :

١ - المجتمع الإسلامي :

نقصد بمصطلح (المجتمع الإسلامي) ، ما يأتي :

١ - كافة دول (العالم الإسلامي) منذ (العهد النبوي) ، وحتى (العصر الحديث) .

٢ - كافة (المسلمين) أنثى وجدوا ، سواء داخل نطاق (العالم الإسلامي) ،
أو خارجه ، منذ (العهد النبوي) ، وحتى (العصر الحديث) - أيضاً - .

٢ - اليهود في المجتمع الإسلامي :

لقد ابتدأت (آثار العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي) منذ
هجرة رسول الله محمد ﷺ إلى (المدينة) عام ١ هـ - ٦٢٢ م ، وحتى يومنا
هذا من عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م (٢) ، فكيف وُجد (اليهود في المجتمع

١ راجع : (أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي بعد ظهور الحركة الصهيونية) ج ٢ من ٣ .

٢ هذه الفترة الطويلة : (١-١٤١٢ هـ = ٦٢٢ - ١٩٩١ م) ساقسناها إلى قسمين ، هما :

- القسم الأول : ويبدأ من (الهجرة) الإسلامية المباركة إلى (المدينة) عام ١ هـ - ٦٢٢ م ،

وحتى ظهور الحركة اليهودية الأخيرة (الصهيونية) ، عام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م ، والتي تشكل

معلماً بارزاً في (التاريخ اليهودي) .

- القسم الثاني : ويبدأ من ظهور (الحركة الصهيونية) في (المؤتمر الصهيوني الأول) ، المسعود

- بزعامة (هوتزل) - في (بال - سويسرا) ، عام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م ، وحتى يومنا هذا من

عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

وعلى الرغم من هذا التباين الكبير في المدى الزمني بين هذين القسمين - وهو ما يساوي

(١٣, ٥٤-١٣) - ، فإن الأثر العنصري اليهودي على المجتمع الإسلامي في القسم الثاني - على

قصره نسبياً (٩٧) سنة هجرية - ، لا يقل عنه في القسم الأول - على طوله الذي يصل إلى

(١٣١٥) سنة هجرية - ، وهذا ما سنفصله - إن شاء الله تعالى - في الفصلين القادمين .

الإسلامي) ياترى ٠٤

- إن وجود اليهود في أي مجتمع من المجتمعات العالمية ، يعود إلى أحد عاملين رئيسيين ، أو كلاهما ، وهذان العاملان ، هما :

أ - التشتت اليهودي :

لقد مر اليهود بعد زوال حكمهم من (فلسطين) ، عامي ٧٢٢ و ٥٨٦ ق م (١) ، بمرحلة شتات طويلة (٢) ، تفرقوا خلالها من (فلسطين) إلى أرجاء المعمورة ، عبر عدة أحداث ، أهمها :

١ - بقاء أكثرية اليهود الذين شملهم (السبي البابلي) ، في عامي ٧٢٢ و ٥٨٦ ق م ، في (بابل - العراق) ، واستقروا هم فيها ، على الرغم من سماح (الدولة الفارسية) - وارثة أملاك (الدولة البابلية) - لهم بالعودة عام ٥٣٨ ق م ، إلى (فلسطين) ٠ (٣)

٢ - إنتقال كثير من بقايا اليهود ، من (فلسطين) إلى مصر ، في ظل (دولة البطالمة) - التي حكمت (فلسطين) فيما بعد - ، حيث اختاروا عام ٣٢٠ ق م مدينة (الإسكندرية) مستقراً لهم ٠ (٤)

٣ - تشريد الرومان لبقايا اليهود ، في عامي ٧٠ و ١٣٥ م من (فلسطين) ، إلى أرجاء (الدولة الرومانية) وما جاورها ٠ (٥)

وبهذا (التشتت اليهودي) - سواء منه ما كان إجبارياً أو إختيارياً - ، تفرق اليهود في كثير من أرجاء الدنيا الواسعة ، حيث وجدوا في أغلب

١ راجع : (عهد الزوال) ج ١ ص ٢٠٤ .

٢ راجع : (شتات اليهودية) ج ١ ص ٢١٠ .

٣ راجع : (حركة زر بابل) ج ١ ص ٢١٠ .

٤ راجع : (حركة المكابيين) ج ١ ص ٢١٣ .

٥ راجع : (حركة باركوخبا) ج ١ ص ٢١٦ .

بقاعها - مما لم يجدوه في (فلسطين) - انفساحاً ، توافر لهم من خلاله :
استتباب الأمن ، ورغد العيش ، وريح التجارة ، واستقرار في كافة مجالات
الحياة .

ب - التهويد :

لقد أدى (التثنت اليهودي) - الذي تحدثنا عنه في الفقره السابقة -
إلى انتشار (الديانة اليهودية) ، عن طريق (التبشير بها) ، منذ تثنت
أتباعها أثناء فترة (السبي البابلي) ، في (القرن السادس قبل الميلاد) ،
وحتى إغلاق التبشير بها في (القرن الثالث عشر بعد الميلاد) . (١)
وقد كان لهذا العامل (التهويد) أهمية كبرى في انتشار (الديانة
اليهودية) انتشاراً عظيماً ، في كثير من أرجاء المعمورة ، بحيث تجاوزت
نسبة من أعتنق اليهودية عن طريق هذا العامل : (٩٠٪) من يهود العالم .
وسأحدث عن هذا العامل (التهويد) - قبل التثنت وبعده - تفصيلاً - إن
شاء الله تعالى - في موضع آخر . (٢)

وبهذين العاملين : (التثنت اليهودي) و (التهويد) ، تشكلت الأقليات
اليهودية في كثير من أرجاء المعمورة .
وما يعنينا - هنا - سوى البلاد التي عرفت - فيما بعد (الفتح
الإسلامي) - ب (العالم الإسلامي) ، حيث وجد فيها أولئك اليهود
(المشتتون والمتهودون) الاستقرار ، ولا سيما بعد (الفتح الإسلامي) ،
كما سنتحدث عن ذلك - إن شاء الله تعالى - تفصيلاً في موضع آخر . (٣)

١ انظر : د/ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ص ٥٥١ .

٢ راجع : (التقويم النقدي لدعوى النقاء القومي اليهودي) ج ٤ ص ٢٠٧ .

٣ راجع : (الوجود اليهودي في البلاد التي عرفت بالعالم الإسلامي) ج ٢ ص ٥٠٠ .

ثانياً : آثار العنصرية اليهودية في المجتمعات البشرية الأخرى :

لا يعني اقتصارنا على (المجتمع الإسلامي) أن غيره من المجتمعات في نجوة من (العنصرية اليهودية) .

كلا ؛ فقد عانت (جميع المجتمعات البشرية) الأخرى ، التي عاش اليهود بين ظهرانيها من تلك العنصرية (١) ، ولا سيما (المجتمع النصراني) ، الذي تأثر من (العنصرية اليهودية) - بحكم التصاق اليهود به - تأثيراً شديداً - لم يبلغه مجتمع آخر - ، خصوصاً في (المجال الديني) ، الذي تترتب عليه كافة مجالات الحياة : الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وغيرها ، حيث عبث اليهود بـ (الديانة النصرانية) عن طريق محاولاتهم : قتل رسولها المسيح (عيسى) - عليه السلام - ، وتحريف دستورها (الإنجيل) ، واضطهاد أتباعها (النصارى) . وهذا ما سنتحدث عنه - إن شاء الله تعالى - تفصيلاً ، في موضع آخر . (٢) أما بقية المجالات : الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وغيرها ، فلن نستطيع الحديث عنها ؛ لأنها لا تدخل في نطاق بحثنا الذي يخص (المجتمع الإسلامي) - وحده - ، دون غيره من (المجتمعات البشرية) الأخرى .

ولكن ، وبحكم تأثر (العالم الإسلامي) ؛ من جراء هزيمته الحضارية المادية - في (العصر الحديث) - بـ (العالم النصراني الغربي) ، المتأثر من (العنصرية اليهودية) - منذ القدم - ؛ فقد أصاب (المجتمع الإسلامي) من جراء هذه (العنصرية اليهودية) - ولو بصورة غير مباشرة - خطر عظيم

١ راجع : (الاضطهاد اليهودي في العصور القديمة) ج ٤ ص ٢٣ .

٢ راجع : (عيسى - عليه السلام -) ص ٢٤٤ ، و : (العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٩٠ .

في كثير من شؤون حياته ؛ مما سنعرض له في مواضع متفرقة (١) ، من هذا البحث - إن شاء الله تعالى - .

هذا فيما يتعلق بـ (الآثار العنصرية) - بشكل عام - ، أما موضوع بحثنا (آثار العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي) - بشكل خاص - ، فهو ما سنتحدث عنه - إن شاء الله تعالى - تفصيلا في الفصلين التاليين :

١ راجع : (أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي بعد ظهور الحركة الصهيونية) ج ٣ ص ٣ ، و : (الموازنة الدولية لليهود في العصر الحديث) ج ٤ ص ٣٣.

الفصل الأول :

(أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي قبل ظهور الحركة الصهيونية)

ويحتوي على مبحثين :

- المبحث الأول : أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي .
- المبحث الثاني : أثر العنصرية اليهودية في بقية العهود
الإسلامية .

توطئة :

إن (أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي قبل ظهور الحركة الصهيونية) ، يشتمل على فترة تمتد منذ (هجرة الرسول محمد ﷺ إلى المدينة) عام ١ هـ - ٦٢٢ م ، وحتى ظهور الحركة اليهودية الأخيرة (الصهيونية) ، من خلال (المؤتمر الصهيوني الأول) ، المعقود - بزعامة (هرتزل) - في (بال - سويسرا) ، عام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م ، والتي تشكل معلماً بارزاً في (التاريخ اليهودي) .

وهذه الفترة تنقسم إلى قسمين رئيسيين ، هما :

- ١ - النشاط العنصري اليهودي بصورة علنية - على العموم - ، ويتمثل في (العهد النبوي) .
- ٢ - النشاط العنصري اليهودي بصورة سرية - على العموم - ، ويتمثل في (بقية المهود الإسلامية) التالية .

وهذا (أي : أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي قبل ظهور الحركة الصهيونية) هو ما سنفصله - إن شاء الله تعالى - في المبحثين التاليين :

المبحث الأول :

(أثر المنصرية اليهودية في العهد النبوي)

توطئة : في «الوجود اليهودي والإسلامي في «منطقة يثرب - المدينة»»

قبل أن نتحدث عن (أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي المدني)
يحسن بنا أن نتحدث عن (الوجود اليهودي والإسلامي في «منطقة يثرب -
المدينة») ، و (موقف الأنصار واليهود من الرسول ﷺ) ؛ نظراً لعلاقة كل
ذلك - مباشرة - بموضوع هذا الأثر ، على ما سنفصله فيما يأتي :

أولاً : الوجود اليهودي والإسلامي في (منطقة يثرب - المدينة) :

يختلف (الوجود اليهودي) في (منطقة يثرب - المدينة) ، عن (الوجود
الإسلامي) فيها ، على ما سنفصله فيما يأتي :

١ - الوجود اليهودي في (منطقة يثرب - المدينة) :

ذكرنا - قبل قليل - (١) أن الأقليات اليهودية تشكلت في هذا العالم
من خلال عاملي : (التشتت) ، و (التهويد) ، حيث فاق المعتنقون لـ (الديانة
اليهودية) - عن طريق التبشير بها - أولئك المشتتين ، فهل يصدق هذا كله
على يهود (منطقة يثرب) ؟ ٠

- إن الوجود اليهودي في (الجزيرة العربية) يعود - على وجه العموم
- إلى ذات العاملين السابقين : (التشتت) و (التهويد) ، على تفصيل في
ذلك ، على ما يأتي :

أ - جنسية اليهود في (يثرب) :

إن الوجود اليهودي في (الجزيرة العربية) ينقسم إلى قسمين :

١ راجع : (اليهود في المجتمع الإسلامي) ص ٧.

١ - الوجود اليهودي في جنوب (١) الجزيرة العربية (اليمن) : وينطبق عليه - في موضوع (التشتت ، والتهويد) - ما ينطبق على بقية أنحاء العالم الإسلامي ، على خلاف بين المؤرخين في كيفية دخول (اليهودية) إلى (اليمن) ، على (ثلاثة آراء) هي :

أ - أن (اليهودية) دخلت إلى (اليمن) - قبل التشتت اليهودي - حينما أسلمت ملكة سبأ (بلفيس) ، في عهد سليمان - عليه السلام ، - في (القرن العاشر قبل الميلاد) . (٢)

ب - أن (اليهودية) دخلت إلى (اليمن) زمن (السبي البابلي) ، في (القرن السادس قبل الميلاد) . (٣)

ج - أن (اليهودية) دخلت إلى (اليمن) حينما اعتنق الملك الحميري (تبع (٤) الثالث - - تبان أسعد أبو كرب) (٥) (الديانة اليهودية) في

١ هنالك أقلية يهودية في شرق الجزيرة العربية (البحرين) عند ظهور الإسلام . راجع : (أثار فتح خيبر) ص ٤٨٠ .

٢ راجع : (مملكة سليمان - عليه السلام -) ج ١ ص ١٩٩ .

٣ انظر : د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥٣٨ .

٤ تبع : لقب يطلق على كل ملك من ملوك (الدولة الحميرية الثانية) في اليمن ، مثل (كسرى «خسرو» عند الفرس ، و (قيصر) عند الروم ، و(النجاشي « إنكاش ») عند الأحباش ، و(فرعون) عند المصريين ، و(خاقان) عند الترك . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ١٩٢ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٧٥ .

٥ تبان أسعد أبو كرب : (القرن ٥ م) الملك الثالث من ملوك (التتابعة) في (الدولة الحميرية الثانية) في اليمن ، مر به (يثرب) في طريقه إلى (المشرق) ، وخلف فيها ابناً له ، فقتل غيلة . فقدمها وهو مزعم على تخريبها ، واستئصال أهلها ، فحاربهم ، إلا أن حبران من أحبار اليهود فيها أخافاه من العقوبة ؛ لأنها مهاجر نبي آخر الزمان ، فتركهم ، ودخل الديانة (اليهودية) ، وساق الحبرين معه ، متوجهاً إلى (مكة) حيث طاف به (الكمة) ، وكساها لأول مرة في تاريخها ، ثم توجه إلى (اليمن) وكانت وثنية - آنذاك - ، حيث منعته حمير من دخولها ؛ لمخالفته دينهم ، إلا أنهم اقتنعوا بعد حصول كرامات له أمامهم ، فدخلوا الديانة (اليهودية) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ١٩ - ٢٨ ، و : وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير ص ٣٠٥ - ٣٠٨ .

(يثرّب) ، عندما مر بها في طريق عودته من العراق إلى بلاده (اليمن) (١) ،
 في (أواخر القرن الخامس الميلادي) . (٢)
 وهذا الموضوع (التهود) ، سأحدث عنه - إن شاء الله تعالى - في
 موضع آخر . (٣)

٢ - الوجود اليهودي في شمال الجزيرة العربية (الحجاز) - وهو ما
 يعني - : يختلف - في موضوع (التشتت والتهويد) - عن بقية أنحاء
 (العالم الإسلامي) ، على ما يأتي :

أ - أما التشتت : فإن الاكثريّة العظمى من (يهود الحجاز) ، وخصوصاً
 (منطقة يثرّب) قد قدموا إليها من (فلسطين) ، باتفاق جميع المؤرخين
 الأقدمين ، عدا المؤرخ (اليعقوبي) (٤) ، الذي يرى - ومن سايره من
 المحدثين - (٥) أن (يهود الحجاز) قبائل عربية ، اعتنقت
 (اليهودية) ! (٦)

- وحجة المؤرخ (اليعقوبي) : الأسماء العربية المحضة ، التي سميت

١ انظر : وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير ص ٣٠٥ - ٣٠٨ ، و : ابن هشام : السيرة
 النبوية ج ١ - ٢ ص ١٩ - ٢٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٠٥ - ١٠٩ ،
 و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٢٤٤ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص
 ١٩٩ - ٢٠٣ ، و : السمعاني : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج ١ ص ١٨٦ - ١٩٠

٢ انظر : ل . أ . سيديو : تاريخ العرب العام ص ٤٨ .

٣ راجع : (التهود) ج ٤ ص ٢١٩ .

٤ اليعقوبي : (؟ - ٢٩٢ هـ = ؟ - ٩٠٥ م) هو أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن
 وهب بن واضح اليعقوبي ، مؤرخ جغرافي ، ولد في (بغداد) ، وكان جده من موالى الخليفة
 العباسي (المنصور) ، رحل إلى (المغرب) ، وأقام مدة في (أرمينية) ، ودخل (الهند) ، وزار
 الأقاليم العربية ، وله (اليعقوبي) مؤلفات كثيرة ، منها : (تاريخ اليعقوبي) ، و (البلدان) ، و
 (أخبار الأمم السابقة) ، و (مشكلة الناس لزمانهم) . انظر : ياقوت : معجم الأدباء أو
 طبقات الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج ٥ ص ١٥٣ ، و : الزركلي : الاعلام ج ١ ص
 ٩٥ .

٥ انظر : د/ مهنا يوسف حداد : الرؤية العربية لليهودية ص ٤٦ .

٦ انظر : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٩ و ٥٢ .

بها القبائل اليهودية . (١)

وهذه الحجة ساقطة ؛ لأن اليهود كانوا قد تركوا النسبة إلى قبائلهم (٢) ، وأخذوا يتسمون بأسماء البيئة العربية الجديدة ، التي نزحوا إليها . (٣)

- وأما حجج أصحاب الرأي الأول - الذي اتفق عليه جمهور المؤرخين - ، فكثيرة ، أهمها :

١ - مخاطبة القرآن الكريم لـ (يهود يثرب) بلفظ (بني إسرائيل) ، وهو (يعقوب) - عليه السلام - ، الذي لم يسكن جزيرة العرب - مطلقاً - ، حيث يقول الله تعالى - مثلاً - :

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ . (٤)

وذلك يدل على أن (يهود يثرب) ليسوا عرباً تهودوا ، وإنما هم إسرائيليون ، طارئون على بلاد العرب . (٥)

٢ - مخاطبة القرآن الكريم لـ (يهود يثرب) الأخلاف بصفة العموم ، وقرنهم بما حدث لأسلافهم اليهود ، وما حدث منهم في الماضي البعيد ، وربطه في الواقع الحديث :

أ - قاله تعالى يخاطب (يهود يثرب) مذكراً لهم بما حدث لأبائهم من نعمه

١ انظر : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩ و ٥٢ .

٢ انظر : د / إسرائيل ولفسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٥

٣ راجع : (قبائل اليهود في يثرب) ص ٣١ ، و : (ثقافة اليهود في يثرب) ص ٣٤ .

٤ سورة البقرة ، آية : ٤٧ .

٥ انظر : د / أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٢٩٩ ، و : د /

محمد السيد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٥٠ ، و : د / محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل

في القرآن والسنة ص ٥٧ - ٥٨ .

الكثيرة التي أسبغها عليهم ؛ لأنها - ولا شك - نعمة عليهم ، حيث يقول سبحانه - مثلاً - :

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَٰلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكَ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكَ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (١) .

ب - كما أنه تعالى يخاطبهم ، ناسباً لهم ما حدث من آباتهم من كفر ؛ لأن النفسية واحدة ، متماثلة الخصائص ، يتوجه إليها الخطاب والحساب على درجة واحدة ، ويأتي عليها الحكم عاماً مطرداً ؛ لأنها لا تتغير عبر الزمان والمكان والأجيال ، (٢) حيث يقول سبحانه - مثلاً - :

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (٣)

والمقابل في عرض هذه الآيات الكريمة - السابقة - ، يجد أنها تخاطب (يهود يثرب) الحاضرين في زمن الرسول ﷺ ، ثم عرضت لليهود في زمن موسى - عليه السلام - ، دون أن يشعر القاريء أو السامع بالانتقال من موضع إلى موضع ، وكأن الكلام متصل بـ (يهود يثرب) ، ودون أن يشعر كذلك بالمدة الزمنية الهائلة ، التي تفصل بين زماني موسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - ، وهي فترة تكاد تبلغ (٢٠٠٠ سنة) ؛ ذلك لأن المخاطبين هم أبناء السابقين ، فالإلتحام قوي ، والنسب متصل ، والبنوة تحل محل

١ سورة البقرة ، آية : ٤٩ - ٥٠ .

٢ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع - راجع : (النفسية اليهودية) ج ١ ص ٢٦٤ .

٣ سورة النساء ، آية : ٦٥٣ .

٣ - التشابه الكبير بين (يهود يثرب) الأخلاف وبين اليهود الأسلاف ، في مختلف العصور في الجانب الخلقي ، حيث أن المواقف واحدة ، ولولا اختلاف الزمان والمكان والأحداث والأشخاص ، لما استطاع أحد أن يفرق بينها: ﴿تشابهت قلوبهم﴾ (٢) ، في :

- الكفر : افتراءً على الله رب العالمين ، وتطاولا على الملائكة المقربين ، واستخفافاً بالوحي المبين ، ووقاحة مع الأنبياء المرسلين ، وتكذيباً بيوم الدين . (٣)

- والغدر . - والحسد . - والبخل . - والجشع .
- والجبين . - والكبر . - والإفساد . - إلى غير ذلك من هذه الأخلاق السيئة المتأصلة في (النفسية اليهودية) (٤) - عبر الأجيال - ، مهما تباعدت في الزمان أو المكان ، ومن ذلك - مثلاً - (الجبين) ، الذي لازمهم عبر العصور :

أ - ففي عهد موسى - عليه السلام - ، في (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) : حين ندب قومه (بنو إسرائيل) ، المقيمين في (صحراء سيناء) ، عام ١٢٢٠ ق.م إلى دخول (أرض كنعان - فلسطين) ، نكلوا عن إجابة داعي

١ انظر : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ، ص ٤٩ ، و : د/ عبد الستار فتح الله سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ١٨٣ - ١٨٩ ، و : سيد قطب : في ظلال القرآن ج ١ ص ٦٤ و ٧٣ .

٢ يقول الله تعالى :

﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ : سورة البقرة ، آية : ١١٨ .

٣ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . راجع : (مجادلتهم للرسول ﷺ في الشؤون الدينية) ص ١٤٥

٤ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . راجع (النفسية اليهودية) ص ٢٦٤ .

الله تعالى جبناً ، حيث يقول سبحانه :

﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا
على أدباركم فتنقلبوا خاسرين * قالوا يا موسى إن فيها قوماً
جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا
داخلون﴾ (١) .

وحين انبرت القلة المؤمنة منهم - على قلتها فيهم - ، تناشدهم
الايمان بالله تعالى ، لم يزداهم ذلك إلا إصراراً على الجبن ، حيث يقول
سبحانه :

﴿قال رجالان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم
الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين
* قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فذهب أنت وربك
فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ (٢) .

ب - وفي عهد طالوت ، في (القرن الحادي عشر قبل الميلاد) : حين طال
الاذلال على بني إسرائيل في (فلسطين) ، هرعوا إلى نبيهم (صموئيل) - عليه
السلام - عام ١٠٣٠ ق م ؛ ليختار لهم ملكاً يقودهم ؛ ليحاربوا أعداءهم ،
ولكنه ارتاب في صدقهم ، وصارحهم بجبنهم ، ولكنهم أكدوا له رغبتهم في
القتال خروجاً من الذل المضروب عليهم ، إلا أن توقعات هذا النبي الكريم
صدقته ، فغلب جبنهم المتأصل على جمهورهم في أخرج الأوقات ، وفي ذلك
يقول الله تعالى :

﴿ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي

١ سورة المائدة ، آية : ٢١ - ٢٢ .

٢ سورة المائدة ، آية : ٢٣ - ٢٤ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذه القصة ونتائجها . راجع : ج ١ ص ١٨٧ .

لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ﴿١﴾

وهذه القلة التي ثبتت في أول الطريق مع القائد الجديد (طالوت) - الذي اختاره لهم نبيهم - ، خارت عزيمتها جبناً عند أول ابتلاء ، ولم يبق إلا القليل من القلة - وهي صفوة الصفوة - ، التي لما عبرت (نهر الأردن) ، ورأت العدو ، تزلزلت قلوبها من شدة الجبن ، لولا ثبات حفنة من أولي الإيمان أنزل الله عليهم نصره ، حيث يقول سبحانه :

﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (٢)

ج - وفي عهد محمد ﷺ ، في (القرن السابع الميلادي) حين نقض (يهود بني النضير) عهدهم مع الرسول ﷺ ، أقضى ذلك إلى صدام مسلح بين الطرفين ، انتهى بهزيمة اليهود ، فيما عرف بـ (غزوة بني النضير) عام ٤ هـ - ٦٢٥ م .

ويقرر القرآن الكريم جملة من الحقائق عن اليهود في هذا العهد ، تتفق مع طبيعة اليهود في (الجبن) ، في كل العصور ، ومن ذلك :

١ سورة البقرة ، آية : ٢٤٦ .

٢ سورة البقرة ، آية : ٢٤٩ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذه القصة ونتائجها . راجع : ج ١ ص ١٩٥ .

١ - أن اليهود جبناً يعتمدون - كلياً - على الوسائل المادية ، إلى درجة الكفر :

﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ . (١)

٢ - أنهم يخافون القوة المؤمنة خوفاً رهيباً ، لا يماثله شيء ؛ بل هو أكثر من خوفهم من الله عز وجل :

﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ . (٢)

٣ - أنهم يسترون جبנם بغطاء كثيف من الحصون ، وتنخلع قلوبهم خارجها :

﴿لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر﴾ . (٣)
كل ذلك يدل على مدى التشابه الحاصل في الأخلاق بين (يهود يثرب) وبين اليهود في مختلف العصور ؛ لأنهم يشكلون خصائص متماثلة النقائص الخلقية ، عبر تاريخهم كله ، على الرغم من كثرة الرسل والنعم والنذر (٤) وصدق الله العظيم القائل فيهم :

﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ . (٥)

ومن الأدلة على أن (يهود يثرب) ليسوا عرباً :

٤ - عدم ذكر النسابين العرب - (القبائل اليهودية) بين الأنساب العربية ؛

١ سورة الحشر ، آية : ٢ .

٢ سورة الحشر ، آية : ١٣ .

٣ سورة الحشر ، آية : ١٤ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذه الغزوة ونتائجها . راجع : (غزوة بني النضير) ص ٤٢٤ .

٤ انظر : د/ عبدالستار سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ١٧٠ - ١٧٥ ، و : د/

محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٥٠ - ٥١ .

٥ سورة البقرة ، آية : ٩٦ .

مما يدل دلالة واضحة على أن (يهود يثرب) - و (الحجاز) عموماً - ليسوا عرباً ؛ إذ لو كانوا كذلك لما قبلوا الانتساب إلى غير قبائلهم ، ومن المعلوم أن العرب كانوا - ولا زالوا - يأنفون من الانتساب إلى غير قبائلهم ؛ بل كانوا يحرصون أشد الحرص على المحافظة على أنسابهم ، والفخر بها . (١) .

وفي الوقت نفسه ، نرى أن أولئك النسابين قد ذكروا القبائل العربية التي تهودت في (اليمن) ، والقبائل العربية التي تنصرت في (الشام) ، وردوها إلى نسبها العربي الصحيح ، ولو كان (يهود الحجاز) عموماً ، و (يهود يثرب) خصوصاً عرباً تهودوا ، لذكرهم أولئك النسابون ، وردوهم إلى قبائلهم العربية (٢) ، كما فعلوا عندما أكدوا عروبة اليهودي (كعب بن الأشرف) (٣) ، وأنه من قبيلة (طيء) العربية . (٤) .

علماً بأن (يهود يثرب) لم ينسبوا أنفسهم إلى العرب ؛ بل حرصوا على المحافظة على نسبهم بـ (بني إسرائيل) ، فكان :

بنو قينقاع : ينتسبون إلى (يوسف) - عليه السلام - . (٥) .

وبنو النضير ، وبنو قريظة : ينتسبون إلى (كاهن) بن نبي الله تعالى (هارون)

١ انظر : د/ أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣١ ، و : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٥٠ .

٢ انظر : د/ أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٠١ ، و : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٥٠ .

٣ راجع : ترجمة (كعب بن الأشرف) ص ٤٠٠ .

٤ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٢٨٩ ، و : السهيلي : الوضائف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٨٩ .

٥ انظر : السهمودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٤ .

- عليه السلام - ، ولذلك يعرفون بـ (الكاهنيين) (١) ، فعن أم المؤمنين (صفية بنت حيي) (٢) - رضي الله عنها - قالت :

« كنت أرى رسول الله ﷺ يلطف بي ويكرمني ، فدخل علي يوماً وأنا أبكي فقال : مالك ؟ ، فقلت : أزواجك يفخرن علي ويقلن : يابنت اليهودي . »
قالت : فرأيت رسول الله ﷺ قد غضب ، ثم قال : إذا قالوا لك أو فاحرك فقولني : أبي هارون وعمي موسى » (٣)

إضافة إلى بقاء البطون العربية (٤) في (يثرب) على أديان آبائهم الوثنية ، ولم تعتنق (اليهودية) ، على الرغم من أنها عاشت إلى جوار اليهود الأقوياء - قبل مجيء (الأوس) و (الخزرج) - زمناً طويلاً (٥) .
هـ - بناء (يهود يثرب) - و (الحجاز) عموماً - للحصون ؛ ليلتجئوا إليها إذا حز بهم أمر أو أصابهم مكروه ؛ مما يدل على أن (يهود الحجاز) ليسوا عرباً ؛ إذ لو كانوا كذلك لما احتاجوا إلى تلك الحصون - كما هو حال القبائل العربية - ؛ ولكانت لهم في قبائلهم عزوة ينتصرون بها على

١ انظر : سنن أبي داود : (كتاب الديات) ، (باب النفس بالنفس) ، حديث رقم (٤٤٩٤) ، ج ٤ ص ١٦٨ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٢١ ، و : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١١ ، و : السمهودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦١ .

٢ صفية بنت حيي : (؟ - ٥٠ هـ = ؟ - ٦٧٠ م) هي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب النضرية . أبوها من زعماء (يهود بني النضير) في (يثرب - المدينة) ، تزوجها سلام بن مشكم القرظي ، ثم فارقتها ، فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، وقتل عنها في (غزوة خيبر) عام ٧ هـ - ٦٢٨ م ، فكانت من بين السبايا ، فاصطفاها الرسول ﷺ لنفسه ، حيث أسلمت ، وأعتقها ، فتزوجها ، روت (١٠ أحاديث) ، توفيت بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٤٥ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٣٣٧ - ٣٣٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٢٠٦ .

٣ الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٧٥ .

٤ راجع : (سكان يثرب) ص ٣٠ .

٥ انظر : د/ أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٢٩٩ .

أعدائهم ، وكان لهم من قبائلهم نصير يعتزون به ، إنما كانت صلّتهم بالقبائل العربية صلة حلف ومصالح مشتركة ، ولذلك لم يجدوا من قبائل العرب من يقف إلى جانبهم حين غزاهم الرسول ﷺ ، فطرد من (يثرب - المدينة) بعضهم : (بني قينقاع وبني النضير) ، وقضى على بعضهم الآخر (بني قريظة) (١) : بل إن من طرد منهم لم يلجأ إلى أية قبيلة عربية ، استناداً إلى رابطة القرى ، وإنما لجأوا إلى إخوانهم في الدم والدين (٢) ، فمنهم من رحل إلى (خيبر) ، ومنهم من رحل إلى (الشام) . (٣)

ومن كل هذا يتضح أن (يهود منطقة الحجاز) خصوصاً (يهود يثرب) ، هم من (بني إسرائيل) ، نزحوا إليها من (فلسطين) ، واتخذوها موطناً ، وليست الرابطة بينهم وبين يهود العالم - في ذلك الوقت - رابطة (الدين) فقط ، وإنما هي رابطة (الدين) و (النسب) .

ب - أما التهويد : فإن قلة قليلة جداً من عرب الحجاز ، خصوصاً (منطقة يثرب) دانت باليهودية (٤) : عن رغبة منهم ، أو بتأثير المصاهرة ، أو بحكم

١ راجع تلك الغزوات في (نقضهم للمعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ معهم) ص ٤٠٦ .

٢ انظر : د/ أحمد الشزيف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٠٢ ، و : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٥١ - ٥٢ .

٣ راجع : (نتائج غزوة بني قينقاع) ص ٤٢٢ ، و : (نتائج غزوة بني النضير) ص ٤٣٥ .

٤ كان بعض من لا يعيش له ولد من العرب ينذر إن ولد له ابن وعاش هوده ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

» كانت المرأة تكون مقالاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده « : سنن أبي داود : (كتاب الجهاد) ، (باب في الأسير يكره على الإسلام) ، حديث رقم (٢٦٨٢) ، ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩ و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح) . انظر : صحيح سنن أبي داود حديث رقم (٢٣٣٣) ج ٢ ص ٥١٠ .

فهذا - مثلاً - اليهودي المشهور (كعب بن الأشرف) عربي الأصل - كما ذكرنا ذلك أعلاه قبل قليل - .

النشأة في البيئة اليهودية • (١)

وسنتحدث عن هذا الموضوع (التهود) بتفصيل - إن شاء الله

تعالى - ، في موضع آخر • (٢)

ب - هجرات اليهود إلى (يثر) :

ذكرنا - قبل قليل - (٣) بأن المؤرخين اتفقوا على أن الأكثرية العظمى من (يهود الحجاز) ، خصوصاً (منطقة يثر) ، قد قدموا إليها من (فلسطين) ، ولكنهم اختلفوا في وقت قدومهم ، على عدة روايات ، أهمها :

الأولى : هجرة اليهود في عهد موسى - عليه السلام - حوالي عام ١٢٠٠ ق م :

لما حج موسى - عليه السلام - (٤) ، حج معه أناس من بني إسرائيل ، فلما كان انصرافهم أتوا على (يثر) - موطن (العماليق) (٥) ، فأروا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في كتابهم (التوراة) ، فنزلوها • (٦)

الثانية : هجرة اليهود في عهد يوشع - عليه السلام - حوالي عام ١٨٠٠ ق م :

حين اشتد العداء بين (بني إسرائيل) - الذين نزلوا (يثر) في

١ انظر : أبو الحسن علي الحسيني الندوي : السيرة النبوية ص ١٥٠ ، و : د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥١٥ ، و : د/ حسين مؤنس : تاريخ قریش ص ٤٠١ ، و : محمد أحمد باشمعل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة بني قريظة) ص ٥٤ - ٥٥ .

٢ راجع : (التهود) ج ٤ ص ٢١٩ .

٣ راجع : ص ١٧ .

٤ لمزيد من المعلومات حول حج الأنبياء - عليهم السلام - إلى (مكة) . راجع : ص ٢٤٠ .

٥ راجع : التعريف بـ (العماليق) ص ٣١ .

٦ انظر: السهمودي: وفاء الوفاء ج ١ ص ١٥٧ .

الهجرة الأولى - وبين (العماليق) ، استغاث (بنو إسرائيل) بموسى - عليه السلام - ، فأرسل جيشاً لنجدتهم ، فقتلوا كل من بلغ الحلم من (العماليق) ، ولم يستبقوا منهم إلا ابن ملكهم (الأرقم بن أبي الأرقم) (١) - وكان شاباً حسن الصورة - ؛ ليرى فيه موسى - عليه السلام - رأيه ، ولما قفلوا راجعين إلى (صحراء سيناء) ، حيث بنو إسرائيل في (التيه) (٢) ، وجدوا أن موسى - عليه السلام - قد توفاه الله تعالى ، فلما علم زعماء بني إسرائيل ، وكانوا تحت قيادة يوشع - عليه السلام - باستبقائهم أحد العماليق ، منعهم من الدخول ؛ لمخالفتهم أمر موسى - عليه السلام - الذي أمرهم بإيادة البالغين منهم جميعاً ، فتشاور قادة هذا الجيش فيما بينهم ، فاستقر رأيهم على أن يعودوا إلى (يثرب) (٣) ، حيث انضموا مع إخوانهم اليهود في (الهجرة) السابقة .

الثالثة : هجرة اليهود في عهد القضاة في (القرن ١١ ق م) :

وهذه الهجرة تعرف بـ (هجرة قبائل شمعون الإسرائيلية) ، بعد القضاء على (العماليق) (٤) - من قبل إخوانهم الإسرائيليين في الهجرة الثانية - ، حيث انضموا مع إخوانهم اليهود في (الهجرتين) السابقتين .

-
- ١ الأرقم بن أبي الأرقم : (القرن ١٢ ق م) هو ابن ملك العماليق في (يثرب) ، الذي استبقاه بنو إسرائيل ولم يقتلوه - كما فصلنا أعلاه - .
 - ٢ راجع : التعريف بـ (التيه) ج ١ ص ١٨٩ .
 - ٣ انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٢ ، و : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول (الدرة الثمينة) ص ١٢ - ١٣ ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٨٤ ، و : السمهودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٥٩ .
 - ٤ انظر : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ص ١٣ .

الرابعة : هجرة اليهود بعد زوال دولتهم من فلسطين على يد البابليين عام ٥٨٦ ق م :

حينما قضى الملك البابلي (نبوخذ نصر « بختنصر ») على (الدولة اليهودية) في (فلسطين) نهائياً عام ٥٨٦ ق م ، أتبع ذلك بعملية سبي جماعي لليهود إلى (بابل - العراق) ، عرفت بـ (السبي البابلي) (١) ، ولكن منهم من استطاع الفرار إلى (الحجاز) ، خصوصاً (منطقة يثرب) (٢) ، حيث انضموا إلى إخوانهم اليهود في (الهجرات الثلاث) السابقة .

الخامسة : هجرة اليهود بعد تشريدهم من فلسطين على يد الرومان في عامي ٧٠ و ١٣٥ م :

دأب اليهود في (فلسطين) على افتعال المشكلات المتلاحقة لـ (الدولة الرومانية) ، حتى تمكنت في عامي ٧٠ و ١٣٥ م من تشريد جميع اليهود عنها (٣) ، فتشتتوا في أرجاء (الدولة الرومانية) الواسعة وما جاورها من (بلاد الحجاز) ، خصوصاً (منطقة يثرب) (٤) ، حيث انضموا مع إخوانهم اليهود في (الهجرات الأربع) السابقة .

وهذه الهجرات اليهودية - وغيرها - (٥) موضع خلاف بين المؤرخين - كما رأينا - ؛ لأنه ليس لها أسانيد صحيحة من التاريخ .

إلا أن غالبية المراجع الحديثة التي تهتم بهذا المسألة قد ارتأت أن

-
- ١ راجع : (سقوط المملكة اليهودية - يهوذا) ج ١ ص ٢٠٧ .
 - ٢ انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٩ ، و : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٢٥١ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٢ ، و : السموهدي : وفاة الوفاء ج ١ ص ١٦٠ - ١٦١ .
 - ٣ راجع : (حركة باركوخبا) ج ١ ص ٢٠٦ .
 - ٤ انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٣ ، و : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ص ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٨٤ ، و : السموهدي : وفاة الوفاء ج ١ ص ١٦٠ - ١٦١ .
 - ٥ يذكر بعض المؤرخين هجرتين يهوديتين أخرتين إلى (يثرب) : في عهد داود - عليه السلام - ، و (هزقيا بن آحاز) . ولكن ليس لهاتين الهجرتين سنداً صحيحاً من التاريخ ، ولذا لم يعتمد عليهما المحققون من المؤرخين . انظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : مكاييد يهودية عبر التاريخ ص ٣٨ ، و : د / محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٥٥ .

هجرة اليهود إلى (منطقة الحجاز) عموماً ، و (منطقة يثرب) خصوصاً ، تمت بعد تشريدهم من (فلسطين) على يد الرومان في عامي ٧٠ و ١٣٥ م ، وهو ما عرضنا له في (الهجرة الخامسة) - الأخيرة - (١) .

ومهما يكن من خلاف بين المؤرخين في هذه المسألة ، فإن الذي لا خلاف عليه هو أن اليهود قد وجدوا بالفعل في (منطقة الحجاز) - عموماً ، و (منطقة يثرب) خصوصاً ، وليس مهماً معرفة زمن قدومهم .

ج - سكان (يثرب) :

١ انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة ج ١١ ص ١٩٠ ، و : د/ فيليب حتى و : د/ إدورد جرجي و : د/ جبرائيل جبور : تاريخ العرب ص ٩٧ و ١٥٣ ، و : د/ إسرائيل ولفسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ٨ - ١٠ ، و : د/ مصطفى خالدي و د/ عمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ١٧٩ ، و : فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ص ٢٥٩ ، و : د/ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ص ٣٣٥ ، و : د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥١٨ ، و : د/ أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٠٤ ، و : د/ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ١ ص ٩٢ ، و : أبو الحسن الندوي : السيرة النبوية ص ١٤٥ ، و : د/ حسن ظاظا ومحمد عاشور : شريعة الحرب عند اليهود ص ٢٧٠ ، و : محمد الصادق إبراهيم عرجون : محمد رسول الله ﷺ ج ٢ ص ١٢٠ ، و : د/ عبدالغني عبود : اليهود واليهودية والإسلام ص ١٤٠ ، و : محمد الغزالي : فقه السيرة ص ٢١٧ ، و : عبدالله التل : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص ٣٨ ، و : د/ أكرم ضياء العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ٥٧ - ٥٨ ، و : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٣٨ ، و : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٥٥ - ٥٧ ، و : عفيف عبدالفتاح طبارة : اليهود في القرآن ص ١٧ ، و : إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود ص ١٣٧ ، و : فؤاد سيد عبدالرحمن الرفاعي : حقيقة اليهود ص ٦ ، و : محمد ندا : جنائيات بني إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٢٦٧ ، و : د/ محمد عبدالسلام محمد : بنو إسرائيل في القرآن الكريم ص ٥٩ ، و : وفا صادق : أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة ص ٦٧ ، و : د/ محمد أحمد محمود حسن : اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة وإلى اليوم ص ٤٤ ، و : د/ صابر طعيمة : الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٢٤٩ ، و : غازي محمد فريج : النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة ص ٧٤ .

حينما قدم هؤلاء اليهود - المشتتون - إلى (يثرب) (١) كانت مأهولة بالسكان ، حيث نزلوا فيها على طوائف من العرب يقيمون فيها ، ومنهم : (بنو أنيف ، وبنو الجذماء ، وبنو الحرمان ، وبنو الشظية ، وبنو مرثد ، وبنو معاوية) (٢) ، وكان بعضهم من (العماليق) (٣) .

إلا أن هؤلاء العرب لم يكن لهم من أمر (يثرب) شيء ، بعد أن نزلها اليهود ، فأصبحوا يقيمون فيها بجوار أولئك اليهود الأقوياء (٤) .

د - قبائل اليهود في (يثرب) :

١ يثرب : مدينة تنسب إلى أول من سكنها من قوم (عبيل) - على الراجح - ، وهو : (يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عيبل بن عوض بن سام بن نوح - عليه السلام -) ، ثم غزاها قوم من (العماليق) ، فأخرجوا منها قوم (عبيل) ، وسكنوها ، وبعد أن تشتت اليهود نزلها بعض منهم على طوائف من العرب ، وكان بعضهم من (العماليق) ، حيث أصبحت السيطرة لليهود فيها ، حتى هاجر إليها (الأوس والخزرج) ، فأصبحت لهم السيادة فيها - كما فصلنا ذلك أعلاه - ، وبعد أن هاجر الرسول محمد ﷺ إليها بعد دخول أهلها الإسلام ، صار اسمها (المدينة) ، أي مدينة الرسول ﷺ ، وهي مركز (أمانة منطقة المدينة) في المملكة العربية السعودية . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٨٢ - ٨٨ و ٤٣٠ - ٤٣٦ ، و : محمد غالي محمد الأمين الشنقيطي : الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ ص ٢٥٤ - ٢٥٧ .

٢ انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٤ ، و : السمعوني : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٢ ، والعباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ص ٣٥ .

٣ العماليق : جمع عملاق وهو الرجل يفوق غيره طولاً وضخامة ، والعماليق طبقة من (العرب البائدة) ، على خلاف في أصل اللفظة ، والراجح أنه منحوت من اسم جددهم : (عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح - عليه السلام -) ، كان (البابليون) يطلقون عليهم اسم (ماليق) أو (مالوق) ، وأضاف إليها اليهود لفظ (عم) بمعنى (الشعب) ، ليصبح فيما بعد (عماليق) ، أو (عمالقة) . يقال : إنه كان للعماليق دولتان واحدة في العراق ، وأخرى في مصر ، ولعلهم (الهكسوس) ، إلا أنهم تفرقوا بعد إنهيار تلك الدولتين ، في الحجاز ، ونجد ، واليمن ، وعمان ، وفلسطين ، وكانوا من أشد أعداء الإسرائيليين ، وبالجمله فإن كل ما يقال عن (العماليق) إنما هو ضرب من التخمين ؛ لأنه لا يقوم على سند تاريخي موثوق . انظر : الزركلي : الاعلام ج ٥ ص ٨٨ ، و : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٥ ص ٥٠٦ .

٤ انظر : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٧٤ .

كان في (يثر) من اليهود عدة قبائل ، أهمها : (بنو بهدل ، وبنو ثعبلة ، وبنو زعوراء ، وبنو زيد ، وبنو عكرمة ، وبنو عوف ، وبنو قريظة ، وبنو القصيص ، وبنو قينقاع ، وبنو محمر ، وبنو النضير) . (١)

وكل أسماء هذه القبائل اليهودية - وغيرها - عربية صرفة ماعدا (زعوراء) (٢) ، حيث أن اليهود كانوا قد تركوا التسمية إلى قبائلهم (٣) ، وأخذوا يتسمون بأسماء البيئة العربية الجديدة ، التي نزحوا إليها :

- إما بأسماء الأماكن التي سكنوها : ك (بنو قريظة) الذين سكنوا جبلا يعرف ب (قريظة) (٤) ، و (بنو النضير) الذين سكنوا جبلا يعرف ب (النضير) . (٥)

- وإما بأسماء الأشخاص الذين ساكنوهم : ك (بقية القبائل اليهودية) .

هـ - منازل اليهود في (يثر) :

كان البارزون من يهود (يثر) (ثلاث قبائل) ، انتشرت فيها على ما يأتي :

١ - بنو قينقاع : وقد استوطنوا (وسط يثر) ، (٦) من الشرق إلى الغرب ، بين السافلة والعالية (٧) ، وكانوا يشتهرون بالصياغة . (٨)

١ انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٣ - ١١٤ ، و : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ص

١٧ ، و : السهمودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦١ - ١٦٥ ، والعباسي : عمدة الأخبار ص ٣٥ .

٢ انظر : محمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة بني قريظة) ص ٣٠ و ٥٨ .

٣ انظر : د/ إسرائيل ولفسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٥ - ١٦ .

٤ انظر : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٢ .

٥ انظر : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٩ .

٦ انظر : السهمودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٤ .

٧ انظر : د/ محمد الوكيل : يثر قبل الإسلام ص ٤٤ .

٨ انظر : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ص ١٢ .

- ٢ - بنو النضير : وقد استوطنوا (جنوب يثرب) ، على (وادي مذنيب) (١) ، في الجنوب من العالية (٢) ، وكانوا يشتهرون بالزراعة • (٣)
- ٣ - بنو قريظة : وقد استوطنوا (شرق يثرب) ، على (وادي مهزور) (٤) في الجنوب الشرقي من أقصى العالية ، (٥) وكانوا يشتهرون بالزراعة (٦) - أيضاً - •

وقد جعل اليهود مساكنهم في هذه المناطق محصنة ؛ طلباً لحماية أنفسهم وممتلكاتهم ، في شبه عزله - كعادة اليهود جميعاً - ؛ تحقيقاً لاسطورة (شعب الله المختار) ! • (٧)

و - سيطرة اليهود في (يثرب) :

لقد وطن اليهود لأنفسهم في (الجزيرة العربية) عموماً ، وفي (يثرب) خصوصاً ، مركزاً متميزاً بين العرب (الأميين) ، وذلك من خلال جانبين متكاملين ، هما :

- ١ - الجانب العلمي : حيث ألقوا في روع العرب أنهم أهل الدين والكتاب الأول (التوراة) ، وأصحاب المعرفة والثقافة ، وأبناء الأنبياء ، • • • ! (٨)
- وهذه حقائق أريد بها باطل ؛ فقد اتخذها اليهود وسيلة للاستعلاء على

- ١ انظر : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ص ١٤ ، و : السهودي : وفاة الوفاء ج ١ ص ١٦١ والعباسي : عمدة الأخبار ص ٣٤ •
- ٢ انظر : الفيروز أبادي : المغامم المطابة في معالم طابة ص ٣٩٨ •
- ٣ انظر : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ص ١٤ •
- ٤ انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٣ ، و : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ص ١٤ ، والفيروز أبادي : المغامم المطابة ص ٣٩٨ •
- ٥ انظر : إبراهيم بن علي العياش : المدينة بين الماضي والحاضر ص ٥٣٩ •
- ٦ انظر : ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ص ١٤ •
- ٧ راجع : (الاستعلاء الديني) ج ١ ص ١٣٧ •
- ٨ انظر : د/ عبدالستار سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٧٥ •

العرب ، والسيطرة على شؤونهم - ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا - ، ولم يقصدوا إلى إرشادهم إلى دين الله تعالى الذي أضعوه ! (١) .

ولكن هناك - أيضاً - حقائق مبتورة ، تتمثل في : الكفر بالله تعالى ، والاستخفاف بالوحي ، وقتل الأنبياء ، والإفساد في الأرض ، ... ، أخفوها عن العرب ؛ لتظل صورتهم زاهية مبهرة ، تغشى أعين (الأميين) الجهال (٢) . وقد استخدموا هذا الجانب العلمي في تحقيق الجانب الثاني ، وهو :

٢ - الجانب العملي : حيث برعوا في استغلال أساليب الحيل والدسائس والغدر ، التي مردوا عليها في كل أجيالهم (٣) ؛ من أجل تحقيق سيطرتهم على العرب في كافة شؤون الحياة ، حيث تتمثل تلك السيطرة فيما يأتي :

أ - السيطرة الدينية .

ب - السيطرة الاقتصادية .

ج - السيطرة السياسية .

د - السيطرة العسكرية .

ولا يتسع المقام للحديث التفصيلي عن هذه السيطرة اليهودية على العرب في الجاهلية (٤) ؛ لأنه خارج نطاق بحثنا ، ولكننا سنعرض لشيء من ذلك ؛ مما له علاقة بالتأثير اليهودي على المجتمع الإسلامي في (العهد النبوي) - إن شاء الله تعالى - في موضع آخر (٥) .

ز - ثقافة اليهود في (يثرب) :

لقد تأثر اليهود - بحكم البيئة اليرثية - بالثقافة العربية ، فتخلوا - على

١ انظر : المرجع السابق ص ٧٥ .

٢ انظر : المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ .

٣ انظر : المرجع السابق ص ٧٦ .

٤ لمزيد من المعلومات حول هذه السيطرة اليهودية . انظر : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ١١١ - ١٨٦ ، و : محمد علي قطب : معارك النبي ﷺ مع اليهود والاستراتيجية العربية الموحدة

ص ١٧ - ٢٣ ، و : محمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة بني قريظة) ص ٤٠ - ٤٢ .

٥ راجع : (أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي) ص ٨٧ .

مر الزمن - عن كثير من خصائصهم الثقافية ، في كثير من المجالات ، التي أهمها :

١ - في مجال اللغة :

كانت لغة اليهود الأصلية في (يثرب) هي (اللغة العبرية) ، التي كانوا

يمارسونها في كافة شؤون حياتهم : الدينية ، والدنيوية . (١)

إلا أن هذه اللغة استحالت - مع طول إقامتهم بين ظهراني العرب الذين لا يعرفون سوى (العربية) - إلى لغة ثانوية ، حين اعتمدوا (اللغة العربية) لغة للتخاطب ، حتى يمكنهم التعايش مع السكان الأصليين للمنطقة التي اتخذوها دار مقام لهم (٢) ، وإلقاء نظرة - مثلاً - على مكائدهم ضد الرسول ﷺ ، وأتباعه المسلمين ، ودينهم الإسلام ، يتضح من خلالها أن تخاطبهم مع غيرهم إنما كان يتم بـ (اللغة العربية) . (٣)

علماً بأن هذه (العربية) التي اعتمدها اليهود لغة لهم لم تخل من رطانة (عبرية) (٤) ؛ لأنهم لم يتركوا استعمال (اللغة العبرية) تركاً تاماً ؛ بل كانوا يستعملونها - ولاسيما زعمائهم الأحرار - في شؤونهم الدينية : في معابدهم ومدارسهم (٥) ، فعن (أبي هريرة) (٦) - رضي الله عنه - قال :

١ انظر : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٥٢ - ٥٣ .

٢ انظر : المرجع السابق ص ٥٢ .

٣ راجع : (أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي) ص ٨٧ .

٤ انظر : د/ إسرائيل ولفسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ٢٠ ، و : د/ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ص ٣٣٥ .

٥ انظر : د/ أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٠٣ . و : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٥٢ - ٥٣ ، و : إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود ص ٢٥ .

٦ أبو هريرة : (٢١ ق هـ - ٥٩ هـ = ٦٠٢ - ٦٧٩ م) هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي . صحابي ، اشتهر بلقب (أبي هريرة) ؛ لأنه كان له في صفه هرة صغيرة يضعها في كفه . فلقب بها ؛ نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية ، وقدم (المدينة) والرسول ﷺ في (خيبر) ، فأسلم عام ٧ هـ - ٦٢٨ م ، ولزم صحبة الرسول ﷺ ، فكان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث الشريف ورواية له ، حيث

« كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل ، (١) الآية » (٢) .

ولذلك أمر الرسول ﷺ أصحابه من يتعلم لغة اليهود ، حتى لا يحرفوا الكتب المتبادلة بينه وبينهم ، فعن (زيد بن ثابت) (٣) - رضي الله عنه - قال :

« أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود ، وقال : إني والله ما آمن يهود على كتابي ، فتعلمه ، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حفظته ، فكنت أكتب له إذا كتب ، وأقرأ له إذا كتب إليه » (٤) .

أما لغة التخاطب فيما بين اليهود أنفسهم فالأرجح - والله أعلم - أنها

روى (٥٣٧٤ حديثاً) ، ولي إمرة (المدينة) مدة ، واستعمله (عمر) - رضي الله عنه - على (البحرين) مدة ، و كان أكثر مقامه في (المدينة) ، حتى توفي فيها . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٧٨ - ٦٣٢ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٠٠ - ٢٠٨ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٣٠٨ .

١ انظر : سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

٢ صحيح البخاري : (كتاب التوحيد « ٩٧ ») ، (باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها « ٥٧ ») ، ج ٨ ص ٢١٣ .

٣ زيد بن ثابت : (١١ ق-هـ - ٤٥ هـ = ٦١١ - ٦٦٥ م) هو أبو خازنة زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي ، صحابي ، ولد في (يثرب) ونشأ - مع أبيه - في (مكة) ، وهاجر إلى (يثرب - المدينة) - بعد وفاة والده - مع الرسول ﷺ . كان كاتب الوحي ، أول مشاهده (غزوة الخندق) لصغره فيما قبلها ، تعلم وتفقه في الدين ، فكان من أكابر الصحابة في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة ، كان أحد الذين جمعوا (القرآن الكريم) في عهد النبي ﷺ ، وعرضه عليه ، وهو الذي كتبه لأبي بكر الصديق . ثم لعثمان ابن عفان - رضي الله عنهما - . روى (٩٢ حديثاً) . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٢٦ - ٤٤١ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٥٤٣ - ٥٤٤ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٥٧ .

٤ سنن أبي داود - واللفظ له - : (كتاب العلم) ، (باب رواية حديث أهل الكتاب) . حديث رقم (٣٦٤٥) ج ٣ ص ٣١٨ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الأحكام « ٩٣ ») ، (باب ترجمة الحكام « ٤٠ ») ، ج ٨ ص ١٢٠ .

(اللغة العبرية) ، ويدل على ذلك ما جاء في خبر مقتل (سلام بن أبي الحقيق) (١) - أحد زعماء اليهود في (خيبر) - : فحين أرسل الرسول ﷺ (عبد الله بن عتيك) - رضي الله عنه - في نفر من (الخرزج) لقتله ، استفتحوا عليه ، فلما فتح لهم رطن (عبد الله بن عتيك) باليهودية (٢) (أي بالعبرية) .

وقد يكون اليهود يستعملون (اللغة العربية) في التخاطب فيما بينهم ، بجانب لغتهم (العبرية) - أيضاً - ، ولا أدل على ذلك مما سنراه في الفقرتين التاليتين :

٢ - في مجال الأدب :

الشعر هو أرقى فنون الأدب ، وقد نبغ فيه من بين اليهود في (يثرب) عدد من الشعراء المجيدين (٣) ، الذين لا يختلفون في طابعهم الشعري عن كبار فحول الشعراء العرب الأصليين (٤) ، وهذا دليل على أن تفكيرهم ينحى -

١ لمعرفة مقتل (سلام بن أبي الحقيق) . راجع : ص ٤٦٦ .

٢ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٩٢ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩١ .

٣ من أشهر الشعراء اليهود في منطقة الحجاز - عموماً - و (يثرب) - خصوصاً - ما يأتي :

١ - السموأل بن عاديا .

٢ - سعية بن الغريض ، ويقال : إنه قد أسلم .

٣ - الربيع بن أبي الحقيق .

٤ - سلام بن أبي الحقيق .

٥ - شريح بن عمران .

٦ - أبو قيس بن رفاعة .

٧ - درهم بن زيد .

٨ - أبو الذيال البلوي .

٩ - سماك .

١٠ - كعب بن الأشرف .

١١ - أبو عفك .

انظر : الجمحي : طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٢٧٩ - ٢٩٦ ، و : د/ يوسف محيي الدين أبو

هلالة : الشعر والدعوة في عصر النبوة ص ٣٠ - ٣٦ .

و سنعرض لنماذج من تلك الأشعار اليهودية - إن شاء الله تعالى - في موضع آخر . راجع :

(أشعارهم العدائية ضد المسلمين) ص ٣٩٨ .

٤ انظر : محمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة بني قريظة) ص ٥٩ - ٦٣ .

٣ - في مجال الأسماء :

إن أسماء غالبية القبائل اليهودية والأفراد اليهود قد اصطبغت بصبغة عربية ، على ما يأتي :

- أما القبائل : فإن غالبية أسمائها عربية صرفة - وقد تحدثنا عن ذلك قبل قليل - (١) .

- وأما الأفراد : فإن غالبية أسمائهم - كذلك - تحمل الطابع العربي الصرف ، حتى أن أسماء زعمائهم الأحرار (٢) لم تستطع الاحتفاظ بعلامتها العبرانية (٣) .

والفارق الوحيد الذي كان - ظاهراً - بين العرب واليهود عند ظهور الإسلام ، هو الاختلاف في (الديانة) - فقط - (٤) .

ولذلك كانت نظرة اليهود الآخرين إلى يهود (الجزيرة العربية) عموماً ، و (منطقة يثرب) خصوصاً ، نظرة عدم رضا ، بل كانوا ينظرون إليهم كفتنة ضالة ؛ لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ، ولم يخضعوا لأحكام التلمود (٥) ! .

١ راجع : (قبائل اليهود في يثرب) ص ٣١ .

٢ لمعرفة أسماء هؤلاء الزعماء الأحرار . راجع : ص ٨٧ .

٣ انظر : محمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة بني قريظة) ص ٥٨ ، و : المباركوري : الرحيق المختوم ص ١٧٣ .

٤ انظر : د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥٣٢ .

٥ انظر : د/ إسرائيل ولفسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٣ .

و : د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥١٥ ، و : محمد باشميل :

موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة بني قريظة) ص ٥٧ .

ح - انتهاء سيطرة اليهود في (يثرب) :

لقد استمرت السيطرة اليهودية على العرب في (يثرب) في كافة مجالات الحياة ، حتى هاجر (١) (الأوس) (٢) ، و (الخزرج) (٣) - وهم من قبيلة (الأزد) اليمنية المهاجرة (٤) - إلى (يثرب) ؛ بسبب (٥) تصدع (٦) (سد

١ لمعرفة أسباب هجرة (الأوس) و (الخزرج) مفصلة . انظر : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٦٧ - ٧٣ .

٢ الأوس : قبيلة عربية ، هاجرت من اليمن حوالي عام ٣٤٧ م ، وتنسب إلى : (أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزريقا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد) ، وتؤلف مع أختها (قبيلة الأوس) غالبية سكان (يثرب - المدينة) ، حيث كانتا تتنازعا السيادة فيها من خلال عدة حروب بين الطرفين ، كان آخرها معركة (يوم بعث) عام ٥ ق.هـ - ٦١٧ م ، والتي انتصر فيها (الأوس) على (الخزرج) ، وبعد ظهور الإسلام دخل (الأوس) و (الخزرج) تحت لوائه ، وطلبوا من الرسول ﷺ أن تكون (يثرب - المدينة) دار هجرته ، وبذلك عرف (الأوس) و (الخزرج) بـ (الأنصار) لتصرتهم الرسول ﷺ وأصحابه (المهاجرين) معه - كما فصلنا ذلك أعلاه . انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

٣ الخزرج : قبيلة عربية هاجرت من اليمن ، وتنسب إلى : (خزرج بن حارثة ١٠٠٠) ، وتؤلف مع أختها (قبيلة الأوس) غالبية سكان (يثرب - المدينة) من العرب ، حيث كانتا تتنازعا السيادة فيها ، حتى جاء الإسلام الذي أعتقه (الخزرج) و (الأوس) ، وطلبوا من الرسول أن تكون (يثرب - المدينة) دار هجرته ، وبذلك عرف (الخزرج) و (الأوس) بـ (الأنصار) - كما فصلنا ذلك في أثناء حديثنا عن (الأوس) - . انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٢ ص ٢٣٤ .

٤ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ١٣ ، و : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٤ - ١١٥ ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٦ ، و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٠١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٤ .

٥ يرى بعض المؤرخين المحدثين أن أسباب هجرة (قبيلة الأزد) - ومنها (الأوس) و (الخزرج) - يعود إلى سبب أقوى من تصدع (سد مأرب) أو انهياره ، إذ يعززون ذلك إلى الاضطرابات السياسية ، والتدهور الاقتصادي الذي نجم عن سيطرة الرومان على البحر الأحمر . انظر : د/ أحمد الشريف مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٦٥ ، و : د/ بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ص ٤٥٨ - ٤٥٩ ، و : د/ أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى ص ٦٠ .

٦ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ١٣ ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٦ ، و : السمعوني : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٨ - ١٧٢ .

مسأرب) (١) - على الراجح - (٢) ، حوالي عام ٣٤٧ م (٣) ، حيث عانوا من سيطرة اليهود ، مثل ما عانى منه إخوانهم العرب (٤) ، ولكن الأوضاع مالبثت - بعد فترة - أن تبدلت ، وذلك حين ذهب (مالك بن العجلان) (٥) - أحد أشراف (الخرزج) (٦) - حوالي عام ٤٩٢ م (٧) إلى الشام ، حيث أبناء عمومته - من (قبيلة الأزد) اليمنية المهاجرة (٨) - الملوك (الغساسنة) (٩) -

- ١ سد مأرب : من أعظم السدود المائية في اليمن ، ينسب إلى مدينة (مأرب) عاصمة (الدولة السبئية) ، التي تقع أطلالها إلى الشرق من (صنعاء) ، أقيم هذا السد على هيئة جدار ركامي ، تجتمع فيه مياه السيول ، حيث جعل له مصرفان لتصريف مياه الخزان التي يروى بها السهلان المجاوران لمدينة (مأرب) . وقد حدث تصدع لهذا السد حوالي عام ٣٤٧ م ، حيث انهار ، فانتقلت العاصمة السبئية إلى (ظفار) . أما إنهياره لآخر مره فقد حدث حوالي عام ٥٦٥ م . انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٣ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .
- ٢ يذهب بعض العلماء إلى أن هجرة (الأوس) و (الخرزج) من اليمن إلى (يثرب) إنما كانت بسبب (سبل الحرم) ، الذي أعقب تصدع (سد مأرب) - والله أعلم - انظر : الاصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٤ - ١١٥ ، و : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٢٥٠ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ١٩٤ و ج ٣ ص ٢٧٢ .
- ٣ انظر : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٧٢ .
- ٤ انظر : الاصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٦ ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٨٥ ، و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٠١ ، و : السهويدي : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٧٨ .
- ٥ مالك بن العجلان : (حوالي القرن ٥ م) سيد (الأوس والخرزج) في (يثرب) . اشتهر بحربه مع (بني عمرو بن عوف) ، وكان إذا حارب تنكر لثلا يعرفه أعداؤه ، وهو الذي أذل اليهود لـ (الأوس والخرزج) - كما فصلنا ذل أعلاه - . انظر : الاصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٦ - ١٢٠ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٢٦٣ .
- ٦ انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٨٥ ، و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٠١ .
- ٧ انظر : ل . سينيوي : تاريخ العرب العام ص ٥١ .
- ٨ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ١٣ ، و : الاصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١١٥ ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٧ ، و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٠١ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ١٩٤ .
- ٩ الغساسنة : هم (آل جفنة) من (قبيلة الأزد) - اليمنية - ، وسموا (غساسنة) باسم الماء الذي كانوا يقطنون عليه والمسمى (غسان) في اليمن ، وقد هاجروا في (القرن ٤ م) ؛ بسبب تصدع (سد مأرب) - على الراجح - إلى مشارف (الشام) ، حيث قضاوا على (الضجاعة) - قوم من (قضاة) - ، وأصبحوا ملوكاً عاملين باسم القياصرة الرومان على (عرب الشام) ، وقد دام ملكهم زهاء (ثلاثة

التابعين لـ (الدولة الرومانية) (١) - ، يطلب منهم النصر على اليهود - سيما وأن (الغساسنة) يعتقدون (الديانة النصرانية) (٢) ، التي تقوم على مبدأ صلب اليهود للمسيح ، عليه السلام (٣) - ، فأرسلوا - ربما بإيعاز من الرومان - (٤) (أبو جبيلة) (٥) - وكان أحد أشرف (الخزرج) المقيمين عندهم (٦) - على رأس جيش كبير إلى (يثرب) ، حيث فتك باليهود (٧) - والله أعلم - .

وبذلك أصبحت الكلمة السياسية العليا للعرب من (الأوس) و (الخزرج) ، وعاش اليهود إلى جوارهم حلفاء (٨) - فكان : (بنو قينقاع) (٩) حلفاء (الخزرج) ، و (بنو النضير) (١٠) و (بنو قريظة) (١١) حلفاء (الأوس) - ،

قرون) ، كان أولهم الملك (جفنة بن عمرو) ، وآخرهم الملك (جبلة بن الأيهم) ، الذي انتهى حكمه وأسياده (الرومان) بالفتوحات الإسلامية في الشام . انظر : محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ج ٦ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ و ج ٧ ص ٧٣-٧٤ .

- ١ انظر : ل . سيدوي : تاريخ العرب العام ص ٤٤ .
- ٢ انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ١٩٤ .
- ٣ انظر : محمد حسين هيكل : حياة محمد ص ١٩٩ .
- ٤ انظر : د / إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ٦١ .
- ٥ أبو جبيلة : (حوالي القرن ٥ م) شريف من أشرف (الخزرج) ، كان يقيم عند أبناء عمومته (الملوك الغساسنة) في (بادية الشام) ، فأرسلوه - بعد أن استنجد بهم (مالك بن العجلان) سيد (الخزرج) للقضاء على تسلط اليهود عليهم في (يثرب) - في جيش كبير أدل به اليهود - كما فصلنا ذلك أعلاه - .

- ٦ انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٠٢ .
- ٧ لمعرفة هذه القصة - وغيرها - مفصلة . انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٣ ص ١١٦ - ١٢٠ ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٨٥ - ٨٦ ، و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٠١ - ٤٠٢ ، و : السهمودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٧٨ - ١٨٢ .
- ٨ انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٢٢ ص ١٢٠ ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٨٦ ، و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٠٢ ، و : السهمودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٨١ و ١٨٢ ، و : د / محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٧٥ .
- ٩ راجع : (وقائع غزوة بني قينقاع) ص ٤٣٠ .
- ١٠ راجع : (وقائع غزوة بني النضير) ص ٤٣١ .
- ١١ راجع : (وقائع غزوة بني قريظة) ص ٤٤٦ .

ومع ذلك فقد ظلت لهم السيطرة في المجال العلمي والديني ، والتفوق في المجال الاقتصادي ، حتى هاجر الرسول ﷺ إلى (يثرب - المدينة) ، فأصبحت السيطرة كاملة - بعد فترة وجيزة - للمسلمين .

وما يقال عن (الوجود اليهودي) في (منطقة يثرب) ، فإنه ينطبق على (بقية مناطق الحجاز) والمناطق القريبة منها شمالا ، التي يقطنها اليهود ، وأشهرها (١) : (خير) (٢) ، و(فدك) (٣) ، و(وادي القرى) (٤) ، و(تيماء) (٥) ، و

١ هنال جاليات يهودية صغيرة مبعثرة في أنحاء (الحجاز) - غير ما ذكرنا أعلاه - ، ومنها :

- في الطائف . انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٧ - ٦٨ .

- وفي تبوك . انظر : صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ج ١ ص ١٢٨ .

- وفي أيلة (إيلات) - وكانت تتبع (الحجاز) ، حسب التقسيم الجغرافي قديماً - انظر : صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق : مراصد الاطلاع ج ١ ص ١٢٨ .

- أما مكة : فقد زعم العالم اليهودي الدكتور (إسرائيل ولفسنر) أن فيها جالية يهودية قليلة العدد قبل الإسلام . انظر : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ٩٤ .

ولكن هذا الزعم بأن جالية يهودية في (مكة) ليس له ما يستند في أي مصدر من مصادر التاريخ . اللهم إلا ما كان من اليهود الذين يمرون عليها في رحلاتهم التجارية . دون أن تكون لهم فيها صفة الإقامة الدائمة . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٦٢ .

٢ خير : مدينة تنسب إلى : (خير بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عييل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح - عليه السلام -) . وقيل : معناها باللغة العبرية : (الحصن) . وهي تابعة لـ (إمارة منطقة المدينة) في المملكة العربية السعودية . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٩ - ٤١١ ، و : حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ج ٢ ص ٥١٩ .

٣ فدك : قرية تنسب إلى : (فدك بن حام بن نوح - عليه السلام -) . وتعرف - حالياً - باسم (الحائط) ، وهي تابعة لـ (إمارة منطقة حائل) في المملكة العربية السعودية . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٨ - ٢٤٠ ، و : حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ج ٣ ص ١٠٢٣ .

٤ وادي القرى : واد يقع بين (المدينة) و (خير) ، فيه قرى كثيرة خربة ، ترجع إلى قبائل (عاد وثمود) . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ج ٥ ص ٣٤٥ .

٥ تيماء : مدينة تقع في شمال (الجزيرة العربية) ، وهي تابعة لـ (إمارة منطقة تبوك) في المملكة العربية السعودية . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٦٧ ، و : حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(مقنا) (١) ، و (جربا) (٢) ، و (أذرح) (٣) ، وغيرها (٤)

وبعد أن تحدثنا عن (الوجود اليهودي في منطقة يثرب) ، فإن سؤالاً يطرح نفسه - الآن - ألا ، وهو :

- لماذا اختار هؤلاء اليهود - المشتتون - (منطقة يثرب) بالذات ؟

❖ أسباب اختيار اليهود لـ (منطقة يثرب) :

إن اختيار اليهود لـ (الجزيرة العربية) - على وجه العموم - يعود إلى الأمن ، الذي تنعم به ، حيث إن أعداء اليهود يحيطون بـ (فلسطين) - التي استوطنوها - من الشرق ، والشمال ، والبحر من الغرب ، وليس هناك من طريق آمن مفتوح سوى الجنوب (٥) ، حيث (الجزيرة العربية) ؛ لأن « جزيرة العرب كان يسيطر عليها النظام القبلي الحر ، الذي يمكن لليهود أن يعيشوا في رحابه آمنين ، خاصة إذا حالفوا إحدى القبائل ، ونزلوا إلى جوارها » . كما كانت جزيرة العرب بطبيعتها الصحراوية بعيدة عن متناول أيدي أي قوات نظامية ، حيث تعوق الرمال سير القوات ، وتحول بينها وبين التوغل في هذه البلاد » (٦)

أما اختيار اليهود لـ (منطقة يثرب) - بالذات - ، فيعود إلى بشرى كتابهم

١ مقنا : قرية تقع على شاطئ (خليج العقبة) ، وهي تابعة لـ (إمارة منطقة تبوك) في المملكة العربية السعودية . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ١٧٨ ، و : حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ج ٣ ص ١٢٥٤ - ١٢٥٨ .

٢ جرباء : من بلاد الشام ، وهي - حالياً - من قرى (الأردن) . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠ ، و : د/ حسن صالح : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ص ١٤٤ .

٣ أذرح : من بلاد الشام ، وهي - حالياً - من قرى (الأردن) . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠ ، و : د/ حسن صالح : البلدان الإسلامية ص ١٤٤ .

٤ راجع : (أسباب اختيار اليهود لمنطقة يثرب) ص ٤٣ ، و : (آثار فتح خيبر) ص ٤٨٠ .

٥ انظر : د/ محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٤١ .

٦ المرجع السابق ص ٤٢ .

(التوراة) بنبوۀ محمد ﷺ (١) ، وإنه سيهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين . (٢)

ولم يكن اليهود يعتقدون أن هذا البلد هو (يثرب) - جزماً - ، وإنما كانوا يأملون ذلك في كل بلد يتصف بهذه الصفة ، ولهذا نزل بعضهم في (خبير) ، وبعضهم في (فدك) ، وبعضهم في (وادي القرى) ، وبعضهم في (تيماء) ، وبعضهم في (مقنا) ، وبعضهم في (حربا) ، وبعضهم في (أذرح) ، وبعضهم في (يثرب) ، حيث جعلوا من هذه المناطق الغنية بالمياه مراكز إقامة لهم (٣) ، بنوا فيها (الآطام) (٤) ؛ لحماية أنفسهم وممتلكاتهم ، في شبه عزلة - كعادة اليهود جميعاً - ؛ تحقيقاً لأسطورة (شعب الله المختار) ! وكل هذه المناطق التي استوطنها اليهود ينطبق عليها وصف مهاجر

١ راجع تلك البشارات في : (تصريف البشارات بنبوۀ محمد ﷺ في العهد القديم - التوراة) ص ٩٣ .

٢ جاء في حديث قصة إسلام (سلمان الفارسي) - رضي الله عنه - أنه قال لراهب (عمورية) لما حضرته الوفاة - وكان ملازماً له - :

» إلى من توصي بي وتأمري . قال : أي بني ، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه ، ولكن قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل ٠٠٠ « : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ٤٤٢ ، و : ابن اسحاق : السيرة والمغازي ص ٨٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

وقد جاء عن (كعب الأحبار) - رحمه الله تعالى - عدة أحاديث يذكر فيها أن التوراة ورد فيها ذكر اسم (طيبة) مهاجر الرسول ﷺ . انظر : سنن الدارمي : (مقدمة) . (باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه) ج ١ ص ٤ - ٦ . و : انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٧٢ و ٤٩٢ .

٣ انظر : ابن الجار : أخبار مدينة الرسول ص ١٣ ، و : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٦ و ٨٤ ، و : السمعوني : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٠ - ١٦١ ، و : د / محمد الوكيل : يثرب قبل الإسلام ص ٤٢ - ٤٣ ، و : عبد الرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٣٨ .

٤ الآطام : جمع أطم ، وهو الحصن المبني بالحجارة . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الأطم) ج ٤ ص ٧٥ .

و : قد بلغت (الآطام) داخل (يثرب) - وحدها - (٥٩ أطمأ) . انظر : السمعوني : وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٥ .

هذا النبي ، وكل هؤلاء النزلاء كانوا يعتقدون بأنهم بنزولهم تلك البلدة - من البلاد المذكورة - قد أصابوا الهدف .
ولكن الذين أصابوا الهدف من بين اليهود هم - فقط - ساكنو (يثر) ، من قبائل : (بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة) ، وغيرهم من القبائل الأخرى . (١)

٢ - الوجود الإسلامي في (منطقة يثر - المدينة) :

ذكرنا - قبل قليل - (٢) أن الكلمة السياسية العليا في (يثر) ، انتقلت من اليهود إلى العرب من (الأوس) و (الخزرج) ، فهل استقر لهم الأمر بذلك ؟

- ما إن استقر لـ (الأوس) و (الخزرج) الأمر في (يثر) ، حتى بدأوا صراعاً مريعاً على السيادة : المادية ، والأدبية ، أوجدته العصبية الجاهلية ، التي كثيراً ما أدت إلى حروب دامية ، لا تهدأ حيناً حتى تبدأ عنيفة من جديد (٣) ، وكان آخر هذه الحروب ما وقع بين الفريقين في عام ٦١٧ هـ - ٦١٧ م ، وهو (يوم بعث) (٤) ، الذي هلك فيه زعمائهم ، وتصدعت قوتهم ، وتعرض مركزهم في (يثر) للانهايار . (٥)

-
- ١ لمعرفة تلك القبائل الأخرى . راجع : (قبائل اليهود في يثر) ص ٣١ .
 - ٢ راجع : (إنهاء سيطرة اليهود في يثر) ص ٣٩ .
 - ٣ لمعرفة هذه الحروب . انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٠٠ - ٤٢٠ .
 - ٤ يوم بعث : آخر المعارك التي وقعت بين (الأوس) و (الخزرج) ، في موضع يسمى (بعث) في الجنوب الشرقي من (يثر) حوالي عام ٥ ق هـ - ٦١٧ م ، وانتصر فيها (الأوس) على (الخزرج) . انظر : أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامي ج ١ ص ٣٢٨ .
 - ٥ انظر : السمهودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ٢١٥ و ٢١٨ ، و : د/ محمد الطيب النجار : القول المبين في سيرة المرسلين ص ١٢٥ ، و : محمد عرجون : محمد رسول الله ﷺ ج ٢ ص ٣٧٧ ، و : محمد الغزالي : فقه السيرة ص ٢١٨ ، و : د/ أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٣٢ - ٣٣٧ ، و : د/ محمد السيد الوكيل : تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ١٠٦ - ١٠٧ ، و : د/ أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة -

وكان اليهود يذكرون هذا الخلاف بين الطرفين ، لكي يستعيدوا
مكانتهم المفقودة في (يثرب) (١) .

وقد أدرك (الأوس) و (الخزرج) هذا الشعور العدائي من اليهود ،
الذي يزداد حينما يندرونهم بقرب مبعث نبي يشايح اليهود (أهل الكتاب) ،
على العرب (الوثنيين) (٢) ، حيث يقولون لهم :
" إن نبياً مبعوث الآن ، قد أظل زمانه ، تتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد
وإرم " (٣) .

هذه الحال التي آل إليها وضع (الأوس) و (الخزرج) ، من هلاك
زعمائهم (الذين قد يكونون عقبة في طريق الإسلام في يثرب) (٤) ، والخوف

خصائصه وتنظيماته الأولى ص ٦١ .

١ انظر : د/ محمد النجار : القول المبين ص ١٢٥ ، و : د/ محمد هيكل : حياة محمد ص
١٩٩ ، و : محمد الغزالي : فقه السيرة ص ٢١٨ ، و : أحمد الشريف : مكة والمدينة في
الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٣٨ ، و : د/ أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة -
خصائصه وتنظيماته الأولى ص ٦١ .

٢ انظر : د/ محمد النجار : القول المبين ص ١٢٥ ، و : محمد هيكل : حياة محمد ص
٢٠٠ ، و : محمد الخضري : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ٨٣ ، و : د/ محمد
الوكيل : تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ١٠٥ .

٣ ابن إسحاق : السير والمغازي - واللفظ له - ص ٨٤ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ -
٢ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٥٤ ، و : ابن خبان :
السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ١٠٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد في هدي خير العباد ج ٣
ص ٤٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٧٦ .

٤ إن هلاك زعماء (الأوس) و (الخزرج) في (حرب يوم بعاث) كان سبباً رئيساً من أسباب قبول
قومهم للإسلام ؛ لأن الكلمة العليا كانت في (يثرب) لأولئك الزعماء ، وقد يكونون عقبة في طريق
إسلام قومهم ، ولا أدل على ذلك مما رواه محمود بن لبيد - رضي الله عنه - قال :

" لما قدم أبو الحيسر (أنس بن رافع) مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم (إياس بن
معاذ) ، يلتصقون بالحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ ، فاتاهم
فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم خير مما جئتم له ؟ ، فقالوا : وما ذاك ؟ ، قال أنا
رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئاً ، وأنزل علي
كتاب ، ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فقال إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - :
أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له ، قال : فأخذ أبو الحيسر (أنس بن رافع) حفنة من
البطحاء ، فضرب بها في وجه إياس بن معاذ ، وقام رسول الله ﷺ عنهم ، وانصرفوا إلى
المدينة ، فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج " : مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٤٢٧ ، و :

من اضمحلال وجودهم على أيدي اليهود (الذين يهددونهم بمبعث نبي يشايعونه على العرب) (١) ، هياهم (أي الأوس والخزرج) ؛ ليكونوا أكثر - من غيرهم من العرب - استماعاً للحديث عن الشؤون الدينية ، ومن ثم قبول دين الإسلام الجديد ، والخضوع لقيادة رسول الإسلام محمد ﷺ (٢) ، على ما سنفصله فيما يأتي :

البیهقي : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١ .
وقال البیهقي - رحمه الله تعالى - عن هذا الحديث : إن (رجالہ ثقات) : انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٦ ص ٣٦ .
و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٦٩ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٧٤ - ١٧٥ .
لقد قضت (حرب بعاث) على هؤلاء الزعماء من الفريقين وبالقضاء عليهم ، تهيأ القوم لاستقبال الإسلام ، ولذلك تقول أم المؤمنين (عائشة) - رضي الله عنها - :
« كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ ، فقدم رسول الله ﷺ ، وقد افترق ملؤهم ، وقتلت سرواتهم ، وجرحوا ، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب مناقب الأنصار « ٦٣ ») ، (باب مناقب الأنصار « ١ ») ج ٤ ص ٢٢١ ، و : مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٦١ ، و : البیهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٢١ .
١ لقد ألف (الأوس) و (الخزرج) الأفكار الدينية ، التي تحدث عن : الوحدانية ، والنبوة ، والرسالة ، والوحي ، والبعث ، والآخرة ، من خلال صلاتهم مع اليهود في (يثرب) ، ولا أدل على ذلك مما رواه عاصم بن عمر بن قتادة - رحمه الله تعالى - عن رجال من قومه ، قالوا : « إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهدايته لنا ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فأما به ، وكفروا به » : ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - ج ٢-١ ص ٣١١ .

٢ انظر : السهمودي : وفاء الوفاء ج ١ ص ٢١٨ ، و : د / إسرائيل ولغفسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٠١ - ١٠٢ ، و : محمد هيكل : حياة محمد ص ٢٠٠ ، و : د / محمد النجار : القول المبين ص ١٢٦ ، و : أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٤٣ ، و : د / حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ ، و : عفيف طيارة : اليهود في القرآن ص ١٩ ، و : د / محمد السيد الوكيل : المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى ص ١٥ - ١٦ ، و : تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ١٠٥ ، و : د / محمد طنطاري : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٣٣ ، و : د / أكرم العمري :

أ - لقاء الرسول ﷺ بحجاج (يثرّب) :

حيث اشتد اضطهاد المشركين من قريش للرسول ﷺ - وأصحابه -
بعد وفاة عمه (أبي طالب) (١) وزوجه أم المؤمنين (خديجة بنت خويلد) (٢)
- رضي الله عنها - (٣) ، في عام ١٠ ب (٤) - ٦١٩ م ، - وهو العام
المعروف ب (عام الحزن) - ، أدرك أن (مكة) لاتصلح لقيام الدعوة ،
فجعل (٥) يعرض نفسه الكريمة على القبائل العربية : في مواطنها

المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ٦٢ ، و : توماس أرنولد :
الدعوة إلى الإسلام ص ٤٢٥ .

١ أبو طالب : (٨٥ - ٣ ق.هـ = ٥٤٠ - ٦٢٠ م) هو عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي ،
والد علي - رضي الله عنه - ، وعم الرسول ﷺ شقيق أبيه وكافله ومربيه ومناصره . كان من
أبطال (بني هاشم) ورؤسائهم ، ومن الخطباء العقلاء الأباة ، له تجارة كسائر تجار قريش ،
نشأ الرسول ﷺ في بيته ، وسافر معه إلى الشام في صباه ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام ،
هم به أقرباؤه لقتله ، فحماه أبوطالب وصدهم عنه ، ولكنه رفض الدخول في الإسلام ؛ خوفاً من
أن تعيره العرب بتركه دين آبائه . توفي ب (مكة) . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز
الصحاب ج ٤ ص ١١٥ - ١١٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ١٦٦ .

٢ خديجة بنت خويلد : (٦٨ - ٣ ق.هـ = ٥٥٦ - ٦٢٠ م) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن
أسد بن عبدالعزى القرشية . ولدت في (مكة) ، ونشأت في بيت شرف ويسار ، كانت ذات مال
كثير وتجارة ، تزوجها الرسول ﷺ قبل النبوة ، وكانت أسن منه ب (١٥ سنة) ، فولدت له جل
أبنائه - عدا إبراهيم - : القاسم وعبدالله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة . توفيت بـ
(مكة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٠٩ - ١١٧ ، و : ابن حجر : الإصابة
في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٦ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ٣٠٢ .

٣ انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥٢ - ٣٥٣ ، و : ابن إسحاق : السير
والمغازي ص ٢٤٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤١٥ - ٤١٦ ، و : ابن
سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢١٠ - ٢١١ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص
٣٤٣ - ٣٤٤ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٧٢ - ٩٠ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣
ص ٣١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٩ .

٤ نقصد بالرمز بحرف (ب) : البعثة النبوية المحمدية .

٥ كانت دعوة الرسول ﷺ قبل هذه المرحلة محصورة في دعوة القبائل العربية إلى الإسلام منذ
موسم عام ٤ ب - ٦١٣ م ، ومن غير أن يطلب منهم النصرة . انظر : منير محمد الغضبان :
المنهج الحركي للسيرة النبوية ج ١ ص ١٣٥ و ١٤٠ ، و : المباركفوري : الرحيق المختوم ص

(كالطائف) ، أو الوافدة إلى (مكة) في أثناء المواسم : في مشاعر الحج
ك (منى) ، أو في الأسواق ، ك (ذي المجاز) (١) ؛ ليتمكن من تبليغ دعوة
ربه ، إلا أن تلك القبائل أجمعت على رد دعوته (٢) ، حتى كان لقاؤه بحجاج
(يثرب) .

ذلك أن الله تعالى لما أراد إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ، وإنجاز وعده
له ، خرج الرسول ﷺ - كدأبه - يعرض نفسه الكريمة على القبائل
العربية ، حيث لقي ب (مكة) في موسم حج العام التالي ١١ ب - تموز (يوليه)
٦٢٠ م (٣) (بسة رهط) (٤) من حجاج (يثرب) عند (العقبة) ، فعن (عاصم بن

١٢٧ .

١ ذو المجاز : موضع بالقرب من (مكة) ، اشتهر بالسوق التي كان يقيمها العرب إبان
(الجاهلية) ، وهي إحدى أشهر (أسواق ثلاثة) كان يقصدها العرب في طريقهم إلى (الحج) ،
وهي (سوق عكاظ) - وهي أشهرها - ، وتبدأ من مستهل شهر ذي القعدة من كل عام ، لمدة
(٢٠ يوماً) ، ثم ينتقلون بعدها إلى (سوق مجنة) حتى نهاية الشهر ، فإذا أهل شهر ذي الحجة
انتقلوا إلى (سوق ذي المجاز) حتى يوم التروية ، الثامن من ذي الحجة ، ينتقلون بعدها إلى
(عرفات) ؛ ف (منى) ، ومنها إلى (مكة) . وتتميز تلك الأسواق بأنها تجارية وأدبية . انظر :
أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٢ ص ٤٥٠ و ج ٥ ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

٢ انظر : صحيح البخاري : (كتاب بدء الخلق « ٥٩ ») ، (باب إذا قال أحدكم آمين « ٧ ») ، ج ٤
ص ٨٣ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير « ٣٢ ») ، (باب ما لقي النبي ﷺ من
أذى المشركين والمنافقين « ٣٩ ») ، الحديث رقم (١٧٩٥/١١١) ، ج ٣ ص ١٤٢٠ - ١٤٢١ ،
و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٣٢٢ و ٣٣٩ و ٤٩٢ - ٤٩٣ ، و : أبان نعيم : دلائل النبوة ص
٢٨١ - ٢٩٧ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤١٣ - ٤٢٦ .

وقد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن إسحاق : السير والمغازي ص
٣٣٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٢٢ - ٤٢٨ ، و : ابن سعد : الطبقات
الكبرى ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ و ٢١٦ - ٢١٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص
٣٤٤ - ٣٥٣ ، و : ابن حبان : السير النبوية ص ٩٠ - ١٠٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج
٣ ص ٣١ و ٤٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٤٩ - ١٦٩ .

٣ انظر : المباركفوري : الرحيق المختوم ص ١٣٢ .

٤ لمعرفة هؤلاء الرهط . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

عمر بن قتادة (١) - رحمه الله تعالى - عن أشياخ من قومه ، قالوا :
 « لما لقيهم رسول الله ﷺ ، قال لهم : من أنتم ؟ ، قالوا نحن
 الخزرج ، قال : أمن موالي اليهود ؟ (٢) قالوا : نعم ؛ قال : أفلا تجلسون
 حتى أكلمكم ؟ ، قالوا : بلى . قالوا : فجلسوا معه ، فدعاهم رسول الله
 ﷺ إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ... ،
 قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود ،
 فلا تسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض
 عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من
 العداوة والنشر ما بينهم ، وعسى الله أن يجمعهم بك ، فسنقدم عليهم ،
 فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين ، فإن
 يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك » (٣) ، « وموعدك الموسم العام
 المقبل » (٤) .

فلما قدموا (يثرب) ، ذكروا لقومهم (الأوس) و (الخزرج) ما كان من

١ عاصم بن عمر بن قتادة : (؟ - ١١٩ هـ = ؟ - ٧٣٧ م) هو أبو عمر عاصم بن عمر بن قتادة
 بن النعمان الظفري الانصاري . كان عارفاً بالمغازي ، كان جده قتادة بن النعمان من فضلاء
 الصحابة ، وهو الذي رد الرسول ﷺ عينه إلى محجرها بعد خروجها . انظر : الذهبي : سير
 اعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

٢ الموالي : جمع مولى ، وهو هنا بمعنى الحليف . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط
 (مادة الولي) ، ج ٤ ص ٤٠١ .

٣ أبو نعيم : دلائل النبوة - واللفظ له - ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، والبيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٣٣ -
 ٤٣٤ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية -
 واللفظ له ج ٢-١ ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢١٩ ، و :
 الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ١٠٣ -
 ١٠٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٧٠ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤٤ ،
 و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ .

٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى - واللفظ له - ج ١ ص ٢١٩ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص
 ٤٣١ .

أمرهم مع الرسول ﷺ ، ودعواهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دورهم إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ . (١)

ب - بيعة العقبة الأولى :

لما كان موسم حج العام التالي ١٢ ب - تموز (يوليه) ٦٢١ م (٢) التقى في (مكة) - بناءً على الموعد السابق - (اثنا عشر رجلاً) (٣) من حجاج (يثرب) - (عشيرة) من (الخرزج) ، و (أثنان) من (الأوس) - بالرسول ﷺ - بالقرب من (منى) - عند (العقبة) (٤) ، حيث بايعوه (٥) على الإسلام ، دون جهاد ؛ لأنه لم يكن قد شرع بعد (٦) ، فعن عبادة بن الصامت (٧) - رضي الله عنه - قال :

« أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء : أن لا نشرك بالله

١ انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٢٩٩ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٣٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢١٩ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٥٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ١٠٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٧٠ - ٧١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٧٨ .

٢ انظر : المباركفوري : الرحيق المختوم ص ١٣٩ .

٣ لمعرفة هؤلاء الرجال . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٣٦ - ٤٣٣ .

٤ انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٣٦ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٣١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٥٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ١٠٥ - ١٠٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٧٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩ .

٥ تعرف هذه البيعة - أيضاً - ب (بيعة النساء) ؛ لأنها توافقت الشروط الخاصة ببيعة النساء ، و الواردة في (سورة الممتحنة) ، حيث يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْنِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) : آية : ١٢ .

٦ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٥٤ .

٧ راجع : ترجمة (عبادة بن الصامت) ص ٤٢١ .

شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنّي ، ولا نقتل أولادنا ، ولا يعضه (١) بعضنا بعضاً ،
 فمن وفي منكم فأجره على الله ، ومن أتى منكم حداً فأقيم عليه فهو كفارته ،
 ومن ستره الله عليه فأمره إلى الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » . (٢)
 ولما هم القوم بالرحيل إلى (يثرب) ، بعث الرسول ﷺ معهم (مصعب بن
 عمير) (٣) - رضي الله عنه - يقرؤهم القرآن الكريم ، ويفقههم في الدين ،
 ويعلمهم الإسلام ، حتى لم تبق دار من دورهم إلا وفيها رهط يظهرون
 الإسلام . (٤) .

- ١ العضه : الكذب والبهتان . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة عضه) ، ج ٤ ص ٢٨٨ .
- ٢ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الحدود « ٢٩ ») ، (باب الحدود كفارات لأهلها « ١٠ ») ،
 حديث رقم (٤٣ - ١٧٠٩) ج ٣ ص ١٣٣٣ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الأحكام « ٩٣ ») ،
 (باب بيعة النساء « ٤٩ ») ج ٨ ص ١٢٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ٣١٣ ، و :
 البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٣٦ .
- و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١
 - ٢ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٠ ، و : الطبري : تاريخ
 الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٥٦ ، ابن حبان : السير النبوية ص ١٠٦ ، و : ابن كثير : السيرة
 النبوية ج ٢ ص ١٧٩ .
- ٣ مصعب بن عمير : (؟ - ٣ هـ = ؟ - ٦٢٥ م) هو أبو عبدالله مصعب بن عمير بن هاشم بن
 عبد مناف العبدي القرشي ، صحابي ، شجاع ، من السابقين إلى الإسلام ، أسلم في (مكة) ،
 وكنم إسلامه ، فعلم به أهله ، فأوثقوه وحبسوه ، فهرب مع من هاجر إلى (الحبشة) ، ثم هاجر
 إلى (يثرب) - قبل هجرة الرسول ﷺ - ؛ لتعليم أهلها الإسلام ، فأسلم على يديه خلق كثير ،
 وهو أول من جمع (الجمعة) فيها ، شهد (موقعة بدر) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م ، وحمل اللواء في
 (موقعة أحد) عام ٣ هـ - ٦٢٤ م ، فاستشهد فيها ، وكان في الجاهلية فتي (مكة) شاباً
 وجمالاً ، ونعمة ، ولما دخل الإسلام زهد بذلك كله ، وكان يلقب (مصعب الخين) . انظر :
 الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٨ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة
 ج ٣ ص ٤٠١ - ٤٠٢ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٤٨ .
- ٤ انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٣٠٧ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٣٧ ، و : ابن
 هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٤٣٤ و ٤٣٧ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص
 ٢٢٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٥٧ و ٣٥٩ ، و : ابن حبان : السيرة
 النبوية ص ١٠٨ و ١١١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ج ٧٢ - ٧٣ ، و : ابن القيم :
 زاد المعاد ج ٣ ص ٤٦ - ٤٧ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٨٠ - ٢٨٤ .

ج - بيعة العقبة الكبرى :

لقد أجمع المسلمون في (يثرب) على أن لا يدعو الرسول ﷺ في (مكة) يعاني أذى كفار قريش ، وإنما لابد من ملاقاته ؛ كي يعرضوا عليه الإقامة بين أظهرهم ، حيث الأمان في (يثرب) ، فعن (جابر بن عبد الله) (١) - رضي الله عنه - قال : « ٠٠٠ ثم بعثنا الله عز وجل فائتمرنا واجتمعنا ٠٠٠ فقلنا : حتى متى نذر رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف ٠٠٠ » (٢)

لذلك ، ما أن حل موسم حج العام التالي ١٣ ب - حزيران (يونيه) ٦٢٢ م (٣) ، حتى قدم الى (مكة) وفد حجاج (يثرب) ، ومن ضمنهم خمسة وسبعون شخصاً من المسلمين (٤) - (ثلاثة وسبعون رجلاً ، و(امراتان) ، (أربعة وستون) من الخزرج ، و (أحد عشر) من (الأوس) - ، حيث واعدوا الرسول ﷺ سراً ، في أواسط أيام التشريق ، عند (العقبة) (٥)

-
- ١ جابر بن عبد الله : (١٦ ق ٠ هـ - ٧٨ هـ = ٦٠٧ - ٦٩٧م) هو جابر بن عبد الله بن حرام الخزرجي . صحابي من المكثرين في الرواية عن الرسول ﷺ ، شهد (بيعة العقبة) مع والده ، وغزا (١٩ غزوة) ، وكان مفتي (المدينة) في زمانه ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة للتعليم في (المسجد النبوي) ، روى (١٥٤٠ حديثاً) . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٤ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٢ ص ١٠٤ .
- ٢ مسند الإمام أحمد - واللفظ له - : ج ٣ ص ٣٣٩ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

- و: قال الحاكم - رحمه الله تعالى - عن هذا الحديث : إنه (صحيح) الإسناد . انظر : المستدرك (كتاب التاريخ) ج ٢ ص ٦٢٥ .
- و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤٦ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٥ .
- ٣ انظر : المباركفوري الرحيق المختوم ص ١٤٣ .
- ٤ لمعرفة هؤلاء الأشخاص . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٥٤ - ٤٦٦ .
- ٥ انظر : مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٤٦١ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٣٨ و ٤٤٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٠ - ٣٦١ ، و : ابن حبان : السيرة

فلما مضى (ثلاث الليل) من الليلة الموعودة ، تسللوا من رجالهم مستخفين - كي لا ينكشف سرهم - ، حتى وصلوا إلى (العقبة) ، وأقاموا ينتظرون الرسول ﷺ ، حتى وصل (١) ، حيث بايعوه ، على الهجرة والجهاد ، حتى يبلغ رسالة ربه (٢) ، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال :

« قلنا : يا رسول الله علام نبايك ؟ ، قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم ، وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة ، فقمنا نبايعه » . (٣)

د - المؤامرة الكبرى :

لقد أصحبت (يثرب) بعد هذه البيعة (بيعة العقبة الكبرى) ، داراً

النبوية من ١٢١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٧٣ - ٧٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٢ .

١ انظر : مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٤٦١ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٤١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية من ١٢١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة من ٧٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

٢ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٥٤ .

٣ مسند الإمام أحمد - واللفظ له - : ج ٣ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٤٣ ، و : قال الحاكم - رحمه الله تعالى - عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : المستدرک (كتاب التاريخ) ج ٢ ص ٦٢٥ .

و : قد أوردت ذلك - أيضا - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٢ - ٣٦٤ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية من ١٢١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة من ٧٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٧ - ٢٠٤ .

مناسبة ، يتوفر فيها الأمان للمسلمين على دينهم وأنفسهم . (١) .
ولذلك أمر الرسول ﷺ أصحابه الذين يعانون من الاضطهاد في
(مكة) ، بالهجرة إلى (يثرب) (٢) ، على أن يتسللوا خفية متفرقين (٣) ؛ لئلا
يثيروا نائرة قريش ضدهم . (٤)
ولكن قريشاً فطنت للأمر بعد هجرة أكثر المسلمين (٥) - الذين لم يبق

١ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٦٨ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٩ .

٢ لقد رأى الرسول ﷺ في مقامه أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : إن النبي ﷺ قال :

« إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب مناقب الأنصار « ٦٣ ») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٩٨ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٥٩ .

وكان الرسول ﷺ يظن أن تلك الأرض في (اليمامة) أو (هجر) ، فعن (أبي موسى الأشعري) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« رأيت في المنام أنني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي [ظني] إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب مناقب الأنصار « ٦٣ ») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٢ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الرؤيا « ٤٢ ») ، (باب رؤيا النبي ﷺ « ٤ ») ، حديث رقم (٢٠ / ٢٢٧٢) ، ج ٤ ص ١٧٧٩ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب تعبير الرؤيا « ٣٥ ») ، (باب تعبير الرؤيا « ١٠ ») ، حديث رقم (٣٩٢١) ، ج ٢ ص ١٢٩٢ ، و : مقبل بن هادي الوادعي : الصحيح المسند من دلائل النبوة ص ٥١٨ .

٣ انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٥٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٦٨ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٨٥ - ٨٦ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥ .

٤ انظر : محمد هيكل : حياة محمد ص ٢٠٨ ، و : د / محمد الخضري : نور اليقين ص ١٣٤ ، و : د / محمد الفجار : القول المبين ص ١٣٤ ، و : د / عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ١٣٤ .

٥ يبلغ عدد المهاجرين (خمسون رجلاً) . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٣٨ .
و : لمعرفة هؤلاء المهاجرين . انظر : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٨٦ - ٩٠ .

منهم إلا (أبو بكر الصديق) (١) ، رضي الله عنه ، و (علي بن أبي طالب) (٢) ، رضي الله عنه ، وقليل من المستضعفين (٣) ، الذين لم يتمكنوا من الهجرة - إلى (يثرب) (٤) ، فخشيت من لحاق الرسول ﷺ بأصحابه - وهو على ما يعرفون من ثبات وحسن رأي وبعد نظر (٥) - أن يكون لهم قوة تدهمهم في (مكة) (٦) ، أو تقطع عليهم طريق تجارتهم إلى الشام . (٧)

- ١ حينما تجهز (أبو بكر الصديق) - رضي الله عنه - للهجرة ، قال له الرسول ﷺ :
 « على رسلك فإنني أرجو أن يؤذن لي ٠٠٠ فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب مناقب الأنصار « ٦٣ ») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٩٨ ، و : أبو نعيم : دلائل النبوة ص ٣٢٦ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٥٩ .
 وقد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٤٨٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٩ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ١٢٧ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٧ .
- ٢ لقد أمر الرسول ﷺ (علي بن أبي طالب) - رضي الله عنه - أن يتخلف في (مكة) حتى ما بعد هجرته ؛ ليؤدي مهمة مزبوجة :
 أولاها : إيهام المشركين ، حين ينام في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة ، كما سنبين ذلك في (الهجرة النبوية إلى يثرب) ، بعد قليل - إن شاء الله تعالى - .
 وثانيها : تأدية الودائع التي كانت عند الرسول ﷺ للناس .
 وبعد أن أدى تلك المهمة هاجر ، حيث وصل والرسول ﷺ بـ (قباء) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٤٨٥ و ٤٩٣ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٨ و ٣٨٢ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٩٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣٤ و ٢٧٠ .
- ٣ لمعرفة هؤلاء المستضعفين . انظر : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٦٦ - ٦٧ .
- ٤ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٤٠٨ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٩ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٩٠ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥٠ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
- ٥ انظر : محمد هيكل : حياة محمد ص ٢٠٨ .
- ٦ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٤٨٠ - ٤٨١ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٧ .
- ٧ انظر : محمد هيكل : حياة محمد ص ٢٠٨ .

ولذلك ، اجتمع زعماء قريش (١) في منتداهم (دار الندوة) (٢) يوم
الخميس ٢٦ صفر عام ١٣ ب - ١٢ أيلول (سبتمبر) ٦٢٢ م (٣) ، ليتشاوروا
فيما يصنعون في أمر الرسول ﷺ . (٤)
فقال قائل منهم : (٥)

« إحبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب
أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ٠٠٠ من هذا الموت ، حتى يصيبه
ما أصابهم » . (٦)

ولكن هذا الاقتراح رفض ؛ لأنهم قالوا : لئن حبستموه ليظهرن أمره
إلى أصحابه الذين ينتظرونه في (يثرب) ، ثم يثبوا عليكم ، فينزعوهم من -
أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم . (٧)

- ١ لمعرفة هؤلاء الزعماء . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٤٨١ .
- ٢ دار الندوة : دار أقامها (قصي) الجد الخامس للرسول ﷺ بالقرب من (الكعبة) في (مكة) .
ذلك أنه أمر ببناء الدور حول (الكعبة) ، وأقام هو داراً عامة ، عرفت بـ (دار الندوة) ، حيث
يجتمع فيها كبراء قريش للتشاور في كافة شؤونهم : الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .
والعسكرية ، وغيرها . انظر : ابن هشام السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ١٢٣ - ١٣٠ ، و : أحمد
عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٢ ص ٣٢٦ .
- ٣ انظر : المباركفوري : الرحيق المختوم ص ١٥٣ .
- ٤ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٤٨٠ - ٤٨١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى
ج ١ ص ٢٢٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، و : ابن حبان :
السيرة النبوية ص ١٢٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥٠ ، و : ابن كثير : السيرة
النبوية ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- ٥ صاحب هذا الرأي ، هو : (أبو البخترى العاص بن هاشم) . انظر : ابن هشام : السيرة
النبوية ، تحقيق : د/ مصطفى السقا وآخرين ج ١ - ٢ ص ٤٨١ .
- ٦ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - ج ١ - ٢ ص ٤٨١ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢
ص ٤٦٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية
ص ١٢٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٨ .
- ٧ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢
ص ٤٦٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية
ص ١٢٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٨ .

فقال قائل منهم : (١)

» نخرجه من بيننا أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما

نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع » . (٢)

ولكن هذا الاقتراح رفضه - أيضاً - ؛ لأنهم قالوا : لئن أخرجتموه ما
أمنت أن يحل على حي من العرب ، فيغلب عليهم بحسن حديثه ، وحلاوة
منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال ، حتى يتابعوه على ما جاء به ، ثم يسير
بهم إليكم ، حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم (٣) . هذا
إذا لم يذهب إلى أصحابه في (يثرب) الذين هم في انتظار مقدمه ، وعلى
أتم الاستعداد لمناصرتة .

ثم قال (أبو جهل) : (٤)

» والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدا ، قالوا : وما هو يا
أبا الحكم ، قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً ، جليداً ، نسيباً ،
وسيطاً (٥) ، فتياً ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه ،

١ صاحب هذا الرأي ، هو أبو الأسود (ربيع بن عامر) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ،
تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ج ١ - ٢ ص ٤٨٢ .

٢ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - ج ١ - ٢ ص ٤٨٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢
ص ٤٦٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية
ص ١٢٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٨ .

٣ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٤٨٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٦٧
- ٤٦٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية
ص ١٢٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

٤ أبو جهل : (؟ - ٢ هـ = ؟ - ٦٢٤ م) هو أبو الحكم عمرو بن هشام بن مغيرة المخزومي
القرشي ، أحد زعماء (قريش) ، وأبطالها ودهاتها في الجاهلية ، وكان أشد الناس عداوة
للرسول ﷺ في صدر الإسلام . ولذلك سماه المسلمون (أبا جهل) ، قتل في (موقعة بدر) .
انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٧٥٠ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٨٧ .

٥ الوسيط : الرفيع المنزلة . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الوسط) ج ٢ ص
٣٩١ .

رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر (بنو عبد مناف) على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل (١) ، فعقلناه لهم » (٢) .

وقد وقع هذا الاقتراح من نفوسهم موقع القبول ، فتفرقوا وهم مجمعون عليه . (٣)

فأوحى الله تعالى لرسوله ﷺ ما بيت مشركو قريش له ، بقوله سبحانه : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرَ الْمَاكِرِينَ﴾ (٤) .

هـ - الهجرة النبوية إلى (يثرب) :

حينما أوحى الله تعالى لرسوله ﷺ ما تأمر عليه مشركو قريش ضده ،

- ١ العقل : الدية - انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة العقل) ج ٤ ص ١٨ .
- ٢ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - ج ١-٢ ص ٤٨٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٦٨ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ١٢٥ - ١٢٦ ، و : ابن القيم زاد المعاد ج ٣ ص ٥٠ - ٥١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٩ .
- ٣ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٨٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٦٨ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ١٢٦ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٩ .
- و : انظر هذه المؤامرة موجزة في : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٣٤٨ .
- ٤ سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .

وهذه الآية الكريمة كان سبب نزولها ما ذكرنا - أعلاه - من مؤامرة مشركي قريش على الرسول ﷺ . انظر : الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٩ ص ٢٢٧ - ٢٣٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ، و : السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ص ١٠٩ - ١١٠ .

أذن له بالهجرة (١) من (مكة) إلى (يثرب) ، حيث الأمان الذي ينعم به أصحابه ؛ ليتمكن من تبليغ رسالة الإسلام في العالمين .

وفي ليلة ٢٧ صفر عام ١٣ ب - ١٣ أيلول (سبتمبر) ٦٢٢ (٢) ، كان المشركون (٣) قد أحاطوا ببيت الرسول ﷺ ؛ لكي ينفذوا ما تأمروا عليه ضده ، ولكن الرسول ﷺ - في خطة محكمة اقترنت بمشيئة الله تعالى - أسر إلى علي بن أبي طالب (٤) - رضي الله عنه - أن يتسجى ببرده ، وأن ينام في فراشه ، فكان المشركون إذا نظروا من ثقب الباب وجدوا رجلاً نائماً ، فيعتقدون أنه محمد فيطمثنون ، فلما كان عتمة (٥) من الليل ، خرج الرسول ﷺ على المشركين - وقد أخذ الله تعالى أبصارهم ، فلم يروه - ، فجعل ينثر التراب على رؤسهم ، وهو يتلو قول الله تعالى :

«يَس * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيم * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيم * لَتَنْذِرُ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

١ انظر : صحيح البخاري : (كتاب مناقب الانتصار « ٦٣ ») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٩٨ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ج ١ ص ١٢٧ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣١ .

٢ انظر : المباركفوري : الرجيق المختوم ص ١٥٨ .

٣ لمعرفة هؤلاء المشركين : انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٨ .

٤ راجع : ترجمة (علي بن أبي طالب) ص ٥٤١ .

٥ العتمة : مرور ثلث الليل الأول . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة عتم) ج ٤ ص ١٤٦ - ١٤٧ .

سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون» (١) .

فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً (٢) .

وقد توجه الرسول ﷺ إلى بيت أبي بكر الصديق (٣) - رضي الله عنه

- في نحر (٤) الظهيرة (٥) ، فأخبره أن الله تعالى قد أذن له بالخروج ،

١ سورة يس ، آية : ١ - ٩ .

٢ انظر : مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٤٨ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٦٩ - ٤٧٠ ،
و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٤٨٢ - ٤٨٣ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج
١ ص ٢٢٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ ، و : ابن حبان :
السيرة النبوية ص ١٢٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٩٠ ، و : ابن القيم : زاد المعاد
ج ٣ ص ٥١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

٣ راجع : ترجمة (أبي بكر الصديق) ص ٥١١ .

٤ انظر : صحيح البخاري : (كتاب مناقب الأنصار « ٦٣ ») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى
المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٩٨ .

٥ لقد خرج الرسول ﷺ من بيته ليلاً ، وتوجه إلى بيت (أبي بكر) ظهراً ، فأين أمضى بقية ليلة
المؤامرة وصدر يوم الهجرة ؟ .

وللإجابة على هذا التساؤل ، يقول الشيخ محمد الصادق إبراهيم عرجون :

« المعقول القريب إلى التصور أن يكون النبي ﷺ خرج من بيته بعد أن بيت علياً - رضي
الله عنه - على فراشه ، إلى بيت من بيوت بني هاشم على علم منهم بمكانه ﷺ ، وفيه قضى
ليلته وصدر يومها ، حتى إذا أظهر وهذات الحياة خادمة تحت وطأة سكير مكة ، ولهيب حرها ،
وقال الناس في فيء الظلال من البيوت وغيرها ، خرج ميمماً بيت صديقه أبي بكر - رضي الله
عنه - ، فاتاه في نحر الظهيرة » : محمد رسول الله ﷺ ج ٢ ص ٥٢٠ .

وهذا الاحتمال « المعقول القريب إلى التصور » من أن الرسول ﷺ خرج إلى بيت من بيوت
(بني هاشم) يحل لنا الإشكال في (موقف بني هاشم من « المؤامرة الكبرى » ضد الرسول ﷺ)
، الذي لم تعرض له روايات الهجرة مطلقاً ، حيث يقول محمد عرجون :

« البدهة تقضي بأن بني هاشم كانوا في حومة الأحداث يقودونها بتدبيرهم ومحكم سياستهم ،
وأنهم كانوا على أكمل العلم وأتم المعرفة بمكر قريش وتآمرها ، فراوا أن يقاتلوا بسلحها ،
سلاح المكر والمخادعة ، فاحكموا أمرهم لينتهي بقريش إلى الخزي والخذلان والفشل وعار
الأحدوث . ويتتهي بمحمد ﷺ إلى تمكينه من الهجرة ، حيث أصحابه من المهاجرين والأنصار ،
الذين بايعوه على نصرته وإعازته ومنعه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وذرايعهم وحرمانهم » :

محمد رسول الله ﷺ ج ٢ ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : محمد الصادق إبراهيم عرجون : محمد

فطلب (أبو بكر) - رضي الله عنه - من الرسول ﷺ صحبته في الهجرة ، فأجابه (١) ، حيث سار الرفيقان ، حتى بلغا (غار ثور) ، فاخبتنا فيه (ثلاث ليال) ، حتى هدا عنهما الطلب . (٢)

ثم واصل الركب المبارك سيره يوم الاثنين غرة ربيع الأول عام ١٣ ب - ١٦ أيلول (سبتمبر) ٦٢٢ م (٣) ، عبر طريق غير مألوف ، وهو الطريق الساحلي (٤) - إمعاناً في التضليل - ، حتى وصل (٥) - بعد أن أقام في (قباء) أياماً - إلى (يثرب) (٦) يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول عام ١ هـ - ٢٧

رسول الله ﷺ ج ٢ ص ٥١٢ - ٥٢٠ .

١ انظر : صحيح البخاري : (كتاب مناقب الانصار « ٦٣ ») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٩٨ ، و : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٣٢٦ ، والبيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٧٣ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٥ - ٣٧٦ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ١٢٨ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣٣ .

٢ انظر : صحيح البخاري : (كتاب مناقب الانصار « ٦٣ ») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٦ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٩٨ ، و : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٣٣٠ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٧٤ - ٤٨٢ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٦ - ٣٧٩ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ١٢٩ - ١٣٠ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٩١ - ٩٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥٢ - ٥٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٤٦ .

٣ انظر : المباركفوري : الرحيق المختوم ص ١٦١ .

٤ لمعرفة الطريق الذي سلكه الرسول ﷺ في هجرته . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

٥ لقد ساق الإمام (ابن كثير) - رحمه الله تعالى - أكثر الروايات التي وردت في كتب الحديث عن الاحداث التي وقعت في طريق الهجرة النبوية . انظر : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٢ - ٢٦٦ .

٦ انظر : صحيح البخاري : (كتاب مناقب الانصار « ٦٣ ») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٦ و ٢٥٨ و ٢٦٦ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الزهد

أيلول (سبتمبر ٦٢٢ م (١) • ومن هنا ابتداءً (التاريخ الهجري) • (٢)
وقد سميت (يثرب) بعد هذه الهجرة المباركة بـ (المدينة) (٣) ، أي (مدينة
الرسول ﷺ) ؛ لنزوله بها •
كما عرف سكان (المدينة) من العرب (الأوس) و (الخزرج) - وغيرهم
من المسلمين - بـ (الأنصار) (٤) ؛ لنصرتهم الرسول ﷺ •

ثانياً : موقف الأنصار واليهود من الرسول ﷺ :

لقد اتضح لنا من خلال الاستعراض الماضي عن (الوجودين :
اليهودي والإسلامي في منطقة المدينة) ، أن (الوجود اليهودي) فيها ، كان

والرقائق « ٥٣ ») ، (باب في حديث الهجرة « ١٩ ») ، حديث رقم (٢٠٠٩/٧٥) ج ٤ ص
٢٣١١ ، والبيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٩٨ - ٤٩٩ •
و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير • انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج
٢-١ ص ٤٩٢ - ٤٩٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٣٢ و ٢٣٦ - ٢٣٧ و ٢٤٤ ،
و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٦ و ٣٨١ و ٣٨٣ ، و : ابن حبان : السيرة
النبوية ص ١٣٨ - ١٣٩ و ١٤١ - ١٤٢ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٩٢ - ٩٤ ، و :
ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٥٠ و
٢٧١ •

و : انظر هذه الهجرة موجزة في : صحيح البخاري : (كتاب مناقب الأنصار « ٦٣ ») ، (باب
هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة « ٤٥ ») ، ج ٤ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ •

١ انظر : المباركفوري : الرحيق المختوم ص ١٦٧ •
٢ التاريخ الهجري : تقويم إسلامي ، وضعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عام
١٧ هـ - ٦٢٨ م ، بعد أن استشار الصحابة - رضي الله عنهم - في وضع تقويم بديل عن
طريق العرب الأول في حساب السنين ، التي تعتمد على الأحداث التاريخية كـ (عام الفيل) ،
حيث اتفق الرأي على إختيار هجرة الرسول ﷺ إلى (يثرب - المدينة) بداية للتاريخ الإسلامي ،
ولكنهم جعلوا أول السنة من غرة المعرم ؛ لأنه منصرف الناس من حجهم ، وهو يوافق ١٦ تموز
(يوليه) عام ٦٢٢ م • انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٨٨ - ٣٩٣ ، و : ابن
كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٩ •

٣ راجع : التعريف بـ (يثرب) ص ٣١ •

٤ راجع : التعريف بـ (الأوس) ص ٣٩ ، و (الخزرج) ص ٣٩ •

- بإرادة الله تعالى - سبباً رئيساً من أسباب (الوجود الإسلامي) - أيضاً
- ، والذي تم من خلال (الهجرة النبوية المباركة) ، على ما سنفصله فيما
يأتي :

١ - موقف الأنصار من الرسول ﷺ :

إن موقف (الأنصار) - الذين كانوا يعرفون قبل الهجرة النبوية بـ
(الأوس و الخزرج) - من الرسول ﷺ ، منذ أن علموا بمبعثه في (مكة) ،
حتى هاجر إليهم في (المدينة) - التي كانت تعرف قبل الهجرة النبوية بـ
(يثرب) - ؛ بل وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى - بل وإلى النهاية - موقف
رائع لم يشهده التاريخ - لا في القديم ولا في الحديث - مثلاً .

وقد ذكرنا - تفصيلاً - أن (الأنصار) - سادة (يثرب) في الجاهلية - قد
استفادوا من وجود اليهود بينهم ، حيث كانوا يهددونهم بقرب مبعث نبي
يشايح اليهود الموحدين ، على العرب الوثنيين ؛ مما أهلهم ليكونوا أكثر
قبولاً - من غيرهم من العرب - للشؤون الدينية .

ولذلك ما إن علموا بمبعث الرسول ﷺ ، حتى قال بعضهم لبعض :
« يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم
إليه » (١) .

فسارع أكثرهم في الدخول في الإسلام ، ومبايعة الرسول ﷺ على
الهجرة إليهم في موطنهم (يثرب) ؛ ليتكفروا من نصرته ، حتى يبلغ رسالة ربه
عز وجل .

وقد تحقق لهم ما أرادوا ، وذلك بوصول الرسول ﷺ مهاجراً إليهم في
(المدينة) .

هذا هو موقف (الانصار) - رضي الله عنهم - من الرسول ﷺ - كما

فصلنا ذلك فيما مضى - (١) .

فما هو موقف (اليهود) ، الذين كانوا ينتظرون مبعث النبي ، الذي

بشرت به (التوراة) ، ليتبعوه ، ياترى ؟ .

٢ - موقف اليهود من الرسول ﷺ :

إن موقف (اليهود) من الرسول ﷺ مغاير للموقف الذي اتخذه

(الانصار) ، ويتجلى ذلك الموقف اليهودي من الرسول ﷺ ، من خلال

الحديث عما يأتي :

أ - علم اليهود بمبعث الرسول ﷺ في (مكة) .

ب - استقبال اليهود للرسول ﷺ في (المدينة) .

ج - العلاقات بين الرسول ﷺ واليهود .

د - المعاهدات بين الرسول ﷺ واليهود .

نظراً لعلاقة كل ذلك بموقف اليهود النهائي من الرسول ﷺ ، وأتباعه

المسلمين ، ودينهم الإسلام ، والمتمثل في (أثر العنصرية اليهودية في

العهد النبوي) ، على ما سنفصله فيما يأتي :

أ - علم اليهود بمبعث الرسول ﷺ في (مكة) :

لقد كان اليهود في (المدينة) على علم بمبعث الرسول ﷺ في (مكة) ،

ويشهد لذلك أمور كثيرة ، من أهمها :

١ - كان اليهود يعرفون زمن مولد الرسول محمد ﷺ ، فعن (حسان بن

١ راجع : (الوجود الإسلامي في منطقة يثرب - المدينة) ص ٤٥ .

ثابت) (١) - رضي الله عنه - قال :

« والله إنني لغلّام يفعه ابن ثمان سنين أو سبع ، أعقل ما سمعت ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه (٢) يثرب : يامعشر اليهود ، حتى إذا اجتمعوا إليه ، فقالوا له : ويلك مالك ؟ ، قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به » (٣)

وعن أم المؤمنين (عائشة بنت أبي بكر الصديق) (٤) - رضي الله عنها - قالت :

« كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها ، فلما كانت الليلة التي ولد رسول الله ﷺ ، قال في مجلس من قريش : يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة

١ حسان بن ثابت : (٦٦ ق.هـ - ٥٤ هـ = ٥٥٢ - ٦٧٤ م) هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي . صحابي ، وهو شاعر الرسول ﷺ ، وأحد المخضرمين الذين أتركوا الجاهلية ، والإسلام . عاش (٦٠ سنة) في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، أصيب بالعمى ، ولذلك لم يشهد مع الرسول ﷺ أي مشهد من مشاهدته . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥١٢ - ٥٢٣ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٣٢٥ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٧٥ .

٢ الأطلية : هي الحصن المبني بالحجارة . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الأطل) ج ٤ ص ٧٥ .

٣ أبو نعيم : دلائل النبوة ص ٧٥ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن إسحاق : السير والمغازي ص ٨٤ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ١٥٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢١٣ .

٤ عائشة بنت أبي بكر الصديق : (٩ ق.هـ - ٥٨ هـ = ٦١٣ - ٦٧٨ م) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية القرشية . ولدت في (مكة) ، تزوجها الرسول ﷺ عام ٢ هـ - ٦٢٣ م ، فكانت أحب النساء إليه ، اتهمت في حادثة (اليفك) ، ولكن الله تعالى براءها في آيات كريمة من سورة النور ، آية : ١١ - ٢٠ . كانت أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، ولذلك كان أكابر الصحابة يسألونها في كثير من أمور دينهم . روت (٢٢١٠ حديثاً) . توفيت بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٥ - ٢٠١ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٣٤٨ - ٣٥٠ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٢٤٠ .

مولود ؟ ، فقالوا : والله مانعلمه ، قال : الله أكبر ، أما إذا أخطاكم فلا بأس ، فانظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات ، كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ، وذلك أن عفريتاً من الجن أدخل أصبعيه في فمه فممنعه من الرضاع ، فتصدع القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا في منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله ، فقالوا : قد ولد لـ (عبد الله بن عبد المطلب) (١) غلام سموه محمداً ، فالتقى القوم ، فقالوا : هل سمعتم حديث اليهودي ؟ ، وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ ، فانطلقوا حتى جاؤوا اليهودي ، فأخبروه الخبر ، قال : فاذهبوا معي حتى انظر إليه ، فخرجوا به حتى أدخلوه على (آمنة [بنت وهب]) (٢) ، فقال : أخرجني إلينا ابنتك ، فأخرجته ، وكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودي مغشياً

١ عبد الله بن عبد المطلب : (٨١ ق.هـ - ٥٣ ق.هـ = ٥٤٤ - ٥٧١ م) هو أبو قثم عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي . والد الرسول ﷺ . ولد في (مكة) ، وهو أصغر أبناء عبدالمطلب ، وأمه من (بنى النجار) ، من (الخزرج) ، وكان عبدالمطلب قد نذر لئن ولد له (عشرة أبناء) ، وشبوا في حياته ، لينحرن أحدهم عند (الكعبة) ، فشب له (عشرة) فذهب بهم إلى (هبل) - أكبر أصنام الكعبة في الجاهلية - ، فضربت القداح بينهم ، فخرجت على (عبدالله) ، ففداه بـ (عشر) من الأبل ، وهكذا حتى بلغت (مائة) ، فكان يعرف بـ (الديبع) . تزوج (آمنة بنت وهب) ، فحملت بالنبي ﷺ ، فحمل في تجارة إلى (غزة) في (فلسطين) ، وفي طريق عودته إلى (مكة) مرض في (يثرب - المدينة) ، حيث مات بها ، وقيل : مات بـ (الأبواء) بين مكة والمدينة قبل ولادة النبي ﷺ . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ١٥١ - ١٥٨ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ١٠٠ .

٢ آمنة بنت وهب : (؟ - ٤٥ ق.هـ = ؟ - ٧٥ م) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف الزهرية القرشية . أم الرسول ﷺ . كانت أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانة ، امتازت بالذكاء وحسن البيان ، رباها عمها (وهيب بن عبد مناف) ، وتزوجها (عبدالله بن عبدالمطلب) ، فحملت منه برسول الإنسانية محمد ﷺ ، وتوفي أبوه قبل ولادته في (يثرب - المدينة) فكانت تخرج كل عام مع ابنها من (مكة) إلى (المدينة) فتزور قبره . وأخواله (بنى النجار) ، فمرضت في إحدى رحلاتها هذه ، فتوفيت بموضع يقال له (الأبواء) بين مكة والمدينة ، ولابنها (ست سنين) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ١٥٦ - ١٦٨ ، و : الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٢٦ .

عليه ، فلما أفاق ، قالوا : ويلك ، مالك ؟ ، قال : ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل ، فرحتم به يامعشر قريش ، أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب (١)

ولابد أن اليهود سيعرفون مبعث الرسول ﷺ ، إذا بعث من باب أولى !

٢ - كان بعض اليهود يأتون إلى (مكة) لأعمال مختلفة ، من ضمنها التجارة (٢) ، كما كان أهل (مكة) يقصدون (المدينة) (٣) - وغيرها من التجمعات اليهودية - ؛ للسبب نفسه - أيضاً - .

ولاشك أن هذه الاتصالات بين تلك الأطراف كان يتخللها الحديث عن الدين الجديد (الإسلام) ، الذي جاء به محمد ﷺ .

٣ - أرسلت قريش إلى (المدينة) من يسأل اليهود - وهم أهل علم بالكتاب - عن مدى صحة نبوة محمد ﷺ ، فعن (عبدالله بن عباس) (٤) - رضي الله

١ مستدرك الحاكم : (كتاب التاريخ) ج ٢ ص ٦٠١ - ٦٠٢ ، وقال : (صحيح الإسناد) .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير - انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣ .

و : لمزيد من الأمثلة حول هذا الموضوع . انظر : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٤٦٧ ، و : ابن إسحاق : المغازي والسير ص ٨٤ - ٨٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٢١٢ - ٢١٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤ و ٢٩٢ - ٢٩٥ .

٢ انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٦٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢١٢ .

٣ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٣٠ ، و : محمد عرجون : محمد رسول الله ج ١ ص ١٢٠ - ١٢١ .

٤ عبدالله بن عباس : (٣ ق - هـ - ٦٨ هـ = ٦٦٩ - ٦٨٧ م) هو أبو العباس عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي . صحابي ولد في (مكة) في بدء عصر النبوة ، فلزم ابن عمه رسول الله ﷺ ، ولذلك أصبح (حبر الأمة) ، كف بصرة في آخر حياته ، وسكن (الطائف) ، ومن نسلة خلفاء (الدولة العباسية) ، روى (١٦٦٠ حديثاً) ، توفي بـ (الطائف) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٥٩ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة

عنهما - قال :

« بعثت قريش (النضر بن الحارث) (١) و (عقبة بن أبي معيط) (٢) إلى أحبار اليهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلامهم عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجوا حتى أتيا المدينة ، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفا لهم أمره وبعض قوله ، فقالوا لهما : سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم أمر عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هي ؟ ، فأقبلا حتى قدما على قريش ، فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، فجاؤوا رسول الله ﷺ ، فسألوه ، فقال : أخبركم غداً بما سألتكم عنه ولم يستثن (٣) ، فانصرفوا ، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل

ج ٢ ص ٣٢٢ - ٣٢٦ ، و الزركلي : الاعلام ج ٤ ص ٩٥ .

١ النضر بن الحارث : (؟ - ٢ هـ = ؟ - ٦٢٤م) هو أبو قائد النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف العبدري القرشي ، وهو ابن خالة الرسول ﷺ . كان من شجعان (قريش) ووجهها . كان شديد الازد للرسول ﷺ . شهد مع المشركين (موقعة بدر) عام ٣ هـ - ٦٢٣ م ، فأسره المسلمون ، وقتلوه ! . انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٩ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٨ ص ٣٣ .

٢ عقبة بن أبي معيط : (؟ - ٢ هـ = ؟ - ٦٢٤م) هو أبو الوليد عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية العبشمي القرشي . وكنية والده (أبو معيط) ، كان شديد الازد للمسلمين . أسره المسلمون في (موقعة بدر) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م ، وقتلوه ، ثم صلبوه ، وهو أول مصلوب في الإسلام . انظر : ابن الأثير : الكامل في ال تاريخ ج ٢ ص ٥٠ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٤ ص ٢٤٠ .

٣ ولم يستثن : أي : لم يقل : (إن شاء الله) . وقد جاءت بهذا اللفظ في أحد نسخ المخطوط : السيرة النبوية لابن هشام . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٣٠١ .

مكة ، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معانيه إياه على
حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية (١) والرجل الطواف (٢)
وقول الله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (٣) «(٤)» .

ولابد أن اليهود قد عرفوا رد الرسول ﷺ على أسئلتهم التي تثبت
نبوته .

٤ - كان الرسول ﷺ يلتقي خلال عرض نفسه الكريمة على القبائل العربية
الوافدة إلى (مكة) في المواسم بوفود حجاج (المدينة) من (الأوس) و
(الخزرج) ، منذ عام ١١ ب - ٦٢٠ م ، في (ثلاثة مواسم) متتالية ، تم في
آخرها عام ١٣ ب - ٦٢٢ م (بيعة العقبة الكبرى) ، التي تقضى بهجرة
الرسول ﷺ - وأصحابه ، رضي الله عنهم - إلى (المدينة) - كما فصلنا
ذلك فيما مضى - (٥) .

ولا شك أن اليهود لم يكونوا يجهلون تلك اللقاءات المهمة ، التي

١ هم : (أهل الكهف) . انظر : سورة الكهف ، آية : ٩ - ٢٦ .

٢ هو : (ذو القرنين) . انظر : سورة الكهف ، آية : ٨٣ - ٩٨ ، و : راجع : (سؤالهم عن ذي
القرنين) ص ٣٥٧ .

٣ انظر : سورة الإسراء ، آية : ٨٥ ، و : راجع : (سؤالهم عن الروح) ص ٣٥٢ .

٤ السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول - واللفظ له - ص ١٤٣ - وقد وردت بعض ألفاظ
هذا الحديث - بالنسبة لمبعوثي قريش - بصيغة التثنية ، وبعضها ورد بصيغة الجمع ، فحولتها
إلى التثنية ؛ ليستقيم الأسلوب - و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٠٠ ، و : ابن كثير :
تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٧٤ .

و : انظر : هذا الحديث مختصراً في : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن « ٤٨ ») ، (باب
سورة بني إسرائيل « ١٨ ») حديث رقم (١٣٤٠) ، ج ٥ ص ٣٠٤ ، و : مسند الإمام أحمد : ج
١ ص ٢٥٥ - حيث لم يذكروا فيه إلا أمر اليهود لمبعوثي قريش بسؤال الرسول ﷺ عن (الروح)
- فقط - .

٥ راجع : (الوجود الإسلامي في يثرب - المدينة) ص ٤٥ .

تمت - قبل الهجرة - بين الرسول ﷺ وأهل (المدينة) (١) ، وكيف يجهلون
والحال أن الإسلام لم ينتشر خفية في (المدينة) ؟ ! ، فما هو مصعب بن
عمير - رضي الله عنه - الذي أرسله الرسول ﷺ بعد (بيعة العقبة
الاولى) إلى (المدينة) ؛ لكي يعلم أهلها الإسلام (٢) ، يدعو الناس علانية
أمام الجميع . (٣)

كل ذلك - وغيره - يدل دلالة قاطعة على علم اليهود بمبعث الرسول ﷺ
في (مكة) ، قبل أن يهاجر إلى (المدينة) .
ولكن أكثرية اليهود - على الرغم من علمهم الأكيد بمبعث هذا النبي
الذي طالما انتظروه - لم يعيروا هذا الموضوع إهتمامهم - وكأن الأمر
لا يعنهم ؛ لأنهم عرفوا أنه ليس من قومهم بني إسرائيل (اليهود) - كما
كانوا يأملون - (٤) ، وإنما هو من أبناء عمومتهم بني إسماعيل
(العرب) . (٥)

ب - استقبال اليهود للرسول ﷺ في (المدينة) :

بينما كان المسلمون من (المهاجرين) و (الأنصار) في (المدينة)
ينتظرون - كعادتهم كل يوم - قدوم الرسول ﷺ - بعد أن ترامت الأخبار
إلى مسامعهم بخروجه من (مكة) - مهاجراً إلى (المدينة) ، كان أول من لمح
الركب النبوي رجل من اليهود ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

١ راجع : (لقاء الرسول ﷺ بحجاج يثرب) ص ٤٨ ، و : (بيعة العقبة الاولى) ص ٥١ ، و :
(بيعة العقبة الكبرى) ص ٥٣ .

٢ راجع : (بيعة العقبة الاولى) ص ٥١ .

٣ انظر : د / محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٣٢ - ١٣٣ .

٤ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٥ و ٣٦٨ .

٥ لمزيد من المعلومات حول أسباب عدم إسلام اليهود . راجع : ص ٤٨٩ .

« سمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكان يفدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه ، حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعدما أطلوا انتظارهم ، فلما آووا إلى بيوتهم ، أوفى رجل من يهود على أطم (١) من أطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين (٢) ، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جدكم (٣) الذي تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة » . (٤)

وقد اشترك اليهود - في غومهم - مع المسلمين من (المهاجرين) و (الأنصار) في استقبال الرسول ﷺ - ولو مجاملة - ، على أمل استنراجه إلى صفهم ، إلا ما كان من بعض اليهود الذين تنكروا (٥) للدين الإسلامي ، ولرسوله ﷺ ، منذ اليوم الأول من الهجرة (٦) ، وعلى رأسهم أكثرية (الأخبار) - وهم القادة المسموع لهم في كافة المجالات : الدينية ، والسياسية ، والعسكرية ، وغيرها - ، الذين كانوا هم المحرك لكافة الأحداث العدائية التي جرت - فيما بعد - بين اليهود والمسلمين !

١ أطم : مفرد أطام ، وهو الحصن المبني بالحجارة . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الأطم) ج ٤ ص ٧٥ .

٢ مبيضين : أي : يلبسون ثياب بياض ، كساهم إياها (الزبير بن العوام) - رضي الله عنه - حين لقيهم في طريق الهجرة ، في ركب من المسلمين في تجارة قافلة من الشام . انظر : صحيح البخاري : (كتاب مناقب الأنصار «٦٣») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة «٤٥») . ج ٤ ص ٢٥٧ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

٣ الجد : هو الحظ : انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة جد) ج ١ ص ٢٨١ .

٤ صحيح البخاري : (كتاب مناقب الأنصار «٦٣») ، (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة «٤٥») . ج ٤ ص ٢٥٧ .

٥ راجع : (إنكارهم نبوة محمد ﷺ) ص ٨٨ .

٦ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٣٤ .

ج - العلاقات بين الرسول ﷺ واليهود :

لقد شرع الرسول ﷺ منذ أن استقر في (المدينة) ، في تأسيس (الدولة الإسلامية) ؛ وذلك لتوطيد سلطان الإسلام في ربوعها الطاهرة بين سكانها : (المسلمين) ، و(الكفار) من : المشركين ، والمنافقين ، واليهود ، وما يعنيها - هنا - سوى موضوع بحثنا (اليهود) .

فلقد تغاضى الرسول ﷺ عن عداوة بعض اليهود - ولاسيما (الأخبار) ، الذين تنكروا لدعوته منذ البداية - دون أن يجهلها ، حيث عمل - منذ قدم (المدينة) مهاجراً ، وحتى إجلاء آخرهم عنها - على نشر روح التعاون والتسامح معهم - بكل وسيلة ممكنة - ؛ رغبة في استمالتهم إلى الدخول في الإسلام .

فقد كان الرسول ﷺ - في البداية - يحب موافقة اليهود فيما لم يؤمر فيه بشيء ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال :

« كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء » . (١)

ومن ذلك :

١ - مسألة صيام (يوم عاشوراء) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« إن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء ،

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب مناقب الانصار « ٦٣ ») ، (باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة « ٥٢ ») ، ج ٤ ص ٢٦٩ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الفضائل « ٤٣ ») ، (باب سدل النبي ﷺ من شعره وفرقه « ٢٤ ») ، حديث رقم (٩٠ / ٢٣٣٦) ج ٤ ص ١٨١٧ - ١٨١٨ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب اللباس « ٣٢ ») ، (باب اتخاذ الجمعة والذواشب « ٣٦ ») ، حديث رقم (٣٦٣٢) ج ٢ ص ١١٩٩ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الترجل) ، (باب ما جاء في الفرق) ، حديث رقم (٤١٨٨) ، ج ٤ ص ٨٢ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٢٦١ .

فقال لهم رسول الله ﷺ : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ ، فقالوا : هذا يوم عظيم ، أنجى الله فيه موسى وقومه . وغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكراً ، فنحن نصومه ، فقال الرسول ﷺ : فنحن أحق وأولى بموسى منكم ، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه » (١) .

٢ - مسألة استقبال (بيت المقدس) في الصلاة ، فعن (البراء بن عازب) (٢) - رضي الله عنه - قال :

« إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة ... صلى قبل بيت المقدس ... ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس » (٣) .
وقد سلك الرسول ﷺ في سبيل دعوة اليهود كل وسيلة من شأنها إقناعهم بصدقه، حيث ساق لهم من آيات القرآن الكريم ما يحملهم - لو كانوا ممن يفتحون قلوبهم للحق - على المبادرة إلى الدخول في دين الإسلام .

❁ وسائل القرآن الكريم في دعوة اليهود إلى الإسلام :

١ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الصيام « ١٣ ») ، (باب صوم يوم عاشوراء « ١٩ ») ، حديث رقم (١٢٨ / ١١٣٠) ج ٢ ص ٧٩٦ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الصوم « ٣٠ ») ، (باب صوم يوم عاشوراء « ٦٩ ») . ج ٢ ص ٢٥١ ، و : سنن الدارمي : (كتاب الصوم) ، (باب في صيام يوم عاشوراء) ، حديث رقم (٢٤٤٤) ، ج ٢ ص ٣٢٦ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٢٩١ .

٢ البراء بن عازب : (٩ - ٧١ هـ = ؟ - ٦٩٠ م) هو أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي . صحابي ، وقائد ، أسلم صغيراً وغزا مع الرسول ﷺ (١٥ غزوة) أولها (غزوة الخندق) عام ٥ هـ - ٦٢٦ م ، جعله عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أميراً على (الري) عام ٢٤ هـ - ٦٤٥ م ، ففتح كثيراً من البلدان التي وراها ، ثم سكن (الكوفة) . روى له البخاري ومسلم (٣٠٥ أحاديث) . توفي بـ (الكوفة) . انظر : اللاهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٩٤ - ١٩٦ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ٤٦ .

٣ صحيح البخاري : (كتاب الإيمان « ٢ ») ، (باب الصلاة من الإيمان « ٣٠ ») . ج ١ ص ١٥ .
و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . راجع : (جدلهم في تحويل القبلة) ص ٣١٦ .

لقد اتبع (القرآن الكريم) في دعوته اليهود إلى الدخول في الإسلام ،
عدة وسائل ، أهمها :

١ - إقامة الأدلة لهم على صدق الرسول ﷺ :

لقد أقام (القرآن الكريم) لليهود - ولغيرهم - الكثير من الأدلة ، التي
ثبتت صدق الرسول ﷺ (١) ، وذلك من خلال ما يأتي :

١ - تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ هو النبي الذي بشر به
كتابهم (التوراة) (٢) ، حيث يقول الله تعالى :

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم
في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي
كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (٣)

٢ - تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ هو النبي الذي بشر به المسيح عيسى -
عليه السلام - (٤) ، حيث يقول الله تعالى :

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم
مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه
أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (٥)

١ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٨٦ - ١٠٣ .

٢ راجع : (تحريف البشارات بنوه محمد ﷺ في العهد القديم - التوراة) ص ٩٣ .

٣ سورة الاعراف ، آية : ١٥٧ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذه الآية الكريمة . راجع ص ١١٥ .

٤ راجع : (تحريف البشارات بنوه محمد ﷺ في العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٠٦ .

٥ سورة الصف ، آية : ٦ .

٣ - تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ هو النبي الذي كانوا يستفتحون به على العرب ، حيث يقول الله تعالى :

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عذبوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (١) .

٤ - تنبيههم إلى أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ مصدق للكتب السماوية السابقة عليه ، حيث يقول الله تعالى :

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ (٢) .

٥ - تنبيههم إلى أن ما دعاهم إليه محمد ﷺ يوافق ما دعا إليه الأنبياء السابقون - عليهم السلام - (٣) ، حيث يقول الله تعالى :

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (٤) .

٦ - ترغيبهم في اتباع محمد ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة :

لقد رَغِبَ (القرآن الكريم) اليهود في الدخول في دين الإسلام بكافة ألوان

١ سورة البقرة ، آية : ٨٩ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذه الآية الكريمة . راجع : (تصريحهم بأن محمداً ﷺ ليس هو النبي المنتظر) ص ٩٠ .

٢ سورة المائدة ، آية : ٤٨ .

٣ راجع : (العقيدة الدينية عند اليهود) ص ١٤٦ .

٤ سورة الشورى ، آية : ١٣ .

المرغبات ؛ فقد بين لهم أن في دخولهم دين الإسلام سعادتهم في الدنيا والآخرة (١) ، حيث يقول الله تعالى :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ ابْتِغَىٰ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢)

٣ - إرشادهم إلى أن اختلافهم في الدين سببه البغي والحسد :

إن الشرائع السماوية واحدة في أصولها ومقاصدها وجوهرها ، فكلها منزلة من عند الله تعالى ؛ لهداية الناس إلى ما يسعدهم في دنياهم وآخراتهم ، واختلافها إنما هو في الجزئيات ؛ رحمة من الله تعالى بعباده ، حيث شرع لكل أمة ما يناسبها (٣)

ولقد أرشد (القرآن الكريم) إلى أن امتناعهم عن الدخول في الإسلام سببه البغي والحسد (٤) للعرب الذين بعث الرسول ﷺ منهم (٥) ، حيث يقول الله تعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٦)

١ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٠٣ - ١٠٥ .

٢ سورة المائدة ، آية : ١٥ - ١٦ .

٣ لمزيد من المعلومات حول الحكمة من اختلاف التشريع الإلهي بين أمة وأخرى . راجع : ص ٣٠٦ .

٤ راجع : (أسباب عداء اليهود للرسول ﷺ والمسلمين والإسلام) ص ٤٨٩ .

٥ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٠٨ - ١١٢ .

٦ سورة آل عمران ، آية : ١٩ .

٤ - إخبارهم أن القرآن الكريم يقص عليهم الحق فيما اختلفوا فيه :

لم يكتف (القرآن الكريم) ببيان أن خلاف اليهود في الدين مرده إلى البغي والحسد ، وإنما أخبرهم أنه قد بين لهم الحق فيما اختلفوا فيه (١) ، حيث يقول الله تعالى :

﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ (٢)

٥ - إقامة الحجة عليهم عن طريق الاستشهاد بهم على صدق الرسول

ﷺ :

لقد أقام (القرآن الكريم) الحجة على اليهود ؛ لحملهم على الدخول في الإسلام ، عن طريق الاستشهاد بما جاء في كتبهم (٣) من البشارة بمحمد ﷺ (٤) ، حيث يقول الله تعالى :

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (٥)

٦ - إنذارهم بالعقوبة إذا لم يتبعوا رسول الله محمداً ﷺ :

وكما أن (القرآن الكريم) قد استعمل مع اليهود ؛ من أجل دعوتهم

١ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١١٢ - ١١٤ .

٢ سورة النمل ، آية : ٧٦ .

٣ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١١٤ - ١١٦ .

٤ راجع : (تحريف البشارات بنبو محمد ﷺ في العهد القديم - التوراة) ص ٩٣ .

٥ سورة يونس ، آية : ٩٤ .

إلى الإسلام كثيراً من وسائل الترغيب - كما بينا في الفقرات السابقة - ؛ فقد استعمل معهم كذلك أسلوب التهيب ؛ من أجل صرفهم عن الكفر ، وحملهم على الدخول في الإسلام (١) ، حيث يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٢)

إلا أن اليهود لم يستفيدوا من كل تلك الوسائل التي ساقها (القرآن الكريم) لهم ؛ من أجل هدايتهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة . لقد كان من الواجب على اليهود - وهم أهل كتاب أساسه التوحيد - أن يقابلوا الإحسان بالإحسان ، وأن يتبعوا الرسول ﷺ فيما يدعوهم إليه من الإسلام ، ولكنهم - على الرغم من علمهم الأكيد بأن الرسول ﷺ هو النبي الذي كانوا ينتظرونه - لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، حيث لم تستجب أكثريتهم لداعي الله تعالى ، وإنما أثروا الكفر على الإسلام - والعياذ بالله تعالى - .

د - المعاهدات بين الرسول ﷺ واليهود :

لقد أراد الرسول ﷺ أن يزيد في أسباب التعاون مع اليهود ، فعمل على تنظيم العلاقات - بصورة رسمية - بين سكان (المدينة) من المسلمين واليهود ، وذلك من خلال عدة معاهدات ، استهدفت تحديد الحقوق والواجبات لجميع تلك الأطراف .

١ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٠٥ - ١٠٨ .

٢ سورة النساء ، آية : ٤٧ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذه الآية الكريمة . راجع : (إنكارهم أن يكون القرآن الكريم حقاً) ص ٢١٥ .

ومن أهم تلك المعاهدات : (وثيقة موادة اليهود) (١) ، التي أبرمها
الرسول ﷺ مع اليهود في عام ١ هـ - ٦٢٢ م ، وهذا نصها :

❖ وثيقة موادة اليهود :

» بسم الله الرحمن الرحيم

- هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من
قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

... (٢) .

- ١ - وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .
- ٢ - وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ،
مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ (٣) إلا نفسه وأهل بيته .
- ٣ - وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .
- ٤ - وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .
- ٥ - وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .
- ٦ - وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .
- ٧ - وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .
- ٨ - وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ؛ إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا

١ لقد جاءت (وثيقة موادة اليهود) ضمن (كتاب الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار وموادة
اليهود) ص ٨٠ .

ويرى الدكتور / أكرم ضياء العمري ، أن هذا الكتاب كان في الأصل كتابان ، ولكن المؤرخين
جمعوا بينهما : أحدهما : يتناول موادة الرسول ﷺ ، وقد كتب قبل (موقعة بدر الكبرى) .
والآخر : يتناول التزامات المسلمين من (المهاجرين) و (الأنصار) ، وقد كتب بعد (موقعة بدر
الكبرى) . - والله أعلم - . انظر : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته
الأولى ص ١١٢ - ١١٧ .

٢ هذا المحذوف هو : الكتاب الآخر الذي يتناول التزامات المسلمين من (المهاجرين) و (الأنصار)
- كما ذكرنا ذلك في الهامش السابق - .

٣ الوتغ : هو الهلاك . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة وتغ) ج ٣ ص ١١٥ .

يوتغ إلا نفسه وأهل بيته •

٩ - وأن جفته بطن من ثعلبة كأنفهم •

١٠ - وأن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف ، وأن البر دون الإثم •

١١ - وأن موالى ثعلبة كأنفهم •

١٢ - وأن بطانة يهود كأنفهم •

١٣ - وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد •

١٤ - وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من

ظلم وأن الله على أبر من هذا •

١٥ - وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر

على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر

دون الإثم •

١٦ - وأنه لا يأثم امرء بحليفه ، وأن النصر للمظلوم •

١٧ - وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين •

١٨ - وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة •

١٩ - وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم •

٢٠ - وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها •

٢١ - وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث ، أو اشتجار يخاف

فساده ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وأن الله على أتقى

ما في هذه الصحيفة وأبره •

٢٢ - وأنه لا تجار قریش ولا من نصرها •

٢٣ - وأن بينهم النصر على من دهم يثرب •

٢٤ - وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه ،

وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك ، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في

٢٥ - على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

٢٦ - وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

٢٧ - وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر وأتقى ، ومحمد رسول الله ﷺ . (١)

١ محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . وثيقة رقم (١) ص ٥٧ - ٦٤ .

وقد أثبت نص هذه الوثيقة من (حميدالله) - هذا - ؛ لأنه قارن بين سائر الروايات ، وأثبتت الاختلافات في الحواشي .

و : لمعرفة المصادر التي أثبتت النص بتفصيل . راجع : الفقرة رقم (٨) من هذه الحاشية .

و : لمعرفة المصادر التي أشارت إلى النص بإجمال . راجع : فقرته رقم (٩) من هذه الحاشية .

وقد اعتمد كثير من الباحثين على هذا الكتاب (كتاب الرسول ﷺ بين المهاجرين والانصار وموادعة يهود) - ومن ضمنه هذه الوثيقة (وثيقة موادعة اليهود) - كأساس في دراسة تنظيمات الرسول ﷺ في (المدينة) ، إلا ما كان من (يوسف العث) ، حيث زعم بأن هذا الكتاب موضوع ؛ لأن كتب الحديث لم ترو نضه كاملا ؛ وإنما رواه (ابن إسحاق) - فقط - ، ونقلته عنه أكثر كتب السيرة النبوية بدون إسناد ؛ لأنه لم يرد إلا عن طريق (ابن سيد الناس) من رواية (ابن أبي خيثمة) عن (كثير بن عبدالله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ) - فقط - . انظر : ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المفازي والشمال والسير ج ١ ص ٢٦٢ ، نقلًا عن : القسم المفقود من (تاريخ ابن أبي خيثمة) .

و (كثير المزني) يروي الموضوعات ، ولذلك تعتمد (ابن إسحاق) حذف الاسناد ؟ . انظر : يوليوس فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها . تعليق المترجم : يوسف العث ص ٢٠ .

وهذا الرأي الذي قال به (العث) لا يثبت أمام المناقشة العلمية ، لعدة أسباب ، أهمها :

١ - أن تصور (العث) بأن هذا الكتاب لم يروه غير (ابن إسحاق) ليس صحيحاً ؛ لأنه ورد من طرق أخرى ، لا صلة لها بـ (ابن إسحاق) ، أهمها : عن طريق (الزهري) . انظر : أبا عبيد : الأموال ص ٢١٥ ، و : ابن زنجويه : الأموال ج ٢ ص ٤٦٦ .

٢ - أن كون (العث) لم يهثر على إسناد لهذا الكتاب سوى ما كان من طريق (كثير المزني)

ويلاحظ أن هذه الوثيقة قد ذكرت اليهود الموالين للبطون العربية ،

ليس صحيحاً - أيضاً - ؛ لأنه ورد من طرق أخرى ، لا صلة لها بـ (كثير المزني) ، أهمها : عن طريق رواية (الزهري) - (كما في الفقرة السابقة رقم «١») - وعن طريق رواية (البيهقي) - (كما في الفقرة القادمة رقم «٤») - .

٣ - أنه لا يمكن الجزم بأن (ابن إسحاق) قد أخذ رواية هذا الكتاب عن (كثير المزني) ؛ لأن (ابن إسحاق) من أبرز تلاميذ (الزهري) ، ويحتمل أن يكون قد أخذها عن طريقه - كما أخذها (أبو عبيد) و (ابن زنجويه) - .

٤ - أن (البيهقي) ذكر إسناد (ابن إسحاق) لهذا الكتاب ، ولكن في قسمه الذي يتناول التزامات المسلمين من (المهاجرين) و (الأنصار) - فقط - ، دون قسمه الذي يتناول موادة اليهود . انظر : سنن البيهقي (كتاب الديات) ، (باب العاقلة) ج ٨ ص ١٠٦ .

٥ - أن (الأمام أحمد) ذكر أن الرسول ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار . انظر : مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢٧١ .

٦ - أن مقتطفات كثيرة من هذا الكتاب (فيما عدا وثيقة موادة اليهود) وردت في كتب (الحديث الشريف) بأسانيد متصلة . انظر : صحيح البخاري : (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة «٩٦») ، (باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع «٥») ج ٨ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، و : صحيح مسلم : (كتاب العتق «٢٠») ، (باب تحريم تولي العتيق غير مواليه «٤») ، حديث رقم (١٥٠٧/١٧) ، ج ٢ ص ١١٤٦ ، و : سنن الدرامي : (كتاب الديات) ، (باب لا يقتل مسلم بكافر) ج ٢ ص ١٩٠ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الديات «٢١») ، (باب لا يقتل مسلم بكافر «٢١») حديث رقم (٢٦٥٨) ج ٢ ص ٨٨٧ ، و : سنن أبي داود : (كتاب المناسك) ، (باب في تخريم المدينة) حديث رقم (٢٠٣٤) ج ٢ ص ٢١٦ ، و : سنن الترمذي (كتاب الديات «١٤») ، (باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر «١٦») ، حديث رقم (١٤١٢) ج ٤ ص ٢٤ - ٢٥ ، و : سنن النسائي : (كتاب القسامة «٤٥») ، (باب صفة شبه العمدة وعلى من دية الأخية وشبه العمدة «٤٠» - «٤١») حديث رقم (٤٨٢٩) ج ٨ ص ٥٢ .

٧ - أن البيهقي أشار إلى (وثيقة موادة اليهود) . انظر : سنن البيهقي : (كتاب الجزية) ، (باب من لا تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان) ج ٩ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

٨ - إثبات بعض العلماء القدامى لهذا الكتاب (ومن ضمنه الوثيقة) بتفصيل . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٥٠١ - ٥٠٤ ، و : أبا عبيد : الأموال ص ٢١٥ - ٢١٧ ، و : ابن زنجويه : الأموال ج ٢ ص ٤٦٦ - ٤٧٠ ، و : البلاذري : أنساب الأشراف ج ٤ ص ١٠٣ ، و : ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٣ ، و : المقرئ : إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحضرة والمتاع ج ١ ص ٤٩ .

٩ - إشارة أكثر العلماء القدامى لهذا الكتاب (ومن ضمنه الوثيقة) بإجمال . انظر : الواقدي :

وأهملت ذكر القبائل اليهودية الكبرى (بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة) ، تلك القبائل التي اعتزت بقوتها ، مظهرة عداها للدين الإسلامي الجديد ، ومع ذلك فقد وضع الكتاب (كتاب الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار) - الذي جاءت من ضمنه (وثيقة موادة اليهود) - بنبدأ (١)

المغازي ج ١ ص ١٧٦ و ج ٢ ص ٤٥٤ ، و : البلازني : أنساب الأشراف ج ١ ص ٢٨٦ ، و : فتوح البلدان ص ٣٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٧٩ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٩٥ ، و : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٢٥٠ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٦٥ ، و : ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ج ٢ ص ١٨٩ ، و : المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠ ، و : ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٧٦ ، و : السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ص ٢٠٦ ، و : الزرقاني : شرح المواهب اللدنية للقسطلاني ج ١ ص ٤٥٦ ، و : الصالح : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج ٣ ص ٥٥٥ .
١٠ - التشابه الكبير بين أسلوب هذا الكتاب (ومن ضمنه الوثيقة) و أساليب كتب الرسول ﷺ الأخرى . والمقارنة . انظر : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة .

١١ - أن اليهود أنفسهم يعترفون بنقضهم للعهد التي أبرمها الرسول ﷺ معهم ، وهذا هو سبب تأديب الرسول ﷺ لهم . راجع : ص ٤٣٠ ، و : ص ٤٤٣ ، و : ص ٤٤٩ . فأي عهد هذه - التي يعترف اليهود بنقضها - إن لم تكن تلك (الوثيقة) وملحقاتها ؟ .
حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن أورد نصها كاملة : " وهذه الصحيفة معروفة عند أهل العلم " : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٦٢-٦٤ .

وبناءً على ذلك ، فإن هذا الكتاب (ومن ضمنه الوثيقة) يقسم بالأصالة - حتى ولو لم يرق بمجموعة إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة - ، وبالتالي فإنه يصلح أساساً للدراسات التاريخية ، التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية . - والله أعلم . - انظر : د / أكرم ضياء العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ١٠٧ - ١١٢ ، و : د / محمد السيد الوكيل : المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى ص ٣١ - ١٨ ، و : د / محمد الصادق عرجون : محمد رسول الله ﷺ ج ٣ ص ١٧٠ - ١٧٥ .
١ جاء في (كتاب الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار) فقره الآتي :
" وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم " . انظر : مراجع : (وثيقة موادة اليهود) ص ٨٢ .

لانضمام كافة اليهود ؛ إحتمالا لما قد يحدث من دخول تلك القبائل في الدولة الإسلامية الجديدة . (١)

وبالفعل ، فقد انضمت تلك القبائل اليهودية الكبرى إلى الدولة الإسلامية ، من خلال معاهدات ملحقة . (٢)

وقد أقرت هذه الوثيقة (وثيقة موادة اليهود) - وما تلاها من معاهدات - « مفهوم الحرية الدينية بأوسع معانية ، وضربت عرض الحائط مبدأ التعصب ومصادرة الآراء والمعتقدات ، ولم تكن المسألة مسألة تكتيك (٣) مرحلي ريثما يتسنى للرسول ﷺ تصفية أعدائه في الخارج لكي يبدأ تصفية أخرى إزاء أولئك الذين عاهدهم ، وحاشاه ، إنما صدر هذا

١ انظر : د/ أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، و : محمد هيكل : حياة محمد ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ، و : د/ عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ٢٣٤ - ٢٢٥ ، و : د/ محمد النجار : القول المبين ص ١٦٠ .

٢ لقد أشار المحدثون إلى تلك المعاهدات ، دون أن يذكروا نصها . انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة) ، حديث رقم (٣٠٠٠) ، ج ٣ ص ١٥٤ ، و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن أبي داود رقم الحديث (٢٥٩٣) ج ٢ ص ٥٨٢ .

و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب في خبر النضير) ، حديث رقم (٢٠٠٤) ، ج ٣ ص ١٥٧ ، و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن أبي داود رقم الحديث (٢٥٩٥) ج ٢ ص ٥٨٣ .

و : مصنف عبدالرزاق : (كتاب المغازي) ، (باب وقعة بني النضير) ، حديث رقم (٩٧٣٣) ، ج ٥ ص ٣٦٠ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ٤٢٨ ، أو : راجع : ص ٤٠٣ .

كما أشار إلى ذلك المؤرخون - أيضاً - . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٩٢ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٤ ، و : المقريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١١٠ ، و : انظر : محمد حميد الله : الوثائق السياسية ، وثيقة رقم (١٤ ج) ص ٩٢ .

ويبدو أن نصوص تلك المعاهدات لم تكن تختلف عن الجوهر العام لنص الوثيقة الأصلية . انظر : د/ عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ٣٢٥ .

٣ التكتيك كلمة دخيلة تعني التخطيط ، وقد أطلق - في البداية - على : فن وضع الخطط الحربية للجيوش في الميدان . انظر : مجمع اللغة العربية المصري : المعجم الوسيط (مادة التكتيك) ، ج ١ ص ٨٥ .

الموقف السامح المنفتح عن اعتقاد كامل بأن اليهود باعتبارهم أهل كتاب سيتجاوبون مع الدعوة الجديدة ، وينهدون لإسنادها في لحظات الخطر والصراع ضد العدو الوثني المشترك ، أو أنهم - على أسوأ الاحتمالات - سيكفون أيديهم عن إثارة المشكلات والعقبات ووضع العراقيل في طريق الدعوة ، وهي تبني دولتها الجديدة » (١) .

وقد دلت هذه المعاهدات على حسن (٢) سياسة الرسول ﷺ ، وذلك بإحكامه العهد مع من يخشى منه الغدر والخيانة والعدوان .

❖ نقض اليهود للمعاهدات :

لقد أضمر اليهود عدم الالتزام بتلك المعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ ، معهم ، منذ صدورها ؛ لأنها ستحد من نشاطهم الإفسادي ضد الرسول ﷺ ، وأتباعه المسلمين ، ودينهم الإسلام ؛ ولذلك سرعان ما نقضوها ؛ بادئين بالعدوان (٣) .

ومن هنا يتجلى موقف اليهود النهائي من الإسلام ، ورسوله ﷺ ، والمسلمين ، والمتمثل في موضوع هذا البحث الرئيس : (أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي) ، على ما سنفصله - إن شاء الله تعالى - فيما يأتي :

١ د/ عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ١٥٦ - ١٥٢ .

٢ إن إصدار هذه المعاهدة (وثيقة موادة اليهود) يمثل تطوراً كبيراً في مفاهيم السياسة والاجتماع ، فهذه جماعة تقوم لأول مرة في (الجزيرة العربية) ، على غير النظام القبلي ، حيث ترابطت الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في (المدينة) . انظر : أنور الجندي : الإسلام وحركة التاريخ ص ٣٣ - ٣٤ .

٣ لمعرفة التفصيلات لنقض اليهود لتلك المعاهدات . راجع : (نقضهم للمعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ معهم) ص ٤٠٦ .

(أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي)

يعتبر (أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي) في (الفترة المدنية) (١) - وهو يمثل النشاط العنصري اليهودي بصورة علنية - من أشد الآثار في كافة العهود الإسلامية التالية ؛ لأن اليهود لم يتركوا وسيلة إلا استغلوها في محاولات مستميتة للقضاء على الإسلام ، ورسوله ﷺ ، والمسلمين ، حتى تعود إليهم السيادة - من جديد - في (المجتمع المدني) .

ولن نكتفي بعرض هذا الأثر اليهودي مجرداً من الردود عليه ، بل سنعرضه - عند اقتضاء الأمر - مقروناً بتلك الردود ، الواردة - بعده مباشرة - في (القرآن الكريم) و (الحديث الشريف) ، إتماماً للفائدة في مثل هذا الموضوع ، الذي يعتبر أنموذجاً نبراسياً يحتذى في إزالة الشبهات ، التي يثيرها أعداء الإسلام من اليهود - وغيرهم - في الماضي والحاضر والمستقبل .

ويتجلى هذا الأثر اليهودي ، بالمكائد التي حبكها اليهود (٢) ضد

١ لم يكن لليهود من أثر في (الفترة المكية) من (العهد النبوي) - كما هو الشأن في (الفترة المدنية) - ؛ لأنه لم تكن في (مكة) جالية يهودية مؤثرة ، بل كان يقيم فيها أفراد قليلون ، لا يؤبه لهم ولا يخشى بأسهم ، وهم يعملون - غالباً - في التجارة . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٦٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢١٢ .

٢ من اليهود الذين ناصبوا الرسول ﷺ ، وأتباعه المسلمين ، ودينهم الإسلام بالعداء ، من يأتي : - من يهود بني قينقاع : أزار بن أبي أزار ، أشيع ، بحري بن عمرو ، خالد بن أبي أزار ، رافع بن أبي رافع ، رافع بن حارثة ، رافع بن حريطة ، رافع بن خارجة ، رفاع بن زيد بن التابوت ، رفاع بن قيس ، زيد بن أبي أزار ، زيد بن اللصيت ، سعد بن حنيف ، سويد بن الحارث ، شأس بن عدي ، شأس بن قيس ، عازر ، عبدالله بن الصيف ، عدي بن زيد ، عزيز بن أبي عزيز ، فنحاص بن عازوراء ، كعب بن راشد ، مالك بن الصيف ، مالك بن عوف ، محمود بن دحية ، محمد بن سيحان ، نعمان بن أوفى ، نعمان بن أضا ، نعمان بن عمرو . - ومن يهود بني النضير : أبو عامر ، أبو ياسر بن أخطب ، جدي بن أخطب ، الحجاج بن

الإسلام ، ورسوله ﷺ ، والمسلمين ، ومن أهمها ما يأتي :

أولا : إنكارهم نبوة محمد ﷺ :

ذكرنا - قبل قليل - (١) أن اليهود كانوا يعلمون بمبعث الرسول محمد ﷺ بـ (مكة) ، قبل أن يهاجر إلى (المدينة) ، ولكن أكثريتهم لم يعيروا هذا الأمر اهتمامهم - وكأنه لا يعنيه - ؛ لأنهم عرفوا أنه ليس من قومهم بني إسرائيل (اليهود) - كما كانوا يأملون - ، وإنما هو من أبناء عمومتهم بني إسماعيل (العرب) !

ولذلك لما هاجر الرسول ﷺ إلى (المدينة) كان اليهود يعتقدون أنهم خارج نطاق دعوته - الجديدة - ؛ لأنه ليس منهم ، إلا أنه عمل على دعوتهم

عمر ، حيي بن أخطب ، الربيع بين الربيع بن أبي الحقيق ، زيثب بنت الحارث ، سعية ، سلام بن أبي الحقيق ، سلام مشكم ، عمرو بن جماش بن كعب ، كعب بن الأشرف ، كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، النباش بن قيس .

- ومن يهود بني قريظة : أبو نافع ، أسامة بن حبيب ، بنانة ، حمل بن أبي قشير ، الحارث بن عوف ، الزبير بن باطا ، شمويل بن زيد ، عدي بن زيد ، قردم بن كعب ، كردم بن زيد ، كعب بن أسد ، نافع بن أبي نافع ، النحام بن زيد ، وهب بن زيد ، وهب بن يهوذا .

- ومن بني ثعلبة : عبدالله بن سوريا الأعور .

- ومن يهود بني زريق : ليبيد بن الأعصم .

- ومن يهود بني حارثة : كنانة بن سوريا .

- ومن يهود بني عمرو : أبو عفك ، قردم بن عمرو .

- ومن يهود بني النجار : سلسلة بن برهام .

- ومن يهود خيبر : مرحب ، ياسر ، الحارث بن أبي زيثب ، اليسير بن رزام .

- ومن اليهود الذين لم آف على قبايلهم : الحارث بن زيد ، عثمان بن أوفى ، عمر بن أضا ،

نعيم بن عمرو .

ولن نستطيع أن نعرف بكل شخص من هؤلاء اليهود الأعداء ؛ لأننا لا نعرف عن أكثرهم أكثر مما ستدونه عن من سيمر معنا ، من خلال مكائدهم ضد الرسول ﷺ ، وأتباعه المسلمين ، ودينهم الإسلام - كما سنرى أعلاه - إن شاء الله تعالى - بعد قليل . و : راجع : (فهرس

الأعلام) ج ٤ ص ٥٧٢ .

١ راجع : (علم اليهود بمبعث الرسول ﷺ في مكة) ص ٦٥ .

- كغيرهم من الناس - إلى الدخول فيها ، وأفهمهم أن الدعوة الإسلامية رسالة عالمية للناس جميعاً ، وبذلك نزلت آيات في أوائل ما نزل من السور بـ (المدينة) تخص اليهود بالنداء ، منها - مثلاً - قول الله تعالى :

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ (١) .

وقوله - سبحانه - :

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾ (٢) .

وقد سلك الرسول ﷺ كل وسيلة ممكنة في سبيل دعوتهم إلى الدخول في الإسلام - كما تحدثنا عن ذلك فيما مضى - (٣) ، إلا أن أكثريتهم - على الرغم من غلمهم الأكيد بأن الرسول ﷺ هو النبي الذي كانوا ينتظرونه - لم يستجيبوا لداعي الله تعالى ، وإنما آثروا الكفر على الإسلام ، وهم يعلمون ! ، حيث يقول سبحانه فيهم :

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ (٤) .
ولكن أكثرية اليهود لم تكتف بهذا الموقف السلبي الرافض الذي

١ سورة البقرة ، آية : ٤٠ - ٤٣ .

٢ سورة المائدة ، آية : ١٩ .

٣ راجع : (العلاقات بين الرسول ﷺ واليهود) ص ٧٣ .

٤ سورة البقرة ، آية : ١٠٦ .

اتخذوه من الرسول ﷺ - حين عرفوه - ، وإنما حاولوا الطعن في نبوته ،
والتشكيك في صدقه ؛ لكي ينصرف الناس عن دعوته ، حيث اتخذوا لذلك
وسائل متعددة ، من أهمها :

١ - تصريحهم بأن محمداً ﷺ ليس هو النبي المنتظر :

يزعم اليهود بأن محمداً ﷺ ليس هو المقصود بمن بشرت به الكتب
السماوية السابقة ، وقد ورد في ذلك زوايات كثيرة ، منها :

١ - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ
قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا
يقولون فيه ، فقال لهم (معاذ بن جبل) (١) و (بشر بن البراء بن معرور) (٢)
: يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ؛ فقد كنتم تستفتحون علينا
بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ،
فقال (سلام بن مشكم) (٣) : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا

١ معاذ بن جبل : (٢٠ ق ٠ هـ - ١٨ هـ = ٦٠٣ - ٦٣٩ م) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي . صصابي ، أسلم وهو فتى ، وشهد (بيعة العقبة) عام ١ ق ٠ هـ - ٦٢٢ م ، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ . كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وأحد (الستة) الذين جمعوا القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ ، بعثه الرسول ﷺ قاضياً ومرشداً لأهل اليمن . روى (١٥٧ حديثاً) . توفي عقيماً بالطاعون في (الأردن) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٤٣ - ٤٦١ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٠٦ - ٤٠٧ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٥٨ .

٢ راجع : ترجمة (بشر بن البراء بن معرور) ص ٤٧٨ .

٣ راجع : ترجمة (سلام بن مشكم) ص ٤٧٢ .

نذكر لكم « (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (٢) .

وهذه الآية الكريمة تثبت أن اليهود كانوا يستفتحون على العرب بنبي قد أظل زمانه ، يبعث ، فيتبعونه ؛ ليقتلوهم - معه - قتل عاد وإرم ، ولكنهم لما عرفوه من العرب ، كفروا به حسداً ، فلعنة الله على الكافرين .
٢ - وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« قال (مالك بن الصيف) (٣) - حين بعث رسول الله ﷺ وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه - : والله ما عهد إلينا في محمد ، وما أخذ له علينا ميثاقاً » (٤) ، فأنزل الله تعالى :

﴿أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ (٥) .
وهذا (العهد) : هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم بوجوب الإيمان برسولة محمد ﷺ ، وفي ذلك يقول سبحانه :

﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا

١ الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - واللفظ له - ج ١ ص ٤١٠ - ٤١١ ، و : أبو نعيم : دلائل النبوة ص ٨٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٤ ، و : السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ص ٢١ .

كما وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤١٠ - ٤١٢ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٥ - ٢٦ ، و : راجع : ص ٤٩٤ .
٢ سورة البقرة ، آية : ٨٩ .

٣ مالك بن الصيف : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومة (بني قينقاع) عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٤ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ١ ص ٤٤٢ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٣ .
٥ سورة البقرة ، آية : ١٠٠ .

تكتُمونه (١) فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴿٢﴾

وهذا (الميثاق) الذي أخذه الله تعالى على اليهود بوجوب الإيمان برسوله محمد ﷺ قد أخذه - أيضاً - على أنبيائهم - عليهم السلام - ، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال :
« لم يبعث الله عز وجل نبياً ، آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليهم العهد في محمد : لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه » (٣)

وفي ذلك يقول سبحانه :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤)

ولكن اليهود ينكرون كل ذلك - كما رأينا - ، زاعمين أن ليس

١ لقد جاءت آيات كريمة كثيرة تثبت كتمان اليهود لأمر محمد ﷺ ، منها :
قول الله تعالى :

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ يَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : سورة البقرة ، آية : ٤٢ .
وقوله - أيضاً - سبحانه :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهِ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ : سورة البقرة ، آية : ١٥٩ .
وقوله - أيضاً - :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ : سورة البقرة ، آية : ١٧٤ .
وقوله - أيضاً - :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : سورة آل عمران ، آية : ٧١ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ١٨٧ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٣ ص ٣٣٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٧ .

٤ سورة آل عمران ، آية : ٨١ .

المقصود بهذا (الميثاق) محمداً ﷺ !

وقد مهد أسلاف اليهود لهذا النفي - في حالة ما إذا أتى هذا النبي على غير هواهم - ، بتحريف البشارات الدالة على نبوة محمد ﷺ بتلك الكتب السماوية ، منذ قديم الزمان ؛ من أجل صرفها عنه إلى غيره ، على ما سنفصله فيما يأتي :

أ - تحريف البشارات بنبوة محمد ﷺ في العهد القديم (التوراة) :
يعود تحريف التوراة - والله أعلم - إلى سبب عنصري ؛ ذلك أن اليهود (نسل إسحاق - عليه السلام -) حين رأوا - أثناء فترة (الأسر البابلي) ، فيما بين عامي ٥٨٦ - ٥٣٨ ق م - إديار الدنيا عنهم بزوال ملكهم عن (فلسطين) ، وخشيتهم من إقبالها على بني عمومتهم العرب (نسل إسماعيل - عليه السلام -) - بالذات - ، وعلى رأسها : البشارة ببعثة محمد ﷺ - كما وعدتهم (التوراة) الأصلية - ، عمدوا - برئاسة (عزرا الوراق) - إلى تحريف دستور الديانة اليهودية (التوراة) ، على مبادئ عنصرية متعددة - فصلناها فيما سبق - (١) ، وما يعيننا منها - هنا - سوى المبدأ الآتي :
- النبي المنتظر الذي بشر بمجيئه أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام - سوف يأتي ، ولكن ربما يكون من بني إسرائيل (اليهود) ، لا من بني إسماعيل (العرب) !

وذلك ؛ لأنهم كانوا يعلمون من تلك البشارات أن هذا النبي سيكون من العرب .

ولكن ، وعلى الرغم من تحريف (الكتب اليهود) لتلك البشارات ، فما زالت تدل على رسول الله الخاتم محمد ﷺ ، ومن ذلك :

١ - جاء في العهد القديم :

« ويأتي مشتهي كل الأمم » (٢) .

فمن هو (مشتهي كل الأمم) ، التي تتمنى الخلاص على يديه ، إذا لم يكن رسول الله محمد ﷺ ، الذي جاء بدين الإسلام للبشرية كافة ؟
وفي ذلك يقول سبحانه :

١ راجع : (نشأة العنصرية اليهودية) ج ١ ص ٦٥ .

٢ حجي . إصحاح (٢) ، فقره : ٧ .

«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (١) .

علماً بأن النص الأصلي لجملة (مشتبهى الأمم) باللغة اليونانية هو (يودوكيا - eudokia) يتفق مع الكلمة العبرية (حمدا - Himada) (٢) ، وبذلك يكون النص الأصلي :

« وسوف يأتي حمداً لكل الأمم » (٣) .

وهذا التحريف من عادة (أهل الكتاب) - ولاسيما (اليهود) سلفاً وخلفاً - ، ذلك أنهم يترجمون الأسماء الواردة في كتابهم (العهد القديم) ، سواء الأعلام أو المواضع ، ويوردون بدلها معانيها - غالباً - ؛ ليختلف النص من ترجمة إلى أخرى ، حتى يتغير بعد مدة بأكمله ، ومن ذلك :

أ - التحريف في أسماء الأعلام :

١ - جاء في الفقرة (١٤) من الإصحاح (٣) من (سفر الخروج) :

أ - في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٦٢٥ م - ١٠٣٤ هـ ، وعام ١٨٤٤ م - ١٢٦٠ هـ :

« فقال الله لموسى أهيه أشر أهيه » (٤) .

ب - وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨١١ م - ١٢٢٦ هـ :

« قال له الأزلي الذي لا يزال » (٥) .

ج - وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ - وهي التي بين أيدينا - أعيد الاسم الأصلي إلى حد ما :

« فقال الله لموسى أهية الذي أهيه » (٦) .

٢ - جاء في الفقرة (١) من الإصحاح (٨) من (سفر إشعياء) :

١ سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .

٢ انظر : د/ عبدالأحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ٤٩ - ٥٤ و ١٦٣ - ١٦٣ .

٣ المرجع السابق ص ٥٠ .

٤ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٤٨ .

٥ انظر : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤٨ .

٦ خروج ، إصحاح (٣) فقرة : ١٤ .

أ - في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٦٢٥ م - ١٠٣٤ هـ ، وعام ١٨٤٤ م - ١٢٦٠ هـ :

« وقال لي الرب : خذ لك مدرجاً عظيماً واكتب فيه بكتابة إنسان انتهب مستعجلاً واسلب سريعاً ... ادع اسمه اغنم بسرعة وانهب عاجلاً » (١) .

ب - وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨١١ م - ١٢٢٦ هـ :
« وقال لي الرب : خذ لك مدرجاً صحيحاً صحيفة جديدة كبيرة واكتب فيها بكتابة إنسان جاء ليضع نهب الغنائم لأنه حضر ... ادع اسمه إغنم بسرعة وانهبوا نجدة » (٢) .

ج - وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ - وهي التي بين أيدينا - أعيد الاسم الأصلي :
« قال لي الرب : خذ لنفسك لوحاً كبيراً واكتب عليه تعلم إنسان لمهير شلال حاش بز ... فقال لي الرب : ادع اسمه مهير شلال حاش بز » (٣) .

ب - التحريف في أسماء المواضع :

١ - جاء في الفقرة (١٤) من الإصحاح (٢٢) من (سفر التكوين) :

أ - في الترجمة العربية المطبوعة ١٦٢٥ م - ١٠٣٤ هـ ، وعام ١٨٤٤ م - ١٢٦٠ هـ :

« دعا إبراهيم اسم ذلك الرب يرى » (٤) .

ب - وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨١١ م - ١٢٢٦ هـ :

١ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٢٥٠ .

٢ انظر : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٥٠ .

٣ إشعياء ، إصحاح (٨) ، فقرة : ٣١ .

٤ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٤٧ .

« سمي إبراهيم اسم الموضع مكان يرحم الله زائره » .

ج - وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٩٧٩ م - ١٣٩٦ هـ - وهي التي بين أيدينا - أعيد الاسم الأصلي :

« فبنى موسى مذبحاً ودعا اسمه يهو نسي » (١) .

فإذا كان هذا التحريف (٢) الواضح بالنسبة لأسماء لا يتعلق بتغييرها ضرر عليهم ، فكيف سيكون الحال فيما يتعلق بمن يزعمونه عدواً لهم وهو رسول الله محمد ﷺ ؟

وهنا نلاحظ أنهم في الترجمة الأخيرة المطبوعة عام ١٩٧٦ م = ١٣٩٦ هـ - وهي التي بين أيدينا - قد أعادوا الأسماء الأصلية إلى ما كانت عليه ، فلم لم يعيدوا تلك الأسماء المتعلقة بالبشارة برسول الله محمد ﷺ لو كانوا صادقين ؟

٢ - جاء في التوراة :

« ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام . . . لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب » (٣) .

فـ (شيلون) كلمة يونانية ، لها (ثلاثة اشتقاقات) هي :

أ - أنها مشتقة من (شله - Shalah) بمعنى : (المسالمة ، الهاديء ،

الوديع ، الموثوق) . (٤)

١ خروج ، إصحاح (١٧) ، فقرة : ١٥ .

٢ لمزيد من الأمثلة حول هذا النوع من التحريف في الأسماء الواردة في (العهد القديم) . انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٤٦ - ٣٥٠ .

و : لمزيد من الأمثلة حول اختلاف التراجم المتعددة لـ (العهد القديم) . انظر : أحمد عبد الوهاب : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ص ٢٧ - ٢٨ .

٣ تكوين ، إصحاح (٤٩) فقرة : ١٠ و ١١ .

٤ انظر : د / عبد الواحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ٨٠ .

- ب - أنها مشتقة من (شلوه - shaluh) بمعنى : (الرسول) . (١)
- ج - أنها مشتقة من (شيلواه - sheluah) بمعنى : (رسول الله) . (٢)
- وعلى كل هذه المعاني الواردة ، فإن الأوصاف الواردة في تلك البشارة لا تنطبق إلا على رسول الله محمد ﷺ . (٣)
- ٣ - جاء في التوراة :
- « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » . (٤)
- ف (إخوة بني إسرائيل) هم نسل عيسو أخي أبيهم يعقوب (إسرائيل) - عليهما السلام - (٥) ، وهؤلاء لا تدل عليهم أي من البشارات الأخرى . فلم يبق إلا أن يكون (إخوة بني إسرائيل) هم نسل إسماعيل أخي جدهم إسحاق - عليهما السلام - (٦) ، والذي من نسله رسول الله ﷺ ، والذي جاء - مثل موسى ، عليه السلام - بشريعة مستقلة . (٧)

-
- ١ انظر : المرجع السابق ص ٨٠ .
 - ٢ انظر : المرجع السابق ص ٨٠ و ٨٣ .
 - ٣ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٨٠ - ٣٨٤ ، و : د / عبد الاحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ٨٠ - ٨٥ ، و : د / بدران محمد بدران : التوراه - العقل ، العلم ، التاريخ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
 - ٤ تثنية ، إصحاح (١٨) فقرة : ١٨ .
 - ٥ راجع : ج ١ ص ١٧١ .
 - ٦ راجع : ج ١ ص ١٦٩ - ١٧١ .
 - ٧ انظر : السموال المغربي : بذل المجهود في إفحام اليهود ص ١٩ - ٢٠ و : الزيدي : إثبات نبوة النبي ﷺ ص ١٦٣ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١١٥ - ١١٨ و ١٨٠ - ١٨١ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٦٢ - ٣٧٥ ، و : د / بدران محمد بدران : التوراة ص ٢٢٤ - ٢٢٧ ، و : د / عبدالعظيم المطعني : الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ص ٥٩٤ - ٥٩٨ ، و : د / محمد ضياء الرحمن الأعظمي : اليهودية والمسيحية ص ٣٧٥ - ٣٧٧ ، وأحمد عبدالوهاب : النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ١٢٠ - ١٣٦ .

٤ - جاء في العهد القديم :

« قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً
لقدميك » . (١)

وسنرى أن المقصود بهذه البشارة رسول الله محمد ﷺ ، حينما
نتحدث عن بشارات (العهد الجديد - الإنجيل) بعد قليل (٢) - إن شاء الله
تعالى - ؛ لأنه يحوي تفسيراً لها .
٥ - جاء في التوراة :

« فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته . وقال أحجب وجهي عنهم
وأنظر ماذا تكون آخرتهم . إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم . هم
أغاروني بما ليس إلهاً . أغاظوني بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعباً .
بأمة غبية أغيظهم » . (٣)

وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٦٢٥ م - ١٠٣٤ هـ ، وعام ١٨٤٤ -
١٢٦٠ هـ ، جاء وصف تلك الأمة بـ (الجهل) : « بأمة جاهلة أغيظهم » . (٤)

فهذه إشارة صريحة إلى تحويل المكانة من اليهود ، إلى تلك (الأمة
الجاهلة) ، وهي (أمة العرب) ، التي لا ينطبق هذا الوصف إلا عليها ، أيام
(الجاهلية الأولى) ، التي بعث لمحوها رسول الله ﷺ . (٥)

٦ - ومما يزيد تلك البشارة إيضاحاً ، أن تلك (الأمة الجاهلة) لم تسأل الله
تعالى الهداية ، جاء في العهد القديم :

١ مزامير ، إصحاخ (١١٠) فقرة : ١ .

٢ راجع : البشارة الثالثة من بشارات (العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٠٨ .

٣ تثنية ، إصحاخ (٣٢) فقرة : ١٩ - ٢١ .

٤ انظر : د/ بدران محمد بدران : التوراة ص ٢٢٨ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢
ص ٣٧٥ .

٥ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٧٥ - ٣٧٧ ، و : د/ بدران محمد بدران :
التوراة ص ٢٢٧ - ٢٢٩ .

« أصغيت إلى الذين لم يسألوا • وجدت من الذين لم يطلبوني • قلت هأنذا هأنذا لامة لم تسم باسمي • بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرّد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره • شعب يغيظني بوجهي دائماً ينبج في الجنات ويبخر على الآجر • يجلس في القبور ويبيت في المداخن يأكل لحم الخنزير وفي أنيته مرق لحوم نجسة • يقول قف عندك • لا تدن مني لأنني أقدس منك • هؤلاء دخان في أنفي نار متقدة كل النهار • ها قد كتب أمامي • لا أسكت بل أجازي » (١)

وهذا هو حال العرب في جاهليتهم الأولى (٢) ، إذ لم يسألوا الله تعالى شيئاً من ذلك ، حيث يقول سبحانه :

﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (٣)

٧ - ثم يتحدّد مكان هذه (الامة الجاهلة) من خلال البشارة التالية ، حيث جاء في التوراة :

« وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته : فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعيير وتلّلاً من جبل فاران » (٤)

ففي هذا النص إشارة إلى (ثلاث نبوءات) :

١ إشعياء ، إصحاح (٦٥) فقره : ١ - ٦ .

٢ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٤٠٢ .

٣ سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .

٤ تثنية ، إصحاح (٢٣) فقرة : ١ - ٢ .

و : انظر - أيضاً - : حبقوق : ٣/٢ .

- أ - نبوة موسى - عليه السلام - ، التي تلقاها في طور سيناء . (١)
- ب - نبوة عيسى - عليه السلام - ، التي تلقاها في قرية الناصرة بـ (فلسطين) (٢)
- ج - نبوة محمد ﷺ التي تلقاها في (فاران) ، وهي التسمية التوراتية لـ (مكة) . (٣)
- وفي قول الله تعالى : ﴿والتين والزيتون﴾ * وطور سنين * وهذا البلد الأمين﴾ (٤) ، ما يشير إلى ذلك :
- فالتين والزيتون : رمز لقرية (الناصرة) في (فلسطين) ؛ لأن أشهر منتوجاتها : (التين والزيتون) (٥) ، وفيها نزلت الرسالة على عيسى - عليه السلام - (٦) .

-
- ١ راجع : (بعثة موسى - عليه السلام -) ج ١ ص ١٨١ .
- ٢ راجع : (عيسى - عليه السلام -) ص ٢٤٤ .
- ٣ انظر : السموال المغربي : بذل المجهود في إفحام اليهود من ٢٣ - ٢٤ ، و : الزيدي : إثبات نبوة النبي ﷺ ص ١٥٧ - ١٥٨ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١١٨ - ١١٩ ، و : عبدالعزيز آل معمر : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ٩٦ - ٩٧ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٧٧ ، و : د/ بدران محمد بدران : التوراة ص ٢٢٩ ، و : د/ محمد الأعظمي : اليهودية والمسيحية ص ٣٦٦ .
- و : قد وردت أوصاف لا تنطبق إلا على (مكة) في : إشعيا : ١٧-١/٥٤ .
- و : لمعرفة التعليقات على ذلك النص - انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٣٢٧ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٩٦ - ٤٠١ ، و : د/ بدران محمد بدران : التوراة ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .
- ٤ سورة التين ، آية : ٣-١ .
- ٥ انظر : أنيس صايغ : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٦ .
- ٦ انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٣ ص ٣٠٢ ، وابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١١٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٢٦ ، و : عبدالعزيز آل معمر : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب

- وطور سينين : رمز لجبل (الطور) في صحراء (سيناء) ، الذي نزلت فيه الرسالة على موسى - عليه السلام - (١) .
- والبلد الامين : رمز لام القرى (مكة) ، التي نزلت فيها الرسالة على خاتم الانبياء محمد ﷺ (٢) .

ولكن (أهل الكتاب) ينفون أن تكون (فاران) هي (مكة) ، وإنما يزعمون أنها (إيلات) (٣) ، ويستدلون على ذلك بما جاء في التوراة - المحرفة - :

» فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر وأضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفها . فمضت وتاهت في برية بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار . ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس . لأنها قالت لا أنظر موت الولد . فجلست مقبلة ورفعت صوتها وبكت . فسمع الله صوت الغلام . ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر . لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي إحملني الغلام وشدي يدك به . لأنني سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله غيبيها فأبصرت بئر ماء (٤) فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن في البرية وكان ينمو رامي

ص ٩٧ .

- ١ انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٣٠٢ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١١٩ ، و : ابن كثير : تيسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٢٦ ، و : عبدالعزيز آل معمر : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ٩٧ .
- ٢ انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح ج ٣ ص ٣٠٢ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١١٩ ، و : ابن كثير : تيسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٢٦ ، و : عبدالعزيز آل معمر : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ٩٧ .

٣ انظر : د / بطرس عبد الملك و د/ جون الكساندر طمسن : قاموس الكتاب المقدس ص ٦٦٧ .

٤ هذا ينطبق على (بئر زمزم) في (المسجد الحرام) بـ (مكة) .

قوس • وسكن في برية فاران • (١) .

وهدفهم من هذا التحريف واضح ؛ لأنهم لو سلموا بذلك للزمهم واحد من أمرين :

- ١ - إما التصديق برسالة محمد ﷺ ، وفي ذلك اتباع لكتابهم (التوراة) .
- ٢ - وإما التكذيب برسالة محمد ﷺ ، وفي ذلك مخالفة لكتابهم (التوراة) ، وهم على استعداد أن يتبعوه في كل شيء ، إلا في هذه المسألة (٢) - والعياذ بالله تعالى - .

ف (إيلات) إذن ليست هي (فاران) ؛ لأمرين ، هما :

- ١ - أنه لا يعلم أن (إيلات) موطن أي نبي من الانبياء • (٣)
- ٢ - أن (إيلات) في صحراء (النقب) على (خليج العقبة) ، وهي جزء من (فلسطين) ، بينما تقع (فاران) بعيداً عن (فلسطين) ، وهذا ما يعترف به (الثلمود) ، حيث جاء فيه :

« لقد عاش إسماعيل مع أمة فترة من الزمن في برية فاران ، ثم رحل إلى مصر ، حيث تزوج إسماعيل وأنجب هناك أربعة أولاد وبنثاً واحدة ، لكنه سرعان ما عاد إلى البرية موطنه المفضل ، حيث بني الخيام لنفسه ولعائلته وشعبه ؛ فقد باركه الله (٤) وجعله مالكاً للكثير من قطعان الماشية والأغنام • وحدث بعد عدة سنوات أن استسلم إبراهيم لرغبة كانت تتملكه

١ تكوين • إصحاح (٢١) فقرة : ١٤ - ٢١ .

٢ انظر : د/ عبدالمظيم المظمني : الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ص ٥٩٢ .

٣ انظر : المرجع السابق ص ٥٩٣ .

٤ جاء في التوراة :

« وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك • فقال الله ... وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه • ها أنا أباركه وأكثره كثيراً جداً • اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » :

تكوين ، إصحاح (١٧) ، فقرة : ١٨ - ٢٠ .

دائماً لزيارة ابنه إسماعيل ، فأخبر سارة بذلك ، ثم بدأ رحلته على جمل ، ولما وصل إلى مسكن ابنه إسماعيل وجده خارجاً يصطاد ، ووجد زوجته التي لم تكن تعرف حماها ، فعاملته بجفاء ، ورفضت تقديم الماء والطعام ، فقال لها إبراهيم : عندما يعود زوجك ، صفي له مظهري ، ثم قل لي له : جاءنا رجل عجوز من أرض الفلسطينيين ، وهو يطلب منك أن تستبدل وتد خيمتك بآخر أصلح منه ، ثم ركب إبراهيم دابته وانصرف ، ولما عاد إسماعيل وقصت عليه زوجة الخبر ، أيقن إسماعيل أن الزائر كان أباه إبراهيم ، وأن زوجته لم تحسن معاملته ، فطلقها ، وتزوج بأخرى ٠٠٠ ، ويذكر التلمود أن القصة تكررت مرة أخرى بعد ثلاث سنوات ، ولكن في تلك المرة كانت زوجة إسماعيل الجديدة كريمة مع حماها ، ولما رجع إسماعيل إلى بيته ، وعلم ما حدث ، سر كثيراً بزوجه ، ثم أخذ زوجته وعائلته ، وسافر لزيارة والده ، وبقوا معه هناك في أرض الفلسطينيين عدة أيام (١) .

فلو كانت (إيلات) من (فلسطين) لما جاءت عبارة (أرض الفلسطينيين) ؛ مما يوحي بأن (فاران) موطن إسماعيل - عليه السلام - بعيدة عن (فلسطين) ؛ لأن هجرة إبراهيم بزوجة هاجر وابنه إسماعيل - عليهم السلام - إلى (مكة) من الحقائق الواقعية المتواترة ، التي أثبتتها (القرآن الكريم) (٢) ، و (الحديث الشريف) (٣) ، و (التاريخ المدون) (٤) .

أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والباطل ص ٤٧ ، نقلا عن : H.polan : The Talmud , English Trans Lation, Frederien Warne and Co.London and New York PP. 53 - 54

٢ انظر : سورة البقرة . آية : ١٢٤ - ١٢٩ ، و : سورة آل عمران ، آية : ٩٦ - ٩٧ ، و : سورة إبراهيم ، آية : ٣٤ - ٣٧ ، و : سورة الحج ، آية : ٢٦ - ٢٣ .

٣ انظر : صحيح البخاري : (كتاب الانبياء «٦٠») ، (باب يزفون النسلان في المشي «٩») ، ج ٤ ص ١١٣ - ١١٧ .

٤ راجع : (العبرانيون) ج ١ ص ١٦٤ .

٨ - وقد وردت بشارات عن مجيء النور الأبدي من مسكن (قيدار) ، جاء في العهد القديم :

« لترفع البرية ومدنها صوتهما الديار التي سكنها قيدار ، لتترنم سكان
سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه
في الجزائر » (١) .

و (قيدار) هو : ابن إسماعيل - عليه السلام - ؛ جاء في العهد القديم :

« بكر إسماعيل : نبايوت وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا
وحدد وتيماء ويطور وناقيش وقدمة » (٢) .

ومن نسل (قيدار) جاء رسول الله ﷺ (٣) ، الذي بعث في موطن آبائه
(مكة) (٤) ثم هاجر إلى (المدينة) ، التي أشارت إليها تلك البشارة بـ
(سالع) (٥) ، و (سلم) جبل من جبال (المدينة) (٦) .

٩ - لتأتي خاتمة البشارات بتمني (الكتبة اليهود) أن يكون الخلاص

١ إشعيا ، إصحاح (٤٢) ، فقرة : ١١ - ١٢ .

و : انظر - أيضاً - : إشعيا : ١٢-٤/٦٠ .

٢ أخبار الأيام الأول ، إصحاح (١) ، فقرة : ٢٩ - ٣١ .

٣ انظر : الزيدي : اثبات نبوة النبي ص ١٦٥ - ١٦٦ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل
دين المسيح ج ٣ ص ٣٢٨ -- ٣٣٢ ، و : ابن القيم : هداية العيارى في أجوبة اليهود
والنصارى ص ١٥٦ و ١٥٨ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٦ ، و :
د/ بدران محمد بدران : التوراة ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، و : د/ عبدالعظيم المطعني : الإسلام في
مواجهة الاستشراق العالمي ص ٦٠٠ - ٦٠٣ ، و : د/ محمد الأعظمي : اليهودية والمسيحية ص
٣٦٧ - ٣٦٨ .

٤ أنظر : د/ محمد رواس قلعة جي : محمد في الكتب المقدسة ص ٣٠ .

٥ يزعم (أهل الكتاب) أن (سالع) كلمة عبرية بمعنى (صخرة) ، وهي تطلق على (البتراء) في جنوبي
الأردن . انظر : د/ لبيب مشريقي ومنيس عبدالنور : قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٥ .

٦ انظر : محمد غالي الشنقيطي : الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

الأبدي على يد اليهود في (صهيون) ؛ لأنهم يعلمون - على الرغم من كل هذه التحريفات - أن ذلك الخلاص لن يكون إلا على يد رسول الله محمد ﷺ في (مكة) قدراً مقدوراً ، جاء في العهد القديم :

« ليت من صهيون خلاص إسرائيل » (١) .

ولن يكون هذا المخلص الأبدي هو المسيح عيسى - عليه السلام - ؛ لأنه عن طريق أمه مريم - رحمها الله تعالى - من بني إسرائيل (٢) ، وإنما هو رسول البشرية كافة محمد ﷺ (٣) .

وبعد ، فمع كل هذه التحريفات في النصوص التي تحوي البشارات الصريحة (٤) بنبوة محمد ﷺ في (العهد القديم) فإنهم مازالوا يحرفون في كل ترجمة جديدة كل كلمة أو عبارة يمكن أن يفهم منها أدنى إشارة إلى رسول الله محمد ﷺ من قريب أو من بعيد ؛ حتى يصرفوها عنه تماماً (٥) ، والله من ورائهم محيط .

١ مزامير ، إصحاح (١٤) ، فقرة ٧ .

٢ راجع : الهامش رقم (٣) ص ٢٦٦ .

٣ انظر : د/ بدران محمد بدران : التوراة ص ٢٣٢ .

٤ يورد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - الكثير من النقول عن (العهد القديم) ، التي تحوي البشارات بنبوة محمد ﷺ باسمه (محمد) . انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٣١٩ - ٣٣٠ .

٥ لمزيد من البشارات بنبوة محمد ﷺ في (العهد القديم - التوراة) . انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٩٩ - ٣٣٢ ، و : ج ٤ ص ٣ - ٦ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١١٥ - ١٢٢ و ١٤٧ - ١٧٤ و ١٧٨ - ١٧٩ ، و : عبدالعزيز آل معمر : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ٨٧ - ١٠٠ ، و : رحمه الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٦٢ - ٤٠٥ ، و : د/ عبدالاحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ٤٩ - ١٣٤ ، و : د/ بدران محمد بدران : التوراة - العقل ، العلم ، التاريخ ص ٢٢١ - ٢٤٢ .

ب - تحريف البشارات بنبوۀ محمد ﷺ في العهد الجديد (الإنجيل) :

يعود تحريف (الإنجيل) - والله أعلم - إلى سبب عنصري - أيضاً - ؛ ذلك أن اليهود حين خافوا من انصواء ديانتهم (اليهودية) تحت لواء الديانة الجديدة التي جاء بها المسيح عيسى ، عليه السلام - والتي عرفت فيما بعد بـ (النصرانية) - ، عمدوا - برئاسة (بولس) - إلى تحريف تلك الديانة ، عن طريق تحريف دستورها (الإنجيل) ؛ لأن في تحريفها القضاء النهائي عليها - كما سنفصل ذلك إن شاء الله تعالى ، في موضع آخر - (١) .

ولم ينس اليهود خلال عملهم الرهيب ذلك : تحريف البشارات الواردة في (الإنجيل) عن نبي الإسلام محمد ﷺ ، وذلك بحذف بعضها ، وتبديل بعضها الآخر أو تأويله ، وخصوصاً ما كان مشاراً إليه في (العهد القديم) ؛ من أجل صرفها عنه إلى غيره (٢) .

ولكن ، وعلى الرغم من تحريف (اليهود المنافقين) (٣) ، وأوليائهم (النصارى) - فيما بعد - لتلك البشارات ، فما زالت تدل على رسول الله الخاتم محمد ﷺ ، ومن ذلك :

١ - جاء في الإنجيل :

١ راجع : (العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٩٠ .

٢ انظر : د/ أحمد حجازي السقا : أقانيم النصارى ص ٦ و ٣٧ و ٤٠ و ٨٦ و ٩٢ و ١٣٣ ، و :

د/ ليلي حسن سعد الدين : ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ص ٩ و ١١٥ .

٣ راجع : ص ٢٠٩ .

« جاء يسوع (١) إلى الجليل يكرز (٢) ببشارة ملكوت الله ، ويقول قد
 كمل الزمان واقترب ملكوت الله » (٣)
 فمن هو (ملكوت الله) هذا الذي يبشر به عيسى - عليه السلام - ، إذا
 لم يكن رسول الإسلام محمد ﷺ ؟ (٤)
 ٢ - جاء في الإنجيل :

« قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب (٥) الحجر الذي رفضه
 البنائون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في
 أعيننا ، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ،
 ومن سقط على هذا الحجر يترفض ومن سقط هو عليه يسحقه » (٦)
 ف (ملكوت الله) سيتحول لأمة أخرى تعمل وفق هديه ، فمن هذه (الأمة)

-
- ١ يسوع : هو اسم المسيح عيسى - عليه السلام - عند النصارى . راجع : التعريف بـ (عيسى -
 عليه السلام -) ص ٢٤٤ .
 - ٢ التركيز : هو الوعظ والتبشير بالإنجيل والتعاليم النصرانية . انظر : جبران مسعود : الرائد ج
 ٢ ص ١٢٣٥ .
 - ٣ مرقس ، إصحاح (١) فقره : ١٤ - ١٥ .
 و : انظر - أيضاً - متى : ١٧/٤ ، و : لوقا : ٢/٩ .
 - ٤ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤١٠ ، و : د/ عبدالعظيم المطعني :
 الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ص ٦٠٥ - ٦٠٧ ، و : أحمد عبدالوهاب : النبوة
 والانبيااء في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ١٤٨ - ١٥٠ .
 - ٥ المقصود بـ (الكتب) : القسم الثالث من أقسام (العهد القديم) ، ومن ضمنه (سفر المزامير) ،
 حيث جاء فيه :

« أحمداك لأنك استجبت لي وصوت خلاصاً ، الحجر الذي رفضه البنائون قد صار رأس
 الزاوية - من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا - هذا هو اليوم الذي صنعه الرب .
 نبتهج ونفرح فيه . آه يارب خلص . آه يارب أنقذ . مبارك الآتي باسم الرب . باركناكم من بيت
 الرب . الرب هو الله وقد أنار لنا » : المزمور (١١٨) ، فقره : ٢١ - ٢٧ .

 - ٦ متى ، إصحاح (٢١) ، فقره : ٤٢ - ٤٤ .

إذا لم تكن (الامة الإسلامية) ، التي رسولها محمد ﷺ ؟ (١) .

٣ - جاء في الإنجيل :

« وفيما كان الفريسيون (٢) مجتمعين سألهم يسوع . قائلاً : ماذا تظنون في المسيح . ابن من هو . قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك (٣) . فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه . فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » . (٤)

فكلمة (ربي) في عبارة : « قال الرب لربي » ترجمة خاطئة للكلمة العبرية (أدوناي - Adon) ، ومعناها باللغة العربية : (سيدي) ، ويكون النص الأصلي : « قال الرب لسيدي » . (٥)

فسؤال عيسى - عليه السلام - كان عن هذا (السيد) :

- الذي يراه اليهود (المسيح المنتظر) كما جاء في النص السابق ؛ استناداً إلى ما جاء في العهد القديم :

« لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجبياً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته يثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن

١ انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٤ ص ٧ ، و : الجعفري : الرد على النصارى ص ١٢٦ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٤١٣ - ٤١٦ .
٢ راجع : التعريف بـ (الفريسيين) ج ١ ص ١٠٣ .
٣ جاء في المزامير :

« قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » المزمور (١١٠) ، فقرة : ١
٤ متى ، (إصحاح (٢٢) ، فقرة : ٤١ - ٤٦ .

و : انظر - أيضاً - مرقس ١٢/٣٦ - ١٠ ، و : لوقا : ١٠/٤٢ - ٤١ .

٥ انظر : د/ عبدالاحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ١١٠ - ١١١ ، و : د/ بدارن محمد بدارن : التوراة ص ٢٣٤ .

ولكن عيسى - عليه السلام - يرد عليهم زعمهم ذلك بقوله - إن صحت نسبة ذلك القول إليه - مستنكراً :

« فكيف يدعوه داود بالروح رباً » . أي سيدياً - على الترجمة الصحيحة - .

وهذا دليل على تحريف النص السابق - عن نبوة المسيح المزعوم لداود - عليه السلام - ؛ لأن (المسيح المنتظر) من قبل اليهود لن يأتي مطلقاً ، إلا إذا كان (المسيح الدجال) - أعازنا الله تعالى منه - (٢) .
- بينما يراه النصارى (عيسى - عليه السلام -) (٣) .

ولكن (الإنجيل) (٤) ينسب عيسى إلى داود - عليهما السلام - (٥) ، وهو نفسه (أي الإنجيل) يؤكد - كما جاء في النص السابق - على لسان عيسى - عليه السلام - نفسه ، أن المسيح ليس ابن داود - عليه السلام - .

فمن يكون إذن هذا (السيد) ؟

إن عيسى - عليه السلام - إن صحت نسبة ذلك إليه - لا يمكن أن يترك السؤال دون جواب ؛ مما يدل على أن إنجيل الكنائس قد حذف ذلك

١ إشعياء ، إصحاح (٩) فقره : ٦ - ٧ .

٢ راجع : التعريف بـ (المسيح المنتظر) ص ٢٤٥ .

٣ انظر : د/ بدارن محمد بدران : التوراة ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

٤ انظر : متى : ١٦-١/١ ، و : لوقا : ٢٣-٢٢/٣ .

٥ قد تجوز نسبة عيسى - عليه السلام - إلى (بني إسرائيل) عن طريق أمه مريم - رحمها الله تعالى - ، ولكن لا إلى داود - عليه السلام - وهو من (سبط يهوذا) . وإنما إلى هارون - عليه السلام - وهو من (سبط لاوي) - على الراجح - . راجع الهامش رقم (٣) ص ٢٦٦ .

الجواب ، الذي هو موجود في (إنجيل (١) برنابا) (٢) - الذي ترفضه الكنيسة النصرانية - (٣) ، حيث جاء فيه :

« قال يسوع : ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون ؟ أجاب التلاميذ : من داود . فأجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم . لأن داود يدعوه في الروح رباً قائلاً هكذا : (قال الله لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك . يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك) . فإذا كان رسول الله الذي يسمونه مسياً بن داود فكيف يسميه داود رباً . صدقوني لأنني أقول لكم الحق إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق » (٤)

إذن ف (السيد) المبشر به ، لا يمكن إلا أن يكون رسول الله محمد ﷺ .
٤ - جاء في الإنجيل :

١ يوجد في (إنجيل برنابا) - الذي لم تعترف به الكنيسة النصرانية على الرغم من تحريفة - الكثير من البشارات الصريحة بنبو محمد ﷺ ، إلى درجة التصريح باسمه (محمد) وبصفته (رسول الله) ؛ فقد جاء فيه :

« وبعد هذه السنتين يجيء الملاك جبريل إلى الجحيم ويسمعهم يقولون : يا محمد أين وعدك لنا أن من كان على دينك لا يمكث في الجحيم إلى الأبد . فيعود حينئذ ملاك الله إلى الجنة . وبعد أن يقترب من رسول الله باحترام يقص عليه ما سمع . فحينئذ يكلم الرسول الله ويقول : ربي وإلهي اذكر وعدك لي أنا غيبك بأن لا يمكث الذين قبلوا ديني في الجحيم إلى الأبد . فيجيب الله : اطلب ما تريد يا خليلي لأنني أهبك كل ما تطلب » : الفصل (١٣٦) ، فقرة : ١٨ - ٢١ .

و : قد جاء اسم (محمد) (١٣ مرة) في (إنجيل برنابا) . انظر : د / أحمد حجازي السقا : الأدلة الكتابية على فساد النصرانية ص ١٤ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : محمد علي قطب : نظرات في إنجيل برنابا المبشر بنبو النبي محمد ﷺ .

٢ راجع : التعريف بـ (الحواريين) ص ٢٠٣ .

٣ راجع : التعريف بـ (العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٩٠ .

٤ الفصل (٤٣) فقرة : ٢٥ - ٣١ .

« لكنني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي . ولكن إن ذهبته أرسلته إليكم (١) . ومتى جاء ذاك يبيكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بسي . وأما على بر فلأنني ذاهب إلى أبي ولا تروني أيضاً . وأما على دينوية فلأن رئيس هذا العالم قد دين . إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحملوها الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية . ذاك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم » (٢)

فكلمة (المعزي) - بمعنى الوكيل - (٣) مترجمة عن كلمة (الفارقليطوس - Paraclytos) ، الواردة في النص الأصلي باللغة اليونانية - التي ترجم منها (الكتاب المقدس) (٤) إلى اللغة العربية - ، وهذا خطأ ؛ لأن كلمة (المعزي) ترادف باللغة اليونانية كلمة (باراكالون - Paracalon) ، وباللغة العبرية كلمة (مناحييم - Mnahiem) (٥)

أما كلمة (الفارقليطوس - Paraclytos) أو (البرقليطوس - Periqlytos)

-
- ١ يؤكد الدكتور / عبدالأحد داود - وكان قسيساً نصرانياً كلدانياً ، واسمه (دافيد بنجامين كلداني) فأسلم - أن هذه الجملة (أرسلته إليكم) قد وقع فيها التحريف ، فالمرسل هو الله تعالى . انظر : محمد في الكتاب المقدس ص ٢١٩ .
 - ٢ يوحنا ، إصحاح (١٦) فقره ٧ - ١٤ .
 - و : انظر - أيضاً - يوحنا : ١٤/١٦ ، و : ٢٦/١٥ .
 - ٣ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٤٢ .
 - ٤ راجع : (فهرس المراجع) ج ٤ ص ٥٨٧ .
 - ٥ انظر : د/ عبدالأحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ٢١٦ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١ ، و : د/ محمد رواس قلعة جي : محمد في الكتب المقدسة ص ١٤ ، و : د/ عبدالعظيم المطعني : الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ص ٦١٠ - ٦١٣ .

، فتعني (أحمد) ١٠ (١)

ومصدق هذا ما جاء في القرآن الكريم على لسان المسيح عيسى -
عليه السلام - ، حيث يقول تعالى :

﴿وَإِذ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا (٢) بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي
اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (٣)

وفي النقول عن التراجم (٤) العربية لـ (الكتاب المقدس) ، سواء
منها القديمة المخطوطة (٥) ، أو الحديثة المطبوعة عام ١٦٢٥ م - ١٠٣٤ هـ

١ انظر : د / عبدالأحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ٢١٩ - ٢٢٩ ، و : رحمة الله الهندي
: إظهار الحق ج ٢ ص ٤٢٣ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٤ ص
٨ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٢٤ - ١٢٥ ، و : الجعفري
: الرد على النصارى ص ١٢٤ ، و : عبدالعزيز آل معمر : منحة القريب المجيب في الرد على
مباد الصليب ص ٨٢ - ٨٣ ، و : د / محمد قلعة جي : محمد في الكتب المقدسة ص ١٤ - ١٥
، و : د / عبدالعظيم المطعني : الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ص ٦١٢ - ٦١٣ ، و :
أحمد السقا : الأدلة الكتابية على فساد النصرانية ص ١١٧ ، و : د / محمد الأعظمي : اليهودية
والمسيحية ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

٢ يقول الأستاذ محمد رشيد رضا :

« نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة إنجليزي ، أنه رأى في (دار الكتب البابوية) في (الفاتيكان)
نسخة من (الإنجيل) ، مكتوبة بالقلم الحميري ، قبل بعثة النبي ﷺ ، وفيها يقول المسيح :
(ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ، وذلك موافق لنص القرآن بالحرف » : إنجيل
برنابا ، تقديم : محمد رشيد رضا الحسيني ص ٣٥ .

٣ سورة الصف ، آية : ٦ .

٤ من الذين ترجموا (العهد القديم) إلى (اللغة العربية) المفكر اليهودي المصري (سعاديا سنعيد
الفيرمي : ٨٨٢ - ٩٤٢ م = ٢٦٩ - ٣٣١ هـ) . انظر : د / عبدالرزاق أحمد قنديل : الأثر
الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ص ١٨٨ .

٥ انظر - مثلاً - : الزيدي : إثبات نبوة النبي ﷺ ص ١٦٦ - ١٦٧ ، و : المتطبيب : النصيحة
الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص ١٣٩ - ١٤١ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن
بدل دين المسيح ج ٤ ص ٦ - ٧ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى
ص ١٢٢ - ١٢٤ ، و : الجعفري : الرد على النصارى ص ١٢٤ - ١٢٥ .

، وعام ١٨٢١ م - ١٢٣٦ هـ ، وعام ١٨٣١ م - ١٢٤٧ هـ ، وعام ١٨٤٤ م - ١٢٦٠ هـ
(١) ، نرى أن كلمة (الفارقليط) (٢) مثبتة في جميعها ، ولم يحصل التغيير
إلا في التراجم المتأخرة ، ومنها النسخة - التي ننقل عنها - المطبوعة
عام ١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ . ١

وهذا التحريف من عادة (أهل الكتاب) - (حتى النصارى) سلفاً وخلفاً
- ، ذلك أنهم يترجمون الأسماء الواردة في كتابهم (العهد الجديد) - كما
يفعلون ومعهم اليهود في (العهد القديم) (٣) - ، ويوردون بدلها معانيها -
غالباً - ؛ ليجتنب النص من ترجمة إلى أخرى ، حتى يتغير بعد مدة بكلمة ،
ومن ذلك :

أ - جاء في الفقرة (٨) من الإصحاح (١٣) من (سفر أعمال الرسل) :
١ - في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٦٢٥ م - ١٠٣٤ هـ ، وعام ١٨٤٤ م -
١٢٦٠ هـ :

« فقاومهما اليماس الساحر ، لأن هكذا يترجم اسمه » (٤)

٢ - وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨١٦ م - ١٢٣١ هـ ، وعام ١٨٦٠ م -
١٢٧٦ هـ ، وعام ١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ - وهي التي بين أيدينا - :

« فقاومهما عليم الساحر ، لأن هكذا يترجم اسمه » (٥)

ب - جاء في الفقرة (١) من الإصحاح (٤) من (إنجيل يوحنا) :

-
- ١ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٤١٨ - ٤١٩ .
 - ٢ لقد وردت - أيضاً - كلمة (مكة) في التراجم القديمة لـ (الكتاب المقدس) . انظر: الزيدي :
إثبات نبوة النبي ﷺ ص ١٦٥ .
 - ٣ راجع : ص ٩٤ .
 - ٤ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
 - ٥ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٥٦ ، و : أعمال الرسل ، إصحاح (١٣)
فقرة : ٨ .

١ - في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨١١ م - ١٢٢٦ هـ :

« لما علم يسوع » (١)

٢ - وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨١٦ م - ١٢٣١ هـ ، وعام ١٨٦٠ م -

١٢٧٦ هـ ، وعام ١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ - وهي التي بين أيدينا - :

« فلما علم الرب » (٢)

ففي هذه التراجم الأخيرة حصل تحريف (٣) ؛ حيث بدل لفظ (يسوع)

وهو علم على المسيح عيسى - عليه السلام - بـ (الرب) ، الذي هو من

الألفاظ التعظيمية ، فكيف سيكون الأمر إذا تعلق بالبشارة برسول الله

(محمد) ﷺ ؟

إنهم لو بدلوا اسمه الشريف (محمد) بالألفاظ التحقيرية فلا

عجب . (٤)

وبغض النظر عن هذه الكلمة (البارقليط) التي يحاولون إخفاءها ،

ولاسيما في التراجم العربية المتأخرة - كما رأينا - ، أو تفسيرها بما

يصرفها عن رسول الله محمد ﷺ (٥) ، فإن الأوصاف الواردة في تلك

البشارة لا تنطبق إلا عليه ﷺ . (٦)

١ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٥١ .

٢ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٥١ ، و : يوحنا ، إصحاح (٤) فقرة : ١ .

٣ و : لمزيد من الأمثلة حول هذا الموضوع من التحريف في الأسماء (الواردة في العهد الجديد) .

انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٥٠ - ٣٥٦ .

و : لمزيد من الأمثلة حول اختلاف التراجم المتعددة لـ (العهد الجديد) . انظر : أحمد

عبد الوهاب : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ص ٣٩ - ٥٧ .

٤ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٣٥١ .

٥ انظر : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٤ و ٤٣٢ - ٤٤٥ .

٦ انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٤ ص ١٠ - ٤١ ، و : ابن القيم :

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٢٧ - ١٤٤ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار

الحق ج ٢ ص ٤٢٤ - ٤٣٢ ، و : د/ أحمد السقا : الأدلة الكتابية على فساد النصرانية ص

ويؤيد ذلك ما جاء في (الإنجيل) نفسه :

« إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي • وأنا أطلب من الرب فيعطىكم

معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » (١) •

فمن هو المعزي الآخر الخالد غير رسول الله محمد ﷺ • (٢)

وبعد ، فمع كل هذا التحريف في النصوص التي تحوي البشارات

الصريحة بنبوته محمد ﷺ (٣) في (العهد الجديد) ، فإنهم مازالوا يحرفون

في كل ترجمة جديدة كل كلمة أو عبارة يمكن أن يفهم منها أدنى إشارة إلى

رسول الله محمد ﷺ من قريب أو من بعيد ، حتى يصرفوها عنه تماماً (٤) ،

والله من ورائهم محيط •

وقد أثبت (القرآن الكريم) أن محمداً ﷺ مكتوب في (التوراة) -

(الإنجيل) - باسمه وصفته ، حيث يقول الله تعالى :

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم

في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم

١١٧ - ٢١٤ ، و : د / محمد الأعظمي : اليهودية والمسيحية ص ٣٧٩ - ٣٨٢ .

١ يوحنا ، إصباح (١٤) ، فقره : ١٥ - ١٦ .

٢ انظر : د / أحمد السقا : الأدلة الكتابية على فساد النصرانية ص ١١٧ .

٣ يوجد في (إنجيل برنابا) الكثير من البشارات الصريحة بنبوته محمد ﷺ باسم (محمد) وصفته

(رسول الله) - كما ذكرنا قبل قليل - راجع : الهامش رقم (١) ص ١١٠ .

٤ لمزيد من البشارات بنبوته محمد ﷺ في (العهد الجديد - الإنجيل) • انظر : ابن تيمية :

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٤ ص ٦ - ٢٢ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في

أجوبة اليهود والنصارى من ١١٢ - ١٤٧ و ١٧٤ - ١٧٨ ، و : الجعفري : الرد على النصارى

ص ١٢٤ - ١٢٧ ، و : عبدالعزيز آل معمر : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب

ص ٨٢ - ١٠٠ ، و : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ٢ ص ٤٠٥ - ٤٤٥ ، و : د /

عبدالأحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ١٣٨ - ٢٦٤ ، و : د / أحمد حجازي السقا :

الأدلة الكتابية على فساد النصرانية ص ١١٣ - ١٨٤ و ١٩٥ - ٢٠٠ و ٢٢٢ - ٢٣٢

الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون» (١) .

وفي هذه الآية الكريمة حث لليهود على اتباع الرسول ﷺ ؛ لأنهم باتباعه ، سيضع عنهم الأحكام المشددة التي أخذت عليهم ؛ من جراء لعنهم ، نحو : " قتل الأنفس في صحة توبتهم " ، وبت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الدية ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب ، وإحراق الغنائم ، وتحريم العروق في اللحم ، وتحريم السبت " (٢) ، إلى غير ذلك .

كما أثبت (الحديث الشريف) ذلك (أي أن محمداً ﷺ مكتوب في التوراة) ، فعن (عبدالله بن عمرو بن العاص) (٣) - رضي الله عنهما - قال :

" إن هذه الآية التي في القرآن ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ (٤) قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً

١ سورة الاعراف ، آية : ١٥٧ .

و : أنظر : سورة الفتح ، آية : ٢٩ .

٢ انظر : الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج ٢ ص ١٢٢ .

٣ عبدالله بن عمرو بن العاص : (٧ ق هـ - ٦٥ هـ = ٦١٦ - ٦٨٤ م) هو أبو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي . صحابي ، كان من الكتاب في الجاهلية ، وعارفاً بـ (اللغة السريانية) . أسلم قبل أبيه ، وغير الرسول ﷺ اسمه من (العاص) إلى (عبدالله) ، كان كثير العبادة ، وشهد الكثير من الغزوات والحروب وكان يضرب بسيفين ، وحمل راية أبيه في (معركة اليرموك) ، ولاء (معاوية) - رضي الله عنه - (الكوفة) مدة قصيرة ، ولما ولي (يزيد بن معاوية) امتنع عن بيعته . وانزوى في جهة (عسقلان) . منقطعاً للعبادة ، وقد عمي في آخر حياته ، روى (٧٠٠ حديث) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٧٩ - ١٠٠ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ١١١ .

٤ سورة الاحزاب ، آية : ٤٥ .

ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً » . (١)

مما يدل على أن اليهود قد حرفوا صفة الرسول ﷺ في كتبهم ، لأنه لا وجود لها بهذه الصفة - الآن - على الإطلاق ، حيث يقول الله تعالى :

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ . (٢)

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في هذه الآية الكريمة :
" نزلت في أحبار اليهود ، وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة : أكحل أعين ، ربعة (٣) ، جعد الشعر ، حسن الوجه ، فمحوه حسداً وبغياً ، وقالوا : نجده طويلاً ، أزرق ، سبط الشعر " . (٤)
ولذلك لما بعث محمد ﷺ ، وتأكد لهم أنه هو النبي الذي كانوا

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب تفسير القرآن العظيم « ٦٥ ») ، (سورة الفتح « ٤٨ ») ، ج ٦ ص ٤٤ - ٤٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ١٧٤ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ، و : الوداعي : الصحيح المسند من دلائل النبوة ص ٧٤ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٩ ص ٨٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٥٣ .

و : وقد جاء عن (كعب الأحبار) - رحمة الله تعالى - عدة أحاديث حول هذا المعنى . انظر : سنن الدارمي : (المقدمة) ، (باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه) ج ١ ص ٤ - ٦ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٧١ - ٩٤ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٨٣ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة

اليهود والنصارى ص ١٨٢ - ٢٠٨ .

٢ سورة البقرة ، آية : ٧٩ .

٣ الربعة : الرجل المربوع بين الطول والقصر . انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط (مادة الريم) ج ٣ ص ٢٤ .

٤ السيوطي : لباب النقول ص ٢٠ .

ينتظرونه ، ساءهم أن يكون من العرب - على غير ما كانوا يأملون - (١) ،
فأنكروا رسالته حسداً ، زاعمين أن ليس هو المقصود بتلك البشارات ،
التي لا ينطبق أكثرها عليه - فعلا - بعد أن حرقوها ، فعن عبدالله بن
عباس - رضي الله عنهما - قال :

« عمدوا [أي اليهود] إلى صفة محمد ﷺ فغيروها (٢) ، ثم أخرجوها
إليهم وقالوا : هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت
هذا النبي الذي بمكة ، فإذا نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه
مخالفاً لصفة محمد فلا يتبعونه » (٣)

ولذلك أنكر هؤلاء السفلة أن يكون نبي من غير بني إسرائيل ، فعن
(السدي) (٤) - رحمه الله تعالى - قال :

« قالوا [أي اليهود] : إنما كانت الرسل من بني إسرائيل ، فما بال
هذا من بني إسماعيل ؟ » (٥)

وقد انضم أكثرية الأحبار إلى هؤلاء السفلة في استمراء تصديق ما

١ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٨ .

٢ يقول (الزبير بن باطا) - وهو من يهود (بني قريظة) - معترفاً بتغير صفة الرسول محمد ﷺ
في التوراة المتداولة بين الناس :

« قد قرأت التوراة وقرأت صفته [أي محمد] في كتاب باطا ، التوراة التي نزلت على موسى ،
ليس في المثاني التي أحدثنا » : أبو نعيم : دلائل النبوة ص ٤٩٧ .

و : المقصود بـ (المثاني) : (المشناه) إحدى قسمي (التلمود) . راجع : (المشناه) ج ١ ص ١٠٤ .

٣ الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٤ .

وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع - انظر : الطبري : جامع البيان ج ١
ص ٣٧٩ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٤ .

٤ السدي : (؟) - ١٢٨ هـ = ؟ - ٧٤٥ م) هو أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن السدي ،
تابعي ، حجازي الأصل ، سكن (الكوفة) ، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس . انظر : ابن
حجر : تقريب التهذيب ص ١٠٨ ، و : الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٣١٧ .

٥ الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤١٥ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٦ .

حرفوه من صفة الرسول ﷺ في توراتهم ، فعن (محمد بن إسحاق) (١) -
رحمه الله تعالى - قال :

» قال (حيي بن أخطب) (٢) و (كعب بن أسد) (٣) ، و (أبو رافع) (٤)
و (أشيع) (٥) و (شمويل بن زيد) (٦) ، لعبد الله ابن سلام حين أسلم ما
تكون النبوة في العرب ، ولكن صاحبك ملك « (٧)

ولكن (عبد الله بن سلام) (٨) - رضي الله عنه - لم يكن من هؤلاء
السفلة ، الذين أنكروا الحق ، وإنما أعلن إسلامه في وقت كان فيه
الرسول ﷺ قليل الاتباع ، ضعيف الشوكة ، والناس يطبقون - وهم أهل
الشوكة - على عداوته (٩) بمجرد أن تأكد صدق الرسول ﷺ ، غير أنه بما

١ محمد بن إسحاق : (٨٥ - ١٥١ هـ = ٧٠٤ - ٧٦٨ م) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى -
بالولاء - المدني . تابعي ، من أقدم مؤرخي الإسلام ، له الكتاب المشهور في (السيرة النبوية)
والذي لم يصل إلينا كاملاً ، إلا عن طريق تهذيب (ابن هشام) لها . كان بارعاً في علمه ، ومن
أحسن الناس سياقاً للأخبار . سكن (بغداد) وفيها توفي . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء
ج ٧ ص ٣٣ - ٥٥ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٦ ص ٢٨ .

٢ راجع : ترجمة (حيي بن أخطب) ص ٤٤٢ .

٣ راجع : ترجمة (كعب بن أسد) ص ٤٤٣ .

٤ أبو رافع : هو (سلام بن أبي الحقيق) . راجع ترجمته : ص ٤٦٦ .

٥ أشيع : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومه (بني قنيقاع) عن
(المدينة) عام ٢ هـ ٦٢٣ م .

٦ شمويل بن زيد : (٥ - ٥ هـ = ؟ - ٦٢٦ م) يهودي ، قتل مع قومه (بني قريظة) في (المدينة) .

٧ ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٥٧١ .

٨ عبد الله بن سلام (؟ - ٤٣ هـ = ؟ ٦٦٣ م) هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث
الإسرائيلي . صحابي ، من نسل يوسف - عليه السلام - ، كان من أحبار اليهود فأسلم وأخوه
(ثعلبة) عند قدوم الرسول ﷺ (المدينة) ، وكان اسمه (الحصين) ، فسماه الرسول ﷺ
(عبد الله) ، وفيه نزل قول الله تعالى : ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن
واستكبرتم ﴾ : سورة الأحقاف ، آية : ١٠ ، شهد مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فتح
(بيت المقدس) . ولما كانت (الفتن الكبرى) اتخذ سيفاً من خشب ، واعتزلها . توفي بـ
(المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤١٣ = ٤٢٦ ، و : ابن حجر :
الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٣ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٩٠ .

٩ انظر : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٣٠ .

سجابه به من تشكيك من قبل أولئك الأخبار المجرمين ، فعن (أنس بن مالك) (١) - رضي الله عنه - قال :

« بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ، فقال رسول الله ﷺ : خبرني بهن أنفاً جبريل ، قال : فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشراط الساعة : فتنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد الحوت ، وأما الشبه في الولد : فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها . قال : أشهد أنك رسول الله ، ثم قال : يارسول الله إن اليهود قوم بهت ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك ، فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ، قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا ، فقال رسول الله ﷺ : أفرايتم إن أسلم عبد الله ، قالوا : أعانده الله من ذلك ، فخرج عبد الله إليهم ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شربنا وابن شربنا ، ووقعوا فيه » (٢) .

١ أنس بن مالك : (١٠ ق . هـ - ٩٣ هـ = ٦١٢ - ٧١٢م) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي . صحابي ، ولد في (يثرب) ، وأسلم صغيراً ، وخدم الرسول ﷺ إلى أن قبض ، حيث رحل إلى (دمشق) ، ومنها إلى (البصرة) روى (٢٢٨٦ حديثاً) . توفي بـ (البصرة) - وهو آخر من مات فيها من الصحابة - . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٩٥ - ٤٠٦ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٨٤ - ٨٥ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ .

٢ صحيح البخاري - واللفظ له : (كتاب الأنبياء «٦٠») ، (باب خلق آدم وذريته «١») ج ٤ ص ١٠٢ - ١٠٣ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ١٠٨ ، و : آيا نعيم : دلائل النبوة ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

أما أكثرية اليهود - على الرغم من علمهم الأكيد بأن محمداً ﷺ هو النبي الذي كانوا ينتظرونه - ؛ فقد تنكبوا طريق الحق ، وآثروا الكفر على الإسلام - والعياذ بالله تعالى - .

ومما يدل على أن اليهود (١) يعلمون أن محمداً ﷺ هو النبي الذي

و ٣٥٦ - ٣٥٧ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .

١ - ليس اليهود وحدهم الذين يعلمون من بشارات (التوراة) أن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر ، وإنما يعلم غيرهم ممن أطلع على تلك البشارات ، مثل :

١ - النصارى : الذين يعلمون ذلك ؛ بناءً على بشارات (الإنجيل) - إضافة إلى (التوراة) - ، كما يدل على ذلك قصص كثيرة من أهمها :

أ - قصة أراهب (بحيرى) مع الرسول ﷺ . انظر : سنن الترمذي : (كتاب المناقب «٥٠» ، (باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ «٣» ، حديث رقم (٣٦٢٠) ، ج ٥ ص ٥٩٠ - ٥٩١ ، و : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ١٦٨ - ١٧٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٤ - ٢٩ ، و : ابن إسحاق : السير والمغازي ص ٧٣ - ٧٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ١٨٠ - ١٨٣ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١١٩ - ١٢١ و ١٥٣ - ١٥٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ١٩٩ - ٢٠١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٦ .

ب - قصة إمبراطور الروم (هرقل) مع (أبي سفيان) - رضي الله عنه - . انظر : صحيح البخاري : (كتاب بدء الوحي «١» ، (باب «٦» ج ١ ص ٤ - ٧ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢» ، (باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام «٢٦») حديث رقم (٧٤ / ١٧٧٣) ، ج ٣ ص ١٣٩٣ - ١٣٩٧ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ، و : الوادعي : الصحيح المسند من دلائل النبوة ص ٧١ - ٧٤ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

ج - قصة ملك مصر (المقوقس) مع (المغيرة بن شعبة) - رضي الله عنه - حين أخرج له تصاوير الانبياء . انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٩٠ - ٢٩٢ ، و : الذهبي : السيرة النبوية ص ٣٦٥ - ٣٧٤ .

و : انظر - أيضاً - : البيهقي : دلائل النبوة ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٩١ .

د - قصة إسلام ملك الحبشة (النجاشي) - رحمه الله تعالى - . انظر : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٣ ، و : أبا نعيم : دلائل النبوة ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٥٣ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٨٥ - ٣١٠ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٣٣٢ - ٣٤١ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٨٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية

ج ١ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

هـ - قصة (سلمان الفارسي) - رضي الله عنه - مع الرهبان . انظر : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ٤٤١ - ٤٤٤ ، و : أبا نعيم : دلائل النبوة ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٦٤ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٨٢ - ١٠٠ ، و : الدواعي : الصحيح المسند من دلائل النبوة ص ٧٤ - ٧٨ ، و : ابن إسحاق : السير والمغازي ٨٧ - ٩٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٢١٤ - ٢٢١ ، و : الذهبي : السيرة النبوية ص ٥١ - ٦٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٩٦ - ٣٠٣ .

و - قصة اعتراف رئيس وفد نجران (أبو الحارث بن علقمة) لآخية بأن الرسول ﷺ هو النبي الذي بشرت به (التوراة) و (الإنجيل) . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٦٤ - ١٦٥ .
٢ - العرب المتحققون : الذين يعلمون ذلك - أيضاً - ؛ بناءً على بشارات (التوراة) و (الإنجيل) ، كما يدل على ذلك قصص كثيرة ، من أهمها :

أ - قصة (زيد بن عمرو بن نفيل) الذي أوصى قبل مماته باتباع نبي يبعث في (مكة) . انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٧ ، و : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ١١٠ - ١٠١ ، و : ابن إسحاق : السير والمغازي ص ١١٥ - ١١٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢-١ ص ٢٢٤ - ٢٣٢ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ١٥٣ - ١٦٥ .

ب - قصة (ورقة بن نوفل) مع الرسول ﷺ عندما بدأه الوحي . انظر : صحيح البخاري : (كتاب بدء الوحي «١») ، (باب «٣») ج ١ ص ٤-٣ ، و : صحيح مسلم (كتاب الإيمان «١») ، (باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ «٧٣») ، حديث رقم (٢٥٢ / ١٦٠) ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٢ ، و : مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ١٢٧ - ١٢٨ ، و : ابن إسحاق : السير والمغازي ص ١٢٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ١٩٥ .

و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٩٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ و ٣٠٢ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٣٩٦ - ٤٠١ .

ج - قصة (أمية بن الصلت) الذي كان يعرف قرب مبعث نبي ، وكان يأمل أن يكونه . انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٩٣ - ١٩٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ١٢٢ - ١٤٠ .

إلى غير ذلك من القصص الكثيرة ، سواء منها ما كان عن طريق البشارات - التي ذكرنا - ، أم عن طرق أخرى : كروى الملوك ، وأخبار الكهان ، وهواتف الجان ، وتغير الافلاك ؛ مما هو

١ - اعتراف الاقلية من أحبارهم علناً (١) بأن محمداً ﷺ هو النبي الذي كانوا ينتظرونه ، ومن ثم إيمانهم به ، فعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - قال :

« لانا كنت أشد معرفة برسول الله ﷺ مني بابني ، فقال له عمر بن الخطاب : وكيف ذاك يا ابن سلام ؟ قال : لاني أشهد أن محمداً رسول الله حقاً يقيناً ، وأنا لا أشهد بذلك على ابني ؛ لاني لا أدري ما أحدث النساء ، فقال عمر : وفقك الله يا ابن سلام » (٢) ؛ ولذلك أنزل الله تعالى في (أهل الكتاب) :

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (٣) .

٢ - اعتراف البعض من أحبارهم سراً (٤) بأن محمداً ﷺ هو النبي الذي

مدون في كتب (الحديث الشريف) و (دلائل النبوة) و (السيرة النبوية) .

١ لم يكن (عبدالله بن سلام) - رضي الله عنه - هو الحبر الوحيد الذي عرف الرسول ﷺ وآمن به ، وإنما هنالك غيره من الاحبار ، ومن أهمهم :

١ - مخيريق - رضي الله عنه - .

٢ - ثعلبة بن سعية - رضي الله عنه - .

٣ - أسيد بن سعية - رضي الله عنه - .

٤ - أسد بن عبيد - رضي الله عنه - .

٥ - زيد بن سعدة - رضي الله عنه - .

و : لمزيد من المعلومات حول اعترافهم . انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٨١ - ٨٢ و ٩١

- ٩٣ ، و : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ و ج ٢ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، و : ابن

هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٥١٨ و ج ٣ - ٣ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، و : البيهقي : دلائل

النبوة ج ٤ ص ٣١ - ٣٢ و ج ٦ ص ٢٧٨ - ٢٨١ .

٢ الواحدي : أسباب نزول القرآن - واللفظ له - ص ٤٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٤ .

٣ سورة البقرة ، آية : ١٤٦ .

٤ لم يكن (حيى بن أخطب) هو الحبر الوحيد الذي عرف الرسول ﷺ وكفريه حسداً ، وإنما هنالك غيره من الاحبار ، ومن أهمهم : كنانة بن صوريا ، وسلام بن مشكم - ويقال : إنه أسلم

كانوا ينتظرونه ، فعن أم المؤمنين صفية بنت حيي - رضي الله عنها -
قالت :

« كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد
لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ونزل فناء
بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي (حيي بن أخطب) (١) وعمي (أبو ياسر
بن أخطب) (٢) مغلسين (٣) . قالت : فلم يرجعا حتى كان مع غروب
الشمس . قالت : فأتيا كآلين ، كسلانين ، ساقطين ، يمشيان الهوينى . قالت :
فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلي واحد منهما ، مع ما
بهما من الهم . قالت : فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن
أخطب : أهو هو ؟ ، قال : نعم والله ؛ قال أتعرفه وتثبته ؟ ، قال : نعم ؛
قال : فما في نفسك منه ؟ ، قال : عداوته والله ما بقيت أبداً » (٤)

ولذا ، قال الله تعالى في هؤلاء اليهود الذين لم يؤمنوا برسوله محمد

ﷺ :

نفاقاً - و كعب بن أسد و عبدالله بن سوريا و سلام بن أبي الحقيق ، و : لمزيد من
المعلومات حول اعترافهم . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ و ٤٦٨ - ٤٦٩ و
ج ٢ ص ٥٠١ - ٥٠٢ و ٥١٦ و ٦٧٧ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٥٦٥ و ج
٣ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

١ راجع : ترجمة (حيي بن أخطب) ص ٤٤٢ .

٢ أبو ياسر بن أخطب : (القرن ١ ق هـ = ٦-٧ م) يهودي ، وهو أخ لـ (حيي ابن أخطب) . أجلي
مع قومه (بني النضير) من (المدينة) عام ٤هـ - ٦٢٥ م .

٣ الفلاس : ظلمة آخر الليل . انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط (مادة غلس) ، ج ٢ ص
٢٣٥

٤ أبو نعيم : دلائل النبوة ص ٧٧ - ٧٨ .

و : قد أوردت - ذلك - أيضاً كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج
٢-١ ص ٥١٨ - ٥١٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٩٨ .

﴿بِعِصْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١) .

وهذه الآية الكريمة تحوي الرد على اليهود ، حيث جاء في آخرها قوله
سبحانه: ﴿فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ .

أي : أن هؤلاء اليهود استحقوا الغضب من الله تعالى بكفرهم بنبوة
محمد ﷺ ، وإنكارهم أن يكون هو الذي يجدون صفته في كتابهم (التوراة)
؛ عناداً منهم ، وحسداً له ولقومه العرب ، كما استحقوا غضباً سالفاً ؛
بكفرهم بعيسى - عليه السلام - ؛ أو لعبادتهم العجل ؛ أو لغير ذلك من
ذنوب كانت لهم سلفت يستحقون بها العذاب المهين (٢) .

وبناءً على كل ذلك ؛ فإن ما زعمه اليهود من أن محمداً ﷺ ليس هو
النبي المنتظر الذي بشرت به الكتب السماوية السابقة غير صحيح ؛ لأن
تلك البشارات - على الرغم من تحريفهم لأكثرها - لا تنطبق إلا عليه وحده -
كما رأينا - .

وحتى على الفرض - جدلاً - أنه لا بشارة بمحمد ﷺ في كتبهم ، فهل
من شرط الإيمان به وجود مثل تلك البشارات ؟!

- إن العرب - وغيرهم - آمنوا بمحمد ﷺ ، وأكثرهم لا يعرف من أمر
تلك البشارات شيئاً ؛ لأن صدق الرسول ﷺ واضح لذوي العقول في كل
أفعاله وفي كل أقواله ، ولا سيما في هذا (القرآن الكريم) المعجز ، الذي

١ سورة البقرة ، آية : ٩٠ .

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤١٦ - ٤١٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج
١ ص ١٢٥ .

جاء به من عند الله تعالى ، (١)

إن الأجدر باليهود - وقد كان لديهم زيادة علم ، تتمثل في معرفة البشارة بالرسول ﷺ من خلال كتبهم مما هو ليس عند غيرهم - أن يكونوا أول من يؤمن به ، بعد أن تحققوا من أنه النبي الذي كانوا ينتظرونه !

وعلى ذلك ، فليس لليهود من حجة يحتجون بها على عدم الإيمان برسول الله ﷺ وتصديقه فيما جاء به من عند الله تعالى ، سوى الحسد له ولقومه العرب (٢) - والعياذ بالله تعالى - ١ .

٢ - مطالبتهم للرسول ﷺ بالمطالب المتعنتة :

لقد طالب اليهود الرسول ﷺ - على سبيل التحدي - بمطالب متعنتة ؛ لإظهاره بمظهر العاجز عن تحقيق مقترحاتهم ؛ لكي ينصرف الناس عن دعوته ، ومن ذلك :

أ - طلبهم : أن ينزل الرسول ﷺ عليهم كتاباً من السماء :

من المطالب المتعنتة التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، طلبهم : أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ! ، فعن (محمد بن كعب القرظي) (٣) -

١ لمعرفة بعض معجزات الرسول ﷺ . انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ، و : النيهقي : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، و : مقبل بن هادي الوادعي : الصحيح المسند من دلائل النبوة.

٢ راجع : (أسباب عداة اليهود للرسول ﷺ والمسلمين والإسلام) ص ٤٨٩.

٣ محمد بن كعب القرظي : (؟ - ١٠٨ = ٧٢٦م) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم القرظي . تابعي والده (كعب) من سبي (يهود بني قريظة) كان ثقة ، عالماً ، كثير الحديث ، سكن (الكوفة) ثم (المدينة) ، حيث توفي بها . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٦٥ - ٦٨ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٢٨٠ .

رحمه الله تعالى - قال :

« جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : إن موسى جاء بالآلواح من عند الله ، فأتينا بالآلواح من عند الله حتى نصدقك » (١) ،
فأنزل الله تعالى :

﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتيناه موسى سلطاناً مبيناً﴾ (٢) .

فهذا المطلب اليهودي ، وهو (أن ينزل الرسول ﷺ عليهم كتاباً من السماء) ، « ليس من شأنه أن يزيد في تأييد رسالة محمد شيئاً ، إلا أن يروا بأعينهم أن كتاباً مخطوطاً قد نزل من السماء ، أما مضمون هذا الكتاب الذي يحوي شريعة الله لعباده ، كما يحتوي على معاني الإعجاز المثبتة أنه كتاب من عند الله ، فقد أنزله الله على رسوله فعلاً وهو القرآن العظيم ، وقد اختار أن ينزله كلاماً مسموعاً على لسان نبي أمي لم يعرف القراءة والكتابة ، ومنجماً متدرجاً على دفعات حسبما تقتضي الحكمة التربوية التشريعية التي يعلمها الله ؛ لأن هذه الطريقة من طرق تنزيل الكتب السماوية من شأنها أن تحقق مصالح الرسالة ، ومقاصد الشريعة المراد لها أن تكون خاتمة الرسالات السماوية ، ما لا يحققه نزول كتاب مخطوط من السماء دفعة واحدة ، ورؤية كتاب مخطوط نازل من السماء مثل بعض المعجزات الأخرى التي أجراها الله لرسوله محمد صلوات الله

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٦ ص ٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١

ص ٥٧٢ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٧٩ ، و : السيوطي : لباب التقول ص ٨٥ .

٢ سورة النساء ، آية : ١٥٣ .

عليه ، فما وجه التعنت في اشتراطهم على الله أن يحقق لهم هذه الصورة التي طلبوها منه حتى يقبلوا الدخول في الإسلام ، وأن يرفضوا الصور الأخرى المماثلة التي اختارها الله لتكون معجزات مثبتة صدق رسوله » . (١)

ولذلك ، رد الله تعالى على اليهود طلبهم - هذا - بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾

والنتيجة أن الله تعالى عاقبهم على ظلمهم بعقوبة صارمة ، حيث جاء في آخر الآية الكريمة السابقة ، قوله سبحانه :

﴿فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ .

فكانت عقوبتهم هذه ، بسبب ظلمهم ؛ « لأن أحداً من الرسل لا يملك بذاته شيئاً من المعجزات ، ولا يملك أن يختار منها ما يريد ، حتى يستجيب لقومه ما يشتهونه عليه منها ، أو يفعل بإذنه شيئاً من ذلك ، ولكن المعجزات بيد الله ، يجري الله منها لأي رسول من رسله بالمقدار الذي يعلم أنه كاف في بيان صدقه ، وتدعيم رسالته ، ومن سنة الله في تأييد رسله أن يختص كل رسول منهم بطائفة من خوارق العادات ، وأن لا يجعل المعجزات لرسله على صورة واحدة ، حتى يكون تكرارها فيهم مدعاة لتوهم أنها ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، من شأنها أن تحدث ولو في حالات نادرة بدليل تكرر حدوثها . وقضية الإيمان بالله وكتبه ورسله قضية معرفة فكرية ، يطالب العقلاء بالتأمل في مضمونها العلمي ، فإذا رأوا أنها حق من عند الله كان التزاماً عليهم أن يتبعوها ، ولا يعفيهم عند الله من مسؤولية الاتباع

١ عبد الرحمن الميداني : مكايد يهودية ص ٥٦ - ٥٧ .

تحللات متعنتة ، واعتذارات تافهة ، مادامت شواهد هذه المعرفة وأدلتها مثبتة أنها من عند الله حقاً ، ولاسيما الذين لهم معرفة سابقة بأصول شرائع الله ، وطرق تبليغها ، كبنى إسرائيل الذين أهلكهم (١) الله بكثرة مسائلهم ، واختلافهم على (٢) أنبيائهم « (٣)

ب - طلبهم : أن يفجر الرسول ﷺ لهم أنهاراً :

ومن المطالب المتعنتة التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، طلبهم : أن يفجر لهم أنهاراً ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

١ لقد نهى الرسول ﷺ عن (كثرة السؤال) : خوفاً من العقوبة ، فعن المغيرة بن شعبه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله عز وجل حرم عليكم : عقوق الامهات ، ووأد البنات ، ومنما وهات . وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » : صحيح مسلم - واللفظ له - (كتاب الاتضية «٣٠» ، (باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة «٥» ، حديث رقم (١٢-٥٩٣) ، ج ٣ ص ١٣٤١ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الادب «٧٨» ، (باب عقوق الوالدين من الكبائر «٦» ، ج ٧ ص ٧٠ ، و : سنن الدارمي : (كتاب الرقائق) ، (باب إن الله كره لكم قيل وقال) ، ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١١ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ٢٤٦ ، و : موطأ الإمام مالك : (كتاب الكلام «٥٦» ، (باب ما جاء في إضاعة المال «٨» ، حديث رقم (٢٠) ، ج ٢ ص ٩٩٠

٢ عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« دعوني ما تركتكم ، إنما أهلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة «٩٦» ، (باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ «٢» ، ج ٨ ص ١٤٢ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الحج «١٥» ، (باب فرض الحج مرة في العمر «٧٣» ، حديث رقم (١٣٣٧/٤١٢) ، ج ٢ ص ٩٧٥ ، و : سنن ابن ماجه : (المقدمة) ، (باب اتباع سنة رسول الله ﷺ «١» ، حديث رقم (٢) ، ج ١ ص ٣ ، و : سنن الترمذي : (كتاب العلم «٤٢» ، (باب في الانتفاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ «١٧» ، حديث رقم (٢٦٧٩) ، ج ٥ ص ٤٧ ، و : سنن النسائي : (كتاب مناسك الحج «٢٤» ، (باب وجوب الحج «١» ، حديث رقم (٢٦١٩) ، ج ٥ ص ١١٠ - ١١١ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ٢٤٧ .

٣ عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٥٨ - ٥٩ .

« قال (رافع بن حريمة) (١) و (وهب بن زيد) (٢) لرسول الله ﷺ ...
فجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك » (٣) ، فأنزل الله تعالى :
﴿أَمْ تَرْيَدُونَ أَنْ نَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ
يَتَبَدَّلُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٤) .

فهذا المطلب اليهودي ، وهو (أن يفجر الرسول ﷺ لهم أنهاراً) ،
ليس الغرض منه التأكيد من صدق رسالة محمد ﷺ بعد أن أجرى الله له
من المعجزات مافية تثبت كاف لرسالته ، ومنها نبع الماء من بين أصابعه
صلوات الله عليه (٥) ، ولكن في هذا المطلب تعنتاً كان لهذين اليهوديين

- ١ رافع بن حريمة (القرن ١ ق . هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي منافق من (بني قينقاع) .
- ٢ وهب بن زيد : (٥ هـ = ٩ - ٦٢٦ م) يهودي ، قتل مع قومه (بني قريظة) في (المدينة) .
- ٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ١ ص ٤٨٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٥٢ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣٢ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٥ .
- ٤ سورة البقرة ، آية : ١٠٨ .
- ٥ عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال :

« عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه . فقال :
مالك ، قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل
الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت (القاتل الراوي عن جابر) : كم
كنتم ، قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » : صحيح البخاري - واللفظ له -
(كتاب المناقب «٦») ، (باب علامات النبوة في الإسلام «٢٥») ، ج ٤ ص ١٧٠ . و : سنن
الدارمي : (المقدمة) ، (باب ما أكرم الله النبي ﷺ من تفجير الماء بين أصابعه) ج ١ ص ١٤ ،
و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٣٤٣ ، و : أبونعيم : دلائل النبوة ص ٤٠٦ - ٤٠٧ ،
و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ١١٥ - ١١٦ ، و : الواحدي : الصحيح المسند من دلائل
النبوة ص ١٢١ - ١٢٢ .

و : قد وردت روايات من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : صحيح البخاري : (كتاب
المناقب «٦١») ، (باب علامات النبوة في الإسلام «٢٥») ، ج ٤ ص ١٦٨ - ١٧١ ، و : صحيح
مسلم : (كتاب الفضائل «٤٣») ، (باب في معجزات النبي ﷺ «٣») ، الأحاديث رقم
(٢٢٧٩/٧-٤) ج ٤ ص ١٧٨٣ - ١٧٨٥ ، و : سنن الدارمي : (المقدمة) ، (باب ما أكرم الله
النبي ﷺ من تفجير الماء بين أصابعه) ، ج ١ ص ١٣ - ١٥ ، و : سنن الترمذي : (كتاب
المناقب «٥٠») ، (باب «٦») ، الحديث رقم (٣٦٣١ و ٣٦٣٣) ج ٥ ص ٥٩٦ و ٥٩٧ ، و : سنن

منه غرضان خبيثان :

الغرض الأول : دغدغة مطامع عرب الحجاز وتعليقها بوجود أنهار وجنات في المنطقة ، حتى يصروا على جعل تحقيق ذلك شرطاً لدخولهم في الإسلام .
الغرض الثاني : إخراج الرسول في مطلب [قد] لا يستجيب الله له ، لما فيه من المطالبة بتغيير نظام الأرض ، بعد أن قسم الله الخصائص على أماكنها وبقعها وفق حكمته التي رتبها في كونه ، وتفجير الأنهار الكبيرة في منطقة الحجاز مخالفاً لنظام المقادير التي وزعها الله في الأرض وفق علمه وحكمته ، وهذا يستدعي أن يغير الله النظام العام الثابت في كونه من أجل تشهيات بعض المتعنتين ، على أن هؤلاء كثيرون في الناس ، ولهم في كل يوم تشه جديد ، ولو استجاب الله لكل ذي تعنت لتحولت مهمة الرسول من مهمة تبليغ تعاليم الله للناس إلى تلاعب في أنظمة الكون ، على أنه ليس لديهم ضرورة ضماً شديد تدعو إلى إجراء مثل هذه المعجزة ، ولو كان لديهم ضرورة حقيقية لا تعنت معها لاستجاب الله لهم ذلك كما استجاب لبني إسرائيل في التيه « (١) ، حين استسقى موسى - عليه السلام - ، حيث يقول سبحانه :

﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾ (٢)

النسائي : (كتاب الطهارة «٦») ، (باب الوضوء من الإناء «٦١») ، الحديث رقم (٧٦ - ٧٧) ، ج ١ ص ٦٠ - ٦١ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ١٣٢ و ١٤٧ و ١٧٠ و ٢١٥ و ٢٨٩ ، و : موطأ الإمام مالك : (كتاب الطهارة «٢») ، (باب جامع الوضوء «٦») ، حديث رقم (٣٢) ، ج ١ ص ٣٢ ، و : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٤٠٥ - ٤١٣ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ١١٥ - ١٣٠ ، و : الوادعي : الصحيح المسند من دلائل النبوة ص ١١٣ - ١٣٣ .

١ عبد الرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٥٧ .

٢ سورة البقرة ، آية : ٦٠ .

وقد رد الله تعالى على اليهود طلبهم - هذا - ، بما جاء في الآية الكريمة السابقة ، حيث يقول سبحانه :

﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ .

وهذا السؤال الذي سئل موسى - عليه السلام - هو : سؤال اليهود له أن يريهم الله تعالى جهرة ! (١) .

فكان هذا الرد الإلهي على اليهود ، هو نفس الرد عليهم ، حين طلبوا أن ينزل الرسول ﷺ عليهم كتاباً من السماء - كما عرضنا له في الفقرة السابقة - .

ج - طلبهم : أن يكلمهم الله تعالى مباشرة :

ومن المطالب المتعنتة التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، طلبهم : أن يكلمهم الله تعالى مباشرة ! . فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ : إن كنت رسولا من عند الله كما تقول ، فقل لله عز وجل فليكننا حتى نسمع كلامه » (٢) ، فأنزل الله تعالى :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٨٣ - ٤٨٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٥٢ .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ١ ص ٥١٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٤٩ .

فهذا المطلب اليهودي ، وهو (أن يكلمهم الله تعالى مباشرة) - سواء أكان مشافهة ، أم بواسطة الوحي - ، ليس الغرض منه التعرف على صدق رسالة الرسول ﷺ ، وإنما الغرض الحقيقي هو : إخراج الرسول ﷺ في طلب لا يستجيب الله تعالى له ﴿٢﴾

١ سورة البقرة ، آية : ١١٨ .

٢ إن رؤية الله تعالى مستحيلة لعدم قدرة البشر على تحمل ذلك في الدنيا ، حيث يقول سبحانه : ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ : سورة الاعراف ، آية : ١٤٣ . وهذا ما جاءت به القوراه - أيضاً - ، حيث جاء فيها - إن صبح النص - قول الله تعالى لموسى - عليه السلام :

« لا تقدر أن ترى وجهي . لأن الإنسان لا يراني ويعيش » : خروج ، إصحاح (٣٣) فقرة : ٢٠ . قاله تعالى - كما يقول عن نفسه - :

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ : سورة الأنعام ، آية : ١٠٣ . وهذا النفي ليس على التأييد ، بل هو مؤقت في الحياة الدنيا - كما ذكرنا - ، وقد خصصه قول الله تعالى :

﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ : سورة يونس ، آية : ٢٦ .

ومن تفاسير (الزيادة) - على (الحسنى التي هي الجنة) - أنها : النظر إلى وجه الله الكريم . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١١ ص ١٠٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤١٤ .

وروى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال :

« قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ، قال : هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صهراً ؟ ، قلنا : لا ، قال : فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب التوحيد «٩٧») ، (باب قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة «٢٤») ، ج ٨ ص ١٨١ . : صحيح مسلم : (كتاب الإيمان «١») ، (باب معرفة طريق الرؤية «٨١») ، حديث رقم (٣-٢ / ١٨٣) ، ج ١ ص ١٦٧ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الزهد «٣٧») ، (باب صفة الجنة «٣٩») ، حديث رقم (٤٣٣٦) ، ج ٢ ص ١٤٥١ ، و : سنن أبي داود : (كتاب السنة) ، (باب في الرؤية) ، حديث رقم (٤٧٣٠) ، ج ٤ ص ٣٣٣ ، و : سنن الترمذي : (كتاب صفة الجنة «٣٩») ، (باب ماجاء في رؤية الله تبارك

ولكن الله تعالى يرد على اليهود طلبهم - هذا بما جاء في آخر الآية
الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا
الآيات لقوم يوقنون﴾ .

وهذا القول الذي قاله من قبلهم : هو قول اليهود لموسى - عليه
السلام - : أرنا الله جهرة ؟ (١) .

فكان هذا الرد الإلهي على اليهود - هنا - هو نفس الرد عليهم
- أيضاً - ، حين طلبوا : أن ينزل الرسول ﷺ عليهم كتاباً من السماء ،
وكذلك حين طلبوا : أن يقجر الرسول لهم أنهاراً - كما عرضنا له في
الفقرتين السابقتين - .

فهذه المطالب المتعنتة التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، « إن
كان غرضهم معرفة صدق رسالة محمد بدليل المعجزة ، فقد سبق لهم أن
اطلعوا على معجزات كثيرة تشهد بصدقه ، وأهما بالنسبة إلى اليهود ما
في كتبهم من بيان لصفاته واسمه ، وما أنزل الله في القرآن الكريم من
آيات أظهرت كثيراً مما يكتُمون ، وكشفت كثيراً من الحقائق التاريخية
والدينية ، التي لا يمكن أن يعلمها إلا رسول يبلغ عن الله » (٢) .

لقد كشفت هذه المطالب اليهودية وجه الشبه الكبير بمطالب أسلافهم
، مع تباعدها في الزمان ، وتباينها في المكان ، واختلافها في الأشخاص ؛
مما يدل على تشابه قلوبهم في العناد والضلال .

وتعالى (١٦) ، حديث رقم (٢٥٥١) ، ج ٤ ص ٦٨٧ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ١٦

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٥١٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص

٣ - إدعائهم أنهم ما تركوا الإيمان بمحمد ﷺ حسداً :

يزعم اليهود أنهم ما تركوا الإيمان بمحمد ﷺ حسداً ، وإنما تركوه لدعاوى تعللوا بها ؛ ليظهروا - أمام الناس - بمظهر المحافظين على دينهم ، ومن أهم تلك الدعاوى :

أ - دعواهم : أن محمداً ﷺ لا تستنده المعجزات :

من الدعاوى الباطلة التي أراد منها اليهود الطعن في نبوة الرسول ﷺ دعواهم : أن الرسول ﷺ لم يأت بالمعجزات التي أتى بها الأنبياء السابقون عليه ، فإذا لم يؤمنوا به فهم معذرون ؛ لأنه ليس صادقاً في ادعائه النبوة - فيما يزعمون - ؛ فعن (الكلبي) (١) - رحمه الله تعالى - قال :

« أتوا [أي نفر من اليهود] (٢) رسول الله ﷺ ، فقالوا : تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا ، وأنزل عليك كتاباً ، وأن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقرآن تأكله النار ، فإن جئتنا به صدقناك » ! (٣) فأنزل الله تعالى :

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نؤمنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِنَا

٢ عبد الرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٥٦ .

١ الكلبي : (؟ - ١٤٦هـ = ؟ - ٧٦٣م) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي . تابعي ، من أهل (الكوفة) ، نسابة ، راوية ، عالم بالتفسير ، والإخبار ، وأيام العرب ، ومكنه ضعيف الحديث ، وقيل : إنه كان (سبئياً) . انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٤٧٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٦ ص ١٣٣ .

٢ هؤلاء نفر من اليهود ، هم : (كعب بن الأشرف) ، و (مالك بن الصيف) ، و (وهب بن يهودا) ، و (زيد بن ثابت) ، و (فتاح بن غزوراء) ، و (حيي بن أخطب) . انظر : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٢٩ .

٣ الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٢٩ .

بقربان تأكلة النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ﴿١﴾

أي : أن هؤلاء اليهود يزعمون أن الله تعالى عهد إليهم ألا يؤمنوا
لرسول حتى يكون من معجزاته : أن من تقرب إلى الله بصدقه من أمته ،
فتقبلت منه ، أن تنزل نار من السماء فتأكلها ، فعن عبد الله بن عباس -
رضي الله عنهما - قال :

« كان الرجل يتصدق ، فإذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء
فأكلته » . (٢)

وقد رد الله تعالى على اليهود دعواهم الباطلة - هذه - بـ (أن الله
تعالى عهد إليهم ألا يؤمنوا برسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار) ، بما
جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - وما بعدها ، حيث يقول
سبحانه :

﴿قل قد جاءكم رسل من قبل بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم
إن كنتم صادقين * فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا
بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾ (٣)

أي : قل - يا محمد - : لهؤلاء اليهود الذين كذبوك : قد جاءكم رسل
كثيرون قبلي بالحجج الواضحة وبما طلبتم من النار التي تأكل القرابين
المتقبلة ، فلم قابلتهم بالتكذيب والإيذاء والتقتيل ، إن كنتم صادقين في
دعواكم أنكم تصدقون من جاءكم بمثل ما طلبتم ؟ ، ولكن هذه عادتهم في

١ سورة آل عمران ، آية : ١٨٣ .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٤ ص ١٩٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج
١ ص ٤٣٤ .

٣ سورة آل عمران ، آية : ١٨٣ - ١٨٤ .

ب - دعواهم : أن دعوة محمد ﷺ مخالفة لدعوة إبراهيم - عليه السلام - :

ومن الدعاوي الباطلة التي أراد منها اليهود الطعن في نبوة الرسول ﷺ ، دعواهم : أن دعوة الرسول ﷺ مخالفة لدعوة أبيه إبراهيم - عليه السلام - (اليهودية) ! ، ولو كانت موافقة لها لآمن محمد ﷺ معهم بـ (اليهودية) ، ولا حاجة إلى دين جديد ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« دخل رسول الله ﷺ بيت (المدراس) (٢) على جماعة من اليهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له (نعيم بن عمرو) (٣) و (الحارث بن زيد) (٤) : على أي دين أنت يا محمد ؟ ، فقال : على ملة إبراهيم ، قالا : إن إبراهيم كان يهودياً ، فقال رسول الله ﷺ : فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم ، فأبيا عليه « ! (٥) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعوون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ (٦)

- ١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ١٩٧ - ١٩٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٣٤ .
- ٢ المدراس - (Midrash) : كلمة عبرية ، مشتقة من الفعل العبري : (درش) أي : استطلع ، أو بحث ، أو درس ، فالكلمة معناها إذن : (المدرسة) . انظر : موسوعة المفاهيم ص ٣٦٠ .
- ٣ نعيم بن عمرو : (القرن ١ ق هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . لم أقف له على قبيلة .
- ٤ الحارث بن زيد : (القرن ١ ق هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . لم أقف له على قبيلة .
- ٥ الواحدي : أسباب نزول القرآن - واللفظ له - ص ٩٣ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٣ ص ١٤٥ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٥١ .
- ٦ سورة آل عمران ، آية : ٢٣ .

وستحدث - إن شاء الله تعالى - عن زعمهم : أن إبراهيم - عليه السلام - يهودياً في موضع آخر . (١)

ج - دعواهم : أنهم أهل علم :

ومن الدعاوى الباطلة التي أراد منها اليهود الطعن في نبوة الرسول ﷺ ، دعواهم : أنهم أهل علم ومعرفة ، فليسوا في حاجة إلى علم جديد ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال :

« دعا رسول الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عقاب الله ونقمته ، فقال له (رافع بن خارجه) (٢) و (مالك بن عوف) (٣) : بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا ، فإنهم كانوا أعلم وخيراً منا » (٤) ! ،

فأنزل الله تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٥)

وقد رد الله تعالى على اليهود دعواهم الباطلة - هذه - ب (أنهم أهل علم) ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

-
- ١ راجع : (جدلهم في ملة إبراهيم - عليه السلام -) ص ٢٣٧ .
 - ٢ رافع بن خارجه : (القرن ١ ق ٠ هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . أجلى مع قومه (بني قينقاع) عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .
 - ٣ مالك بن عوف : (القرن ١ ق ٠ هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . أجلى مع قومه (بني قينقاع) عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .
 - ٤ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٢ ص ٧٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٠٤ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٣١ - ٣٢ .
 - ٥ سورة البقرة ، آية : ١٧٠ .

﴿أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ •

أي : كيف تتركون - أيها اليهود - ما يأمركم به ربكم ، وتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ، وهم لا يعقلون من أمر الله تعالى شيئاً ، ولا هم مصيبون حقاً ؟ ! (١)

ولكنه الحسد والعناد ، حيث يقول الله تعالى حكاية عنهم :

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا

يُؤْمِنُونَ﴾ • (٢)

أي : أن هؤلاء اليهود يدعون أن قلوبهم أوعية مملوءة علماً ، فلا تحتاج - بعده - إلى علم آخر ، سواء أكان من محمد ﷺ ، أم من غيره ! ، ولذلك كان الإيمان فيهم قليلاً : فقليل منهم دخل الإسلام ، وأكثرهم قليل الإيمان بما في أيديهم من (التوراة) • (٣)

د - دعواهم : أن الهدى في اتباع سبيلهم :

ومن الدعاوي الباطلة التي أراد منها اليهود الطعن في ثبوت الرسول ﷺ ، دعواهم : أن الهدى في اتباع ديانتهم (اليهودية) ، فليسوا في حاجة إلى ديانة أخرى ! ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« قال (عبدالله بن سوريا الأعور) (٤) لرسول الله ﷺ : ما الهدى إلا

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٧٨ - ٧٩ .

٢ سورة البقرة ، آية : ٨٨ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٠٦ - ٤٠٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

٤ عبدالله بن سوريا الأعور : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، من (بنو ثعلبة) . ويقال : إنه أسلم . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣١٨ - ٣١٩ .

ما نحن عليه ، فاتبعنا يامحمد تهتد ، وقالت النصارى : مثل ذلك « (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً

وما كان من المشركين﴾ (٢) .

أي : أن هؤلاء اليهود قالوا لغيرهم : لا دين إلا (اليهودية) ، وقالت

النصارى لغيرهم : لا دين إلا (النصرانية) ، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم

في قوله سبحانه :

﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست

اليهود على شيء﴾ (٣) .

وقد رد الله تعالى على اليهود دعواهم الباطلة - هذه - ب (أن الهدى

في إتباع سبيلهم ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ،

حيث يقول سبحانه :

﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ .

أي : قل - يامحمد - : لهؤلاء اليهود - والنصارى - : ليس الهدى في

أن نتبع ملتكم ، بل الهدى في أن نتبع ملة إبراهيم المستقيم على دين

الوحدانية (الإسلام) ، البريء من كل دين يخالفها ، سواء أكانت

(اليهودية) ، أم (النصرانية) ، أم غيرهما ، وفي ذلك تعريض بأن ملتهم

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ١ ص ٥٦٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

١ ص ١٨٦ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٩ .

و : قد وردت رواية - عن طريق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الواحي : أسباب نزول

القرآن ص ٢٨ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١٣٥ .

٣ سورة البقرة ، آية : ١١٣ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذه الآية الكريمة . راجع : ص ٢٧١ .

ليست مستقيمة ، بل هي معوجة . (١)

ثم أرشد الله تعالى عبادة المؤمنين في الآية الكريمة التالية -
مباشرة - إلى جواب جامع ، يدعو إلى اتباع الوحي الإلهي ، الذي جاء به
جميع المرسلين - عليهم السلام - ، دون تفريق بين أحد منهم ، حيث يقول
سبحانه :

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من
ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ . (٢)

ثم بين الله تعالى في الآية الكريمة التالية - مباشرة - أن اليهود -
والنصارى وغيرهم - إن آمنوا بما دعوتهم إليه فقد أصابوا الهدى ، وإن
أعرضوا عنه فهم معاندون مستكبرون ، ولن يضروكم شيئاً ؛ لأن الله تعالى
سينصركم عليهم ، حيث يقول سبحانه :

﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في
شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ . (٣)

ثم وضع الله تعالى في الآية الكريمة التالية - مباشرة - ، أن دين
الإسلام أولى من غيره بالاتباع ، حيث يقول سبحانه :

﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ . (٤)

هـ - دعواهم : أنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم فقط :

١ انظر : الرازي : التفسير الكبير ج ٤ ص ٨٠ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

٣ سورة البقرة ، آية : ١٣٧ .

٤ سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .

ومن الدعاوى الباطلة التي أراد منها اليهود الطعن في نبوة الرسول ﷺ ، دعواهم : أنهم لا يؤمنون إلا بـ (التوراة) التي أنزلت عليهم - فقط - ، وليسوا في حاجة إلى كتاب آخر بعده ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« جاء رسول الله ﷺ (رافع بن حارثة) (١) و (سلام بن مشكم) و (مالك بن الصيف) و (رافع بن حريمة) ، فقالوا : يا محمد ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ فقال رسول الله ﷺ : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها ، مما أخذ عليكم من الميثاق ، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس ، وأنا بريء من إحداثكم ، قالوا : فلما نأخذ بما في أيدينا ، فانا على الحق والهدى ، ولا نؤمن بك ، ولا نتبعك ! (٢) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين ﴾ (٣) .

وهذه الآية الكريمة تتضمن الرد على اليهود في دعواهم الباطلة - هذه - بـ (أنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم فقط) من (التوراة) ، بينما يكفرون بما عداها من الكتب المنزلة الأخرى ، سواء أكانت (الإنجيل) الذي جاء به عيسى - عليه السلام - ، أم (القرآن الكريم) الذي جاء به محمد ﷺ .

١ رافع بن حارثة : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلى مع قومه (بني قينقاع عن المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٦ ص ٣١٠ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٩٥ .

٣ سورة المائدة ، آية : ٦٨ .

وقد حكى القرآن الكريم دعوى اليهود - هذه - ، ورد عليها بما يبطلها ، حيث يقول الله تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمَنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)

فهذه الكتب الإلهية التي يرفضها اليهود ، حق مصدق لتوراتهم التي لا يؤمنون بها حقاً ؛ لأنهم لو كانوا يؤمنون بها : لما قتلوا أنبياء الله تعالى ، مع أنها تحرم عليهم قتلهم ، بل وتوجب عليهم اتباعهم ، ولما تركوا ما أمرهم به نبيهم موسى - عليه السلام - من عبادة الله تعالى ، وفعلوا ما نهاهم عنه من عبادة العجل ، ولما تركوا العمل بأحكامها ، وأعلنوا تمردهم عليها ؛ مما يدل على أنهم ليسوا على شيء من الإيمان ، حتى يعملوا ب (التوراة) ، التي هي مصدق لجميع ما أنزل الله تعالى ، وفي خاتمة ما أنزل (القرآن الكريم) ؛ لأن تكذيبهم لأي كتاب نزل من عند الله تعالى ، سواء أكان سابقاً أم لاحقاً ، كفر ، جزاؤه جهنم وبئس المصير (٢)

فهذه الدعاوى الباطلة ، التي أراد منها اليهود الطعن في نبوة الرسول ﷺ ، محاولين « أن يقتصر في رسالته على دعوة مشركي العرب إلى

١ سورة البقرة ، آية : ٩١ - ٩٣ .

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤١٨ - ٤٢٤ و ج ٦ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، و : ابن كثير :

تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٦ و ج ٢ ص ٨٠ .

الإسلام ، ويكف عن دعوة اليهود إليه ، ويجعلهم بمعزل عنه ، ويعتبرهم على حق ، ويسلم لهم بجميع ما هم عليه ، ويتركهم وشأنهم يعيشون في دين الله ، ويعيشون في الأرض فساداً . (١)

٤ - محاولات الطعن فيما جاء به محمد ﷺ من القرآن الكريم :

ومن الوسائل الخبيثة التي اتبعها اليهود للطعن في نبوة الرسول ﷺ ، محاولاتهم : الطعن في (القرآن الكريم) الذي جاء به محمد ﷺ ، حيث سلكوا في ذلك مسلكاً جديلاً ، تمثل فيما يأتي :

- ١ - إنكارهم نزول (الوحي) على البشر !
- ٢ - إنكارهم أن يكون (القرآن الكريم) منزلاً من عند الله تعالى !
- ٣ - إنكارهم أن يكون (القرآن الكريم) حقاً !
- ٤ - إنكارهم (القرآن الكريم) ؛ لأن جبريل - عليه السلام - هو الذي جاء به من عند الله تعالى !

وغرض اليهود من هذه المطاعن - المزعومة - اتهام الرسول ﷺ بأن القرآن الكريم الذي جاء به ليس من عند الله تعالى ، وإنما هو من عند نفسه ، كما سنفصل ذلك - إن شاء الله تعالى - في موضع آخر . (٢)

ولقد كان غاية اليهود من هذه المكيدة (إنكارهم نبوة محمد ﷺ) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

- ١ - محاولة إثارة البلبلة في نفوس المسلمين ؛ وذلك بحملهم على الردة أو النفاق !

١ - عبدالرحمن الميداني : مكائد يهودية ص ٦٩ .

٢ - راجع : (جدلهم في القرآن الكريم) ص ٢١١ .

٢ - محاولة صرف الناس الذين لم يؤمنوا - بعد - بالإسلام من الدخول فيه .

٣ - محاولة القضاء على الإسلام نهائياً !

فإنكار اليهود لنبوّة الرسول ﷺ قد يحقق لهم تلك الأغراض ، خصوصاً وأنهم (أهل كتاب) يصرحون للعرب بانتظار نبي قادم يعرفونه باسمه ، وصفته ، وسيتبعونه ؛ ليتملكوا الدنيا بأسرها - وهذا ما يعنيهم - ، فإذا أنكروا محمداً ﷺ فذلك دليل على أنه ليس هو المقصود بهذا الإنتظار !

ولكن اليهود لم ينجحوا - والحمد لله تعالى - في مبتغاهم ؛ لأن (القرآن الكريم) - كما رأينا - قد تعقب مزاعمهم بالبراهين الدامغة ، ففندها بما يثبت صدق الرسول ﷺ : إيضاحاً لعقول العالمين ، وتثبيتاً لقلوب المؤمنين ، وإخراساً لأهواء الكافرين .

ونظراً لهذه المكيدة اليهودية الخطيرة (عدم الإيمان بالرسول ﷺ) فقد كان ذلك الكفر دافعاً لهم على تدبير كافة المكائد الآتية :

ثانياً : مجادلتهم للرسول ﷺ في الشؤون الدينية :

لليهود في باب المجادلات العنصرية ، التي تقوم على الأقاويل الكاذبة ، والدعوى الباطلة ، والمزاعم الحاقدة ، باع طويل ، لا يحسن حبكها من البشر سوى اليهود ؛ لأن من طبعهم اللجاج والمعاراة في قبول الحق ، في كل أجيالهم ، وعلى امتداد تاريخهم ، مهما تباعد الزمان أو المكان ، ومن ذلك :

١ - في عهد موسى - عليه السلام - ، حوالي عام ١٢٠٠ ق م : مثل : جدلهم

- في البقرة ، التي أمرهم الله تعالى بذبحها ؛ لمعرفة القتل (١) .
- ٢ - في عهد طالوت ، حوالي عام ١٠٠٠ ق م : مثل : قصة الملا الذين طلبوا من نبيهم ملكاً يقاتلون معه في سبيل الله . (٢) .
- ٣ - في عهد محمد ﷺ ، فيما بين عامي ١ - ١١ هـ = ٦٢٢ م - ٦٣٢ م : وقد وقع في هذا (العهد النبوي) - وهو ما يعني - الكثير من مجادلات اليهود للرسول ﷺ في العقائد ، والشرائع ، على ما ستفصلة فيما يأتي :

١ - جدلهم في العقائد :

لكي يكتمل الحديث عن (جدل اليهود مع الرسول ﷺ في العقائد) ، يحسن بنا دمج - ولو بإيجاز - مع (العقيدة الدينية عند اليهود) ؛ لأهميته في شمولية الموضوع ؛ من أجل معرفة عقائد اليهود ، منذ ظهور الأنبياء فيهم ، وحتى بعثة رسول الإسلام محمد ﷺ .

✽ العقيدة الدينية عند اليهود :

كانت العقيدة الدينية التي جاء بها أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام - عقيدة صحيحة ، قوامها : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والقدر ، واليوم الآخر - كما هي عقيدة جميع أنبياء الله تعالى من لدن نوح إلى محمد ، عليهم الصلاة والسلام - ، وهي دين (الإسلام) بمعناه العام ، لقول الله تعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٣) .

١ انظر : سورة البقرة ، آية : ٦٧ - ٧١ .

أو : راجع : الآيات ج ١ ص ٢٧٢ .

٢ انظر : سورة البقرة ، آية : ٢٤٦ - ٢٤٩ .

أو : راجع : الآيات ص ٢١ .

٣ سورة آل عمران ، آية : ١٩ .

وهذا (الإسلام) هو دين أول المرسلين : (نوح) (١) - عليه السلام - :

﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ (٢) .

وهو دين أبي الأنبياء (إبراهيم) (٣) - عليه السلام - :

﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ (٤)

وهو دين الأسباط (٥) - عليهم السلام - :

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبني ما تعبدون

من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً

واحداً ونحن له مسلمون﴾ (٦) .

وهو دين (يوسف) (٧) - عليه السلام - :

١ نوح - عليه السلام - : (؟ - ؟) هو نوح بن لامك بن متوشالغ بن أخنوخ (إدريس) بن يارد بن مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم - عليه السلام - ، ونوح هو أول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض ، على خلاف في (آدم) - عليه السلام - هل هو رسول أو نبي فقط ؟ . و (نوح) هو أحد أولى العزم من الرسل ، وقد لبث في قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده (٩٥٠ عاماً) ، ولما لم يستجب له إلا (٨٠ نفساً) - على التراجع - دعا عليهم ، فاستجاب الله تعالى دعاءه ، وأوحى إليه بهلاكهم بالطوفان ، وأمره بصنع الفلك ، حيث حمل معه من كل صنف ذي روح زوجين اثنين ، وقد استقرت السفينة بعد (١٥٠ يوماً) على (جبل الجودي) ، إلى جانب (نهر دجلة) عند (الموصل) ، في العراق . ولـ (نوح) (أربعة أبناء) : سام ، وحام ، ويافث ، وكنعان ، وهذا الأخير كان مع الهالكين ؛ لعدم إيمانه بالله تعالى ، أما أبناؤه الثلاثة فقد نجوا ، وجاء من نسلهم جميع البشر ؛ لقول الله تعالى : ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ : سورة الصافات ، آية : ٧٧ . وقد دفن نوح - عليه السلام - قرب (المسجد الحرام) بـ (مكة) على التراجع من الأقوال . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١١٣ - ١٣٧ ، و: عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٥ - ٦٨ ، و : محمد الصابوني : النبوة والأنبياء ص ١٣٣ - ١٤٤ .

٢ سورة يونس ، آية : ٧٣ .

٣ راجع : ترجمة (إبراهيم - عليه السلام -) ج ١ ص ١٦٥ .

٤ سورة البقرة ، آية : ١٣١ .

٥ في نبوة الأسباط - عليهم السلام - خلاف بين العلماء . راجع : التعريف بـ (الأسباط) ج ١ ص ١٧١ .

٦ سورة البقرة ، آية : ١٣٣ .

٧ راجع : ترجمة (يوسف - عليه السلام -) ج ١ ص ١٧٣ .

﴿توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ • (١)

وهو دين (موسى) (٢) - عليه السلام - :

﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم

مسلمين﴾ • (٣)

وهو دين (سليمان) (٤) - عليه السلام - :

﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ • (٥)

وهو دين (عيسى) (٦) - عليه السلام - :

﴿قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا

مسلمون﴾ • (٧)

بل هو دين جميع أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام - ؛ لقول الله

تعالى:

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين

أسلموا للذين هادوا﴾ • (٨)

وهو دين خاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ :

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من

الخاسرين﴾ • (٩)

ولكن هذه العقيدة الصحيحة - كما جاء بها أنبياء بني إسرائيل -

١ سورة يوسف ، آية : ١٠١ .

٢ راجع : ترجمة (موسى - عليه السلام -) ج ١ ص ١٧٨ .

٣ سورة يونس ، آية : ٨٤ .

٤ راجع : ترجمة (سليمان - عليه السلام -) ج ١ ص ١٩٩ .

٥ سورة الفيل ، آية : ٤٢ .

٦ راجع : ترجمة (عيسى - عليه السلام -) ص ٢٤٤ .

٧ سورة آل عمران ، آية : ٥٢ .

٨ سورة المائدة ، آية : ٤٤ .

٩ سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .

تبدلت عند اليهود - بعد تحريفهم (العهد القديم) ، برئاسة (عزرا الوراق) ، إبان فترة (السبي البابلي) ، فيما بين عامي ٥٨٦ - ٥٣٨ ق م ، وبعد بدء وضع (التلمود) ، بعد فترة (السبي البابلي) - فأصبحت عقيدة مترعزة ، تحتوي على تناول حطير ، على : الله ، وملأئكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، على ما سنتفصله فيما يلي :

أ - عقيدتهم في الله تعالى :

تقوم عقيدة اليهود في مسألة الإيمان بالله تعالى (الالهوية) على توحيده سبحانه وتعالى - على وجه العموم - ، ولكنه ليس بذلك التوحيد المطلق - الذي نعرفه في ديننا الإسلامي - ، وإنما هو توحيد تشوبه صفات النقص ، التي ألصقوها به - سبحانه - ، افتراءً عليه .

وكانت عقيدة (الالهوية) في (الديانة اليهودية) - قبل تحريفها - عقيدة توحيدية كاملة ، مبرأة من كل نقص ، ولكن أكثرية اليهود كثيراً ما يتناسون تلك الحقائق التوحيدية الناصعة ؛ بسبب ضحالة العقيدة في نفوسهم ، ومن ثم تأثرهم بالفلسفات الدينية للشعوب الوثنية : (المصرية ، والكنعانية ، والفينيقية ، والبابلية ، والمجوسية ، وغيرها) من الشعوب التي كان لها اتصال وثيق بهم ، حيث عبدوا آلهتهم (١) ، التي من أشهرها :

١ - العجل الذهبي :

يعتبر (العجل) عند اليهود حيواناً مقدساً ، يستحق العبادة ! ، حيث تمثل عبادته بداية الوثنية عندهم - بعد أن دانوا بالدين الذي عرف - فيما بعد - بـ (اليهودية) - ، وذلك في أثناء غياب نبيهم موسى - عليه السلام - ، لمناجاة ربه في (طور سيناء) حيث رأوا مجموعة من المصريين في (سيناء) يعبدون (العجل) ! (٢) ، جاء في العهد القديم :

١ لمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع . انظر : د/ فتحي محمد الزغبى : تأثر اليهودية بالاديان القديمة .

٢ راجع : ج ٤ ص ١٦١ - ١٦٢ .

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن موسى هذا الرجل الذي أضعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في أذن نسائكم وبنيتكم وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالآزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً ، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أضعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد للرب ، فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب » (١) .

هكذا جعل (كتبة العهد القديم) من نبي الله (هارون) - عليه السلام - صانعاً للأصنام ، مقدساً لها ؟

ولكن الله تعالى يثبت على اليهود هذه الفعلة الشنيعة (عبادة العجل) ، ويبريء هارون - عليه السلام - منها ، ويفضح الفاعل الحقيقي (السامري) (٢) في قوله سبحانه مخاطباً نبيه موسى - عليه السلام - :

﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى * قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى * قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري * فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم

١ خروج ، إصحاح (٣٢) ، فقرة ١ - ٦ .

٢ السامري : (حوالي القرن ١٢ ق م) هو موسى بن ظفر ، كنعاني من قبيلة (السامرة) ، رحل إلى مصر بعد إقامة بني إسرائيل فيها ، وكان مع موسى - عليه السلام - حين خرج بقومه من مصر ، إلا أنه كان منافقاً ، ولذلك استغل الفرصة في أثناء غياب موسى - عليه السلام - ؛ لمناجاة ربه في طور (سيناء) ، ففتن بني إسرائيل في عبادة (العجل) الذي صنعه ، وكان ماهراً في السحر وصناعة التماثيل . انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٦٦ - ١٦٧ ، و : محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ص ٢٥١ .

فأخلفتم موعدى * قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم ففقدناها فكذلك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي * أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً * ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى * قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن أفعصيت أمري * قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي * قال فما خطبك ياسامري * قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي * قال فانهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً (١)

وقد بقيت (عبادة العجل) تتجدد في حياة اليهود من حين إلى حين (٢) ؛ فقد عمل (يربعام بن نباط) ملك (المملكة الإسرائيلية - سماريا) في (شكيم) عجلي ذهب ؛ ليعبدهما أتباعه (٣) ، بعد أن انفصل عن (المملكة اليهودية - يهودا) في (أورشليم) ، والتي يملكها (رحبعام بن سليمان) ، جاء في العهد القديم :

» وبني يربعام شكيم ٠ ٠ ٠ وقال يربعام في قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود ٠ إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلوني ويرجعوا إلى رحبعام ملك يهوذا ٠ فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال

١ سورة طه ، آية : ٨٣ - ٩٧ .

٢ انظر : د / أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ١٨٢ .

٣ راجع : (المملكة الإسرائيلية - سماريا) ج ١ ص ٢٠٢ .

لهم كثير عليكم أن تصعدوا إلى اورشليم هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين
أصعدوك من أرض مصر» ١٠١ (١)

وقد ازداد اليهود تقدساً لـ (العجل) بعد احتكاكهم بحضارة (مابين
النهرين) ، إبان (السبي البابلي) فيما بين عامي ٥٨٦ - ٥٣٨ ق.م ، حيث كان
الكلدانيون يقدسون (العجل) - أيضاً! (٢)

٢ - الحية النحاسية :

تعتبر (الأفعى) عند اليهود حيواناً مقدساً ، يستحق العبادة -
أيضاً - ؛ لأنها - في رأيهم - تمثل الحكمة والدهاء والانسحاب ، فضلاً عن
أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان (٣) ؛ ولهذا اتخذوا منها شعاراً ؛
جاء في العهد القديم :

« هو [حزقيا بن أحاز ملك مملكة إسرائيل] أزال المرتفعات وكسر
التمائيل وقطع السواري وسحق حبة النحاس التي عملها موسى لأن بني
إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها » ١٠١ (٤)

وهكذا جعل (كتبة العهد القديم) - أيضاً - من نبي الله ورسوله
وكليمه موسى - عليه السلام - صانعاً للأصنام ، مقدساً لها ؛

فهل يتصور عاقل أن يكون موسى - عليه السلام - داعية للأوثان ، وهو
إنما جاء يدعو بني إسرائيل إلى نبذها ، وعبادة الله وحده ؟ ؛ ولكنه البهتان
الذي لا يتورعون عن إلصاقه حتى بأنبيائهم - عليهم السلام - ١٠١ (٥)

١ الملوك الأول ، إصحاخ (١٢) فقرة : ٢٥ - ٢٨ .

٢ انظر : غوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٦١ .

٣ انظر : د / أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ١٨٢ .

٤ الملوك الثاني ، إصحاخ (١٨) فقره : ٤ .

٥ لمزيد من المعلومات حول اتهام أنبيائهم - عليهم السلام - . راجع : (التناول على مقام

أنبيائهم - عليهم السلام -) ص ٢٣٣ .

٣ - الأصنام الوثنية :

لقد تأثر اليهود بعد استقرارهم في (فلسطين) بآلهة جيرانهم :
(بعل) (١) ، و (عشتاروت) (٢) و (مولك) (٣) ، وغيرها من الآلهة الوثنية ،
فعبدها ! (٤) ، جاء في العهد القديم :

» وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم
والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة بني عمون [مولك] (٥) وآلهة
الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه « ١٠ (٦)

ولكن رحمة الله تعالى كثيراً ما تتداركهم ، وذلك بإرسال النبي تلو
النبي ؛ لتصحيح ما يطرأ على عقائدهم من انحراف - كما سنتحدث عن ذلك
- إن شاء الله تعالى - في موضع آخر ٠ (٧)

ولكن عقيدة (الالهية) الصحيحة - هذه - عند اليهود انحرفت بعد
تحريف دستور الديانة اليهودية (العهد القديم) إلى ما يشبه الوثنية ،

١ بعل : معناه باللغات السامية (المالك) ، اسم ورد في (العهد القديم) للإشارة إلى آلهة
الكنعانيين ، حيث كان (بعل) يعبد في بقاع (كنعان - فلسطين) المختلفة ٠ وقد أصبحت كلمة
(بعل) مرادفة لكلمة (إله) ! ، بحيث أصبح هناك (بعل السماء) ، أي (إله السماء) ، و (بعل
الرعد) أي (إله الرعد) ، وهكذا ٠ وقد خلق اليهود هذا الاسم (بعل) على إلههم (يهوه) أول
الامر ، ولكن الاسم أصبح - عندهم - مرادفاً للشر ، بعد ازدياد الصراع بينهم وبين
(الكنعانيين) ! ٠ انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٨٢ ، و : موسوعة المفاهيم ص ١٠٢ .
٢ عشتاروت : اسم ورد في (العهد القديم) ، وهي آلهة الإخصاب والحب والجمال عند (الساميين)
، كانت أهم آلهة (الفينيقيين) ! ٠ انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣١٥ .
٣ مولك : أي (الملك) ، اسم ورد في (العهد القديم) ، وكان (الفينيقيون) يعبدونه (الإله الرهيب) ،
حيث يتقربون إليه بحرق أطفالهم وهم أحياء أمام ضريحه ! ٠ انظر : ول ديورانت : قصة
الحضارة ج ٢ ص ٣١٥ .

٤ انظر : د/ فتحي محمد الزغبى : تأثر اليهودية بالاديان القديمة ص ٦٧٦ - ٦٩٢ .

٥ جاء في العهد القديم :

» ولمولك رفس بني عمون « : الملوك الاول ، إصحاح (١١) ، فقرة : ٧ .

٦ قضاة ، إصحاح (١٠) فقرة : ٦ .

٧ راجع : (أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام -) ص ٢٢٤ .

متخذة مظاهر متعددة ، وتتلخص فيما يأتي :

- ١ - تعديدهم لألفاظ اسم الإله ، دون أن تحظى هذه الأسماء - عندهم - بأدنى اهتمام أو إجلال (١) ، ومن أشهر تلك الأسماء : (آيل) (٢) ، و (ألوهيم) (٣) ، و (أدوناي) (٤) ، و (يهوه) (٥) .

وهذا الاسم الأخير (يهوه) هو الذي أطلقته (التوراة) على الله تعالى في المواضع التي اعتبرته فيها إله لليهود وحدهم (٦) ! ، فقد جاء فيها :

« وقال الله ... لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد وهذا

- ١ انظر : خضر عبداللطيف سوندك : عقائد اليهود بين الحق والباطل ص ٢١٨
٢ أيل : معناه باللغات السامية - ومن بينها (اللغة العبرية) - : (الله) ، وهو التسمية التي استخدمها الموحدون الحقيقيون . انظر : سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٦ ، و : زكي شنودة : اليهود - نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .
٣ ألوهيم : كلمة عبرية ، وتعني (الإلهة) بصيغة الجمع ، ولعلها التسمية التي أطلقها التعدديون الذين اعتبروا أن التوحيد إنما هو انصهار جميع الآلهة مع بعضها ؛ لتشكيل إلهاً واحداً ! . انظر : سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٦ ، و : زكي شنودة : اليهود ص ٣٩٢ .
٤ أدوناي : معناه باللغات السامية - ومن بينها (اللغة العبرية) : (سيدي) ، وهو اللقب الذي كان (الكتنانيون) يطلقونه على إلههم (تموز) ، والذي أصبح اسمه عندما انتقل إلى (اليونانيين) : (أونيس) ، انظر : سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٦ ، و : زكي شنودة : اليهود ص ٣٩٤ .
٥ يهوه : لفظ عبري ، معناه (الموجود) ، أو (الكائن) ؛ لأنه مشتق من اللفظ العبري (هيه) أو (هوه) الذي يفيد (الوجود) أو (الكيونة) . وقد أطلقت (التوراة) اسم (يهوه) على (الله) في المواضع التي اعتبرته إله اليهود وحدهم دون بقية البشر . انظر : سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٦ - ١٧ ، و : زكي شنودة : اليهود ص ٢٩٣ .
و : لمزيد من التفاصيل حول (يهوه) . انظر : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ١٨٣ - ٢٠١ .
٦ انظر : زكي شنودة : اليهود ص ٢٩٣ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ١٩٢ .

« ولا يظن أن تعدد ألفاظ اسم الله سبحانه وتعالى عند اليهود ، متشابه مع تعدد أسماء الله ... الحسنى عند المسلمين ، إذ أن أسماء الله الحسنى عند المسلمين توقيفية ، ومحل اتفاق عند كل من يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وغير قابلة للزيادة أو النقصان أو الخضوع لمؤثرات أو ظروف معينة ساهمت في ظهورها ، بينما هي عند اليهود ليست محل اتفاق عند جميعهم من جهة ، ولقد كان لنشأتها ووجودها ظروف بشرية : اجتماعية وتاريخية من جهة أخرى » (٢) .

ولعل التفسير الأقرب للمنطق في تعدد الأسماء التي أطلقها اليهود على إلههم ، إنما هو بـ « حسب الطوائف والقبائل العبرانية ، الإسرائيلية ، اليهودية ، وامتداد هذا الاختلاف مئات السنين ؛ مما دفع بالزعماء اليهود - المعروفين بسيطرتهم التامة على شعوبهم - إلى منع إعطاء الجلالة أي تسمية ريثما يتم الإجماع على واحدة منها ، ولم يتم هذا الإجماع إلى اليوم » (٣) .

٢ - اعتقادهم بأن هذا الإله (قومي) خاص بهم ، لا يشاركهم فيه أحد سواهم من البشر ؛ (٤) ؛ فقد جاء في التوراة :

« لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » (٥) .

ولهذه الخصوصية ، ادعوا أنهم (ابناء) لهذا الإله ؛ فقد جاء في (التوراة) أن الله تعالى خاطبهم ، بقوله :

١ خروج ، إصحاح (٣) فقرة : ١٥ .

٢ د. خضر سونك : عقائد اليهود بين الحق والباطل ص ٢٢٠ .

٣ سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والترحيد ص ٢٢ .

٤ انظر : زكي شنودة : اليهود ص ٢٩٣ ، و د : صبري جرجس : التراث اليهودي الصهيوني ص

٥٢ ، و : د / فتحي الزغبى : تأثير اليهودية بالأديان القديمة ص ٦٦٠ - ٦٦٣ .

٥ تثنية ، إصحاح (٧) فقرة : ٦ .

« أنتم أولاد للرب إلهكم » ١٠ (١)

وأنهم خاطبوه ، يقولهم :

« أنت يارب أبونا » ١٠ (٢)

وستحدث - إن شاء الله تعالى - تفصيلا عن هذا الادعاء الباطل ،

والرد عليهم في موضع آخر ٠ (٣)

٣ - ادعائهم بأن هذا الإله - الخاص بهم - لا يحاسبهم بقانون الأخلاق ،

إلا في السلوك الخاطيء مع بعضهم البعض ، أما مع غيرهم من (الأغيار)

فهو لا يحاسبهم على أي سلوك سلوكه معهم (٤) ؛ فقد جاء في التوراة :

« لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض

بربا ٠ للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك

الرب إلهك » ١٠ (٥)

وجاء في التلمود :

« إن السرقة غير جائزة من الإنسان (أي من اليهود) ، أما الخارجون

عن دين اليهود فسرقتهم جائزة » ١٠ (٦)

وصدق الله العظيم القائل فيهم :

«ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله

الكذب وهم يعلمون» ٠ (٧)

١ تثنية ، إصحاح (١٤) ، فقرة : ١ .

٢ أشعيا ، إصحاح (٦٣) ، فقرة : ١٦ .

٣ راجع : (زعمهم : أنهم أبناء الله وأحباؤه) ص ١٧٢ .

٤ انظر : د/ خضر سوندك : عقائد اليهود بين الحق والباطل ص ٢٢٤ .

٥ تثنية ، إصحاح (٢٣) ، فقرة : ١٩ - ٢٠ .

و : لمزيد من الأمثلة ٠ راجع : (المظاهر العنصرية في العهد القديم) ج ١ ص ٩٤ .

٦ د/ أوغست روهلنج : الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٩ .

و : لمزيد من الأمثلة ٠ راجع : (المظاهر العنصرية في التلمود) ج ١ ص ١٠٧ ، و : راجع : (التفريق

بين البشر في ممارسة الفواحش) ج ٣ ص ٦٢٩ .

٧ سورة آل عمران آية : ٧٥ .

٤ - تجسيدهم هذا الإله - الخاص بهم - في صورة بشرية ضعيفة ، لا تليق بمقام (الالهية) الحق ، تقدس - سبحانه - عن كل نظير ، ومن تلك الافتراءات ما يأتي :

أ - التجسيم : جاء في التوراة :

« فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذته فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعة معه . وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني . فقال له ما اسمك فقال يعقوب . فقال لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل قائلاً لأنني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي . وأشرقت له الشمس إذ عبر فنيثيل وهو يجمع على فخذته . لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا » (١) .

فاليهود يتصورون أن الله تعالى نزل إلى الأرض في صورة إنسان ؛ يصارع نبيه يعقوب - عليه السلام - ، ثم لا يقدر - أيضاً - على صرعه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ! ، فالله له صفات الكمال التي لا تليق إلا بجلاله ، من غير تكيف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، حيث يقول سبحانه عن نفسه :

﴿ليس كمثله شيء﴾ (٢) .

ب - التعب : جاء في التوراة :

« فأكملت السماوات والأرض وكل جندها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأنه فيه استراح من جميع عمله

١ تكوين ، إصحاح (٣٢) فقرة : ٢٤ - ٣٢ .

٢ سورة الشورى ، آية : ١١ .

الذي عمل الله خالقاً (١) .

فاليهود يظنون أن الله تعالى قد تعب بعد أن أتم خلق السماوات والأرض في (سبعة أيام) ، ثم استراح في اليوم السابع ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ! ، فالله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، حيث يقول سبحانه عن نفسه :

﴿أولم يرو أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾ (٢) .
ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (٣) .

ج - الجهل : جاء في التوراة :

« فإني اجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين أنا الرب . ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر . ويكون لكم هذا

١ تكوين ، إصحاح (٢) ، لفظة : ٣-١ .

٢ سورة الأحقاف ، آية : ٢٣ .

٣ سورة ق ، آية : ٣٨ .

وفي سبب نزول هذه الآية الكريمة ، يقول عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - :
« أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألت عن خلق السماوات والأرض ، فقال : خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، وخلق السماوات يوم الأربعاء والخميس ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر ، قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ ، قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو تمت ؛ ثم استراح ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ، فنزلت : ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض ٠٠٠ ﴾ : الواحدى - واللفظ له - : أسباب نزول القرآن ص ٣٢٨ ، و : الطبرى : جامع البيان ج ٢٦ ص ١٧٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٢٩ ، و : السيوطي : لباب النقول ١٩٩ - ٢٠٠ .

و : قال الحاكم : رحمه الله تعالى - عن هذا الحديث : إنه (صحيح) . انظر : المستدرک (كتاب التاريخ) ج ٢ ص ٥٤٣ .

اليوم تذكراً فتعيدونه عيداً للرب في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية « ١٠ (١)
فاليهود يعتقدون أن الله تعالى جاهل لا يستطيع التمييز بين خلقه إلا
بالعلامات ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ! ، فالله لا تخفى عليه خافية
في هذا الكون ، حيث يقول سبحانه :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢)

د - الخطأ والندم : جاء في التوراة :

« فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه » ١٠ (٣)

فاليهود يرون أن الله تعالى غير معصوم ؛ فقد تحصل منه الأخطاء ، إلا
أنه يندم على أخطائه ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً !
وهذا المعتقد اليهودي (الخطأ والندم) هو قول ب (البداء) (٤) ،
الذي هو الظهور بعد الخفاء ، وهذا محال على الله تعالى ؛ لأنه يتنافى
وعلم الله بكل الموجودات قبل وجودها ، حيث يقول سبحانه :

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (٥)

وهكذا يتضح جرأة اليهود على الله تعالى في هذا العرض - الوجيز
- (٦) لمظاهر الانحراف في تصور اليهود لمقام (الالهية) ؛ ولهذا جادلوا
الرسول ﷺ في (الإله الحق) ، وزعموا أن لهم إلهاً خاصاً بهم وحدهم ، لا
يشاركون فيه أحد سواهم من البشر - كما ذكرنا قبل قليل - .

✽ جدلهم في الله تعالى :

- ١ خروج ، إصحاح (١٢) ، فقرة : ١٢ - ١٤ .
- ٢ سورة آل عمران ، آية : ٥ .
- ٣ خروج ، إصحاح (٣٢) فقرة : ١٤ .
- ٤ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع - راجع : (جدلهم في النسخ) ص ٣٠٣ .
- ٥ سورة النساء ، آية : ١٢٦ .
- ٦ لمزيد من المعلومات حول (عقيدة الالهية) عند اليهود - انظر : د/ فتحي الزغبى : تأثر اليهودية بالاديان القديمة ص ٦١٨ - ٧٠٢ .

لما كان الرسول ﷺ يدعو اليهود إلى إله واحد لجميع البشر خالقاً ومعبوداً ، كان في ذلك تسوية لغيرهم من البشر بهم ، وهذا ما يأنفون منه ، فيرد الله تعالى عليهم بقوله :

﴿ قل أتحتاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون ﴾ (١) .

ولم يكتف اليهود بهذا ، بل تناولوا على مقام الله تعالى ، مما يدل على جرأتهم عليه ، وسوء أدبهم معه ، وذلك من خلال ما يأتي :

١ - الأقاويل الكاذبة :

لقد تجرأ اليهود على الله تعالى جرأة لا يرضاها البشر على أنفسهم ، وذلك من خلال أقاويلهم الإلحادية ، التي أفتروها عليه - سبحانه - زوراً وبهتاناً ، ومن ذلك ما يأتي :

أ - تهجمهم على ذات الله تعالى :

لقد تهجم اليهود على الله تعالى ، حين سألوا عن ذاته - سبحانه - ، فعن (سعيد بن جبير) (٢) - رحمه الله تعالى - قال :

« أتى رهط من اليهود لنبي الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله

١ سورة البقرة ، آية : ١٣٩ .

٢ سعيد بن جبير : (٤٥ - ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤ م) هو أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي - بالولاء - الكوفي ، من أصل حبشي . تابعي ، من أعلم التابعين على الإطلاق ، كان مع (عبد الرحمن بن الأشعث) الذي خرج على الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان) حتى قتل ابن الأشعث ، فذهب (سعيد) إلى (مكة) ، فقبض عليه وألجأها (خالد القسري) ، وأرسله إلى والي العراق (الحجاج بن يوسف) ، فقتله بـ (واسط) ، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه - كما قال الإمام أحمد بن حنبل - . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢١ - ٣٤٣ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٩٣ .

خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ ، فغضب النبي ﷺ حتى انتقع (١) لونه ، ثم ساورهم (٢) ، غضباً لربه . قال : فجاءه جبريل - عليه السلام - فسكنه ، وقال : اخفض عليك جناحك يا محمد ، فجاءه من الله جواب ما سألوه عنه ، قال : يقول الله : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٣) . فلما تلا عليهم النبي ﷺ ، قالوا : صف لنا ربك كيف خلقه ؛ وكيف عضده ، وكيف ذراعه ؟ ، فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول ، وساورهم غضباً ، فأتاه جبريل ، فقال له مثل مقالته ، وأتاه بجواب ما سألوه عنه : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (٤) ، (٥) .

فاليهود - وغيرهم من المشركين - لم يعظموا الله تعالى حق عظمته ، حين سألوا في ذاته ؛ مما يدل على جرأتهم عليه - سبحانه - ؛ ولذلك رد عليهم بما يليق بجلاله من الكمال المطلق، فهو ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (٦) ، في : أحديته ، وصمديته ، وأزليته ، وفي كافة صفاته - كما جاء في الآيات الكريمة ، قبل قليل - .

ولذلك وجَّه الرسول ﷺ أمته إلى الحل ، حين يجدون في أنفسهم مثل

١ انتقع : تغير . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة نقع) ج ٣ ص ٩٠ .
٢ المساورة : الأخذ بالرأس والمواثبة . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة سورة) ج ٢ ص ٥٣ .

٣ سورة الإخلاص .

٤ سورة الزمر ، آية : ٦٧ .

٥ الطبري : جامع البيان ج ٣٠ ص ٣٤٣ .

وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٥١٠ ، و : السيوطي : لباب المنقول ص ٢٣٨ .

٦ سورة الشورى ، آية : ١١ .

هذا السؤال : من خلق الله ؟ ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ، من خلق كذا ، حتى يقول : من خلق ربك ؟ ، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » (١) .

ب - إشراكهم بالله تعالى :

يزعم اليهود أن مع الله تعالى إلهاً خراً ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« جاء (النحام بن زيد) (٢) و (قردم بن كعب) (٣) و (بحري بن عمرو) (٤) ، فقالوا : يا محمد أما تعلم مع الله إلهاً غيره ؟ فقال : رسول الله ﷺ : لا إله إلا الله بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو » (٥) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ﴾

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب بدء الخلق «٥٩» ، (باب صفة إبليس وجنوده «١١») . ج ١ ص ٩٢ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الإيمان «١») ، (باب الوسوسة والإيمان «٦٠») ، حديث رقم (٢١٤ / ١٣٤) ، ج ١ ص ١٢١ ، و : سنن أبي داود : (كتاب السنة) ، (باب في الجهمية) ، حديث رقم (٤٧٢١) ، ج ٤ ص ٢٣١ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ٣٣١ .

٢ النحام بن زيد (؟ - ٥ هـ = ؟ - ٦٢٦ م) يهودي - قتل مع قومه (بني قريظة) .

٣ قردم بن كعب : (؟ - ٥ هـ = ؟ - ٦٢٦ م) يهودي - قتل مع قومه (بني قريظة) .

٤ بحري بن عمرو : (القرن ١ ق. هـ = ٦-٧ م) يهودي - أجلى مع قومه (بني قينقاع) عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٥ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٧ ص ١٦٤ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٠٠ . وقد رجح الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - أن هذه الآية نزلت في المشركين ، ولكنه ذكر سبباً آخر لنزولها ، وهو في : اليهود ، إلا أنه قال :

«وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته» : الطبري : جامع البيان ج ٧ ص ١٦٤ ، والله أعلم .

قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإني بريء مما تشركون ﴿١﴾

وقد رد الله تعالى على اليهود - وغيرهم من المشركين - ما زعموه من أن مع الله إلهاً غيره ، بما جاء في الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿ قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإني بريء مما تشركون ﴾

أي : قل - يا محمد - لهؤلاء اليهود لا أشهد بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى ، بل أجدد ذلك وأنكره ، وإنما هو إله واحد لا شريك له ، فيما يستوجب على خلقه من العبادة (٢) .

٢ - المزاعم الباطلة :

لقد وصف اليهود رب العالمين سبحانه وتعالى بأوصاف لا تليق به ، وذلك من خلال مزاعمهم الإلحادية ، التي أفتروها عليه - سبحانه - زوراً وبهتاناً ، ومن ذلك ما يأتي :

أ - زعمهم : أن الله فقير :

من المزاعم الباطلة التي افتراها اليهود على الله تعالى ، قولهم : (إن الله فقير) ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
» دخل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بيت المدراس (٣) ، فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له (فناص ابن

١ سورة الأنعام ، آية : ١٩ .

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٧ ص ١٦٣ .

٣ راجع : التعريف بـ (المدارس) ص ١٣٧ .

عازوراء] (١) - وكان من علمائهم وأخبارهم - ٥٥٠ ، فقال أبوبكر - رضي الله عنه - لفنحاص : ويحك يافنحاص ، اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ، قال فنحاص : والله يا أبابكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان غنياً عنا ما أعطانا الربا ، فغضب أبوبكر ، فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين ، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يامحمد ، انظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يارسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقير ، وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، فضربت وجهه ، فجدد ذلك فنحاص ، وقال : ماقلت ذلك ﴿ ٢ ﴾ ، فأنزل الله تعالى :

﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ (٣)

١ فنحاص بن عازوراء : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦-٧م) يهودي - أجلي مع قومه (بني قينقاع) عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٤ ص ١٩٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٣٤ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٢٨ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٦١ - ٦٢ .

وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع - انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ١٩٤ - ١٩٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، و : السيوطي :

لباب النقول ص ٦٢ .

٣ سورة آل عمران ، آية : ١٨١ .

لقد كان السبب الذي جعل اليهود يزعمون (أن الله فقير) هو : حث الله تعالى عباده على الإنفاق في سبيله ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« لما نزل قول الله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ (١) ، قالت اليهود : يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض » (٢) ، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة السابقة : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ .

القرض في اللغة : إعطاء الرجل غيره ماله ، مملكاً له ؛ ليقضيه مثله إذا اقتضاه (٣) .

فلما كان إعطاء المسلم لأهل الحاجة في سبيل الله تعالى إنما هو ابتغاء ما وعده الله عليه من الثواب الذي سيوفيه إياه مضاعفاً أضعافاً كثيرة يوم القيامة ، سماه قرضاً ، إذ كان معنى القرض في اللغة ما ذكرنا (٤) .

وليس لحاجة الله تعالى لأحد من خلقه - كما فهم اليهود - ، فإله هو الواسع الفضل ، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه ، كما قال عن نفسه سبحانه :

﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ (٥) .

١ سورة البقرة ، آية : ٢٤٥ .

٢ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - واللفظ له - ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٦٢ .

٣ انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة قرض) ج ٧ ص ٢١٧ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٥٩٢ .

٥ سورة الحجر ، آية : ٢١ .

وعن (أبي ذر) (١) - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ - فيما روى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال :

« يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر » (٢) .

ب - زعمهم : أن يد الله مغلوله :

ومن المزاعم الباطلة التي افترها اليهود على الله تعالى قولهم :
(يد الله مغلوله) ! ، فعن عبد الله بن العباس - رضي الله عنهما - قال :
« قال رجل من اليهود يقال له (شأس بن قيس) (٣) : إن ربك بخيل لا ينفق » ! (٤)

١ أبو ذر (؟ - ٣٢ = ؟ - ٦٥٢ م) هو جندب بن جنادة بن سفيان الغفاري ، المشهور بـ (أبي ذر) ، قديم الإسلام ، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ، رحل بعد وفاة الرسول ﷺ إلى الشام ، إلى أن استقدمه (عثمان بن عفان) - رضي الله عنه - إلى (المدينة) ، فاختار (الريذة) - قرية قرب (المدينة) - ، روى له البخاري ومسلم (٢٨١ حديثاً) . توفي بـ (الريذة) .
انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٦ - ٧٨ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٦٣ - ٦٥ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٤٠ .

٢ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب البر والصلة وآداب «٤٥») ، (باب تحريم الظلم «١٥») ، حديث رقم (٥٥ - ٢٥٧٧) ، ج ٢ ص ١٩٩٤ - ١٩٩٥ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الزهد «٣٧») ، (باب ذكر التوبة «٣٠») ، حديث رقم (٤٢٥٧) ج ٣ ص ١٤٢٢ ، و : سنن الترمذي : (كتاب صفة القيامة «٣٨») ، (باب «٤٨») ، حديث رقم (٢٤٩٥) ، ج ٤ ص ٦٥٦ - ٦٥٧ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ١٥٤ .

٣ شأس بن قيس : (القرن ١ ق . هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . أجلي مع قومه (بني قينقاع) عن (المدينة) في عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٤ السيوطي : لباب النقول - واللفظ له - ص ٩٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٧٥ .

وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ٣٠٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٧٥ .

فأنزل الله تعالى :

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾ (١)

والغل : مجاز عن البخل (٢)

ولذلك فلا يعني اليهود بقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ : أن يد الله تعالى موثقة ، ولكنهم يعنون أن الله تعالى بخيل أمسك خيره عن الاتساع عليهم (٣) . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .
وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - بأن (يد الله مغلولة) ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف شاء ﴾ .

والبسط : مجاز عن الكرم (٤)

فالله تعالى هو الواسع الفضل ، الجزيل العطاء ، الذي ما من نعمة بخلقة إلا منه وحده ، لا شريك له ، الذي أوجد كل شيء مما يحتاج إليه خلقه ، في جميع الأحوال ، كما قال عن نفسه سبحانه .

﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن

١ سورة المائدة ، آية : ٦٤ .

٢ انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة - غل) ج ١١ ص ٥٠٤ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

٢ ص ٧٥ .

٤ انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة البسط) ج ٧ ص ٢٥٨ .

الإنسان لظلم كفار ﴿١﴾

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
" إن يمين الله ملائ لا يفيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيت ما
أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على
الماء ، ويده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض " . (٢)
وفي الآيتين الكريمتين التاليتين - مباشرة - للآية الكريمة السابقة ،
يقول الله تعالى :

﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما
أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة
مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ . (٣)

وفي هاتين الآيتين الكريمتين ما يدل على أن تضيق الله تعالى على
اليهود في الرزق - إن كان واقعاً - ، إنما هو ابتلاء وامتحان لهم ؛ بسبب
كفرهم (٤) ؛ عليهم يرعون ويثوبون إلى رشدهم ، فهو لمصلحتهم في النهاية
لو كانوا يعقلون .

١ سورة إبراهيم ، آية : ٣٤ .

٢ صحيح البخاري : واللفظ له : (كتاب التوحيد «٩٧») ، (باب وكان عرشه على الماء «٢٣») ، ج ٨ ص ١٧٥ . و : صحيح مسلم : (كتاب الزكاة «١٢») ، (باب الحث على النفقة «١١») ، حديث رقم (٩٩٣/٣٧) ، ج ٢ ص ٦٩١ ، و : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب تفسير سورة المائدة «٦») ، حديث رقم (٣٠٤٥) ، ج ٥ ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

٣ سورة المائدة ، آية : ٦٥ - ٦٦ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ٣٠٤ - ٣٠٦ . و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٧٦ .

ج - زعمهم : أن الله جاهل :

ومن المزاعم الباطلة التي افترها اليهود على الله تعالى ، دعواهم : (أن الله جاهل)^١ ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« كانوا [أي اليهود] إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا أن صاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : يحدث العرب بهذا ؟ ، فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم » ! (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ﴾ (٢) .

فاليهود يعلمون أن محمداً هو النبي الذي كانوا ينتظرونه لبشارة كتبهم به ، ولكنه لما لم يكن من قومهم (بني إسرائيل) كفروا به حسداً ، ونهوا قومهم أن يحدثوا المسلمين بهذا الأمر ، أو أن يقولوا لهم بما في كتبهم من البشارة بمحمد ﷺ الذي كفروا به ؛ لئلا يحاجوهم بذلك عند الله تعالى يوم القيامة . (٣)

ولذلك رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - بأن (الله

١ السيوطي : لباب النقول - واللفظ له - ص ٢٠ . و : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٣٧٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١١٥ .

وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٣٦٩ ، ٣٧١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١١٥ - ١١٦ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٠ .

٢ سورة البقرة ، آية : ٧٦ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٣٧٠ - ٣٧٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١١٥ - ١١٦ .

جاهل) ، بما جاء في الآية الكريمة التالية للآية الكريمة السابقة -
مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿أولاً يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ (١) .

فالله تعالى لا تخفى عليه خافية من اليهود - ولا غيرهم - في الأرض -
ولا في السماء - ، وسيحاسبهم على كل ما اقترفوه سواء أسروه ، أم
أعلنوه .

د - زعمهم : أن عزيزاً ابن الله :

ومن المزاعم الباطلة التي افترها اليهود (٢) . على الله تعالى ،
قولهم : (عزيز ابن الله) ! ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« أتى رسول الله ﷺ (سلام بن مشكم) و (نعمان بن أوفى) (٣)
و (محمود بن دحية) (٤) و (شاس بن قيس) و (مالك بن الصيف) ، فقالوا :
كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله » (٥) ،
فأنزل الله تعالى :

﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن
الله (٦) ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

١ سورة البقرة ، آية : ٧٧ .

٢ لا يقول من بين اليهود أن (عزيزاً ابن الله) سوى طائفة (الصدوقيين) . انظر : د/ عبدالمنعم
الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٣٥ .

٣ نعمان بن أوفى : (القرن ١ ق . هـ - ٦ - ٧ م) يهودي متافق ، من (بنى قينقاع) .

٤ محمود بن دحية : (القرن ١ ق . هـ - ١ هـ - ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومه (بنى قينقاع)
عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٥ السيوطي : لباب النقول - واللفظ له - ص ١١٧ ، و : الطبري : جامع البيان ج ١٠ ص ١١٠ -
١١١ .

٦ لمعرفة سبب قول النصارى : أن المسيح - عليه السلام - ابن الله ! . راجع : ص ٢٦٦ .

قاتلهم الله أنى يؤفكون» (١) .

فما هو السبب الذي جعل اليهود يزعمون أن (عزيراً) ابن الله تعالى ؟ .

- إن السبب الذي جعل اليهود يزعمون أن (عزيراً) ابن الله تعالى : هو أن (عزيراً) (٢) قد كتب (التوراة) بعد ضياعها من صدور اليهود ؛ فقد جاء في العهد القديم :

« عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاه الرب إله إسرائيل » (٣) .

ولذلك ، قال اليهود : « والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله » (٤) ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - بأن (عزيراً) ابن الله ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - وما بعدها ،

١ سورة التوبة ، آية : ٣٠ .

٢ عزير : (القرن ٥ ق م) اختلف العلماء في (عزير) - هذا - ، هل هو (عزرا الوراق) الذي قد تنسب إليه كتابة (التوراة) وتحريفها بعد ضياعها في أثناء فترة (السبي البابلي) . فيما بين عامي ٥٨٦ - ٥٣٨ ق م ، باتفاق علماء مقارنة الأديان - (راجع : ترجمة عزرا ج ١ ص ٩٨) - ، أم هو شخص آخر ؟ .

يقول (السموأل بن يحيى بن عباس المغربي) - وكان حبراً يهودياً فأسلم - : إن (عزيراً) - هذا - غير (عزرا الوراق) ؛ لأن (العزير) هو تعريب (العازار) ، أما (عزرا) فإن لفظة لا يتغير مطلقاً ، حتى ولو عرب ؛ لأنه اسم خفيف الحركات ، ومن ثم فهو شخص آخر غير (عزرا الوراق) . والله أعلم . - انظر : بذل المجهود في إفحام اليهود ص ٤٣ .

بينما يؤكد الدكتور / أحمد حجازي السقا ، أن (عزيراً) هذا هو (عزرا الوراق) . انظر : نقد التوراة ص ١٢٤ .

والله أعلم .

٣ عزرا ، إصحاح (٧) ، فقرة : ٦ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١٠ ص ١١١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٨ .

حيث يقول سبحانه :

﴿ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم
الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله
والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو
سبحانه عما يشركون﴾ (١) .

أي : يشابهون في قولهم : إن (عزيزاً) ابن الله الأمم الوثنية القديمة ،
التي تقول بتعدد الآلهة ! (٢) .

ولقد قامت الأدلة : العقلية ، والعقلية ، على استحالة أن يكون لله تعالى
شريك ، أو والد ، أو صاحبه ، أو ولد .

وحيث إن اليهود يزعمون أنهم جميعاً - لا (عزيز) وحده - أبناء لله
تعالى ، فسنرجيء تلك الأدلة (العقلية والعقلية) التي تدمغ مزاعمهم
الباطلة - تلك - إلى الفقرة التالية :

هـ - زعمهم : أنهم أبناء الله وأحباؤه :

ومن المزاعم الباطلة التي افترها اليهود على الله تعالى ، قولهم :
(نحن أبناء الله وأحباؤه) ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -
قال :

« أتى رسول الله ﷺ (نعمان بن أضا) (٣) و (بحري بن عمرو) و

١ سورة التوبة ، آية ٣٠ - ٣١ .

٢ راجع : ص ٢٠٧ .

٣ نعمان بن أضا : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومة (بني قينقاع)
عن (المدينة) ، عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

(شاس بن عدي) (١) ، فلكموه ، فلكمهم رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الله ، وحذرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه ... (٢) ، فأنزل الله تعالى :

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ (٣)

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ (البنوة) في قول اليهود : (نحن أبناء الله) على رأيين ، هما :

١ - ذهب جمهور المفسرين إلى أن مراد اليهود من البنوة : البنوة الحقيقية ! (٤) ؛ فقد جاء في التوراة :

« هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر » (٥)

واليهود ينتسبون إلى يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - (٦) ، الذي يزعمون أنه ابن الله ! ، فهم بالتالي أبناء الله ! ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وجاء في التوراة - أيضاً - :

« أنتم أولاد للرب إلهكم » (٧)

١ شاس بن عدي : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومة (بني قينقاع)

عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٦ ص ١٦٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

٢ ص ٣٤ - ٣٥ .

٣ سورة المائدة ، آية : ١٨ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ١٦٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص

٣٤ .

٥ خروج ، إصحاح (٤) ، فقرة : ٢٢ .

٦ راجع : التعريف بـ (الأسباط) ج ١ ص ١٧١ .

٧ تثنية : إصحاح (١٤) فقرة : ١ .

وجاء - أيضاً - :

« أنت يارب أبونا » (١) .

فقد حمل اليهود هذه النصوص - على فرض صحتها - على غير تأويلها ، إذ ليس المقصود منها (البنوة) و (الأبوة) الحقيقيتين ؛ لأن الله تعالى منزّه عن اتخاذ الولد ، وإنما هي من باب التعبير المجازي ، الذي يقصد منه التشريف والإكرام ، كما يقول التلميذ لشيخه : يا أبي ، وكما يقول الشيخ لتلميذه : يا ابني . (٢)

ولا يبعد أن تكون هذ النصوص من ضمن التحريف الذي داخل أسفار (العهد القديم) - كما توصلنا إلى ذلك فيما مضى - (٣) .

٢ - وذهب بعض المفسرين إلى أن مراد اليهود من البنوة : البنوة بالاتباع (٤) ؛ فقد قال الله تعالى حكاية عن اليهود :
(وقالت اليهود عزيز ابن الله) (٥)

واليهود أتباع لـ (عزيز) الذي يزعمون أنه ابن لله ! (٦) ، لا بالطبيعة ، وإنما بالمحبة (٧) ، فهم بالتالي أبناء لله كذلك ! (٨) ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

والراجع - في نظري - هو الرأي الأول القائل : بأن مراد اليهود من البنوة : البنوة الحقيقية ! ، لأن هذا المعنى ورد صراحة في

١ إشعيا : إصحا (٦٣) فقرة : ١٦ .

٢ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٥٤١ - ٥٤٢ ، و : د/ أحمد حجازي السقا : أقانيم النصارى ص ٢٣ و ٢٥ .

٣ راجع : ج ١ ص ٩٨ .

٤ انظر : الزمخشري : الكشاف ج ١ ص ٦٠٢ .

٥ سورة التوبة ، آية : ٣٠ .

٦ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١٠ ص ٢١١ .

٧ انظر : د/ أحمد السقا : نقد التوراة ص ١٢٣ .

٨ انظر : د/ محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٥٦١ .

(التلمود) - الذي يؤمنون به - :

« تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن

الابن جزء من والده » (١) .

ومهما يكن من اختلافات بين هذين الرأيين في مراد اليهود من زعمهم من البنية ، فإنهما يتفقان في نظرة اليهود لأنفسهم بأن لهم مزية القرابة من الله تعالى على سائر البشر ! ، وصدق الله العظيم القائل فيهم :

﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا

يظلمون فتيلاً﴾ (٢) .

وقد قامت الأدلة : العقلية ، والعقلية من (القرآن الكريم) على رد زعم

اليهود الباطل - هذا - بـ (أنهم أبناء الله وأحباؤه) ، بما يأتي :

١ - دلت الأدلة العقلية على وحدانية الله تعالى ، واستحالة أن يكون له شريك ، أو والد ، أو صاحبة ، أو ولد ، وما يعيننا - هنا - سوى موضوع : نفي بنية أحد من الخلق لله تعالى ، ومن ذلك قول الله تعالى :

﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السماوات

وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا

تعلمون﴾ (٣) .

وقوله - أيضاً - سبحانه :

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد

السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا

١ د / أوغست روهلتج : الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٦٦ ، و : راجع : (الاستعلاء

الديني) ج ١ ص ١٣٧ .

٢ سورة النساء ، آية : ٤٩ .

٣ سورة يونس ، آية : ٦٨ .

للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في
السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * (١)

٢ - كما دلت الأدلة العقلية على نفس الدلالة التي دلت عليها الأدلة النقلية ،
وهي نفي بنوة أحد من الخلق لله تعالى ، ومن ذلك :

أ - أن الله تعالى رد على اليهود زعمهم الباطل بـ (أنهم أبناء الله
وأحبائه) ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول
سبحانه :

﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء والله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه
المصير ﴾ (٢)

ولابد أن يكون جواب اليهود على هذا السؤال الإلهي من أحد
وجهين :

١ - إما أن يقولوا : نعم يعذبنا ، فيقال لهم : فلستم إذن أبناءه ولا أحبائه -
كما زعمتم - ، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه (٣) ، وأنتم مقرون بعذابه (٤) ،
فذلك دليل على كذبكم * (٥)

٢ - وإما أن يقولوا : لا يعذبنا ، فيقال لهم : لقد كذبتُم ما جاء في - كتابكم
الذي تقدسونه - (العهد القديم) ، الحافل بغضب الله تعالى وسخطه

١ سورة مريم ، آية : ٨٨ - ٩٣ .

٢ سورة المائدة ، آية : ١٨ .

٣ لهذا الدليل شاهد (الحديث الشريف) ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

" مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق ، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها
أن يوطأ ، فأقبلت تسعى ويقول : ابني ، ابني ، وسعت فأخذته ، فقال القوم يارسول الله ما
كانت هذه لتلقي ابنها في النار ، قال : فحقتهم النبي ﷺ ، فقال : ولا الله عز وجل يلقي
حبيبه في النار " مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ١٠٤ .

٤ راجع : (زعمهم : أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة) ص ٢٩٣ .

• انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٢٠ .

عليكم (١) ؛ بسبب عصيانكم وكفركم (٢) .

ب - أن الرسول ﷺ تحدى اليهود إن كانوا صادقين في زعمهم : (أنهم أولياء لله من دون سائر البشر بالبنوة أو بالمحبة) ، بقول الله تعالى :

﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس

فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ (٣) .

وقد اختلف المفسرون في الوجه الذي أمر اليهود أن يتمنوا به

الموت ، على رأيين ، هما :

١ - ذهب طائفة من المفسرين إلى أن الوجه الذي أمر اليهود به : هو

(المباهلة) ، أي : الدعاء على الفريق الكاذب بالموت .

ومعنى الآية الكريمة - السابقة - على هذا الرأي :

- إذا كنتم - أيها اليهود - صادقين في زعمكم : أنكم أبناء الله

وأحبائه من دون سائر الناس ، فباهلوا على ذلك بالدعاء على الفريق

الكاذب منكم أو من المسلمين بالموت (٤) .

٢ - وذهب طائفة أخرى من المفسرين إلى أن الوجه الذي أمر

اليهود به : هو (سؤال الموت) .

ومعنى الآية الكريمة - السابقة - على هذا الرأي :

- إذا كنتم - أيها اليهود - صادقين في زعمكم : أنكم أبناء الله

وأحبائه من دون سائر الناس ، فاسألوا الموت ؛ لتعطوا أميبتكم ؛ كي

تستريحوا من هموم الدنيا ، وتفوزوا بجوار الله تعالى في جنانه ، فإن من

١ راجع : ج ١ ص ١٤٦ .

٢ انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٢١ .

٣ سورة الجمعة ، آية : ٦ .

٤ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٨ و ج ٤ ص ٣٦٤ .

يحب أحداً يتمنى لقاءه ، (١)

والراجع - في نظري - هو الرأي الأول القائل : إن الوجه الذي أمر اليهود به أن يتمنوا الموت : هو (المباهلة) ، أي : الدعاء على الفريق الكاذب بالموت ؛ لأنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في زعمهم أن يسألوا الموت - كما جاء في الرأي الثاني - ، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وسؤال الموت ، فكم من صالح لا يتمنى الموت ؛ بل يود أن يعمر ؛ ليزداد خيراً ، وترتفع درجته في الجنة (٢) ، فعن (أبي بكر) (٣) عن أبيه - رضي الله عنهما - قال :

« إن رجلاً قال : يا رسول الله أي الناس خير ؟ » قال : من طال عمره وحسن عمله » . (٤)

فليهود مع ذلك أن يقولوا : ها أنتم تعتقدون - أيها المسلمون - أنكم أولياء الله تعالى ، وأنتم لا تتمنون الموت ، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم ؟ . (٥)

ومهما يكن من اختلاف بين هذين الرأيين حول الوجه الذي أمر

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ و ج ٢٨ ص ٩٨ .

٢ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٨ .

٣ أبو بكر : (؟ - ٥٢ هـ = ؟ - ٦٧٢ م) هو نفيح بن الحارث بن كعدة الثقفي : صحابي ، اشتهر بلقب (أبي بكر) ؛ لأنه تدلى ببكرة إلى الرسول ﷺ في أثناء حصار الطائف ، اعتزل أحداث (الفتنة الكبرى) ، روى (١٣٢ حديثاً) . توفي بـ (البصرة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥ - ١٠ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٥٤٢ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٨ ص ٤٤ .

٤ سنن الدارمي : (كتاب الرقائق) ، (باب أي المؤمنين خير) ، ج ٢ ص ٣٠٨ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الزهد « ٢٧ ») ، (باب ما جاء في طول العمر للمؤمن « ٢١ ») ، حديث رقم (٢٣٣٠) ، ج ٤ ص ٥٦٦ ، و : مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٤٠ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح) . انظر : صحيح سنن الترمذي حديث رقم (١٨٩٨) ج ٢ ص ٢٧١ .

٥ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٨ .

اليهود به أن يتمنوا الموت ، سواء أكان (المباهلة ، أي : الدعاء على الفريق الكاذب بالموت) ، أم (سؤال الموت) ، فإن اليهود قد نكلوا عن ذلك لما يعلمون من كذبهم في مزاعمهم ، وصدق الرسول ﷺ الذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وأنهم إن تمنوا الموت - على كلا الرأيين - هلكوا ، فذهبت دنياهم ، وهي عندهم عزيزة معظمة ، لما يخشونه من سوء مآلهم بعد الموت في آخرتهم ، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ، ويدل على ذلك ما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . (١)

أي : أن المؤمن مهما أصابه من سعادة في الدنيا فهو قليل أمام ما أعدّه الله تعالى له في الجنة ، أما الكافر فمهما أصابه من شقاء في الدنيا فهو قليل أمام ما أعدّه الله تعالى له في النار . (٢)

ولهذا قال الله تعالى في الآية الكريمة التالية للآية الكريمة السابقة - مباشرة - :

﴿ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ . (٣)

وما يحاذر منه اليهود وهو (الموت) - وإن تأخر - واقع بهم - وبغيرهم - لا محالة ؛ لقول الله تعالى :

١ صحيح مسلم : (كتاب الزهد والرقائق « ٥٣ ») ، حديث رقم (٢٩٥٦/١) ، ج ٤ ص ٢٢٧٢ ،
و : سنن ابن ماجه : (كتاب الزهد « ٣٧ ») ، (باب مثل الدنيا « ٣ ») ، حديث رقم (٤١١٣) ،
ج ٢ ص ١٣٧٨ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الزهد « ٣٧ ») ، (باب ماجاء أن الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر « ١٦ ») ، حديث رقم (١٣٢٤) ، ج ٤ ص ٥٦٢ ، و : مسند الإمام أحمد :
ج ٢ ص ٣٢٣ .

٢ انظر : صحيح مسلم ، تعليق : محمد فؤاد عبدالباقى ج ٤ ص ٢٢٧٢ .

٣ سورة الجمعة ، آية : ٧ .

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ • (١)

وقوله - أيضاً - سبحانه :

﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ • (٢)

وقوله - أيضاً - سبحانه :

﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ • (٣)

وبناءً على كل تلك المزاعم اليهودية - وغيرها - في مسألة (الالهية)، يتضح لنا مدى التناقض الذي تحويه تلك المزاعم في حق الله تعالى ، فإنه يوصف بالفقر والبخل - وهما متناقضان - ، ويوصف - أيضاً - بالجهل - وكلها تناقض الإله الحق - ، هل يشرف الانتساب إليه - كما يزعم اليهود - بالبنوة أو المحبة - وهما متناقضتان مع الصفات الثلاث الأولى - ١ ؟

- لا شك أن اليهود يقصدون من هذه المزاعم تحقيق أحد هدفين ، أو كلاهما ، وهما : (٤)

١ - محاولة إثارة البلبلة في نفوس كل الناس من المسلمين ، وممن يوجد في نفوسهم ميل إلى الإسلام من العرب أو اليهود .

٢ - محاولة الإيحاء بأن صفات النقص - هذه - ليست لإلههم (يهوه) الذي ينتسبون إليه وحدهم (٥)، وإنما هي لإله أعدائهم من بقية البشر المسلمين وغيرهم .

ومن هنا يتبين لنا مدى العبث الذي تحويه تلك (الاقاويل والمزاعم)

١ سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

٢ سورة القصص ، آية : ٨٨ .

٣ سورة الرحمن ، آية : ٢٦ - ٢٧ .

٤ لمعرفة غاية اليهود من هذه الحكيمة (المجادلات) مجتمعة مفصلة . راجع : ص ٣٤٩ .

٥ راجع : ص ١٥٤ .

التي أطلقها اليهود في حق الله تعالى - والتي لا يمكن أن تصدر عن غيرهم - ؛ رغبة في إثارة الجدل - الذي هو من طبيعتهم - ، من غير اهتمام بما ينتج عنه من عدم احترام له - سبحانه - ؛ مما يدل - في النهاية - على كفرهم المطلق فيه ، حيث يقول فيهم سبحانه :

﴿والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ . (١)

وهؤلاء الذين لا يؤمنون بالله تعالى : هم (اليهود) . (٢)
فأين هذا التصور اليهودي لـ (مقام الألوهية) من التصور الإسلامي ، الذي يقوم على اعتبار الله تعالى : خالقاً وإلهاً للعالمين وحده لا شريك له ، ووصفه بما يليق بجلاله من الكمال المطلق : في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأقواله ، وأفعاله ، حيث يقول عن نفسه سبحانه :
﴿ليس كمثله شيء﴾ . (٣)

ب - عقيدتهم في الملائكة - عليهم السلام - :
تقوم عقيدة اليهود في مسألة الإيمان بالملائكة - عليهم السلام - على التفريق بينهم فـ (ميكائيل) (٤) - عليه السلام - وليهم ، أما (جبريل) - عليه السلام - فعدهم !

﴿جدلهم في جبريل - عليه السلام - :

- ١ سورة النساء ، آية : ٣٨ .
- ٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٥ ص ٨٧ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ١٤٦ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٦٨ .
- ٣ سورة الشورى ، آية : ١١ .
- ٤ ميكائيل : هو أحد كبار الملائكة المقربين إلى الله تعالى . انظر : محمد إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ٥٠٢ .

يزعم اليهود أن (جبريل) (١) - عليه السلام - هو عدوهم من الملائكة ، فما هو السبب في عداوتهم له ؟

- إن عداوة اليهود لجبريل - عليه السلام - ليست في أصل نصوص أسفار (العهد القديم) ، وذلك لعدم وجود مبررات هذا العداء أثناء كتابة تلك الأسفار ؛ لأنهم يعيشون ظلال نزول ملاك الرب عليهم - كما تصرخ بذلك نصوص لا حصر لها في تلك الأسفار - ، وإنما ظهرت تلك العداوة في نصوص (التلمود) ، الذي كتبوه بعد أن زال ملكهم نهائياً من (فلسطين) (٢) ، وتعود تلك العداوة إلى أسباب كثيرة ، من أهمها :

١ - ادعاء اليهود أن جبريل - عليه السلام - ضدهم ؛ لكونه ينزل بالشدة والهلاك ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : جبريل - عليه السلام - ، قالوا : جبريل ، ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت ميكائيل ، الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان » ! (٣) ،

١ جبريل : هو أحد كبار الملائكة المقربين ، الذين يرسلهم الله تعالى إلى رسله لتبليغهم بـ (الوحي) ، وهو (الروح) و (روح القدس) و (الروح الأمين) . انظر : محمد إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ٩٥ .

٢ انظر : د/ خضر سوندك : عقائد اليهود بين الحق والباطل ص ٣٨٦ .

٣ مسند الإمام أحمد - واللفظ له - : ج ١ ص ٢٧٤ ، و : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣٠ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٦ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٢ ، و : مقبل بن هادي الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٢-٣ .

وقال : الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله تعالى - عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : مسند الإمام أحمد ، حديث رقم (٢٤٨٣) ، ج ٤ ص ١٦١ .

وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣٠ - ١٣٢ ، و : الواحدي :

فأنزل الله تعالى :

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) .

١ - ادعائهم أن جبريل - عليه السلام - يطلع محمداً ﷺ على أسرارهم ،
فعن (قتادة) (٢) - رحمه الله تعالى - قال :

« ذكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود ، فلما
أبصروه رحبوا به ، فقال لهم عمر : أما والله ما جئت لحبكم ولا للرغبة
فيكم ، ولكن جئت لأسمع منكم ، فسألهم ، وسألوهم ، فقالوا : من صاحب
صاحبكم ؟ ، فقال لهم جبريل ، فقالوا : ذاك عدونا من أهل السماء يطلع
محمداً على سرنا ، وإذا جاء جاء بالحرب والسنة ، ولكن صاحب صاحبنا
ميكائيل ، وكان إذا جاء جاء بالخصب وبالسلم ، فقال لهم عمر : أفتعرفون
جبريل وتذكرون محمداً ، ففارقهم عمر عند ذلك ، وتوجه نحو رسول الله ﷺ
ليحدثه حديثهم ، فوجده قد أنزل عليه هذه الآية » (٣) .

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) .

٣ - ادعائهم أن جبريل - عليه السلام - خان الأمانة ، وذلك بنقل الرسالة

أسباب نزول القرآن ص ٢٧ - ٢٨ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٢ - ٢٣ .

١ سورة البقرة ، آية : ٩٧ .

٢ قتادة : (٦١ - ١١٨ هـ = ٦٨٠ - ٧٣٦ م) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري .

تابعي ، مفسر محدث ، وعالم بمفردات (اللغة العربية) وأيام العرب وأنسابهم ، توفي بالطاعون

بـ (واسط) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٦٩ - ٢٨٣ ، و : الزركلي :

الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ١ ص ٤٣٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

١ ص ١٣١ .

٤ سورة البقرة ، آية : ٩٧ .

الإلهية الخاتمة من بني إسرائيل إلى محمد ﷺ - وهو من بني
إسماعيل - ، فعن (مقاتل) (١) - رحمه الله تعالى - قال :

« قالت اليهود إن جبريل عدونا ، أمر أن يجعل النبوة فينا ، فجعلها في
غيرنا » (٢) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ (٣)

وهذا الإدعاء اليهودي بأن جبريل - عليه السلام - نقل الرسالة
عنهم ، أساسه نزول جبريل - عليه السلام - بـ (القرآن الكريم) من الله
تعالى إلى رسوله محمد ﷺ .

وفي قوله تعالى في آخر الآية الكريمة - السابقة - :

﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ .

إشعار « بأن هذا التنزيل لا ينبغي أن يكون سببا للعداوة ، وتقدير
هذا من وجوه :

أولها - أن الذي نزله جبريل من القرآن بشارة المطيعين بالثواب ،
وإنذار العصاة بالعقاب ، والأمر بالمحاربة والمقاتلة لما لم يكن ذلك
باختياره ؛ بل بأمر الله الذي يعترفون أنه لا محيص عن أمره ، ولا سبيل
إلى مخالفته ، فعداوة من هذا سبيله توجب عداوة الله ، وعداوة الله كفر ،

١ مقاتل : (؟ - ١٥٠ هـ = ؟ - ٧٦٧ م) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي الأزدي
- بالولاء - البصري . من أعلام المفسرين ، وهو مشهور برواية (الإسرائيليات) وله مؤلفات
كثيرة أهمها : (التفسير الكبير) و (نوادير التفسير) ، و (مقشابه القرآن) ، و (الناسخ
والمشوخ) ، و (القراءات) ، و (الاشباه والنظائر) ، و (الرد على القدرية) . توفي بـ
(البصرة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٢٠١ - ٢٠٢ . و : الزركلي : الأعلام
ج ٧ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

٢ الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٨ .

٣ سورة البقرة ، آية : ٩٧ .

فيلزم أن عداوة من هذا سبيله كفر .

وثانيها - أن الله تعالى لو أمر ميكائيل بإنزال مثل هذا الكتاب ، فإن أن يقال : إنه كان يتمرد ، أو يأبى عن قبول أمر الله ، وذلك غير لائق بالملائكة المعصومين ، أو كان يقبله ويأتي به على وفق أمر الله فحينئذ يتوجه على ميكائيل ما ذكره على جبريل - عليهما السلام - ، فما الوجه في تخصيص جبريل بالعداوة ؟ .

وثالثها - أن إنزال القرآن على محمد كما شق على اليهود ، فإنزال التوراة على موسى شق على آخرين ، فإن اقتضت نفرة بعض الناس لإنزال القرآن قبحة ، فلتقتض نفرة أولئك المتقدمين إنزال التوراة على موسى - عليه السلام - قبحة ، ومعلوم أن كل ذلك باطل ، فثبت بهذه الوجوه فساد ما قالوه « (١) .

هذا ، وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - بأنهم أعداء لجبريل - عليه السلام - ، بما جاء في الآية الكريمة التالية لهذه الآية الكريمة السابقة - مباشرة - حيث يقول سبحانه :

﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ (٢) .

وهذه الآية الكريمة متضمنة لما روى عمر بن الخطاب (٣) - رضي الله عنه - أنه قال :

« كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم (٤) ، فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان ، ومن الفرقان كيف يصدق التوراة ، فبينما أنا عندهم ذات

١ الرازي : التفسير الكبير ج ٣ ص ١٩٥ .

٢ سورة البقرة ، آية : ٩٨ .

٣ راجع : ترجمة (عمر بن الخطاب) ص ٥١٢ .

٤ راجع : التمرين بـ (المدراس) ص ١٣٧ .

يوم ، قالوا : يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك ، قلت : ولم ذلك ؟ ، قالوا : إنك تغشانا وتأتينا ، قال : قلت إني آتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق الفرقان ، قال : ومن رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فالحق به ، قال : فقلت لهم عند ذلك : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه ، واستودعكم من كتابه أتعلمون أنه رسول الله ؟ قال : فسكتوا ، قال : فقال عالمهم وكبيرهم إنه قد عظم عليكم فأجيبوه ، قالوا : أنت عالمنا وسيدنا فأجبه أنت ، قال : أما إذا أنشدتنا به ، فإننا نعلم أنه رسول الله ، قال : قلت ويحكم ! أي هلكتم ، قالوا : إنا لم نهلك ، قال : كيف ذاك ، وأنتم تعلمون أنه رسول الله ﷺ ، ثم لا تتبعونه ، ولا تصدقونه ؟ ، قالوا : إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة ، وإنه قرن به عدونا من الملائكة ، قال : قلت ومن عدوكم ومن سلمكم ؟ ، قالوا : عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل ، قال : قلت وفيم عاديتم جبريل وفيم سالمتم ميكائيل ؟ ، قالوا : إن جبريل ملك الفضاضة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا ، وإن ميكائيل ملك الرأفة والرحمة والتخفيف ونحو هذا ، قال : قلت وما منزلتهما من ربهما ؟ ، قالوا : أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، قال : قلت فوالله الذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالهما ، وما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل ، ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل ، قال : ثم قمت ، فاتبعت النبي ﷺ ، فلحقته - وهو خارج من خرفة لبني فلان - فقال لي : يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات نزلن ، فقرأ علي :

﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ * من كان عدواً لله وملائكته

ورسله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين» (١) .

قال : قلت بأبي وأمي يارسول الله - والذي بعثك بالحق - لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك الخبر ، فأسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر » (٢) .

فمن كان عدواً لجبريل - عليه السلام - ، فهو لله تعالى وملائكته ورسله وميكايل عدو !

وتخصيص (جبريل) و (ميكايل) بالذكر ، وهم من جنس الملائكة - عليهم السلام - « من باب عطف الخاص على العام ، فإنهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل ، ثم خصصا بالذكر لأن السياق في الانتصار لجبريل وهو السفير بين الله وأنبيائه ، وقرن معه ميكايل في اللفظ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم وميكايل وليهم ، فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضاً » (٣) .

وبناءً على ذلك ، يتضح لنا أن عدااء اليهود لجبريل - عليه السلام - ليس لشخصه ، بقدر ما هو بسبب ما جاء به من أمر إنزال (القرآن الكريم) على محمد ﷺ ، الذي لم يكن من جنس اليهود (بنو إسرائيل) ، وإنما هو من جنس العرب (بنو إسماعيل) !

ج - عقيدتهم في الكتب السماوية :

تقوم عقيدة اليهود في مسألة الإيمان بالكتب السماوية الثلاثة الشهيرة التي أنزلها الله تعالى على رسله - عليهم السلام - على التفريق بينها - أيضاً - ؛ فهم لا يؤمنون إلا بـ (العهد القديم - التوراة) ، ويكفرون

١ سورة البقرة ، آية : ٩٧ - ٩٨ .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣٦ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٧ - ٢٨ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٢ - ٢٣ .

٣ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣٢ .

بما عداه من (العهد الجديد - الإنجيل) و (القرآن الكريم) ، على ما سنفصله فيما يأتي :

١ - العهد القديم (التوراة) : (١)

وهو مقدس - على وجه العموم - لدى طوائف اليهود جميعاً ، إلا أنه على الرغم من ذلك لم يسلم من اختلافهم عليه ، من حيث ما يأتي :

أ - تحريفهم لأسفاره :

- فالتحريف في (العهد القديم) له (أربع صور) ، هي :

١ - تحريف الحذف .

٢ - تحريف الإضافة .

٣ - تحريف التبديل .

٤ - تحريف التأويل . (٢)

وقد أثبت القرآن الكريم تحريف اليهود لكتبهم ، حيث يقول تعالى :

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ

ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ . (٣)

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ

لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا

١ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . راجع : (العهد القديم) ج ١ ص ٩٨ .

٢ انظر : د/ محمد شلبي شتيوي : مقارنة الأديان (التوراة) ص ٨٣ - ١٠٢ .

٣ سورة البقرة ، آية : ٧٥ .

يكسبون» (١) .

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (٢) .

ومن التحريف الذي داخل أسفار (العهد القديم) - وهو ما يعني - : تحريف البشارات الواردة عن نبي الإسلام محمد ﷺ ؛ وذلك بحذف بعضها ، وتبديل بعضها الآخر أو تأويله ؛ من أجل صرفها عنه إلى غيره ! - كما فصلنا ذلك فيما مضى - (٣) .

ب - تفريقهم بين أقسامه :

- فأكثرية طائفة (السامريين) (٤) : لا تؤمن إلا بـ (التوراة) - فقط - ، وهي (أسفار موسى الخمسة : التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد ، التثنية) . (٥)

- وبعضهم (أي السامريين) : يضيف لأسفار التوراة الخمسة : (سفري يوشع والقضاة) ، حيث يرون في هذه الأسفار السبعة كتابهم المقدس ! (٦)

ج - تفاوتهم في تقديسه :

- ١ سورة البقرة ، آية : ٧٩ .
- ٢ سورة آل عمران ، آية : ٧٨ .
- ٣ راجع : (إنكارهم نبوة محمد ﷺ) ص ٨٨ .
- ٤ راجع : التعريف بـ (السامريين) ج ١ ص ١٠١ .
- ٥ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ١ ص ٧٩ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ٢٣٨ .
- ٦ انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ١ ص ٧٩ .

- فطائفة (الفريسيين) (١) : تعتبر (التلمود) أكثر قداسة من (التوراة) نفسها ١٠ (٢)

وبناءً على كل ذلك ، فلا يعتد بادعاء اليهود تقديسهم لكتابتهم (العهد القديم - التوراة) ؛ لأنهم مختلفون عليه - كما رأينا - اختلافاً كبيراً ؛ ولأن الإيمان بأحد الكتب السماوية كـ (التوراة) ، يستلزم الإيمان بما سواها من الكتب السماوية الأخرى ، سواء أكانت سابقة عليها كـ (صحف إبراهيم - عليه السلام -) ، أم لاحقة لها كـ (الإنجيل) و (القرآن الكريم) ، اللذين لم يؤمنوا بهما مطلقاً ، كما سنرى في الفقرتين التاليتين :

٢ - العهد الجديد (الإنجيل) : (٣)

١ راجع : التعريف بـ (الفريسيين) ج ١ ص ١٠٣.

٢ انظر : د/ عبدالوهاب المسيري : اليهودية والصهيونية وإسرائيل ص ٢٤ .

٣ العهد الجديد (الإنجيل) : أي البشرى . وهو القسم النصراني مما يسمى - عندهم - بـ

(الكتاب المقدس) ، الذي يضم - أيضاً - كتاب اليهود (العهد القديم) .

يشتمل (العهد الجديد) على (٢٧ سفرًا) ، ترجع إلى أوائل النصرانية ، وهي :

١ - الأسفار التاريخية : ويشتمل هذا القسم على ما يأتي :

أ - الأناجيل : وهي تحوي قصة حياة عيسى - عليه السلام - : تاريخه ، وعظاته ، ومعجزاته . وتتكون الأناجيل من (أربعة أناجيل) : (إنجيل متى ، إنجيل مرقس ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا) . وهذه الأناجيل المكتوبة بـ (اللغة اليونانية) تنسب إلى (الحواريين) ، وليست في الحقيقة - من نتاجهم ؛ لأن لغتهم (آرامية) ، كما هي لغة (إنجيل عيسى الأصلي) الذي فقد . ولعل هذه الأناجيل قد أخذت عنه ، علماً بأن هذه (الأناجيل الأربعة) منتخبة من أكثر من (٥٤ إنجيلاً) ، لم تعترف الكنيسة النصرانية بها ! ، ومن أشهرها (إنجيل برنابا) الذي يصرح بوحداية الله تعالى ، وبشرية المسيح عيسى - عليه السلام - ، وعدم صلبه ، وبنوة محمد ﷺ : (انظر : إنجيل برنابا ، و : محمد علي قطب : نظرات في إنجيل برنابا المبشر بنبوة النبي محمد ﷺ) ، وسبب هذا الرفض : الزعم بأن اسم (برنابا) متحل بالباطل إبان (القرون الوسطى) الأوروبية .

ب - أعمال الرسل : التي كتبها (لوقا) ، وهي تحوي قصة حياة معلمي النصرانية ، وخاصة (بولس) . وهذا القسم ينسب إلى (الحواريين) ، وليس - في الحقيقة - من نتاجهم ، وهو

وهو موجه - في الأصل - إلى بني إسرائيل ؛ لأن رسالة المسيح (عيسى) (١) كانت لهم ، حيث يقول تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ

مكتوب بـ (اللغة اليونانية) . وقد كتب هذا القسم فيما بين عامي ٦٣ - ١٠٠ م ، متأثراً بـ (رسائل بولس) !

٢ - الرسائل التعليمية : ويشتمل هذا القسم على ما يأتي :

أ - رسائل بولس : وهي رسائل أرسلها إلى كنائس أسسها بنفسه ، أو إلى أشخاص اشتركوا معه في أعماله . وتتكون هذه الرسائل من (١٤ رسالة) ، هي : (رسالة إلى أهل رومية ، رسالتان إلى أهل كورنثوس ، رسالة إلى أهل غلاطية ، رسالة إلى أهل أفسس ، رسالة إلى فيلبّي ، رسالة إلى كولوسي ، رسالتان إلى أهل تسالونيكي ، رسالتان إلى تيموثاوس ، رسالة إلى تيطس ، رسالة إلى فيلمون ، رسالة إلى العبرانيين) . وقد كتبت هذه الرسائل فيما بين عامي ٥٥ - ٦٣ م !

ب - الرسائل الكاثوليكية : أي (الجامعة) ؛ لأنها على العكس من (رسائل بولس) ، كتبت إلى جميع الكنائس ؛ لانتقل من كنيسة إلى أخرى . وتتكون هذه الرسائل من (سبع رسائل) ، هي : (رسالة يعقوب ، رسالتا بطرس ، رسائل يوحنا الثلاث ، رسالة يهوذا) . علماً بأن هذه الرسائل منتخبة من رسائل لا تعد ولا تحصى !

٣ - رؤيا يوحنا : وتقوم على إعلان العقيدة النصرانية ضد التعاليم الوثنية !
(والعهد الجديد) - بهذه الصورة - من تقرير (مجمع نيقية) الذي عقد - بطلب من الإمبراطور الروماني (قسطنطين) - عام ٣٢٥م ، واتخذ قراراً بـ (ألوهية المسيح) ، تلك البدعة التي أدخلها (بولس) إلى (الديانة النصرانية) ، ومن ثم ألغى ما عدا هذه الأسفار ، وعدّه هراءاً وزيفاً وكفراً ، يجب إفناؤه ، ويعاقب من قال به أو حمله .

(والعهد الجديد) يقوم جميعه - بعد تحريفه - على (ثلاثة أسس) ، هي :

١ - ألوهية المسيح !

٢ - قضية الغداء بصلب المسيح !

٣ - تحمل الأحياء والأموات للخطيئة الأولى (خطيئة آدم - عليه السلام - بأكله من الشجرة) !
انظر : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ٢٠١ - ٢٢٤ . و : د/ صابر طعيمة : الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص ٢٢٥ - ٢٧٥ ، و : د/ أحمد شلبي شتيوي : مقارنة الأديان (الإنجيل) ، و : أحمد عبد الوهاب : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس تطورات هامة في المسيحية ص ٧٦ - ٩٠ .

١ راجع : (عيسى - عليه السلام -) ص ٢٤٤ .

ولكن أكثرية اليهود لم يؤمنوا بعيسى - عليه السلام - ، ولا بالإنجيل الذي أنزل عليه لهدايتهم !

ولم يكتف اليهود بهذا ، وإنما عمدوا عن طريق أحد متعصبيهم إلى تحريف هذا الكتاب (الإنجيل) !

فمن هو هذا المتعصب اليهودي ، وما نوع التحريف الذي قام به ياترى ؟

- إن المتعصب الذي قام بتحريف (الإنجيل) يهودي ، يدعى (بولس) (٢) - واسمه الأصلي (شاول) (٣) - ، وينتمي إلى أسرة يهودية

١ سورة الصف ، آية : ٦ .

٢ بولس : (٤ - ٦٨) اسمه الأصلي (شاول) ، يعتبر (بولس) من أعظم رجال التاريخ النصراني . ولد في (طرسوس) بآسيا الصغرى ، في أسرة يهودية متعصبة ، حتى إذا أكمل تعليمه به (طرسوس) أرسل إلى (القدس) ، حيث تضلع في الناموس (التوراة) ، على يد (عملاكيل) أشهر علماء اليهود في عصره . وكان مكتسباً الرعوية الرومانية - ، قام في بداية الأمر باضطهاد النصارى الأول ، حتى تلقى تكليفاً من رئيس (الكنيس) بالذهاب إلى (دمشق) لمقاومة (النصرانية) عام ٣٥م ، وفي طريقة - كما يزعم - ظهر له المسيح عيسى - عليه السلام - وصنع معجزة ، فأمن به - كما فصلنا ذلك أعلاه - ثم سمي نفسه (بولس) ، ولقب به (القديس) و(رسول الأمم) ، وأصبح من أنشط المبشرين النصارى في (القرن الأول) ، ولكن اليهود - فيما يقال - ثاروا ضده ، فقبض عليه في عام ٥٧م ، فسجن لمدة عامين ، ثم حكم ببراءته ، ولما عاد للتبشير بالنصرانية مرة أخرى قبض عليه ، وسيق إلى (روما) ، حيث أعدم في عهد الامبراطور الروماني (نيرون) عام ٦٨م . تتلخص آراء (بولس) في رسائله - ١٤ رسالة . راجع : (العهد الجديد) ص ١٩٠ ، والتي عرضنا لما تدور عليه أعلاه . انظر : شارل جنينبير : المسيحية ص ٦٧ - ١١١ ، و : محمد أبوزهرة : محاضرات في النصرانية ص ٧٠ - ٧٦ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ١٠٤ - ١٢٥ ، و : د/ رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٩٦ - ١٠٧ ، و : الغزالي : الرد الجليل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل . دراسة : د/ محمد عبدالله الشرقاوي ص ٦٠ - ٧٠ ، و : أحمد عبدالوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٧١ - ٢٨٢ ، و : د/ مايكل هارث : المائة الأوائل ص ٣٦ - ٣٨ .

٣ انظر : أعمال الرسل ، إصحاح (١٣) فقرة : ٩ .

متعصبة (١)، فكان همه - في البداية - القضاء - علنياً - على الديانة الجديدة التي جاء بها عيسى - عليه السلام - ، والتي عرفت - فيما بعد - بـ (النصرانية) (٢) ، حيث عمل على اضطهاد أتباعها المؤمنين من (النصارى الأول)، حتى الإيابة؛ فقد جاء في العهد الجديد :

« وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في اورشليم فتشتت الجميع ... ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن » ! (٣)

ولما لم يفلح في مسعاه ذلك ، غير أسلوب هدمه من الخارج ، بهدم من الداخل ، ألا وهو التظاهر بالإيمان بتلك الديانة - التي عرفت فيما بعد - بـ (النصرانية) ، حيث تحول إليها - فجأة - حوالي عام ٣٨ م ، وسط هذا الظلام الاضطهادي؛ فقد جاء في العهد الجديد :

« أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى اورشليم ، وفي زهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط

١ انظر : أعمال الرسل ، إصحاح (٢٣) فقره : ٦ - ٩ .

٢ النصرانية : المسمى الذي أطلق - فيما بعد - على الديانة المنزلة من عند الله تعالى على رسوله المسيح عيسى - عليه السلام - ، ودستورها (الإنجيل) . ويطلق على أتباعها : (النصارى) : نسبة إلى بلدة (الناصرة) في فلسطين؛ وهي التي ولد فيها عيسى - عليه السلام - . ، أو إشارة إلى صفة : وهي نصرهم لرسولهم عيسى - عليه السلام - ، وتناصرهم فيما بينهم ، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر ، ثم أطلق على الجميع على وجه التغليب ، ويشهد لذلك قول الله تعالى : ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ : سورة الصف ، آية : ١٤ ، ومن جراء التخريب الذي دخل (الديانة النصرانية) بعد تحريف دستورها (الإنجيل) - كما سنذكر أعلاه - ، أصاب التخريب - أيضاً - مسماها ، فأطلق أتباعها عليها : (المسيحية - christianity) ، وعلى أنفسهم : (المسيحيين) ، نسبة إلى المسيح - عليه السلام - ، وقد ظهرت هذه التسمية - لأول مرة - في (القرن ٣م) في (مجمع نيس) ! انظر : د/ أحمد شلبي :

مقارنة الأديان (المسيحية) ج ٢ ص ٨٥ .

٣ أعمال الرسل ، إصحاح (٨) فقرة : ١ و ٣ .

على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدينى . فقال : من أنت ياسيد فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس . فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً . فتهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فاقتابوه بيده وأدخلوه إلى دمشق . وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب « ١٠ (١) »

وقد ادعى (بولس) - مع هذا التحول - أنه نبي مرسل من قبل المسيح - عليه السلام - ، حيث ألهمه (الإنجيل) ١ ، فقد قال في رسائله :
« وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان . لأنني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح » ١ (٢)

وليس بغريب أن يتحول قلب من الكفر إلى الإيمان ، ولكن الغريب أن يتحول رجل - ك (بولس) - من الكفر والعداء العميق للمؤمنين (النصارى) واضطهادهم وتعذيبهم وإبادتهم إلى رسول يوحى إليه ١ (٣)
ولا يبعد أن يكون إيمان (بولس) اليهودي (٤) ب (النصرانية) إنما تم

-
- ١ أعمال الرسل ، إصحاح (٩) فقرة : ١-٩ .
 - ٢ رسالة بولس إلى أهل غلاطية ، إصحاح (١) ، فقرة : ١١ - ١٢ .
و : انظر : رسالة بولس إلى تيموثس : ٣/١ .
 - ٣ انظر : الغزالي : الرد الجميل للإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، دراسة : د/ محمد عبدالله الشرقاوي ص ٦٣-٦٤ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ١٠٥ .
 - ٤ إن الغالب في تحول اليهود من ديانتهم (اليهودية) إلى أية ديانة أخرى ك (النصرانية) و (الإسلام) ، إنما هو نفاق ، بهدف إفساد تلك الديانة ، يقول الحاخام (رايشون) في خطبة ألقاها في اجتماع سري عقده اليهود على قبر قديسهم (سيمون بن يهودا) في مدينة (براغ) - تشيكوسلوفاكيا) عام ١٨٦٩م - ١٢٨٦ هـ ، جاء فيها بشأن تحول اليهود إلى (النصرانية) :
« قبل إن عدداً من إخواننا اليهود تنصروا ، وماذاضيرنا ؟ ، إن هؤلاء اليهود الذين

من خلال (القوة الخفية) (١) - التي عرفت فيما بعد بـ (الماسونية) (٢) - ؛
من أجل تخريبها (أي النصرانية) عن طريق تحريف دستورها (الإنجيل) ،
من خلال رسائله الكبرى (٣) ، التي ألفها بعد رفع المسيح - الذي لم يره
مطلقاً - (٤) بحوالي (٢٥ عاماً) ! (٥)

فقد أخرجت تلك (الرسائل البولسية) ملة المسيح عيسى - عليه

يتمتعون بأجسامهم ستمثل أرواحهم يهودية ، وسوف يكونون لنا مشعلا نستنير به في اكتشاف
خبايا النصرانية ، ومساعدين لنا على رسم الخطط التي تدمر المسيحية . إن الكنيسة عدونا
الخطر ، فلنستفد من إخواننا الذين تنصروا في الظاهر ، لئلا يفسدوا في الكنيسة ، وإشاعة
أسباب الخلاف والفرقة والصراع بين المسيحيين ، ونشر الاتباء المشوهة التي تسيء إلى رجال
الدين ، فيقل احترامهم ، ويزدريهم الشعب في كل مكان " ! : إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل
والتلمود ص ٩٥ ، نقلا عن : مجلة (Contemporain) في ١٨/٧/١٩٨٠م .

وهذا الحكم ليس حكماً عاماً ؛ فقد يدخل بعض اليهود (النصرانية) مؤمناً بها من قلبه ، وليس
نفاقاً . كما يدخل بعض اليهود (الإسلام) عن قناعة تامة في كل زمان ومكان ، كما هو حال
الحبر عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع .
راجع : ص ١١٩ .

١ انظر : داود عبدالغفو سنقرط : القوى الخفية لليهودية العالمية - الماسونية - ص ٦٤ ، و :
أحمد عبدالوهاب : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ص ١٠٢ ،
نقلا عن : Hyam Maccoby : The Myth Maker : Paul and the Invention of
christianity, weidenfeld & Nicolson, London, 1980, PP. 7-8.

٢ راجع : (الحركة الماسونية) ج ٣ ص ٣٠٤ .

٣ لمعرفة أسماء تلك الرسائل . راجع : (العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٩٠ .

٤ يؤكد (شارل جنينير) - أستاذ (المسيحية) ورئيس (قسم تاريخ الأديان) في (جامعة باريس) - في
كتاب تحدث فيه باستفاضة عن مهمة (بولس) الكبرى التي قام بها في تخريب (الديانة النصرانية)
، وإخراجها من ثوبها الإلهي إلى ثوب وضعي جديد باسم المسيح عيسى - عليه السلام - ،
يؤكد أنه لم ير المسيح ، حيث يقول :

" ولقد ثار جدل طويل لم ينته إلى نتيجة حول التأكد من أن بولس رأى عيسى . والقضية التي
ثبتت لنا على أي حال هي أنه : لم يعرفه " : المسيحية - نشأتها وتطورها ص ٨٦ .

خصوصاً ، و " أن تطور بولس نحو المسيحية لم يتم بالقدس ، وأن مذهبه لم ينشأ من
الاتصال بالحواريين الإثني عشر " : شارل جنينير : المسيحية ص ٨٧ .

٥ انظر : أحمد عبدالوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ١٩١ ، و : د / أحمد شلبي
: مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ٢٠٤ .

السلام - من إطار الوحي الإلهي إلى إطار الوضع البشري ، فهي تدور على آراء عديدة ، من أهمها ما يأتي :

١ - أنه غير وصف المسيح عيسى - عليه السلام - من (ابن الإنسان) (١)

١ لقد تردد " وصف المسيح عيسى - عليه السلام بـ (ابن الإنسان) في (الإنجيل) كثيراً ، ومن ذلك - مثلاً - ما جاء في (إنجيل متى) على لسان المسيح - عليه السلام - نفسه ، حيث يقول :

" إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذي يسلم ابن الإنسان " : متى ، إصحاح (٢٦) فقرة : ٢٤ .

حتى أن (بولس) نفسه يصف المسيح - عليه السلام - بالإنسان ؛ فقد جاء في رسالته :

" لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح " : رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ، إصحاح (٢) فقرة : ٥ .

كما أن (إنجيل برنابا) - الذي لم تعترف به الكنيسة النصرانية - قد صرح بهذا بشكل واف . راجع : ص ١٩٠ .

ووصف المسيح عيسى - عليه السلام - نفسه بـ (ابن الإنسان) هو الحق ؛ لأنه كبقية البشر في أصل الخلقة ، والحاجة إلى كل ما يحتاجه أولئك البشر ، وقد قرر القرآن الكريم عن المسيح حاجته إلى الطعام - كبقية البشر - ، حيث يقول تعالى :

" وما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون " : سورة المائدة ، آية : ٧٥ .

وهذا هو شأن جميع الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - ، حيث يقول تعالى :

" وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق " : سورة الفرقان ، آية : ٢٠ .

" وأكل الطعام يقتضي إخراج فضلاته ، وشرب الشراب يستلزم إنزال فاضلاته ، وإلا امتلأ الإنسان وانتفخ وتسمم ومات ، وقد تعفف القرآن عن ذكر التبرز والتبول بالنسبة لعيسى وباقي الرسل تسامياً منه في التعبير ، واكتفاء بما يفهم من النتيجة الطبيعية للأكل والشراب " : محمد مجدي مرجان : المسيح إنسان أم إله ص ١٨٧ .

وقد ألف (أميل لود فيج) كتاباً عن المسيح - عليه السلام - سماه (ابن الإنسان) . تحدث فيه عن تصور المسيح لنفسه ، حيث يقول :

" لم يفكر يسوع في أنه أكثر من نبي ... ، ولم يحدث أبداً من يسوع ما يخل به إلى السامع أن له خواطر وآمالاً فوق خواطر البشر وآمالهم ، وما كان يسوع ليذهب إلى أبعد من ذلك فيدعي أنه المنتظر المنتظر ... ، والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه لقوله عن نفسه إنه (ابن الإنسان) " : محمد مرجان : المسيح إنسان أم إله ص ٢٠٤ ، نقلاً عن : أميل لودفيج : ابن الإنسان - ترجمة : عادل زعيتر ص ٩٥ .

وقد عقد المفكر المصري / محمد مجدي مرجان - وكان قبطياً فأسلم - فصلاً بعنوان : (ابن

، الذي كان يطلق عليه الحواريون إلى (ابن الله) (١) ؛ فقد قال في رسائله :

الإنسان) ، تحدث فيه عن المسيح - عليه السلام - من خلال : الأكل والشرب ، النوم والراحة ، الغضب والصفب ، الخوف والرهب ، الحزن والبكاء ، القيام بالتكاليف الشرعية ، ... إلخ . انظر : المسيح إنسان أم إله ص ١٨٧ - ٢١٠ .

و : انظر - أيضاً - أحمد عبد الوهاب : النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٧٦ - ٧٩ .

ولكن المفكر الفارسي الدكتور / عبد الأحد داود - وكان قساً للروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين تحت اسم (دافيد بنجامين كلداني) - يرى أن وصف (ابن الإنسان) لا ينطبق على المسيح - عليه السلام - فهو (ابن إنسانة) هي مريم - رحمها الله تعالى - ؛ ولذلك فاسمه القرآني (عيسى بن مريم) حيث يقول تعالى :

﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح بن مريم وحيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ : سورة آل عمران ، آية : ٤٥ .
انظر : محمد في الكتاب المقدس ص ٢١٤ .

وبناءً على ذلك فالمسيح - عليه السلام - خاضع - كبقية البشر - لكافة الفرائض الإنسانية ، مع العصمة المقررة للأنبياء - عليهم السلام - .

١ لقد أطلق وصف (ابن الله) في (الإنجيل) على المسيح عيسى - عليه السلام - ، فقد جاء في (إنجيل متى) - مثلاً - :

« وإذا هما قد صرخا قائلين ما لنا ولك يا يسوع يا ابن الله » : إصحاح (٨) فقرة : ٢٩ .

وهذا النص - وغيره - من التحريف الذي داخل الإنجيل .

وحتى على الفرض - جدلاً - صحة هذا التعبير (ابن الله) ، فليس المقصود منه (النبوة الحقيقية) ؛ لأن الله تعالى منزّه عن اتخاذ الولد ، وإنما هو تعبير مجازي يقصد منه أن المسيح - عليه السلام - مطيع لله تعالى ، كما يقول التلميذ لشيوخه : يا أبي ، وكما يقول الشيخ لتلميذه : يا ابني . انظر : عبدالعزيز آل معمر : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ٨٣ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٥٤١ - ٥٤٢ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ١٤٧ - ١٤٩ ، و : د/ أحمد حجازي السقا : أقانيم النصارى ص ٢٣ و ٢٥ .

أو يقصد منه : أن المسيح - عليه السلام - من مخلوقات الله ، كما جاء في الإنجيل :

« أبانا الذي في السموات . ليتقدس اسمك » : إنجيل متى ، إصحاح (٦) ، فقرة : ٩ .

فالمعنى أن الخلق أبناؤه أي : مخلوقاته ! . انظر : د/ عبد الأحد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ٢١٤ ، و : راجع : (زعمهم أنهم أبناء الله وأحبائهم) ص ١٧٢ .

علماً بأن (بولس) لا يقصد من إطلاق وصف (ابن الله) على المسيح - عليه السلام - (النبوة الحقيقية) ؛ فهو - على يهوديته في السر - لم يؤمن به - عليه السلام - أصلاً ؛ وإنما أطلقه من

« إن كان الله معنا فمن علينا » الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا

أجمعين « (١) !

٢ - أنه حول مهمة المسيح عيسى - عليه السلام - من (الرسالة) (٢) ، إلى (الألوهية) ! ؛ فقد قال (٣) في رسائله :

أجل إحداث البلبلة في عقائد أتباعه (النصارى) ، وهو ما كان ، حيث تلقفه المتأخرون منهم ، وحملوه على المعنى الحقيقي ، كما حصل في (المجمع المسكوني الأول) في (نيقية) عام ٣٢٥ م .
راجع : التعريف بـ (الإقنيم) ص ٢٠٥ .

١ رسالة بولس إلى أهل رومية ، إصحاح (٨) ، فقرة : ٣١ - ٣٢ .

٢ لقد تردد وصف المسيح عيسى - عليه السلام - بأنه (رسول الله) في (الاناجيل) كثيراً ، حتى أن (إنجيل يوحنا) الذي يصرح بالألوهية - المسيح قد جاء فيه وصفه بـ (الرسالة) :

« وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك يسوع المسيح الذي أرسلته » :
إصحاح (١٧) فقرة : ٣ .

كما تصرح (الاناجيل) - جميعاً - بوحداية الله تعالى ؛ فقد جاء - مثلاً - في (إنجيل مرقس) نص على لسان المسيح يصرح بوحداية الله :

« فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل . فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي إسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد » :
إصحاح (١٢) ، فقرة : ٢٨ - ٢٩ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : الغزالي : الرد الجميل لإلهية عيسى
بـ عريخ الإنجيل ص ١٠٣ - ٢٠٥ .

٣ لم يضع (بولس) فكرة (الألوهية المسيح) - عليه السلام - ابتداءً ، وإنما وضعها الرومان الذين ظهر المسيح عيسى - عليه السلام - بدعوته في عهد احتلالهم لـ (فلسطين) - وكان الرومان هم الورثة لفلسفات اليونان الذين يقولون بتجسد الآلهة - ، حيث يقول (بربابا) في إنجيله - الذي لم تعترف به (الكنيسة النصرانية) - :

« حدث ... اضطراب عظيم في اليهودية كلها لأجل يسوع . لأن الجنود الرومانية أثارت بعمل الشيطان العبرانيين قائلين : إنه يسوع هو الله قد جاء ليفتقدهم . فحدث بسبب ذلك فتنة كبرى . حتى أن اليهودية كلها تدججت بالسلاح مدة الأربعين يوماً . فقام الابن على الأب ، والأخ على الأخ . لأن فريقاً قال : إن يسوع هو الله قد جاء إلى العالم . وقال فريق آخر : كلا بل هو ابن الله . وقال آخرون : كلا لأنه ليس لله شبه بشري ولذلك لا يلد . بل إن يسوع الناصري نبي الله » : الفصل (٩١) فقرة : ١-٦ .

ولكن عيسى - عليه السلام - لم يسكت على هذا الهراء ، وإنما وقف خطيباً قائلاً - إن صحت نسبة ذلك القول إليه - :

« المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى

الأبد » ١٠١ (١) .

٣ - أنه صاحب فضحية (صلب) (٢) المسيح عيسى - عليه السلام - ؛ تضحية
تكفيرية عن خطايا البشر (٣)؛ فقد قال في رسائله :

« أشهد أمام السماء وأشهد كل شيء على الأرض أنني بريء من كل ما قد قلتم . لاني إنسان
مولود من امرأة فانية بشرية . وعرضة لحكم الله . أكابد شقاء الأكل والنام وشقاء البرد
والحر كسائر البشر . لذلك متى ما جاء الله لهديز . يكون كلامي كحسام يخترق كل من يؤمن
بأنني أعظم من إنسان » : إنجيل برنابا ، إصحاح (٩٣) فقرة : ٩-١١ .

وقد « انتهز (بولس) هذه الفرصة السانحة ونادى بألوهية المسيح جهراً ، وبدون خوف ،
إعتماداً على أن الرومان يألفون هذه العقيدة ، وسوف يساعدون على نشرها . واستعان بالفلسفة
الشائعة في العالم عن التثليث ؛ ليثبت أركان هذه العقيدة . أي أن (بولس) لم يجهر بتجسد
المسيح إلا بعدما رأى الرومان يجهرون بتجسد المسيح ، في حاية المسيح نفسه » : د/ أحمد
السقا : أقانيم النصارى ص ٩٠ .

ولكنه (أي بولس) هو صاحب إدخال فكرة (ألوهية المسيح) - عليه السلام - في (العهد
الجديد) !.

١ رسالة بولس إلى أهل رومية : إصحاح (٩) فقرة : ٥ .

٢ لم يصلب المسيح عيسى - عليه السلام - كما يزعم اليهود والنصارى ، وإنما رفعه الله تعالى
إليه - كما سنفصل ذلك إن شاء الله تعالى في موضع آخر . راجع : (عيسى - عليه السلام -)
ص ٢٢٤ .

٣ يؤمن النصارى بـ (التوراة) التي يسمونها (العهد القديم) ؛ لتكون في مقابل (العهد الجديد)
الذي هو (الإنجيل) ، حيث يشكلان معاً ما يسمى عندهم بـ (الكتاب المقدس) ، وقد جاء في
التوراة :

« وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة . فلا تبت جثته على الخشب
بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله ! : تثنية ، إصحاح (٢١) فقرة : ٢٢-٢٣ .
فكيف يؤمنون بصلب السيح عيسى - عليه السلام - وهم يزعمون أنه لهم إلهاً ، وهو ملعون ؟!

كما جاء في التوراة - أيضاً - :

« لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل » : تثنية ،

« فإبنتي سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » (١) !

٤ - أنه صاحب فكرة (العشاء الرباني) (٢) ؛ رابطاً بين (كسر الخبز) وقتل

إصحاح (٢٤) ، فقرة : ١٦

وجاء في العهد القديم - أيضاً - :

« النفس التي تخطيء هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون » : حزقيال ، إصحاح (١٨) فقرة ٢٠ .

فكيف يعاقب المسيح - عليه السلام - بالصلب وهو بريء من إثم جناه سواء ، وهو آدم - عليه السلام - بأكله من الشجرة ؟ !

علماً بأن آدم - عليه السلام - قد تاب من ذنبه ، حيث يقول تعالى :

﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبنت لهما سواتهما وطفقا يخصفاً عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباها ربه فتأب عليه وهدي﴾ : سورة طه ، آية : ١٢٠ - ١٢٢ .

وحتى لو لم يتب آدم - عليه السلام - من ذنبه - جدلاً - فمانذب ذنبه ؟ !

ومن هنا جاء مبدأ تطبيق القول الإلهي : ﴿ولا تزد وزداً وذر أخرى﴾ : سورة الأنعام ، آية : ١٦٤ ، وسورة الإسراء ، آية : ١٥ ، و : سورة فاطر ، آية : ١٨ ، و : سورة الزمر ، آية : ٧ .

١ رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ، إصحاح (١٥) فقره : ٣ .

٢ إن قضية (العشاء) لا ترمز إلى مازعمه (بولس) من قتل المسيح عيسى - عليه السلام - ؛ فقد جاء في العهد الجديد :

«فلما خرج يسوع أبصر جمعاً كثيراً فتحنن عليهم وشفى مرضاهم . ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قاطنين الموضع خلاء والوقت قد مضى إصفر الجموع لكي يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً . فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا أعطوهم أنتم لياكلوا . فقالوا له ليس عندنا هنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان . فقال أنتوني بها إلى هنا . فأمر الجموع أن يتكثروا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى والأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع . فاكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة . والأكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ماعدا النساء والأولاد» : إنجيل متى ، إصحاح (١٤) فقرة : ١٤ - ٢١ .

وقد أكد القرآن الكريم - وهو الحق - جعل هذه الحقيقة ، حيث يقول تعالى :

﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا

المسيح عيسى - عليه السلام - ؛ فقد قال في رسائله :

« لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً ، وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لاجلكم اصنعوا هذا لذكري ، كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري » (١) .

هـ - أنه ألغى اختصاص ملة المسيح عيسى - عليه السلام - بـ (الشعب اليهودي) (٢) ، وسمح للمشركين - من اليونانيين وغيرهم (٣) - بالدخول فيها . (٤)

٦ - أنه بدل (عهداً قديماً) بـ (عهد جديد) ، حيث أخذ بفكرة (انفصال النصرانية عن اليهودية) ؛ مدعياً أن المسيح عيسى - عليه السلام - ألغى شرائع (التوراة) (٥) ، التي جاء بها موسى - عليه السلام - ؛ فقد قال

الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فلاي أعذبة عذاباً لا أعذبة أحداً من العالمين) : سورة المائدة ، آية : ١١٢ - ١١٥ .

١ رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ، إصحاح (١١) فقرة : ٢٣ - ٢٥ .

٢ جاء في العهد الجديد :

« ثم خرج يسوع ... وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » : إنجيل متى ، إصحاح (١٥) فقرة : ٢١ و ٢٢ .

٣ يكفي لمعرفة هذا التوجه (عمومية الرسالة النصرانية عند بولس) ، النظر إلى عناوين رسائله ومحتوياتها . راجع : التعريف بـ (العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٩٠ .

٤ انظر : شارل جنيبير : المسيحية ص ١٠٣ - ١٠٤ .

هـ لقد أعلن المسيح عيسى - عليه السلام - أنه ما جاء ليُلغي شرائع التوراة ، وإنما ليكملها ؛ فقد جاء في العهد الجديد :

« لا تظنوا أنني جئت لآنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لآنقض بل لأكمل » : متى ، إصحاح

(٥) فقرة : ١٧ .

في رسائله :

« لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس (١) أيضاً » (٢) .
ومن الشرائع التوراتية (٣) التي ألغاه (بولس) : الختان (٤) ؛ فقد
قال في رسائله :

« فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد
صار ختانك غرلة . إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب
غرلته ختاناً . وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدنيك
أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس . لأن اليهودي في الظاهر
ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً . بل اليهودي
في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي
مدحه ليس من الناس بل من الله » (٥) .

وبهذا يكون (بولس) داخلاً في وعد المسيح - عليه السلام - :

١ الناموس : هو (التوراة) . راجع : (التوراة أو الناموس) ج ١ ص ٨٦ .

٢ الرسالة إلى العبرانيين ، إصحاح (٧) فقرة : ١٢ .

٣ لقد مر التشريع في (الديانة النصرانية) بمراحل تطورية ، حتى وصل إلى صورته الراهنة التي
هو عليها الآن . و : لمزيد من المعلومات حول تلك المراحل التشريعية التي جاء بها المسيح
عيسى - عليه السلام - ، والتي جاء بها (بولس) ، انظر : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج

٢ (المسيحية) ص ٢٢٨ - ٢٣٦ ، ود/ أحمد السقا : أغانيم النصارى ص ١٣٦ - ١٣٨ .

٤ لقد أكدَّ (الحواريون) أن (الختان) شريعة المسيح عيسى - عليه السلام - ؛ فقد جاء في العهد
الجديد :

« وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا

يمكنكم أن تخلصوا » : أعمال الرسل ، إصحاح (١٥) فقرة : ١ .

كما أن المسيح عيسى - عليه السلام - قد ختن ، جاء في العهد الجديد :

« ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمى يسوع » : إنجيل لوقا ، إصحاح (٢) فقرة : ٢١ .

٥ رسالة بولس إلى أهل رومية ، إصحاح (٢) فقره ٢٥ - ٢٩ .

» احتزروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم

من الداخل ذئاب خاطفة « (١)

إن » الدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو - لأول وهلة - غريباً حقاً : مزيج من دعوى الإثنى عشر الأساسية ، ومن الأفكار اليهودية ... ، ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية ، ومن الذكريات الإنجيلية ، والأساطير الدينية الشرقية « . (٢)

وبذلك يكون (بولس) قد خالف مبادئ (الحواريين) (٣) - الذين أشربوا تعاليم المسيح ، عليه السلام - ، وأجبرهم على قبول آرائه الجديدة ؛ » إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها ، معتمداً على تحليل أوجه النجاح التي لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى في ربوع آسيا الصغرى ؛ ثم إن مجتمع القدس كان يظن أن روحاً إلهية تسيّر

١ إنجيل متى ، إصحاح (٧) فقرة ١٥ .

٢ شارل جنيبير : المسيحية ص ٧٠ .

٣ الحواريون : جمع حواري ، وهو صاحب ، والرفيق ، والناصر . وقد عرف تلاميذ المسيح عيسى - عليه السلام - الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه بـ (الحواريين) ، حيث تعلموا منه وبشروا بدعوته بين اليهود ، وهم :

في إنجيل متى : ١٠/٢-٤ ، وفي إنجيل مرقس : ٣/١٦ : سمعان (بطرس) ، أندراوس ، يعقوب بن زبدي ، يوحنا بن زبدي ، فيلبس ، برثولماوس ، توما ، متى ، يعقوب بن حلفي ، لبانوس (تداوس) ، سمعان القانوني ، يهوذا الإسخريوطي ،

و : في إنجيل لوقا : ٦/١٤ : (سمعان (بطرس) أندراوس ، يعقوب بن زبدي ، يوحنا بن زبدي ، فيلبس ، برثولماوس ، توما ، متى ، يعقوب بن حلفي ، يهوذا ، سمعان (الغيور) ، يهوذا الإسخريوطي .

و : في إنجيل برنابا : ١٤/١٠-١٩ : بطرس (سمعان) ، أندراوس ، يعقوب بن زبدي ، يوحنا بن زبدي ، فيلبس ، برثولماوس ، برنابا ، متى ، يعقوب بن حلفي ، تداوس ، يهوذا ، يهوذا الإسخريوطي .

انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٢ ص ١٨٧٦ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٨٢ .

الحواري الثالث عشر فيما يقوم به من أعمال ، وكان هذا المجتمع فقيراً ، وكانت كنائس بولس تضم أحياناً بين أتباعها ثروة القوم وكرامهم ، وكان الحواري خبيراً بأساليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم « (١) » فقد كان يبدو لكل طائفة وكأنه منهم ، حيث يقول في رسائله :

« استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين . فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أنني لست بلا ناموس لله بلا تحت ناموس للمسيح لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً . وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه » (٢) .

ولذلك ، تأثرت (الإنجيل) التي بدىء في كتابتها حوالي عام ٦٣ م ، ببعض تلك الآراء الباطلة ، ولاسيما : نظرية سفك دم المسيح ، فدية عن خطايا البشر (٣) ؛ لتصطبغ (الديانة النصرانية) - فيما بعد - ، بعد أن حُرف دستورها (الإنجيل) - وضم إليه (رسائل بولس) و (غيرها) ، تحت مسمى (العهد الجديد) (٤) - بصيغة الثالوث الشركي (٥) - المعتقد (٦)

١ شارل جنيبير: المسيحية ص ١٠٤ .

٢ رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ، إصحاح (٩) فقرة : ١٩ - ٢٣ .

٣ انظر : أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ١٩٥ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ٢٠٤ .

٤ راجع : التعريف بـ (العهد الجديد) ص ١٩٠ .

٥ انظر : محمد مرجان : المسيح إنسان أم إله ، تعليق : عبد الرحمن دمشقية ص ٥١ .

٦ تعتبر (الديانة النصرانية) - بوضعها الحالي - أكثر الأديان السماوية والوضعية صغوية وتمقيداً ، بعد أن حُرف دستورها (الإنجيل) ، وكانت قبلاً - كما جاء بها المسيح عيسى - عليه السلام - ميسورة خالية من التعقيد ؛ لقيامها على التوحيد المطلق ، كشأن الأديان السماوية الأخرى .

، المعروف بـ (الاقانيم) (١) الثلاثة ، التي التقت بها من خلال (المجامع

١ الاقانيم : جمع اقنوم ، وهي كلمة سريانية ، معناها : شخص أساسي . والاقانيم عند النصارى (ثلاثة آلهة) ، هي :

١ - الآب - بمد الهمزة وتخفيف الباء - : كلمة عبرانية ، تساوي كلمة (الاب) العربية ، والمقصود بها : الله تعالى ، وله خصائص اللاهوتية ، أي (الالهية) ! .

٢ - الابن : والمقصود به : المسيح عيسى - عليه السلام - ، وله خصائص الناسوتية ، أي (البشرية) ! .

٣ - الروح القدس : والمقصود به : الروح التي حلت في مريم - رحمها الله تعالى - ، وله خصائص اللاهوتية والناسوتية ، أي (الالهية ، والبشرية) ! .

والنصارى في عقيدة الاقانيم التثليثية - هذه - على عدة مذاهب ، أشهرها مذهبان ، هما :

١ - مذهب نصارى الشرق (الارثوذكس) - وهم (اليعاقية) ، نسبة إلى (يعقوب البرادعي) الذي دعا إليه - ، وقد أعلن هذا المذهب في (مجمع إفسس الأول) في (الاناضول) عام ٤٣١م ، ويعتقد أتباع هذا المذهب : أن الله واحد في (أقانيم ثلاثة) مرحلية ، على النحو الآتي :

« الله عز وجل نزل من السماء ، واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر ، وكان لما دخل بطنها نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم أصبح جنيناً كاملاً ، ثم خرج طفلاً اسمه عيسى ، ونما كما ينمو الأطفال ، ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة ، وبعد سنتين وأشهر قتله اليهود وصلبوه ، ثم دفن في القبر ثلاثة أيام ، ونزل إلى الجحيم وهو في القبر ، ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات . ويسمى : الآب قبل التجسد ، ويسمى : الابن بعد التجسد ، ويسمى : الروح القدس ، الاسم الذي كان له قبل إنشاء العالم . أي أن عيسى هو الله خالق السماء والأرض ، والله هو عيسى » تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ويستدلون على مذهبهم بقول بولس :

« الله ظهر في الجسد تبارك في الروح تراءى لملأكة كرز به بين الأمم أمن به في العالم رفع في المجد » ! : رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ، إصحاح (٣) فقرة : ١٦ .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المذهب ، بقول الله تعالى :

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ : سورة المائدة ، آية : ٧٢ .

٢ - مذهب نصارى الغرب (الكاثوليك والبروتستانت) - وهم (الملكانية) ، نسبة إلى (زوج الملكة) في مجمع خلقيدونية) في (السفور) عام ٤٥١م . ويعتقد أتباع هذا المذهب : أن الآلهة ثلاثة في (أقانيم ثلاثة) منفصلة ، على النحو الآتي :

« الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون : الآب - الابن - الروح القدس » ! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المذهب ، بقول الله تعالى :

«لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم»: سورة المائدة ، آية : ٧٢ .
٢ - مذهب نصارى الغرب (الكاثوليك والبروتستانت) - وهم (الملكانية) ، نسبة إلى (نوح الملكة) في (مجمع خلقيدونية) في (السفور) عام ٤٥١م . ويعتقد أتباع هذا المذهب : أن الآلهة ثلاثة في (أقانيم ثلاثة) منفصلة ، على النحو الآتي :
« الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون : الآب - الابن - الروح القدس » ! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المذهب ، بقول الله تعالى :
«لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة»: سورة المائدة ، آية : ٧٣ .
وكلا المذهبين أشار القرآن الكريم إليهما ، بقول الله تعالى :
«ولا تقولوا ثلاثة انتهوا»: سورة النساء ، آية : ١٧١ .
تلك هي عقيدة النصارى في المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - ، وهي عقيدة ابتدعوها من بعد المسيح يد (ثلاثة قرون) ، حين ابتدأ عقد (المجامع المسكونية العالمية) ، وأولها : (مجمع نيقية) الذي عقد عام ٣٢٥م ، بطلب من الإمبراطور الروماني (قسطنطين) ، وما تلاه من مجامع أخرى - راجع : التعريف بد (المجامع المسكونية العالمية) في الهامش التالي.
وهذه العقيدة التثليثية لا سند لها - نقل في (التوراة) أو (الإنجيل) ، ولا من عقل سليم ؟ !
: لمزيد من المعلومات حول هذه الأقانيم . انظر : د/ أحمد السقا : أقانيم النصارى ص ٩ - ١٣٩ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ١٨٩ - ١٩٢ ، و : د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي : اليهودية والمسيحية ص ٤١٩ - ٤٣١ .

المجامع المسكونية العالمية : هيئات شورية تشمل كافة ممثلي الكنيسة النصرانية - في مقابل (المجامع المحلية) - ، وتعتبر قرارات المجامع المسكونية أساساً للعقائد النصرانية ، وقد عقدت عدة مجامع مسكونية - نسبة إلى الأرض المسكونية - في أزمنة مختلفة ، أشهرها : (مجمع نيقية الأول) عام ٣٢٥ م ، و (مجمع القسطنطينية الأول) عام ٣٨١م ، و (مجمع أفسس) عام ٤٣١م ، و (مجمع خلقيدونية) عام ٤٥١م ، و (مجمع القسطنطينية الثاني) عام ٥٥٣م ، و (مجمع القسطنطينية الثالث) عام ٦٨٠م - ٦٠ هـ ، و (مجمع نيقية الثاني) عام ٧٨٧ م - ٦٧ هـ ، و (مجمع القسطنطينية الرابع) عام ٨٦٩ م - ٢٥٥ هـ ، و (مجمع لاتيران الأول) عام ١١٢٣م - ٥١٧ هـ ، و (مجمع لاتيران الثاني) عام ١١٣٩ م - ٥٣٣ هـ ، و (مجمع لاتيران الثالث) عام ١١٧٩ م - ٥٧٥ هـ ، و (مجمع لاتيران الرابع) عام ١٢١٥م - ٦١٢ هـ ، و (مجمع ليون الأول) عام ١٢٤٣م - ٦٤١ هـ ، و (مجمع ليون الثاني) عام ١٢٧٤م - ٦٧٢ هـ ، و (مجمع فيينا) عام ١٣١١ م - ٧١١ هـ ، و (مجمع كونستانس) عام ١٤١٤م - ٨١٧ هـ ، و (مجمع بازل) عام ١٤٣١ م - ٨٣٤ هـ ، و (مجمع فرازا وفلورنسا) عام ١٤٣٨ م - ٨٤٢ هـ ، و (مجمع

مع العقائد الوثنية المختلفة ! (١) ؛ فقد كانت الفلسفة الشائعة في العالم الوثني القديم (٢) ، تدور على اعتقاد :

١ - تجسد الآلهة .

٢ - تعدد الآلهة . (٣)

وهذه الفلسفة ذكرت اليهود على رأسهم (بولس) ، أن يجعلوا الإله - سبحانه - متجسداً (٤) في خلقه ، حيث جعلوا « المسيح هو الآب ظهر في

لاتيران الخامس) عام ١٥١٢ م - ٩١٨ هـ ، و (مجمع ترنت) عام ١٥٤٥ م - ٩٥٢ هـ ، و (مجمع روما) عام ١٨٦٩ م - ١٢٨٦ هـ ، وقد كان من نتائج هذه المجمع ظهور (ثلاث كنائس) : (كنيسة الأرثوذكس) ، و (كنيسة الكاثوليك) ، و (كنيسة البروتستانت) ، كلها تزعم (الوهية المسيح) ! . انظر : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٣٢٩ - ٣٥٧ ، و : د/ رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٢٠٠ - ٢٥٤ ، و : متولي يوسف شلبي : أضواء على المسيحية ص ٩٣ - ١١٧ .

١ لمعرفة التقارب بين إله النصارى ، الذي صنعه بعد تحريف دستور ديانتهم (الإنجيل) ، وبين آلهة الوثنيين القدامى في الشرق والغرب ! . انظر : محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٣٥ - ١٤٧ ، و : د/ أحمد السقا : أقانيم النصارى ص ٨٤ - ١٠١ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ١٧٦ - ١٨٥ .

٢ يقول الأستاذ / عباس محمود العقاد :

« لما كشفت أمريكا الوسطى ، وجد الأسباب فيها أقواماً يتعبدون على أديان لا يعرفونها ، فحف القساوسة والمبشرون إلى البلاد الجديدة لبحثوا في أديانهم ، ويحولوا أقوامها إلى العقيدة المسيحية ، فأنهشهم بعد قليل من الدراسة أن يروا أن لهم شعائر على شيء من الشبه بنظائرها في الديانة المسيحية . وذلك كالتكفير عن الخطيئة والخلص ، وغيرها » ! : عقائد المفكرين في القرن العشرين ص ٦١ - ٦٢ .

والنصارى يعترفون بأن العالم قديماً يعرف (عقيدة التثليث) ، ولكنهم - مع اعترافهم - يقولون : بأن هناك مغايرة تامة بين تلك العقيدتين . ونحن نسلم لهم بتلك المغايرة ؛ لأن الذي يقتبس أفكار غيره ؛ ليضع فيها مبادئه دعوته ، قد لا يسلم من أن يضيف عليها شيئاً أو ينقص منها شيئاً . انظر : د/ أحمد السقا : أقانيم النصارى ص ٨٧ - ٨٨ .

٣ انظر : د/ أحمد السقا : أقانيم النصارى ص ١٣٤ .

٤ لمزيد من المعلومات حول هذه الأسطورة . انظر : د/ جون هك : أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح .

الجسد وهو الابن وهو الروح القدس « ١ ، (١)

» وقد أقبل كثير من الوثنيين على هذه العقيدة ؛ لأنها ليست غريبة على أذهانهم ، وليست بعيدة عن عقولهم ، وساعد على نشرها اليهود المقيمون في كل مكان ؛ لأنهم يعلمون أن في نشرها امتداد لوجودهم ، وحفظ لكيانهم ، وإقبال الدنيا عليهم ، ووفرة المال في أيديهم ؛ فإن الأناجيل لا تفهم إلا بعد الرجوع إلى التوراة ، والرجوع إلى التوراة يعني الرجوع إلى علماء اليهود الذين يفسرون ويشرحون . وكيف لا يكون ذلك والمسيح نفسه في الإنجيل قد أمر أتباعه بأن يسمعوا لكلام علماء اليهود ، وأن يعملوا به « ١ ؟ (٢) ؛ فقال :

» على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون « ١ ؟ (٣)

» إن بولس يعرف أن التوراة والإنجيل لا يساعداه على تقرير فلسفة التجسد أو التعدد ؛ فلذلك أوصى بقبول التجسد أو التعدد بدون فهم وبدون مناقشة « ١ ؟ (٤) ، حيث يقول في رسائله :

» لأن المسيح لم يرسلني لأعبد بل لأبشر ، لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح . فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله . لأنه مكتوب سأبدي حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء . أين الحكم أين الكاتب أين مباحث هذا الدهر ألم يجهل الله

١ انظر : د / أحمد السقا : أغانيم النصارى ص ١٣٤ .

٢ المرجع السابق ص ٨٧ .

٣ إنجيل متى ، إصحاح (٢٣) لفقرة : ٢-٣ .

٤ د / أحمد السقا : أغانيم النصارى ص ١٣٥ .

حكمة هذا العالم . لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة

استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة « (١) .

ولذلك يرى كثير من الباحثين أن (بولس) - اليهودي - هو المؤسس

الحقيقي لـ (الديانة النصرانية) (٢) - بصورتها الحالية - ، والله أعلم .

إن هدف (بولس) - واليهود من ورائه - من تحريف (الإنجيل) ، تحقيق

هدفين مزدوجين ، هما :

١ - فصل الديانة الجديدة - التي عرفت فيما بعد بـ (النصرانية) - عن

ديانته (اليهودية) - الأصلية - ومن ثم تخريبها ، عن طريق تحريف

دستورها (الإنجيل) ؛ لأن هذا التحريف يعني القضاء النهائي عليها !

٢ - تحريف البشارات الواردة في (الإنجيل) عن نبي الإسلام محمد ﷺ ،

وذلك بحذف بعضها ، وتبديل بعضها الآخر أو تأويله - خصوصاً ما كان

مشاراً إليه في (العهد القديم) - ؛ من أجل صرفها عنه إلى غيره !

وهذا (تحريف البشارات) هو الذي يعنينا في مثل هذا الموضوع ؛

لأنه يشكل أثراً من أعظم الآثار اليهودية ضد مجتمعنا الإسلامي - وقد

فصلنا الحديث عن هذه الفقرة فيما مضى - (٣) .

ولم يكتف اليهود بتحريف البشارات الواردة في (الإنجيل) عن نبي

١ رسالة بولس الاولى إلى أهل كورنثوس ، إصحاح (١) فقرة : ١٧ - ٢١ .

٢ انظر : أحمد ديدات : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والإفتراء ص ٨ . و : محمد أبو زهرة :

محاضرات في النصرانية ص ٧٥ ، و : د/ عبدالغني عيود : المسيح والمسيحية والإسلام ص

٨٥ ، و : أحمد عبدالوهاب : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية

ص ١٠٠ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ١٠٤ و ٢٩٣ ، نقلاً عن :

Gerald L. Berry : Religions of the world. P. 68-76. - Wells :
outline of History vol 3. P. 695.

٣ راجع : (تحريف البشارات بنبوذة محمد ﷺ في العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٠٦ .

الإسلام محمد ﷺ ، وإنما حرفوا ما يسيء إليهم مباشرة ، فقد أصدرت إسرائيل عام ١٩٧٠ م - ١٣٩٠ هـ طبعة من (الكتاب المقدس) بعهدية : القديم والجديد ، حذفت من قسمه الثاني (العهد الجديد الإنجيل) ما يخفف روح العداء النصراني لليهودية ، مثل كلمة (اليهود) ، و (أهل اليهودية) ، و (الرعا) ، و (المنعزلين) ، و (العامّة) ، و (الوثنيين) ، وغيرها . (١)

ولم يكتف اليهود - أيضاً - بذلك ، وإنما أنكروا - في النهاية - نزول الوحي - ومنه (التوراة) - على أحد من البشر ، كما سنفصل ذلك - إن شاء الله تعالى - عند حديثنا عن (القرآن الكريم) في الفقرة التالية :

٣ - القرآن الكريم :

وهو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ ؛ لهداية الناس (٢) أجمعين ، حيث يقول سبحانه على لسان رسول الله ﷺ :

﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ . (٣)

أي : أن (القرآن الكريم) نذير لكل من بلغه من سائر الناس : عربهم وعجمهم . (٤) .

١ انظر : أحمد عبد الوهاب : إسرائيل حرفت الإنجيل والأسفار المقدسة ص ٤٥ .

٢ لقد أنزل (القرآن الكريم) لهداية الجن - أيضاً - ، حيث يقول تعالى :

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا بَقِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ : سورة الأحقاف ، آية : ٢٩ - ٢٠ .

٣ سورة الأنعام ، آية : ١٩ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٧ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٢٦ .

ومن بين المندرين بالقرآن الكريم : اليهود ، حيث يقول تعالى :
﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي
أوف بعهدكم وإيا فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا
تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون *
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ (١) .
ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه
يختلفون﴾ (٢) .

ولكن أكثرية اليهود - إلى يومنا - لم يؤمنوا بمحمد ﷺ (٣) ، ولا بـ
(القرآن الكريم) الذي أنزل عليه ، لهداية البشر أجمعين ، حيث يقول
تعالى :

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة
الله على الكافرين﴾ (٤) .

✽ جدلهم في القرآن الكريم :

لم يكتف اليهود بعدم الايمان بـ (القرآن الكريم) فحسب ، وإنما
سلكوا للطعن فيه مسلكاً جديلاً ؛ بغرض اتهام الرسول ﷺ بأن هذا
القرآن الذي جاء به ليس من عند الله تعالى ، وإنما هو من عند نفسه ، وقد

١ سورة البقرة ، آية : ٤٠ - ٤٢ .

٢ سورة النحل ، آية : ٧٦ .

٣ راجع : (إنكارهم نبوة محمد ﷺ) ص ٨٨ .

٤ سورة البقرة ، آية : ٨٩ .

تمثل هذا المسلك في عدة وسائل ، أهمها :

١ - إنكارهم : نزول الوحي على البشر :

لقد أنكر اليهود إنزال (الوحي) من السماء على أحد من البشر !

فعن سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - قال :

« جاء رجل من اليهود - يقال له (مالك بن الصيف) - يخاصم النبي

ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أما

تجد في التوراة أن الله يبغيض الحبر السمين ؟ - وكان حبراً سميناً - ،

فغضب ، فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء » (١) ، فأنزل الله

تعالى :

﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من

شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس

تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم

ولا آباؤكم قل الله ثم زهرهم في خوضهم يلعبون﴾ (٢)

وقد اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة : بناءً على

اختلاف القراءة فيها في قوله تعالى : ﴿تجعلونها ، تبدونها ، تخفون﴾

، على رأيين ، هما :

١ - قيل (على القراءة بالتاء) : إنها نزلت في اليهود - كما ذكرنا قبل

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٧ ص ٢٦٧ . و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص

٢١٥ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٠٢ .

وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٧

ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢١٥ ، و : السيوطي : لباب النقول

ص ١٠٢ .

٢ سورة الانعام ، آية : ٩١ .

قليل - ٠

٢ - وقيل (على القراءة بالياء) : إنها نزلت في مشركي قريش ، وحجة أصحاب هذا الرأي (١) ، ما يأتي :

أ - أن الآية مكية ، وهي في سياق الخبر عن مشركي العرب ٠ (٢)
ب - أن اليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ؛ بل المعروف من دينهم الإقرار بصحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وغيرها ، وإنما هم العرب قاطبة ، الذين ينكرون إرسال محمد ؛ لأنه من البشر (٣) ، كما قال تعالى :

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا﴾ ٠ (٤)

والراجع - في نظري - هو الجمع بين هذين الرأيين ، بمعنى أن هذه الآية الكريمة نزلت مرتين :

- مرة بمكة ، (ولعلها القراءة بالياء) ، والخطاب فيها للمشركين ٠
- ومرة بالمدينة ، (ولعلها القراءة بالتاء) ، والخطاب فيها لليهود ٠ (٥)
ولا يمنع من ذلك ، كون اليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ،

١ هذا الرأي من اختيار الإمامين : (الطبري وابن كثير) - رحمهما الله تعالى - . انظر : الطبري

: جامع البيان ج ٧ ص ٢٦٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٥٦ ٠

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٧ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٥٦ ٠

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٧ ص ٢٦٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٥٦ ٠

٤ سورة الإسراء ، آية : ٩٤ ٠

٥ هذا الجمع من اختيار مصححي تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، طبعة دار الفكر ٠ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ هامش ص ١٥٦ ٠

ولا سيما (التوراة) التي أنزلت على موسى - عليه السلام - ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« ... قال (رافع بن حريمة) و (وهب بن يهودا) (١) ... ما أنزل الله من كتاب بعد موسى » (٢) .

ولكن هذا الخبر السمين (مالك بن الصيف) نفى أن ينزل الله تعالى على بشر من شيء ، حتى موسى - عليه السلام - ؛ انتصاراً لنفسه - والعياذ بالله تعالى - حين غضب ! - والله أعلم . -

ومهما يكن من أمر ؛ فقد رد الله تعالى على اليهود - أو غيرهم - زعمهم الباطل - هذا - ب (عدم نزول الوحي على البشر) ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ (٣) .

أي : قل - يا محمد - لهؤلاء اليهود المنكرين لإنزال شيء من الكتاب من عند الله تعالى في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة : من أنزل التوراة على موسى - عليه السلام - ؛ لتكون نوراً يستضاء بها من الظلمات ، وهداية يهتدى بها من الشبهات ؟ (٤) .

ثم ، قل لهم في جواب هذا السؤال : الله الذي ينكرون أن يكون قد أنزل على بشر من شيء ، هو الذي أنزل (التوراة) على موسى - عليه السلام - .

١ وهب بن يهودا : (٩ - ٥ هـ = ٩ - ٦٢٦ م) يهودي . قتل مع قومه (بني قريظة) .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٦ ص ١٦٦ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٩٠ .

٣ سورة الانعام ، آية : ٩١ .

٤ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٥٦ .

ثم بعد أن تلزمهم الحجة ، ذرهم في باطلهم يخوضون ، فما كان ذلك الإنكار منهم إلا لعباً لا يستحق الاهتمام . (١) .

٢ - إنكارهم : أن يكون القرآن الكريم منزلاً من عند الله تعالى :

ينكر اليهود أن يكون (القرآن الكريم) منزلاً من عند الله تعالى على الرسول ﷺ ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« قال ابن صوريا ٠٠٠ لرسول الله ﷺ : يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها » ! (٢) ، فأنزل الله تعالى :
﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ (٣) .
فهذه الآية الكريمة تحوى الرد على اليهود الماردين على الكفر ؛ بسبب انحراف فطرتهم ، وبعدهم عن كل مستحسن في السمع والعقل ، وما من عاقل يتدبر آيات القرآن الكريم المعجزة ، إلا أفضت به إلى الإسلام لا محالة . (٤) .

٣ - إنكارهم : أن يكون القرآن الكريم حقاً :

ينكر اليهود أن يكون (القرآن الكريم) حقاً من عند الله تعالى ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود ، منهم (عبد الله بن

١ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٤٨ .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ١ ص ٤٤١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣٣ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٨ - ٢٩ ، و : السيوطي : لبان النقول ص ٢٣ .

٣ سورة البقرة ، آية : ٩٩ .

٤ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٣٦ .

صوريا) و (كعب بن أسد) ، فقال لهم ، يامعشر يهود : اتقوا الله وأسلموا ، فو الله إنكم لتعلمون أن الذي جئكم به لحق ، فقالوا : ما نعرف ذلك يامحمد ، وجدوا ما عرفوا ، وأصروا على الكفر * (١) ، فأنزل الله تعالى فيهم :

﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً﴾ (٢)

وهذه الآية الكريمة تتضمن تهديداً لليهود إن هم استمروا على كفرهم بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، الذي هو مصدق لما معهم من (التوراة) : بعقوبة : طمس وجوههم :-

إما بمحو آثارها ، فلا يبقى لها آذاناً ولا أعيناً ولا أنوفاً ، ومع ذلك نجعلها من قبل أقفيتهم ، فيمشون القهقري على أدبارهم .

- وإما بمحو آثارها من ناحية (الحجاز) التي هم بها ، فنردها على أدبارها إلى ناحية (الشام) التي جاؤوا منها . (٣) : وإما بعقوبة طمسهم قردة ، كم مسخ أسلافهم حين اعتدوا بالعمل يوم السبت (٤) ، الذي يحرم العمل

١ الطبر : جامع البيان - واللفظ له - ج ٥ ص ١٢٤ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٧٠ .

٢ سورة النساء ، آية : ٤٧ .

٣ راجع : (نتائج غزوة بني النضير) ص ٤٣٥ .

٤ لقد جاء تحريم العمل على اليهود (يوم السبت) من ضمن (الوصايا العشر) في التوراة :

« أذكر يوم السبت لتقدس . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملاً ما ... لان في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقده » ! . : خروج ، إصحاح (٢٠) ، فقرة : ٨ - ١١ .

فالعامل محرم على اليهود (يوم السبت) ، ولا شك - بنص الآية الكريمة أعلاه - ، ولكن التعليل بحكمة التحريم وهو (الراحة بعد التعب) ! خاطيء - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - ، وهو من التحريف الذي داخل (التوراة) ، فالله لا يعجزه شيء على الإطلاق ، حيث يقول عن

عليهم فيه (١) ، حيث يقول سبحانه :

﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ نَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ فَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نَهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٢) .

٤ - إنكارهم : أن يكون القرآن الكريم متناسقاً :

ينكر اليهود أن يكون (القرآن الكريم) متناسقاً ، كما تناسق التوراة ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« أتى رسول الله ﷺ (محمود بن سيحان) (٣) و (عمر بن أضا) (٤) و

نفسه سبحانه :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِنِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : سورة الأحقاف ، آية : ٣٣ .
ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ : سورة ق ، آية : ٣٨ .

وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع راجع : (التعب) ص ١٥٧ .

مما يدل على أن الله تعالى في كل تشريعاته ، ومن ضمنها : تحريم العمل على اليهود يوم السبت ، الحكمة البالغة ، حتى وإن خفيت على الناس .

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٥ ص ١٢١ - ١٢٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

٢ سورة الأعراف ، آية : ١٦٣ - ١٦٦ .

٣ محمود بن سيحان (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . أجلي مع قومة (بني قينقاع) عن (المدينة) ، عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٤ عمر بن أضا : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . لم أقف له على قبيلة .

(بحري بن عمرو) و (عزيز بن أبي عزيز) (١) و (سلام بن مشكم) ، فقالوا : أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به أحق من عند الله عز وجل ، فإننا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة ؟ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به ، فقالوا : يا محمد أما يعلمك هذا إنس ولا جان ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ، فقالوا : يا محمد ، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به (٢) فأنزل الله تعالى :

﴿ قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (٣)

فسؤال اليهود للرسول ﷺ : « أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به أحق من عند الله عز وجل » ؟ ، سؤال ظاهر في التعنت ، أفينظرون من الرسول ﷺ أن يقول لهم : إن هذا القرآن ليس حقاً من عند الله عز وجل ، وإنما هو من كلامي ؟ ، وهو يعلن على الملأ أنه رسول الله ، وأن هذا القرآن كتاب الله . (٤)

وأما قولهم : « فإننا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة » ، فهو مكابرة عنيدة ، لا ترافقها شبهة ، فضلاً عن أن تدعمها حجة ؛ ذلك أن القرآن

١ عزيز بن أبي عزيز : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . أجلي مع قومه (بني قينقاع) عن (المدينة) ، عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ١٥ ص ١٥٨ - ١٥٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦٢ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٤٠ .

٣ سورة الإسراء ، آية : ٨٨ .

٤ انظر : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٦٣ .

الكريم قد بلغ قمة الإعجاز في : اتساق أسلوبه ، وبلاغة عبارته ، وروعة بيانه ، بحيث لا يدانيه فيها أي كتاب من الكتب السماوية الأخرى ؛ فقد شهد بذلك جميع الفصحاء والبلغاء ، وأكدوه عجز أعدائه ، فضلاً عن معارضته ، بعد التحدي الجازم ، الذي ما فتىء الرسول ﷺ يعلنه ويكرره » (١) .

ولذلك لم يجد الرسول ﷺ ما يجيبهم به ، إلا أن يقول لهم : « أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به » .

فلما عجزوا عن معارضة (القرآن الكريم) حاولوا أن يسلكوا مسلكاً آخر للطعن فيه ، فنسبوه إلى معلم غير الله تعالى ، حيث قالوا : « يا محمد ، أما يعلمك هذا إنس ولا جان ؟ » !

فأجابهم الرسول ﷺ الجواب السابق نفسه ، حيث قال : « أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل » . وهكذا لم يجد الرسول ﷺ في مقابلة إصرارهم على الزوغان عن الحقيقة الناصعة التي يعرفون ، جواباً لسؤالهم إلا أن يصر على موقفه السابق منهم » (٢) .

عند ذلك ، قالوا : « يا محمد ، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل

١ انظر : المرجع السابق ص ٦٣ .

و : لمزيد من المعلومات حول إعجاز (القرآن الكريم) . انظر : محمد الباقلاني : إعجاز القرآن ، و : عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، و : الفخر الرازي : عجائب القرآن ، و : عبدالواحد الزملكاني : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . . و : مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن ، و : د/ محمود السيد شيخون : الإعجاز في نظم القرآن .

٢ انظر : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٦٤ .

ما تأتي به « ! » .

فلم يجد الرسول ﷺ في جوابهم خيراً من أن يقبل منهم العرض بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، حيث أيده الله تعالى بذلك ، فأنزل عليه سبحانه :
(قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (١) .

ولكن اليهود نكصوا عن التحدي ، حيث لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ولو بآية واحدة ، وما يزال هذا التحدي موجهاً لهم -
ولغيرهم - حتى يوم الدين .

ه - إنكارهم : القرآن الكريم لأن جبريل - عليه السلام - هو الذي جاء به :

ينكر اليهود (القرآن الكريم) ؛ لأن جبريل - عليه السلام - هو الذي ينزل به من الله تعالى على محمد ﷺ ، وهو - فيما يزعمون - عدوهم من الملائكة - عليهم السلام - ؛ فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟ ، قال : جبريل - عليه السلام - ، قالوا : جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان » ؟ (٢) ، فأنزل الله تعالى :

(قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً

١ سورة الإسراء ، آية : ٨٨ .

٢ الحديث سبق تخريجه . راجع : ص ١٨٢ .

لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين» (١) .

وقد تحدثنا - تفصيلاً - عن عدااء اليهود لجبريل - عليه السلام - ،
والرد على هذا العدااء - فيما سبق - (٢) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد بقى (القرآن الكريم) محفوظاً من كل
محاولات القضاء عليه من قبل الحاقدين من اليهود - وغيرهم - ، وسيبقى
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لأن الله تعالى تعهد بحفظه ، حيث
يقول سبحانه :

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (٣) .

وبعد ، فهذا هو موقف اليهود من (الكتب السماوية) ، التي أنزلها
الله تعالى على رسله - عليهم السلام - ؛ لهداية البشر ، حيث يتضح من
ذلك مدى حرصهم الشديد على تحريفها ؛ سواء منها كتبهم ، أو غيرها ؛
رغبة في إضلال البشرية ، لتهدى في مزالق الفساد .

د - عقيدتهم في الأنبياء - عليهم السلام - :

تقوم عقيدة اليهود في مسألة الإيمان بالانبياء - عليهم السلام - على
التفريق بينهم - أيضاً - ، فهم يؤمنون بأنبياء بني إسرائيل - فقط - ،
ويكفرون بمن عداهم من الانبياء ، على ما سنفصله فيما يأتي :

١ - الأنبياء السابقون - عليهم السلام - :

١ سورة البقرة ، آية : ٩٧ .

٢ راجع : (جدلهم في جبريل - عليهم السلام -) ص ١٨١ .

٣ سورة الحجر ، آية : ٩ .

ليس لدينا معلومات كافية عن نظرة اليهود إلى الأنبياء السابقين على (بني إسرائيل) ؛ لأن (العهد القديم) يعطي صورة مضطربة عن تحدث عنهم من أولئك الأنبياء - عليهم السلام - .

فلقد تعرض (كتبة العهد القديم) اليهود - برئاسة (عزرا الوراق) - بالقدح في قصص نسجوها من أخيلتهم لأولئك الأنبياء الأظهار ، الذين يحقق لهم النيل منهم أهدافاً تخدم مصالحهم الدنيوية ، العامة منها ، والخاصة ، في مثل ما يأتي :

١ - اتهام نوح - عليه السلام - بالسكر والتعري ؛ ليبصر ابنه (حاماً) عورته ، فيغضب ويلعن ابن حام (كنعاناً) ! (١)

٢ - اتهام لوط - عليه السلام - بالسكر والزنا بابنتيه - بمؤامرة منهما - ؛ لتجنب إحداهما (مؤاباً) ، و الأخرى (عمونا) ! (٢)

إن هذه القصص التي تناول فيها اليهود على كرامة أولئك الأنبياء - عليهم السلام - ، تحقق لهم مجتمعة أهدافاً كثيرة ، من أهمها :

١ - نشر الرذائل الخلقية في المجتمع ، فنسبتها إلى خاصة البشر ، وهم الأنبياء ، كفيل بأن تستمرأها العامة التي لم تهتد بنور الإيمان .

٢ - إقصاء الكنعانيين - سكان (فلسطين) الأصليين - من الدوحة السامية

- وكلا الطرفين منها - ؛ لعداء اليهود الشديد لهم ، فعدوهم من الحاميين

، مع أنهم يعلمون - حق العلم - أنهم هم الساميون العرب الأصلاء ؛

ولذلك صبوا جام غضبهم على الكنعانيين ، فنعثوا (كنعان) - على لسان جده

نوح ، - عليه السلام - بالملعون - وهو لا ذنب له - ، مع أنه لم يولد

١ انظر : تكوين : ٢٠/٩ - ٢٧ ، أو : راجع : (كراهية الكنعانيين) ج ١ ص ٩٤ .

٢ انظر : تكوين : ٢٠/١٩ - ٣٨ ، أو : راجع : (تحقير الشعوب الأخرى) ج ١ ص ٩٥ .

٣ - تحقير الشعوب المجاورة لهم من (الموآبيين) (٢) و (العمونيين) (٣) ،
وغيرهم ! ٠ (٤)

٤ - ابعاد ذرية داود وسليمان - عليهما السلام - عن زعامة اليهود ؛ ذلك
أنه لما كان (عوييد) - جد داود ، عليه السلام - مولود من (راعوث)
الموآبية (٥) ، و (رحبعام) - ابن سليمان ، عليه السلام - مولود من
(نعمة) العمونية (٦) ؛ فقد رأى أولئك الكتبة - وهم من (سبط اللاويين) -
أن يثيروا شبهات حول نسب (آل داود) - وهم من (سبط يهوذا) - ، بعد
أن انتقل إليهم الملك من (آل هارون) - وهم من (سبط اللاويين) - ،
فافتروا هذه القصة ، التي تقول بحقارة تلك الشعوب (الموآبية) و
(العمونية) ، التي أصولها من الزنا ، وينتسب إليها (آل داود) ؛ مما يحول
دون صلاحية ذرياتهم لتولي زعامة اليهود مرة أخرى ! ٠ (٧)

ونخلص من ذلك ، إلى أن اليهود لا يوقرون أنبياء الله - عليهم

١ انظر : د/ أحمد سوسة : العرب واليهود في لتاريخ ص ٣٤٢ ، و : د/ بدران محمد بدران :
التوراة ص ٤٨ - ٤٩ .

٢ الموآبيون : شعب ينتسب إلى (موآب) وهي كلمة سامية ، بمعنى (من أبوه ؟) ، وكانوا يسكنون
القسم الشرقي من (البحر الميت) . انظر : أنيس صايغ : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٧ -
٩٢٩ .

٣ العمونيون : شعب ينسب إلى (بني عمون) وهي كلمة عبرية ، بمعنى (ابن شعبي) ، وكانوا
يسكنون في القسم الشرقي من (البحر الميت) . انظر : د/ توفيق صالح : قاموس الكتاب
المقدس ص ١٩١ .

٤ انظر : محمد السعدي : دراسة في الاناجيل الأربعة والتوراة ص ١٤٣ .

٥ انظر : راعوث : ٤ / ١٣ و ١٧ .

٦ انظر : الملوك الأول : ٢١/١٤ .

٧ انظر : عبد السميع الهراوي : الصهيونية بين الدين والسياسة ص ١٦٠ ، و : السموال
المغربي : بذل المجهود في إقصاء اليهود ص ٤٢ ، و : راجع : ترجمة (داود) -
عليه السلام - ج ١ ص ١٩٧ .

السلام - عموماً ، بل إنهم لا يوقرون حتى أنبياءهم المباشرين - كما
سنرى بعد قليل - ، فكيف يوقرون غيرهم ؟ !

٢ - أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام - :

لا يؤمن اليهود إلا بأنبيائهم من (بني إسرائيل) وأصولهم حتى
إبراهيم - عليهم السلام - على وجه العموم ، ولكن نظرة بعض طوائفهم لا
تنطبق عند التفصيل ، مع تلك النظرة العمومية :

- فأكثره طائفة (السامريين) (١) : لا تؤمن بمن بعد موسى من الأنبياء -
عليهم السلام - ! (٢) - وبعضهم (أي السامريين) : يؤمن - أيضاً - بنبوة
(يوشع بن نون) - عليه السلام - ، و (القضاة) (٣) -
أي : أن (السامريين) : لا يؤمنون - مثلاً - بنبوة داود وسليمان - عليهما
السلام - ، وهما من المشاهير !

والأنبياء في بني إسرائيل من الكثرة بمكان ، فعن أبي هريرة - رضي
الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ :
« كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي » (٤) :

١ - راجع : التعريف بـ (السامريين) ج ١ ص ١٠١ .

٢ - انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ١ ص ٧٩ ، و : د / أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١
(اليهودية) ص ٢٣٨ .

٣ - انظر : رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج ١ ص ٧٩ ، و : د / أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج
١ (اليهودية) ص ٢٨ .

٤ - صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الأنبياء «٦٠») ، (باب ما ذكر عن بني إسرائيل «٥٠»)
ج ٤ ص ١٤٤ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الإمامة «٢٣») ، (باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء
الأول فالاول «١٠») ، حديث رقم (٤٤ - ١٨٤٢) ، ج ٣ ص ١٤٧١ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب
الجهاد «٢٤») ، (باب الوفاء بالبيعة «٤٢») ، حديث رقم (٢٨٧١) ، ج ٢ ص ٩٥٨ ، و : مسند
الإمام أحمد : ج ٢ ص ٢٩٧ .

وبقدر ما تعد هذه الكثرة من الأنبياء فيهم دليل اجتناء لهم - على عالم زمانهم - ، فإنها (أي الكثرة) تعد دليل على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالي الحاجة إلى أنبياء يجندون الدعوة إلى التوحيد باستمرار (١) .

❦ موقف اليهود من أنبيائهم - عليهم السلام - :

على الرغم من أن هذه الكثرة من الأنبياء في اليهود فضل من الله تعالى ورحمة بهم ، إلا أنهم لم يحفظوا ذلك للمنع سبحانه ، حيث تناولوا على أولئك الأنبياء : تكذيباً ، وتقتيلاً ، وبذلك خانوا ما عاهدوا الله تعالى عليه ، في قوله سبحانه :

﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ (٢) .

فاليهود يعاملون أنبياءهم - عليهم السلام - أسوأ معاملة ؛ لأنهم يأتونهم بالتكاليف الشرعية المخالفة لأهوائهم ؛ ولهذا كان موقف الكثرة الكاثرة منهم : التمرد والعصيان ، كما قال الله تعالى عنهم :

﴿منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ (٣) .

ويتجلى موقف اليهود من أنبيائهم - على وجه العموم - فيما يأتي :

١ - التكذيب :

١ انظر : عبدالرزاق محمد أسود : المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ج ١ ص ١٨٣ ، و : رفي زاهر : قصة الأديان ج ١ ص ٣٢ - ٣٣ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ١٨٠ ، و : د/ صلاح عبدالفتاح الخالدي : الشخصية اليهودية من خلال القرآن ١١٦ - ١١٧ .

٢ سورة المائدة ، آية : ٧٠ .

٣ سورة المائدة ، آية : ٦٦ .

التكذيب صفة لازمة لأكثرية اليهود مع كل أنبيائهم - بدون استثناء - ،
 على امتداد تاريخهم الطويل ، سواء في حياتهم ، أو بعد مماتهم !
 وقد أثبت القرآن الكريم ذلك ، حيث يقول تعالى :
﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (١) .

٢ - الإيذاء :

قد لا يكتف بعض اليهود بموقف (التكذيب) ، الذي تنتهجه الكثرة منهم
 مع أنبيائهم ، وإنما قد يتحول موقفهم إلى الإيذاء ، حتى أن نبيهم الأول ،
 كليم الله موسى - عليه السلام - لم يسلم من إيذائهم ، وبهذا تعترف
 التوراة ! (٢) .

وقد أثبت القرآن الكريم هذا الموقف : (إيذاء اليهود لنبيهم موسى
 - عليه السلام -) ، في معرض تحذيره للمسلمين من تقليدهم ، حيث يقول
 تعالى :

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا
 قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾** (٣) .

وقد اختلف العلماء في نوع هذا الإيذاء ، على (ثلاثة أقوال) ، هي :

١ - اتهام اليهود لموسى - عليه السلام - بعيوب جسمية : فعن أبي
 هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياءاً منه ،

١ سورة البقرة ، آية : ٨٧ .

٢ انظر : خروج ٢٤/١٥ ، و : ٢/١٦ ، و : ٣/١٧ .

٣ سورة الاحزاب ، آية : ٦٩ .

فآذاه من آذاه من بني إسرائيل ، فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص ، وإما أبرة (١) ، وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلاً يوماً وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملاً من بني إسرائيل ، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله ، وأبراه مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه ، فلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فوالله إن بالحجر لندياً من أثر ضربه ثلاثاً ، أو أربعاً ، أو خمساً » (٢)

٢ - اتهام اليهود لموسى بقتل أخيه هارون - عليهما السلام - : فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال :

« سعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون ، فقالت بنو إسرائيل : أنت قتلت ، وكان أشد حباً لنا منك ، وألين لنا منك ، فأذوه بذلك ، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل ، وتكلمت الملائكة بموته ، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات ، فبرأه الله من ذلك ، فانطلقوا به ، فدفنوه ، فلم يطلع على قبره أحد » (٣)

١ الأبرة : فتق يصيب إحدى الخصيتين . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الأدر) ج ١ ص ٣٦٣ .

٢ صحيح البخاري - واللفظ له - (كتاب الأنبياء «٦٠» ، (باب «٢٨») ، ج ٤ ص ١٢٩ - ١٣٠ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الفضائل «٤٣») ، (باب من فضائل موسى عليه السلام «٤٢») ، حديث رقم (١٥٥ و ٣٣٩/ ١٥٦) ، ج ٤ ص ١٨٤١ - ١٨٤٢ ، و : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب تفسير سورة الأحزاب «٣٤») ، حديث رقم (٣٢٢١) ، ج ٥ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ٥١٤ - ٥١٥ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢٢ ص ٥١ - ٥٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٢٠ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٢٢ ص ٥٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٢٠ .

٣ - إتهام اليهود لموسى - عليه السلام - بالزنا : فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« لما نزلت الزكاة أتى (قارون) (١) موسى ، فصالحه على كل ألف دينار ديناراً ، وكل ألف شيء شيئاً ، أو قال : وكل ألف شاة شاة (الطبري يشك) ، قال : ثم أتى بيته فحسبه ، فوجده كثيراً ، فجمع بني إسرائيل ، فقال : يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم ، فقالوا : أنت كبيرنا وأنت سيدنا ، فمرنا بما شئت ، فقال : أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي ، فتجعلوا لها جعلاً ، فتقذفه بنفسها ، فدعوها ، فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها ، ثم أتى موسى ، فقال لموسى : إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم ، فخرج إليهم وهم في براح من الأرض ، فقال : يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ، ومن افترى جلدناه ، ومن زنا وليس له امرأه جلدناه مائة ، ومن زنا وله امرأة جلدناه حتى يموت ، أو رجمناه حتى يموت (الطبري يشك) ، فقال له قارون : وإن كنت أنت ؟ ، قال : وإن كنت أنا ، قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة . قال : ادعوها ، فإن قالت ، فهو كما قالت ؛ فلما جاءت ، قال لها موسى : يا فلانة ، قالت : يالبيك ، قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت

١ قارون : (حوالي القرن ١٢ ق.م) هو قارون بن يصرار بن قهات بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - ، و(قارون) هو اسمه كما جاء في القرآن الكريم ، وتسميه التوراة (قورح) : (انظر : عدد : ١٦/١) . وللجمع بين هذين الاختلافين نقول : إما أن تكون رؤية التوراة تصحيح لاسمه الحقيقي (قارون) ، أو أنهما لفطتان مختلفتان لشخص واحد ، فيكون أحدهما اسماً والآخر لقباً . والله أعلم . و(قارون) هو ابن عم موسى - عليه السلام - ، وقد رزقه الله تعالى الأموال الطائلة ، ولكنه رفض إعطاء زكاتها ، ونسبها إلى جهده فقط ، فعاقبه الله تعالى بالخسف به وبيداره ، وقد بسطت قصته في سورة القصص ، آية : ٧٦ - ٨٢ . و : لمزيد من المعلومات حول (قصة قارون) انظر : عبدالوهاب النجار : قصص الأنبياء من

: لا ، وكذبوا ، ولكن جعلوا لي جعلا على أن أقذفك بنفسي ، فوثب ، فسجد وهو بينهم ، فأوحى الله إليه : مر الأرض بما شئت ، قال : يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثم قال : يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى حقيهم (١) ، ثم قال : يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أعناقهم ، قال : فجعلوا يقولون : ياموسى ياموسى ، ويتضرعون إليه ، قال : يا أرض خذهم ، فانطبقت عليهم » (٢) .

ولا يستبعد وقوع كل ما جاء في هذه (الأقوال الثلاثة) (٣) من أذى

-
- ١ الحقي : جمع حق ، وهو الكشف ما بين الغاصرة إلى الضلع الخلفي . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الحق والكشف) ج ٤ ص ٣١٨ ، و ج ١ ص ٢٤٥ .
- ٢ الطبري : جامع البیان - واللفظ له - ج ٢٠ ص ١١٦ - ١١٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٠١ .
- ٣ لقد رد الشيخ (عبد الوهاب النجار) القول الأول : (اتهام موسى - عليه السلام - بالعيوب الجسمية) ، واختار القول الأخير : (اتهام موسى - عليه السلام - بالزنا) ، محتجاً بـ : أن الإيذاء لا يكون إلا في الشيء العظيم ، حيث يقول : « وهذا هو اللائق أن تحمل عليه الآيات ؛ لأن من كان زانياً لا يكون وجيهاً عند الله تعالى » : قصص الأنبياء ص ٣٤٢ .
- ولكن لجنة ألفها : الشيخ (عبدالمجيد اللبان) شيخ كلية أصول الدين في (جامعة الأزهر) ، قامت بنقد بعض موضوعات هذا الكتاب : (قصص الأنبياء) ، التي تختلف فيها مع مؤلفه : (عبد الوهاب النجار) ، وكان من بين الموضوعات التي نقدتها هذه اللجنة : موضوعنا - هذا - : (إيذاء موسى وتبرئة الله إياه) ، حيث ردت على رده الرأي الأول : (اتهام موسى - عليه السلام - بالعيوب الجسمية) ، بقولها :
- « ثم إن مقتضى كونه وجيهاً عند الله أن يبرئه من كل تهمة تعلق به كذباً ، سواء كان ما يتهم به كذباً عيباً يتنافى مع الرسالة أو لا ، كما أن مقتضى كونه رسول الله إليهم أنقذهم من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وأخرجهم من استعباد فرعون وقومه لهم إلى الإطلاق والحرية أن لا يؤذى منهم بأي نوع من أنواع الإيذاء ، ولا شك أن إتهامه كذباً بعيب في بدنه يعتبر إيذاءً له وإن لم يتناف ذلك العيب مع الرسالة . على أنه علمت أن المحققين على أن مثل هذا العيب مما يجب تنزيه الأنبياء عنه » : قصص الأنبياء ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .
- و : لمزيد من المعلومات حول رأي تلك اللجنة وردود المؤلف عليها . انظر : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٣٣٣ - ٣٤٩ .

اليهود لنبيهم موسى - عليه السلام - (١) .

ولكن الله تعالى يبزيء رسوله موسى - عليه السلام - من كل تهمة
تلتصق به - كما رأينا - ؛ لأن الأنبياء - عليهم السلام - مبرأون من كل عيب
، يدل على نقص في كمالهم الجسماني ، حتى لا يكون ذلك مدعاة إلى
الاستخفاف بهم ، وبالتالي عدم الإصغاء إليهم .

٣ - التقتيل :

لاتقف صفاقة بعض اليهود عند حدود (الايذاء) لأنبيائهم - عليهم
السلام - ، وإنما تتعدى ذلك - أحياناً - إلى تقتيلهم ؛ فقد قتلوا منهم
أعداداً كثيرة (٢) لا يعلمها إلا الله تعالى ؛ فقد جاء في العهد القديم على
لسان (إيليا) : (٣) .

« قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك
ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون
نفسي ليأخذوها » (٤) .

ومن أشهر أولئك الأنبياء الذين قتلهم اليهود (يحيى) وأبوه (زكريا)
- عليهما السلام - ، ؛ كما هو مدون في الإنجيل ، فقد جاء قتل (يحيى) (٥)

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢٢ ص ٥٢ - ٥٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣
ص ٥٢٦ .

٢ لقد أوصلت بعض الروايات عدد من قتله اليهود من أنبيائهم في (يوم واحد) : (مائة وخمسين
نبياً) ! - والله أعلم - انظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج ١ ص ٣٧٨ .

٣ إيليا : (حوالي القرن ٩ ق.م) يقال : إنه النبي (إلياس) ، ويزعم اليهود أن الله تعالى رفع
(إيليا) حياً إلى السماء ، حيث يعتقدون رجعه ، مبشراً بظهور (المسيح المنتظر) ؛ ولذلك تترك
كل أسرة يهودية كأساً من (النبيذ) لاتمس ، في أثناء (عيد الفصح) ؛ لأنه - فيما يزعمون -
كأس النبي (إيليا) . انظر : محمد الصابوني : النبوة والأنبياء ص ٢٩٧ - ٢٩٩ ، و : د/
بطرس عبد الملك : قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٤ - ١٤٥ .

٤ الملوك الأول ، إصحاح (١٩) فقرة : ١٠ .

٥ يحيى - عليه السلام - : (٥ ق.م - ٢٩ م) هو يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ، يسميه
التنصاري (يوحنا المعمدان) ؛ لأنه - كما يروي الإنجيل - عمد المسيح عيسى - عليه السلام -

- عليه السلام - ، على النحو الآتي :

» أن (هيروُدس) (١) نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل (هيروديا) (٢) امرأة (فيلبس) (٣) أخيه إذ كان قد تزوج بها . لأن يوحنا كان يقول لهيروُدس لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك . فحنقت هيروديا عليه وأرادت أن تقتله ولم تقدر . لأن هيروُدس كان يهاب يوحنا عالماً أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه ٠٠٠٠ ، وإذ كان يوم موافق لما صنع هيروُدس في مولده عشاءاً لعظمائه وقواد الآلوف ووجوه الجليل . دخلت ابنة هيروديا ورقصت . فسرت هيروُدس والمتكئين معه . فقال الملك للصبيّة مهما أردت أطلبني مني فأعطيك . وأقسم لها أن مهما طلبت مني لأعطينك حتى نصف مملكتي . فخرجت وقالت لأمها ماذا أطلب . فقالت رأس يوحنا المعمدان . فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك وطلبت قائلة أريد أن تعطيني حالا رأس يوحنا المعمدان على طبق . فحزن الملك جداً . ولأجل الأقسام والمتكئين لم يرد أن يردها . فللوقت أرسل الملك سيافاً وأمر أن يؤتى برأسه . فمضى وقطع رأسه في السجن . وأتى برأسه على طبق وأعطاه للصبيّة والصبيّة أعطته لأمها « ! » (٤)

في (نهر الأردن) قبل بدء رسالته ؛ ولذلك يجله النصارى ، عاش متقشفاً في البرية ، يلبس ثياباً من الجلد ، ويأكل الجراد والعسل . قتله الملك اليهودي (هيروُدس) الذي عينه الرومان والياً على (الجليل) ، حين طلبت منه ابنة أخيه لآب (سالومي بنت فيليب) رأس يحيى - عليه السلام - الذي منع زواج أمها ابنة أخيه لآب (هيروديا بنت أرسطوبولوس) . انظر : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٤٠ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٨٩ و ١٩٢٦ .

١ هيروُدس : (؟ - ٣٩ م) هو هيروُد أنتيباس والي الجليل اليهودي من قبل الرومان منذ عام ٤ ق.م ، أمر بقتل (يحيى) - عليه السلام - ، لأنه منع زواجه من ابنة أخيه لآب (هيروديا بنت أرسطوبولوس) ، ومطلقة عمها لآب (فيليب) وأم ابنة أخيه الصبيّة (سالومي بنت فيليب) . وفي عهده - أيضاً - جرت محاولة صلب المسيح عيسى - عليه السلام - . نفاه الإمبراطور الروماني (كاليجولا) عام ٣٩ م ؛ نظراً لطموحة الجامع في أن يسمى (ملكاً) . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٢٦ .

٢ هيروديا : (القرن ١ م) هي هيروديا بنت أرسطوبولوس ، التي أغرت عمها (هيروُدس) والي (الجليل) بقتل يحيى - عليه السلام - كما فصلنا ذلك في الترجمة السابقة .

٣ فيلبس : (القرن ١ م) هو (فيليب) الوارد ذكره في الترجمة ما قبل السابقة .

وجاء قتل (زكريا) (١) - عليه السلام - ، على النحو الآتي :

” ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون (٢) المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين • وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء • فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء • فاملأوا أنتم مكيال آبائكم • أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم • لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فممنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة • لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم (هابيل) (٣) “

٤ إنجيل مرقس ، إصحاح (٦) فقره : ١٧ - ٢٨ •

١ زكريا : (القرن ١ ق م - م) هو زكريا وقد يكون ابن برخيا كما هو مدون أملاه - وهو غير (زكريا بن برخيا) الذي ينسب إليه سفر باسمه ، فذلك قد عاش في (القرن ٣ ق م) • كفل زكريا - عليه السلام - مريم - رجمها الله تعالى - وكان زوجاً لقريبته (اليسابات) والتي رزق منها على كبر منهما نبي الله (يحيى) - عليه السلام - الذي قتله اليهود ، فلما سمع زكريا - عليه السلام - بقتل ابنه فر هارباً ، فلحقه اليهود ، وقتلوه • انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٣ ص ٧٠ - ٧١ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٢٨ - ٤٣٩ •

٢ الكتبة والفريسيون : طائفة يهودية واحدة • راجع : التعريف بـ (الفريسيين) ج ١ ص ١٠٣ •

٣ هابيل : (٩ - ٩) أحد أبناء آدم - عليه السلام - • قدم قرباناً لله تعالى ، فقبل ، في حين لم يقبل قربان أخيه (قابيل) ، فقتله ، وذلك أن آدم - عليه السلام - كان يأتيه في كل بطن ذكر وأنثى ، وكان يزوج ذكر كل بطن بأنثى البطن الأخرى ، وأن (هابيل) أراد أن يتزوج بأخت (قابيل) ، وكانت هي أجمل ، فأراد (قابيل) أن يستأثر بها على أخيه ، وأمره آدم - عليه السلام - أن يزوجه إياها ، فآبى ، زاعماً أنه أحق بها ، فأمرهما أن يقربا قرباناً ، فمن تقبل قربانه أخذ تلك الأخت ، فقرب (هابيل) - وكان صاحب غنم - أجود ماعنده ، جذعة سمينة ، وقدم (قابيل) - وكان صاحب زرع - أسوأ ماعنده ، حزمة من زرع ، فنزلت نار فأكلت قربان (هابيل) - دليلاً على القبول - ، وتركت قربان (قابيل) ، فحقق على أخيه ، وقتله ، فأصبح من الفاسرين ، وقد جاءت هذه القصة في القرآن الكريم (انظر : سورة المائدة ، آية : ٢٧ - ٣١) ، كما جاءت - أيضاً - في التوراة (انظر : تكوين ٤/١ - ١٦) • انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٩ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٣٧ - ٣٨ ، و : محمد الصابوني : النبوة والأنبياء ص ١٢٣ •

الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمنبح . الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجبل . يا اورشليم يا اورشليم ياقاتلة الانبياء وراجمة المرسلين « ١ . ١)

ويقال : إن زكريا - عليه السلام - قتل بعد الحادث الذي قتل فيه ابنه يحيى - عليه السلام - . (٢)

وقد أثبت القرآن الكريم قتل اليهود لأنبيائهم - من غير تفصيل - ، حيث يقول تعالى :

﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ . (٣) .
ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ . (٤) .

❖ التناول على مقام أنبيائهم - عليهم السلام - :

ولم يقتصر موقف اليهود من أنبيائهم المصطفين الأخيار - عليهم السلام - على التعدي عليهم في حياتهم ، وإنما تناولوا عليهم بالافتراءات حتى بعد مماتهم ، فشوهت أسفار (العهد القديم) - التي كتبوها بأيديهم - صورتهم الاجتماعية الناصعة ، ونزلت بهم إلى الدرك الحيواني ، الذي يناقض الإيمان بالله تعالى ، فضلا عن أن يكونوا رسلا لهداية البشرية إلى

١ إنجيل متى ، إصحاح (٢٣) فقرة : ٢٩ - ٣٧ .

٢ انظر : عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء ص ٤٣٩ .

٣ سورة المائدة ، آية : ٧٠ .

٤ سورة البقرة ، آية : ٦١ .

النهج الإلهي القويم .

لقد طالت افتراءاتهم المشاهير من أنبيائهم ؛ فاتهموهم في قصص

كثيرة ، نسجوها من أخيلتهم ، بما يأتي :

١ - إتهام إبراهيم - عليه السلام - بالديانة ، حيث ادعوا بأنه أهدى زوجه
(سارة) إلى الملوك ! (١)

٢ - اتهام إسحاق - عليه السلام - بالغفلة ، حيث ادعوا بأن ابنه (يعقوب)
خدعه بأخذ بركة أخيه البكر (عيسو) ! (٢)

٣ - اتهام يعقوب - عليه السلام - بالجرأة على الله تعالى ، حيث صوروه
يصارع الله في صورة إنسان ! (٣) - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً
كبيراً - .

٤ - اتهام موسى - عليه السلام - بالخيانة ، حيث ادعوا بأنه لم يقدر الله
تعالى في وسط بني إسرائيل . (٤)

٥ - اتهام هارون - عليه السلام - بالوثنية ، حيث صوروه صانعاً للأصنام ،
مقدساً لها ! (٥)

٦ - اتهام يشوع - عليه السلام - بالتعاون مع الجاسوسة (راحاب) (٦)
الزانية (٧) .

١ انظر : تكوين : ١٢/١٠ - ٢٠ ، و : ١/٢٠ - ١٢ .

٢ انظر : تكوين : ١/٢٧ - ٤٥ .

٣ انظر : تكوين : ٢٤/٣٢ - ٣٢ .

٤ انظر : تثنية : ٤٨/٣٢ - ٥١ .

٥ انظر : خروج : ١/٣٢ - ٦ .

٦ راحاب : (القرن ١٢ ق.م) امرأة زانية من (أريحا) ، تعاونت - فيما يزعم (الكنية اليهود) - مع

رسل (يشوع) ، الذين أرسلهم من (القيية) في (سيناء) ، للتجسس على (أرض كنعان -

فلسطين) ! انظر : يشوع : ٢/ - و ١٧/٦ و ٢٢ - ٢٣ .

٧ انظر : يشوع : ٢/ - و ١٧/٦ و ٢٢ - ٢٣ .

٧ - اتهام داود - عليه السلام - بالزنا ، حيث ادعوا بأنه اغتصب زوجة أحد جنوده المجاهدين في سبيل الله تعالى ، حتى حملت منه سفاحاً ، ثم يحتال على زوجها ؛ من أجل أن يجامع زوجه لينسب الحمل إليه ، ولما أبى أن يذهب إلى بيته وترك إخوانه المجاهدين ، تأمر عليه مع قادة جيوشه ؛ ليستر جريمة الزنا بجريمة قتل المجاهد ، ومن هذه المرأة الزانية ينجب - في زعمهم - نبياً وهو ابنه (سليمان) - عليه السلام - ! (١) .

٨ - اتهام سليمان - عليه السلام - بالوثنية ، حيث صوروه بانياً معابد لآلهة نساته الأجنبية اللاتي أملن قلبه وراء آلهتهن (٢) ، ثم ينسبون إليه (سفر نشيد الانشاد) الذي أكثره من الغزل المنافي للأخلاق ! (٣) - قاتلهم الله أنى يؤفكون - .

٩ - ولم يكتف اليهود بذلك ، وإنما طالت افتراءاتهم آل بيوت أنبيائهم - عليهم السلام - ، ومن ذلك :

أ - اتهام (رأوبين بن يعقوب) (٤) بالزنا بزوجة أبيه ! (٥)

ب - اتهام (يهوذا بن يعقوب) (٦) - أحد أجد داود ، عليه السلام - بالزنا بزوجة ابنه ! (٧)

ج - إتهام (أمنون بن داود) (٨) بالزنا بأخته ! (٩)

١ انظر : صموئيل الثاني : ٢/١١ - ٢٧ .

٢ انظر : الملوك الأول : ١/١١ - ١٣ .

٣ انظر - مثلاً - : ١/٧ - ٩ .

٤ راجع : التعريف بـ (الاسباط) ج ١ ص ١٧١ .

٥ انظر : تكوين : ٢٢/٢٥ .

٦ راجع : التعريف بـ (الاسباط) ج ١ ص ١٧١ .

٧ انظر : تكوين : ٣٨ / ٢ .

٨ أمنون بن داود : (القرن ١٠ ق.م) هو أمنون بن داود ، الذي اتهمه (الكتبة اليهود) زوراً وبهتاناً بالزنا بأخته (ثامار) ، كما فصلنا ذلك أعلاه .

٩ انظر : صموئيل الثاني : ٢٠/١٦ - ٢٢ .

د - إتهام (أبشالوم) بن داود (١) بالزنا بسراري أبيه (٢) !

إن هذه القصص - وغيرها - التي تناول فيها (الكتبة اليهود) على كرامة أولئك الأنبياء - عليهم السلام - جاءت متوافقة مع أهوائهم الباطلة ، وأمزجتهم الفاسدة ، وعقولهم المريضة ؛ لتحقيق لهم مجتمعة أهدافاً كثيرة ، من أهمها :

١ - نشر الرذائل بأنواعها : الدينية ، والخلقية ، والاجتماعية ، فنسبتها إلى خاصة البشر ، وهم الأنبياء ، كفيل بأن تستمرأها العامة التي لم تهتد بنور الإيمان الحقيقي !

٢ - إبعاد ذرية داود وسليمان - عليهما السلام - عن زعامة اليهود ، حيث رأى أولئك الكتبة - وهم من (سبط اللاويين) - تشويه سمعة (آل داود) - وهم من (سبط يهودا) - ، بعد أن انتقل إليهم الملك من (آل هارون) - وهم من (سبط اللاويين) - ، فافتروا هذه القصص - وغيرها - ضد (آل داود) ؛ مما يحول دون صلاحية ذرياتهم لتولي زعامة اليهود مرة أخرى ! (٣)

ومع تلك الصور الشائنة التي يرسمها اليهود لأنبيائهم ، فإنهم لا يرون فيها غضاضة من مكانتهم النبوية ، مادامت تحقق لهم الأهداف التي ينشدونها !

١ أبشالوم بن داود : (القرن ١٠ ق.م) هو أبشالوم بن داود ، الذي اتهمه (الكتبة اليهود) زوراً وبهتاناً بالزنا بسراري أبيه ، كما فصلنا ذلك أعلاه .

٢ انظر : صموئيل الثاني : ٢٠/١٦ - ٢٢ .

٣ انظر : د/ فتحي محمد الزغبى : تنزية نبي الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات ص ١٠٣ - ١٠٤ و ١١٣ - ١١٥ و ١٢٠ ، و : د/ عبد الستار فتح الله سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ١٤٣ ، و : عبد السميع الهراوي : الصهيونية بين الدين والسياسة ص ١٦٠ ، و : محمد خليفة التونسي : الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون ص ٦١ ، و : السموال المغربي : بذل المجهود في إفحام اليهود ص ٤٢ .

فأين هذه الصورة التي يرسمها (العهد القديم) لأولئك الأنبياء الكرام - عليهم السلام - من الصورة التي يرسمها لهم (القرآن الكريم) ؟ •

- إن الصورة التي يرسمها (القرآن الكريم) لأولئك الأنبياء الكرام - عليهم السلام - في آيات كريمة خاصة وعامة صورة مبرأة من كل نقص وعيب ، فالأنبياء - عموماً - معصومون وفي أعلى مراتب الكمال الإنساني ، حيث يقول تعالى في مدحهم :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتَهُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَىٰسَ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ • (١)

فالمسلمون أولى بأنبياء اليهود منهم ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :

« فنحن أحق وأولى بموسى منكم » • (٢)

ولن يسمح المنهج الذي اتبعناه للحديث التفصيلي عن (نظرة اليهود إلى أنبيائهم) ، وحسبنا منهم من جادلوا فيهم الرسول ، على ما يأتي :

١ - جدلهم في ملّة إبراهيم - عليه السلام - :

١ سورة الانعام ، آية : ٨٣ - ٨٦ •

٢ الحديث سبق تفريجه : راجع : ص ٧٣ •

يزعم اليهود أن خليل الله إبراهيم - عليه السلام - تابعاً لهم في يهوديتهم ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

" اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود ، عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً " (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - بأن إبراهيم - عليه السلام - يهودياً ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - وما بعدها ، حيث يقول سبحانه :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (٣)

أي : كيف يسوغ يا معشر اليهود - والنصارى - عقلاً مبادلة الحجة - فيما ليس لكم به علم في شأن ملة إبراهيم - عليه السلام - ، من حيث أنه كان يهودياً - أو نصرانياً - ، وقد علم أن اليهودية ودستورها (التوراة) - والنصرانية ودستورها (الإنجيل) - حدثت بعد زمنه بدهر طويل .

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٣ ص ٣٠٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٢ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٥٣ .

و : قد وردت روايات - عن طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج

٣ ص ٣٠٥ و ٣٠٧ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٠٠ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ٦٥ .

٣ سورة آل عمران ، آية : ٦٥ - ٦٦ .

فإبراهيم - عليه السلام - عاش في حوالي (القرن ١٨ ق ٠ م) (١) ،
بينما الديانة التي جاء بها موسى - عليه السلام - وهي المعروفة بـ
(اليهودية) نشأت في حوالي (القرن ١٢ ق ٠ م) (٢) - والديانة التي جاء بها
عيسى ، عليه السلام ، وهي المعروفة بـ (النصرانية) نشأت في (القرن
الأول الميلادي) (٣)، فكيف يدين إبراهيم - عليه السلام - بـ (اليهودية) -
أو (النصرانية) - قبل نزولها ؟!، ولكنهم قوم لا يعقلون .

ثم ينفي الله تعالى في الآية الكريمة التالية - مباشرة - أن يكون
إبراهيم - عليه السلام - يهودياً - أو نصرانياً - ، مقررأ بأنه كان مستقيماً
على دين الوحدانية (الإسلام) ، بريئاً من كل دين يخالفها ، سواء أكانت
(اليهودية) - أم (النصرانية) أم غيرها - ، حيث يقول سبحانه :

﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً
وما كان من المشركين﴾ (٤) .

ثم يحسم الله تعالى الخلاف في هذه القضية الجدلية في الآية
الكريمة التالية لها - مباشرة - ، بالإعلان بأن أحق الناس بالانتساب إلى
إبراهيم - عليه السلام - هم المذكورون - فقط - في قوله سبحانه :

﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا
والله ولي المؤمنين﴾ (٥) .

فأحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم - عليه السلام - (ثلاثة أصناف)

١ راجع : (ماضي اليهودية) ج ١ ص ١٦٣ .

٢ راجع : (نشأة اليهودية) ج ١ ص ١٧٨ .

٣ راجع : (عيسى - عليه السلام -) ص ٢٤٤ .

٤ سورة آل عمران ، آية : ٦٧ .

٥ سورة آل عمران ، آية : ٦٨ .

، هم :

- ١ - (الذين اتبعوه) : وهم الذين أجابوا دعوته في حياته وبعد مماته .
- ٢ - (وهذا النبي) : وهو محمد رسول الله ﷺ ، وهو من نسله ، فعن (عبد الله بن مسعود) (١) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن لكل نبي ولاية من النبيين ، وإن وليي أبي و خليل ربي ، ثم قرأ :
﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا
والله ولي المؤمنين﴾ » (٢) .
- ٤ - (والذين آمنوا) : بمحمد ﷺ من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

٢ - جدلهم في ملة إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط - عليهم السلام - :

كذلك يزعم اليهود أن الأنبياء من ذرية إبراهيم : (إسماعيل ، وإسحاق

١ عبد الله بن مسعود : (٩ - ٣٢ هـ = ٩ - ٦٥٣ م) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي . صحابي ، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً ، ولد في (مكة) ، وكان من السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بالقرآن الكريم بـ (مكة) ، وكان خادماً الرسول محمد الأمين ، وصاحب سره ، ورفيقه في حله وترحاله ، وغزواته ، يدخل عليه كل وقت ، ولاء (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - (بيت مال الكوفة) ، ثم قدم (المدينة) في خلافة (عثمان بن عفان) - رضي الله عنه - . كان قصيراً جداً يكاد الجلوس يوازنونه ، وكان يحب الإكثار من الطيب . روى (٨٤٨ حديثاً) . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٦١ - ٥٠٠ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٦٠ - ٣٦٢ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ .

٢ سنن الترمذي - واللفظ له - : (كتاب تفسير القرآن (٤٨)) . (تفسير سورة آل عمران) ، حديث رقم (٢٩٩٥) ، ج ٥ ص ٢٢٣ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٤٣٠ .
و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن الترمذي ، حديث رقم (٢٣٩٤) ج ٣ ص ٣١ .

، ويعقوب ، والأسباط) (١) - عليهم السلام - كانوا يهوداً ! ، حيث يقول تعالى :

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلَمُ أَمَ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) .

وهذه الآية الكريمة تحوي الرد على اليهود الذين يزعمون أن هؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - تابعون لهم في يهوديتهم ! .

وقد أسقط الله تعالى حجة اليهود في إبراهيم - عليه السلام - وهو الأصل - كما ذكرنا - ، فمن باب أولى أن تسقط فيمن جاء بعده من ذريته من الأنبياء - عليهم السلام - ، الذين وجدوا - أيضاً - قبل ظهور (الديانة اليهودية) .

٣ - جدلهم في نبوة سليمان - عليه السلام - :

يزعم اليهود أن سليمان - عليه السلام - ليس نبياً ، وإنما هو ساحر ! ، فعن محمد بن إسحاق - رحمه الله تعالى - قال :

« لما ذكر رسول الله فيما نزل عليه من الله ، سليمان بن داود وعده فيمن عدة من المرسلين ، قال من كان بالمدينة من يهود : ألا تعجبون لمحمد ... ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً » ! (٣) ،

١ لمعرف الخلاف في (نبوة الأسباط) . راجع : التعريف بـ (الأسباط) ج ١ ص ١٧١ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١٤٠ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ١ ص ٤٤٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

وقد رويت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٤٥ - ٤٥١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣٤ - ١٣٦ ، و : السيوطي

فأنزل الله تعالى تبرئه لنبيه سليمان - عليه السلام - :

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَقُولُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (١) .

فما هو السبب الذي جعل اليهود يعدون سليمان - عليه السلام -

ساحراً ، لا نبياً ؟

- إن السبب الذي جعل اليهود يعدون سليمان - عليه السلام - ساحراً

، هو أن الشياطين كتبوا السحر في كتاب ، وختموه بخاتم مثل خاتم

سليمان - عليه السلام - ١ ، فعن ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - قال :

« عمدت الشياطين حين عرفت يموت سليمان بن داود - عليه السلام - ،

فكتبوا أصناف السحر ، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا ، فليفعل كذا

وكذا ، حتى إذا صنفوا أصناف السحر ، جعلوه في كتاب ، ثم ختموا عليه

بخاتم على نقش خاتم سليمان ، وكتبوا في عنوانه : هذا ما كتب (أصف بن

برخيا) (٢) الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ، ثم دفنوه

تحت كرسیه ، فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل ، حين أحدثوا ما

أحدثوا ، فلما عثروا عليه قالوا : ما كان سليمان بن داود إلا بهذا ،

فأفشوا السحر في الناس ، وتعلموه ، وعلموه ، فليس في أحد أكثر منه في

يهود ! (٣)

: لباب القول ص ٢٣ - ٢٤ .

١ سورة البقرة ، آية : ١٠٢ .

٢ آصف بن برخيا : (حوالي القرن ١٠ ق.م) من مغني المزامير ، وعشيرته مشهورة بالغناء .

انظر : د/ بطرس عبد الملك : قاموس الكتاب المقدس ص ٥ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له : ج ١ ص ٤٤٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

١ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج

وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - بأن سليمان عليه السلام - كان ساحراً ، بما جاء في الآية الكريمة السابقة ، حيث يقول سبحانه :

﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ .

ف (سليمان) - عليه السلام - لم يكفر ؛ لأنه ليس بساحر - كما زعم ذلك اليهود - ، بل هو نبي كريم ، امتدحه الله تعالى في آيات كريمة كثيرة ، منها ، قوله سبحانه :

﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ . (١) .

وإنما السحرة هم الشياطين ، الذين اتبعهم اليهود ، حتى أفسدوه في الناس ، « فليس في أحد أكثر منه في يهود » (٢) .

هذا ، وقد سحر اليهودي (ليبيد بن الأعصم) رسول الله محمداً ﷺ ، كما سنفصل ذلك - إن شاء الله تعالى - في موضع آخر - (٣) .

٣ - الأنبياء اللاحقون - عليهم السلام - :

لم يؤمن اليهود بالنبيين اللذين أتيا بعد الأنبياء (الذين يعترفون بهم من بني إسرائيل) ، وهما عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - ، على ما يأتي :

١ من ٤٤٤ - ٤٥١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣٤ - ١٣٦ ، و :

الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٩ - ٣١ .

١ سورة ص ، آية : ٣٠ .

٢ راجع : آخر جملة في النص - الذي رواه ابن إسحاق - أعلاه . ص ٢٤٢ .

٣ راجع : (إهداء الرسول ﷺ بالسحر) ص ٣٧٤ .

أ - عيسى - عليه السلام - :

لقد بعث المسيح (عيسى) (١) - عليه السلام - عام ٢٧ م (٢) ، في قرية (الناصرة) بـ (فلسطين) (٣) ، وكانت رسالته - في الأصل - إلى بني إسرائيل (٤) - وهو آخر أنبيائهم - ، حيث يقول تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (٥)

إن رسالة عيسى - عليه السلام - تتلخص - كما جاء في الآية الكريمة - في أمرين اثنين ، هما :

١ عيسى - عليه السلام - : (٣ ق ٠ م - ٣٠ م) هو عيسى بن مريم ، نسبته إلى أمه (مريم بنت عمران) ؛ لأنه ولد من غير أب ، واسمه عند النصارى (يسوع) ، وعند اليهود (يشوع) ، ويلقب بـ (المسيح) ، أي : الممسوح بالزيت تبركاً ، ولد في قرية (بيت لحم) بـ (فلسطين) ، وأرسل إلى (بني إسرائيل) عام ٢٧ م ، وهو أحد أولي العزم من الرسل ، وآخر أنبياء بني إسرائيل ، أنزل عليه (الإنجيل) ، وأيد بالمعجزات الباهرة ، ولكن اليهود رفضوا دعوته وحاولوا قتله ، ولكن الله تعالى نجاه من كيدهم ، ورفعه إلى السماء عام ٣٠ م ، وسينزل آخر الزمان إلى الأرض ، حاكماً بشريعة الإسلام . ثم يتولى ، ويصلي عليه المسلمون - كما فصلنا ذلك أعلاه - . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ٦٦ - ١٢٠ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٤٣ - ٥٥٢ ، و : محمد الصابوني : النبوة والأنبياء ص ١٨٦ - ٢١١ .

٢ انظر : جورج خوري : قاموس الكتاب المقدس ص ٨٧١ .

٣ انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، و : ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ج ٢ ص ٣٦٣ ، و : عبدالعزيز آل نعيم : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ٩٦ .

٤ جاء في إنجيل متى :

« ثم خرج يسوع ... وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » : (إصحاح (١٥) فقرة : ٢١ و ٢٤ .

وجاء في إنجيل برنابا :

« أقامني الله نبياً على بيت إسرائيل » : الفصل (٥٢) فقرة : ١٣ .

٥ سورة الصف ، آية : ٦ .

و : انظر : سورة آل عمران ، آية : ٤٩ .

١ - التصديق للتوراة بدون هيمنة ٠ (١)

٢ - التبشير برسول الإسلام محمد ﷺ ٠ (٢)

إلا أن أكثرية (٣) اليهود لم يؤمنوا برسولهم عيسى - عليه السلام -
؛ لأنه جاءهم بالملكوت الآخروي (المتضمن تصحيح ما حرفوه من شرائع
التوراة ، والبشارة بمحمد ﷺ) ، وهم إنما يريدون الملكوت الدنيوي
، الذي ربطوا حدوثه - في زعمهم - بظهور (المسيح المنتظر) (٤)

١ كلا الرسولين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - مصدقان لما بين يديهما من التوراة ،
ولكن الفرق بينهما أن عيسى - عليه السلام - : مصدق - فقط - ، أما محمد ﷺ : فمصدق
ومهيمن ، لقول الله تعالى :

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه﴾ : سورة المائدة .
آية : ٤٨ .

و : المهيمن : هو الشاهد والرقيب والحافظ والمؤتمن والقائم على ما قبله . انظر : ابن
منظور لسان العرب (مادة همن) ج ١٣ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ . و : الفيروز أبادي : القاموس
المحيط (مادة هيمن) ج ٤ ص ٢٧٧ .

٢ راجع : (تعريف البشارات بنبو محمد ﷺ في العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٠٦ .

٣ إن حكم القرآن الكريم إنما هو على الغالبية العظمى من اليهود الذين كفروا به ، مع إنصاف
الأقلية منهم ، وهم (الحواريون) الذين آمنوا ؛ لقول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله
قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فآبينا الذين آمنوا
على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ : سورة الصف ، آية : ١٤ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . راجع : (العدل الرباني) ج ٤ ص ٢٦٩ .

٤ المسيح المنتظر : كلمة (المسيح) مشتقة من الكلمة العبرية (مشح) أي : مسح ، وكانت كلمة ذات
دلالة عامة ، تشير إلى مبايعة ملوك اليهود ، إذ يأتي (الكاهن الأكبر) الذي يقوم بطقوس التتويج
، ويأخذ على كفة قليلا من الزيت المقدس ، فيمسح به مقدم رأس الملك . ثم يضع التاج عليه ،
ويسمى (مسيحا) أي : أنه متوج بطريقة شرعية . انظر : د/ حسن ظاظا : الفكر الديني
اليهودي ص ١٠٩ ، و : موسوعة المفاهيم ص ٣٥٣ .

وتعتبر فكرة (المسيح المنتظر) عقيدة راسخة من أركان (الديانة اليهودية الوضعية - ، حيث
يردد اليهود في كل صلاة : « أومن إيمانا مطلقا بقدم المسيح ، وسأبقى - حتى لو تأخر -
انتظره كل يوم » : إسماعيل الكيلاني : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص ٤٢ .

ويزداد لجوء اليهود إلى هذه الفكرة (المسيح المنتظر) - وبإصرار - كلما ازداد حالهم سوءا

عن طريق الإضطهادات الواقعة بهم ، وسواء في (فلسطين) أو خارجها ، منذ زوال ملكهم النهائي عام ٥٨٦ ق.م .

وقد حدد اليهود علامات لوجود مسيحهم المنتظر ، بعضها يسبق وجوده ، وبعضها الآخر يأتي بعد وجوده ، ومن أهم تلك العلامات ما يأتي :

١ - نزل النبي (إيليا) من السماء - بعد أن صعد إليها حياً - مبشراً بمجيئه : (انظر : ملاخي : ٦-٥/٤) .

٢ - إنتاج الأرض أثواباً صوفية وحنطة خصبة : (التلمود ، انظر : بولس مسعد : همجية التعاليم الصبونية ص ٥٧) .

٣ - تعايش الحيوانات المفترسة مع غيرها من الحيوانات غير المفترسة : (انظر : إشعياء : ١١/-) .

٤ - زوال المصائب عن البشر ، وأهمها الموت : (انظر : إشعياء : ٦/٢٥ - ٢٩) .

فعند ظهور (المسيح المنتظر) - في زعمهم - وهو - عندهم من نسل داود - عليه السلام - ستتحقق هذه العلامات - وغيرها - ويصبح اليهود بالتالي - سادة العالم ! : (انظر : إشعياء : ٦/٩ - ٧ و دانيال : ١٣/٧ - ١٤) .

إلى غير ذلك من العلامات المخالفة أكثرها للمنقول والمعقول ؛ مما لا ييتسع المقام لتفصيله .

ولذلك لم يؤمن اليهود بالمسيح عيسى - عليه السلام - ؛ لأنهم يتعللون بأن العلامات السابقة لم تتحقق فيه ؛ ولذلك فهم في انتظار لمقدم مسيح تنطبق عليه تلك العلامات التي حددها ! . وقد كثر المدعون للمسيحية من اليهود ، ومن أشهرهم (شبتاي زفي) الذي ادعى أنه (المسيح المنتظر) عام ١٦٤٨ م - ١٠٤٨٨ هـ . راجع : ترجمة (شبتاي زفي) ج ١ ص ٢٢٢ .

ولكن مصير هؤلاء الأعداء دائماً هم - ومن سيأتي بعدهم - الفشل الذريع ؛ لأنه لا مستند لتلك المفاهيم التي يزعمونها من البحي الإلهي ، الذي هو مصدرها - فقط - ! .

وفكرة (المسيح المنتظر) - بهذه الصورة - ليست من صميم (الديانة اليهودية) - كما أنزلها الله تعالى على رسوله موسى . عليه السلام - ؛ لأن أصل عقيدة (المخلص) الموجودة في (الديانة اليهودية) - قبل تحريفها - تدور حول شخص المسيح عيسى - عليه السلام - ، ولكن نظراً للتحريف الذي داخل أسفار (العهد القديم) من قبل (الكتبة اليهود) - ووضع (التلمود) - ؛ فقد ضاعت معالمها الحقيقية بالعلامات التي حددها - كما رأينا - ، خصوصاً وأن ما ورد في شأن (المسيح المنتظر) في هذه الأسفار ليس قطعي الدلالة ، وإنما هو ظنيها ، حيث تأولها تعسفاً وتكلفاً ! .

وعلى فرض صحة هذه الفكرة (المسيحانية) - اليهودية - جدلاً ، فإنها لا تخلو من أحد (أمور ثلاثة) - نؤمن بها نحن المسلمون كلها ، وهي :

١ - إما أن تكون هذه الفكرة (المسيحانية) قد تحققت لليهود فعلاً ، وذلك بإرسال الله تعالى لهم المسيح (عيسى) ، عليه السلام - كما ذكرنا أعلاه - ، وعلى ذلك فاليهود في وهم على هذا الانتظاراً .

٢ - وإما أنها ستتحقق فعلا ، ولكن على أساس الأوصاف - المشابهة لما يزعم اليهود من أوصاف مسيحيهم المزعوم - التي ستحدث في آخر الزمان ، عند نزول المسيح (عيسى) - عليه السلام - راجع : الهامش رقم (٢) ص ٢٥٧ .

وهذا (أي نزول المسيح عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان) هو ما يؤمن به النصارى والمسلمون ، على خلاف بين الفريقين : فالنصارى يرون أنه سيناصروهم مع اليهود ضد المسلمين ، بينما يرى المسلمون - وهو الحق - أنه سيناصروهم ضد المسيح الدجال وأتباعه من اليهود والنصارى وغيرهم من الكافرين . راجع : (معركة مجنون) ج ٣ ص ٢١٥ .

٣ - وإما أنها ستتحقق فعلا ، ولكن لا على أساس أوصاف التي جاؤوا بها في (العهد القديم) ، وإنما على أساس أوصاف (المسيح الدجال) ؛ وبذلك يفقد مسيح اليهود الذي ينتظرونه ؛ لملكه عليهم هو (المسيح الدجال) - أعادنا الله تعالى منه - ، فقد جاء في التقرير (السابع عشر من تقارير زعماء صهيون - البروتوكولات) ما يأتي :

« إن ملك إسرائيل سيعيد البابا الحق للعالم » : محمد التونسي : الخطر اليهودي ص ١٨٧ .
«بينما - في المقابل - يتعوذ المسلمون منه في كل صلواتهم ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ، فيقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال » : صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب المساجد ومواضع الصلاة «٥») ، (باب ما يستعاذ منه في الصلاة «٢٥») ، حديث رقم (١٢٩ - ١٨٥) ، ج ١ ص ٤١٢ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الزان «١٠») ، (باب الدعاء قبل السلام «١٤٩») ، ج ١ ص ٢٠٢ ، و : سنن الدارمي : (كتاب الصلاة) ، (باب الدعاء بعد التشهد) ، ج ١ ص ٣١٠ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الدعاء «٣٤») ، (باب ماتعوذ منه رسول الله ﷺ «٣») ، حديث رقم (٣٨٣٨) ، ج ٢ ص ١٢٦٢ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الصلاة) ، (باب الدعاء في الصلاة) ، حديث رقم (٨٨٠) ، ج ١ ص ٢٣٣ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الدعوات «٤٩») ، (باب في الاستعاذة «١٣٣») ، حديث رقم (٣٦٠٤) ، ج ٥ ص ٥٨٢ ، و : سنن النسائي : (كتاب الاستعاذة «٥٠») ، (باب الاستعاذة من عذاب جهنم وشر المسيح الدجال «٤٧») ، حديث رقم (٥٥٠٦) ، ج ٨ ص ٢٧٥ ، و : مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٤٧٧ ، و : موطأ الإمام مالك : (كتاب القرآن «١٥») ، (باب ما جاء في الدعاء «٨») ، حديث رقم (٣٣) ، ج ١ ص ٢١٥ .

ومصير (المسيح الدجال) وأتباعه (اليهود) هو القتل على يد (المسلمين) ، بقيادة المسيح الحقيقي (عيسى) - عليه السلام - ، وستحدث عن هذا الموضوع - إن شاء الله تعالى - تفصيلا في موضع آخر . راجع : (المعارك الفاصلة المنتظرة بين المسلمين واليهود في آخر الزمان) ج ٤ ص ٤٣٤ .
و : لمزيد من المعلومات حول (فكرة المسيحية) . انظر : رسالتي لمرحلة (الماجستير) : الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي ص ٣٧٩ - ٣٩٢ .

حيث يحلمون بسيادتهم للعالم ! ؛ فقد جاء في آخر الآية الكريمة السابقة ،
قوله سبحانه :

﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (١) .

ولم يقتصر موقف اليهود من دعوة المسيح - عليه السلام - على
الرفض السلبي فحسب ، بل تأمروا عليه ؛ وذلك بإغراء حاكم القدس
الروماني (بيلاطس البنطي) (٢) به ؛ على اعتبار أنه يدعو لمناهضة
الإمبراطور الروماني (أوكتافىوس) (٣) الملقب بـ (أغسطس قيصر) (٤) -
بل وتهديده (أي الوالي) بالقيصر إن هو لم يأخذه ، لكونه ألد أعدائه (٥)
- ، حتى استصدروا منه حكماً - عن طريق المجلس الأعلى للقضاء (٦)
(السنهدرين) (٧) - بإعدامه صلباً ! (٨) .

وقد نفذ اليهود هذا الحكم لا في المحكوم عليه المسيح - عليه

١ سورة الصف ، آية : ٦ .

٢ بيلاطس البنطي : (القرن ١ م) الحاكم الروماني في (مقاطعة يهوذا) في (فلسطين) منذ عام ٢٩
م وهو الذي أصدر أمره بصلب المسيح عيسى - عليه السلام - ؛ تلبية لرغبة الشعب اليهودي ،
على الرغم من قناعته ببراءته مما نسبته اليهود إليه من مناهضة الإمبراطور الروماني (أغسطس
قيصر) ، ولذلك غسل يديه بعد صدور الحكم ؛ مدعياً أنه غير مسؤول عن ذلك ، ولكن الله تعالى
نجى رسوله عيسى - عليه السلام - كما فصلنا ذلك أعلاه - ، أقبل (بيلاطس) من وظيفته ونفى
إلى فرنسا ، حيث مات متحرراً ، يضرب به المثل للانتهازي الذي يخشى على مصالحه فيما لو
صدع بالحق . الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٧١ .

٣ راجع : ترجمة (أوكتافىوس) ج ١ ص ٢١٦

٤ انظر : إنجيل لوقا : ١١/٢ - ٧ .

٥ انظر : إنجيل يوحنا : ١٢/١٩ .

٦ انظر : د / عبد الحميد داود : محمد في الكتاب المقدس ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، و : بنيامين فريدمان :
يهود اليوم ليسوا يهوداً ص ٣٨ - ٣٩ ، و : أحمد ديدات : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة
والافتراء ص ٥٤ .

٧ راجع : التعريف بـ (السنهدرين) ج ١ ص ٢٢٦ .

٨ انظر : إنجيل متى : ٥٧/٢٦ - ٦٨ ، و : إنجيل مرقس : ٥٣/١٤ - ٦٥ ، و : إنجيل لوقا :
١/٢٣ - ٢٥ ، و : إنجيل يوحنا : ٣٣/١٨ - ٤٠ ، و : ١/١٩ - ١٢ .

السلام - (١) ، وإنما في أحد تلاميذه، الذي ألقى عليه شبهه (٢) ، فصلبوه
(أي التلميذ) ، وهم يظنون - وغالبية النصارى (٣) - أنه المسيح - عليه

١ يذهب الداعية الإسلامي الأستاذ / أحمد ديدات - استناداً إلى نصوص الاناجيل - أن المسيح عيسى - عليه السلام - قد وضع على الصليب - فعلاً - ، ولكن حصلت معجزات إلهية : رعد وزلازل وكسوف ؛ لالهاء الجاهير اليهودية ، وليمكن أتباعة السريون من مساعدته في أن يظل حياً ، ثم أنزل من الصليب حياً - راجع : هامش رقم (١) ص ٢٥٠ - ، بينما يظن اليهود أنه مات ، حيث ذهب به - كالعادة - إلى حجرة فسيحة جيدة التهوية ، وأزيلت عنه ملالة الكفن ، حتى تمكن أتباعه السريون من إنقاذه . انظر : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ص ١٦٢ - ١٦٨ .

٢ إن في تعيين المشبه ، وكيفية التشبيه وجوه ، أهمها :
١ - أن الله تعالى ألقى شبه المسيح عيسى - عليه السلام - على تلميذه الخائن (يهودا الأسخريوطي) ، فحينما أرشد الجند - الذين أرادوا قتله - إلى مكانه ، ألقى الله شبهه على هذا المنافق ، فقتلوه ، وهم يظنون أنه المسيح - عليه السلام - .
ومسألة خيانة التلميذ (يهودا الأسخريوطي لمعلمه المسيح - عليه السلام) هي : رواية الاناجيل . انظر : إنجيل متى : ١٤/٢٦ - ١٦ و : ٤٧/٢٦ - ٥١ ، و : إنجيل مرقس : ١٠/١٤ - ١١ و : ٤٣ - ٤٦ ، و : إنجيل لوقا : ٣/٢٢ - ٦ و ٤٧ = ٤٨ ، و : إنجيل يوحنا : ١/١٨ - ٥ .
إلا أن (إنجيل متى) يقرر أن (يهودا) قد ندم بعد أن سلم لليهود من ظنه المسيح - عليه السلام - ، حيث ألقى عليه شبهه ، ثم رد إلى اليهود ما كان قد أخذه منهم من الفضة رشوة ؛ نظير وشايته ، ثم مضى فخنق نفسه ! - انظر : ٣/٢٧ - ٥ .

٢ - أن الله تعالى ألقى شبه المسيح - عليه السلام - على أحد تلاميذه المخلصين ، فحينما أجمعت اليهود على قتل المسيح - عليه السلام - أخبره الله بذلك ، وأنه سيرفعه إليه ، فطلب من تلاميذه من يهب نفسه لله تعالى ليلقى عليه شبهه ، فبقتل ، ويصلب ، ويدخل الجنة ، فقام أحدهم ، فألقى الله عليه شبهه ، فقتل ، وصلب ، ورفع إليه المسيح - عليه السلام - .
انظر : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ١٢ - ١٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٤ - ٥٧٦ .

ومسألة إلقاء شبه المسيح - عليه السلام - على أحد تلاميذه - من غير تحديد أي من الوجهين : الخيانة والإخلاص - هي نص القرآن الكريم الذي لم يحدد اسم هذا التلميذ . ولا يمكن الجزم بأنه (يهودا الأسخريوطي) ؛ لأن (الاناجيل) - كما رأينا - مختلفة فيه - والله أعلم . -

٣ لم يختلف النصارى على شيء اختلفهم في قضية الصلب ؛ نظراً لاختلاف (الاناجيل) في هذه القضية ! - انظر : أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٧١ - ٢٨٢ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٥١٦ - ٥٣٤ .

السلام - (١) ، حيث يفخرون بذلك ، كما قال الله تعالى عنهم :

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله﴾ (٢) الله﴾ (٣) .

وكما جاء في العهد الجديد :

١ يختلف اليهود والنصارى والمسلمين في مسألة (الصلب) و (النهاية) ، وتستطيع أن نوجز ذلك ، على ما يأتي :

- اليهود : يرون أن المسيح - عليه السلام - صلب ، ومات على الصليب ، ودفن ، وانتهى أمره .

- والنصارى : يرون - مخالفين بذلك بعض نصوص الأناجيل - أن المسيح - عليه السلام - صلب ، ومات على الصليب ، ودفن ، وذلك - في زعمهم - فداءً للبشرية من خطاياها ، ولا سيما (الخطيئة الأولى - خطيئة آدم - عليه السلام - بأكله من الشجرة) ، وهذا ما يعرف عندهم - بـ (الخلاص) ، ثم بعث بعد (ثلاثة أيام) ، ويرفع إلى جوار أبيه في السماء ! . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

- والمسلمون : يرون أن المسيح - عليه السلام - قد نجاه الله تعالى من الصلب ، ولكنهم اختلفوا : هل ألقى شبهة على أحد تلاميذه - وهو الراجح - ، أو وضع على الصليب فعلاً ولكن الله نجاه بمعجزة ؟ ، كما اختلفوا في رفعه بروحه وجسمه إلى السماء ، فالجمهور على ذلك مع قول بعضهم بأنه مات بعد نجاته من الصلب ، ثم أحياه الله تعالى ، فرفعه بروحه وجسمه ، أما العقلانيون فيرون أنه مات بعد نجاته من الصلب ميتة عادية ولم يرفع بجسمه إلى السماء مطلقاً . وهذا ما فصلناه في هذه الفقرة أعلاه مع هوامشها .

٢ كيف يصف اليهود المسيح عيسى - عليه السلام - بالرسالة وهم لا يؤمنون به ؟!

- والجواب عن ذلك من وجهين :

١ - أنهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ، كقول الله تعالى - حكاية عن قول فرعون لقومه عن موسى ، عليه السلام - : ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ : سورة الشعراء ، آية : ٢٧ .

٢ - أنه يجوز أن يضع الله تعالى الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم ، رفعاً لعيسى - عليه السلام - عما كانوا يذكرونه به .

انظر : الرازي : التفسير الكبير ج ١١ ص ٩٩ .

٣ سورة النساء ، آية : ١٥٧ .

«قالوا دمه علينا وعلى أولادنا» (١) «! (٢)»

قاله تعالى نجّى رسوله المسيح - عليه السلام - من كيد اليهود ،
ورفعه إليه حياً بروحه وجسمه ، حيث سينزل إلى الأرض في آخر الزمان ،
حاكماً بشريعة الإسلام (٣) ، وسيقود المسلمين في قتال (المسيح الدجال) .

١ لم تكثف (الكنيسة النصرانية) بما صدر عن أتباعها (النصارى) لصالح أعدائهم اليهود من تأييد لباطلهم على حساب الحق الإسلامي في (فلسطين) ، وإنما راحت تبريء اليهود من فرية صلب المسيح - فيما يزعمون - ، على الرغم من مجافاة تلك التبرئة لأحد الأسس العقدية لـ (الديانة النصرانية) ؛ فقد جاء اعتراف اليهود بتلك الفرية (أي الصلب) في الكتاب الذي يقدسونه (العهد الجديد) :

«وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا» : إنجيل متى ، إصحاح (٢٧) ، فقرة : ٢٥ .
و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ، راجع : (التفوذ اليهودي في المجال الديني) ج ٤ ص ١٣٥ .

٢ إنجيل متى : إصحاح (٢٧) فقرة : ٢٥ .
٣ لقد اختلف العلماء في مسألة (رفع المسيح عيسى - عليه السلام - بجسمه إلى السماء ، ثم نزوله إلى الأرض في آخر الزمان ، وبالتالي قتله المسيح الدجال ، بل وجوده أصلاً) ، على مذهبين :

١ - مذهب الجمهور : أن المسيح - عليه السلام - رفع بجسمه وروحه إلى السماء ، واستقلوا على ذلك بما يأتي :
أ - أدلة الرفع :

١ - قول الله تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ : سورة آل عمران ، آية : ٥٥ .

٢ - قول الله تعالى : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ : سورة النساء ، آية : ١٥٨ .
ب - أدلة النزول :

إن أدلة نزول المسيح - عليه السلام - في آخر الزمان إلى الأرض تتضمن الرفع من باب أولى ،
ومنها :

١ - الآيات الكريمة :
أ - قول الله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ : سورة النساء ، آية : ١٥٩ .

ب - قول الله تعالى : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ٠٠٠ إلى قوله : وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها ﴾ : سورة الزخرف ، آية : ٥٧ - ٦١ .

٢ - الأحاديث الشريفة :

أ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : إن النبي ﷺ قال : « الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل »
راجع : الحديث بتمامه ص ٢٥٧ .

ب - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » ، قال : فينزل عيسى بن مريم ﷺ : راجع : الحديث بتمامه ج ٤ ص ٤٣٥ .

ج - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم ... » ، ثم ينزل عيسى بن مريم : راجع الحديث بتمامه ج ٤ ص ٤٢٦ .

والاحاديث الشريفة في مسألة (نزول المسيح - عليه السلام - في آخر الزمان إلى الأرض) كثيرة يصعب حصرها .

٢ - مذهب العقلانيين : أن المسيح - عليه السلام - لم يرفع إلى السماء ، وإنما رفعت روحه - فقط - بعد وفاته الطبيعية بعد نجاته من (الصلب) ، واستدلوا على ذلك بما يأتي :
أ - أدلتهم الشرعية :

١ - قالوا : ليس في القرآن الكريم نص يلزم باعتقاد أن المسيح - عليه السلام - قد رفع بجسمه إلى السماء ، وردوا على ما استدل به الجمهور بما يأتي :

أ - قالوا : إن المقصود بـ (الرفع) الوارد في الآيتين الكريميتين السابقتين : (رفع المكانة) ، وقد جاء (الرفع) في القرآن الكريم بهذا المعنى ، حيث يقول تعالى :

- ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ : سورة البقرة ، آية : ٢٥٣ .

- ﴿ورفع بعضهم فوق بعض درجات﴾ : سورة الأنعام ، آية : ١٦٥ .

- ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ : سورة الأنعام ، آية : ٨٣ ، و : سورة يوسف ، آية : ٧٦ .

- ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ : سورة مريم ، آية : ٥٧ .

- ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ : سورة النور ، آية : ٢٦ .

- ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ : سورة الزخرف ، آية : ٣٢ - ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ : سورة المجادلة ، آية : ١١ .

- ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ : سورة الشرح ، آية : ٤ .

وفي قول الله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ : سورة آل عمران ، آية : ١٦٩ ، وردت جملة «أحياء عند ربهم» ، وهي أقوى دلالة من (الرفع) الوارد في الآيتين الكريميتين السابقتين ، فمع أن هذه الآية الكريمة قررت أن الشهداء أحياء عند ربهم ، فليس معنى هذا حياة الأجسام ؛ لأنها قد ووريت التراب ،

وإنما المقصود تكريم الأرواح بقربها من الله تعالى قرب مكانة .

ب - قالوا : إن نصوص نزول المسيح - عليه السلام - في آخر الزمان إلى الأرض لها تخاريج أخرى ، على ما يأتي :

١ - قالوا إن الاستشهاد بالآيتين الكريمتين السابقتين ليس صحيحاً ؛ لأنه لا يدل على المسيح - عليه السلام - ، على ما يأتي :

أ - فالضمير في كلمة : « موته » في قول الله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ ، يعود لأهل الكتاب ، والمعنى : أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدركه الموت حتى تتكشف له الحقيقة عند حشجة الروح ، فيرى أن المسيح - عليه السلام - حق ، فيؤمن بذلك ، ولكن حيث لا ينفع نفس إيمانها .

ب - كما أن الضمير في كلمة : « إنه » في قول الله تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ ، يعود إلى محمد ﷺ أو إلى القرآن الكريم ، إلا أنه لما كان السياق سياقاً ولحاقاً عن المسيح - عليه السلام - ، فالمعنى : أنه علم الساعة من حيث أن وجوده في آخر الزمان نسبياً ودليل على قرب الساعة ، أو إنه لحدوثه من غير أب ، أو بلحيائه الموتى - بإذن الله - ، دليل على صحة البعث .

٢ - أما الأحاديث التي تدل على نزول المسيح - عليه السلام - في آخر الزمان إلى الأرض فقالوا : إنها ليست بحجة ؛ لما يأتي :

أ - أن تلك الأحاديث أحاديث آحاد ، وهي لا توجب الاعتقاد ؛ بل قد وصل الأمر إلى اعتبارها موضوعة من قبل النصارى ، حيث لم تشتهر إلا بعد (القرون الثلاثة الأولى) ! .

ب - أن تلك الأحاديث ليس فيها كلمة واحدة عن (الرفع) ، وإنما فهم من نصوص (النزول) ، مع أن اللغة العربية لا تجعل (الرفع) ضرورة لـ (النزول) ، فقد جاء (النزول) في القرآن الكريم بعدة معان ، حيث يقول تعالى :

- ﴿وقل ربي أنزلي منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾ : سورة المؤمنون ، آية : ٢٩ ، أي : قدر لي .

- ﴿وانزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ : سورة الحديد ، آية : ٢٥ ، أي : جعلنا .

وهكذا يتبين أن (النزول) الوارد في تلك الأحاديث ، لو صحت ، فليست إلا بمعنى (يجيء) ، ومن الممكن أن يجيء الله تعالى بالمسيح - عليه السلام - ، ويرسله على شريعة محمد ﷺ قبل يوم القيامة ، أو هي إشارة إلى انتشار المحبة التي هي روح رسالة المسيح - عليه السلام - . !

٣ - قالوا إن القرآن الكريم فيه آيات كريمة تثبت وفاة جميع البشر ، ومنهم المسيح - عليه السلام - ، على ما يأتي :

أ - يقول تعالى في وفاة جميع البشر ، ومنهم أفضل الخلق محمد ﷺ :

- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ : سورة الزمر ، آية : ٣٢ .

- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ : سورة الأنبياء ، آية : ٣٤

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ : سورة آل عمران ، آية : ١٤٤ .

ب - ويقول تعالى في وفاة المسيح - عليه السلام - خاصة :

- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ تَوَفِّيكِ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ : سورة آل عمران ، آية : ٥٥ .

- ﴿وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتَ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ : سورة المائدة ، آية :

١١٧ .

- ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ : سورة مريم ، آية : ٣٣ .

فقوله في الآية الكريمة الاولى : ﴿إِنِّي مَتَوَفِّيكِ﴾ معناها : إِنِّي مَمِيتُكَ مَوْتًا طَبِيعِيًّا ، لا أَسْلُطُ عَلَيْكَ مِنْ يَفْتِكُكَ ، حتى وصل الأمر بـ (القاديانيين) إلى تحديد مكان قبره ، حيث زعموا أنه في (لاهور) بالباكستان . وأن روحه انتقلت إلى زعيمهم (الميرزاغلام أحمد) . راجع : (الحركة القاديانية) ج ٣ ص ٣٨٨ .

ب - أدلتهم العقلية :

١ - قالوا : إن القول برفع المسيح - عليه السلام - إلى السماء ، وحياته إلى آخر الزمان ، يفتح باب الشبهة لما يروجه (الفكر الديني النصراني) ، الذي يرى أن المسيح - عليه السلام - هو الإله الذين نزل من السماء ، ثم رفع ليعود بجوار أبيه الإله ! .

٢ - قالوا : إنه إذا كان رفع المسيح - عليه السلام - معجزة ، فما الفائدة من وقوعها غير واضحة أمام جاحدي رسالته ؟ .

٣ - قالوا : إن رفع الجسم البشري إلى السماء يحتاج إلى ما تحتاج إليه الأجسام البشرية من خواصها ، كالأكل والشرب وغيرها .

وقد ترتب على إنكار العقلانيين نزول المسيح - عليه السلام - في آخر الزمان إلى الأرض ، أن أنكروا - أيضاً - وجود (المسيح الدجال) جملة وتفصيلاً ، و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع : (إنكار رفع المسيح عيسى - عليه السلام - بجسمه إلى السماء ، وإنكار نزوله في آخر الزمان إلى الأرض) ، والعلماء الذين قالوا به . انظر : د / أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ٤٢ - ٥٨ .

وهذه الأدلة التي احتج بها أولئك العقلانيون ، يمكن أن نرد عليها بما يأتي :

١ - نقض أدلتهم الشرعية :

أ - الآيات الكريمة التي تتحدث عن المسيح - عليه السلام - :

١ - أن لو كان المقصود بـ (الرفع) السوار في الآيتين الكريمتين السابقتين :

﴿إني رافعك إلي﴾ ، ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ، و : (رفع المكانة) ، لقال : ﴿إني رافعك﴾ و ﴿بل رفعه الله﴾ .

٢ - أن الضمير في كلمة : « موته » في قول الله تعالى : ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ ، عائذ - على الراجح إلى المسيح - عليه السلام - . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ١٨ و ٢٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .
علماً بأن انكشاف الحقيقة لأهل الكتاب عند موتهم من أن المسيح - عليه السلام - أو محمداً ﷺ أو القرآن الكريم حق . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ١٩ - ٢٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .

و من هنا جاء تفسير عودة الضمير في كلمة « موته » إلى أهل الكتاب ، ولكن لا يلزم منه عودة الضمير - قطعاً - إلى أهل الكتاب ، بل إن الأرجح عودته إلى المسيح - عليه السلام - كما ذكرنا .

٣ - أن الضمير في الحرف : « وإنه » في قول الله تعالى : ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ ، عائذ - على الراجح - إلى المسيح - عليه السلام - ؛ لأن السياق سابقاً ولحاقاً في الحديث عنه ، والمعنى : أن ظهور المسيح - عليه السلام - في آخر الزمان من أشراط الساعة . انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٣٠ - ١٣٣ .

٤ - أن الوفاة الواردة في الآيتين الكريميتين السابقتين : ﴿إني متوفيك﴾ و ﴿فلما توفيتني﴾ ، المقصود منها الوفاة الصغرى وهي النوم ؛ لقول الله تعالى : ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ : سورة الانعام ، آية : ٦٠ ، و ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ : سورة الزمر ، آية : ٤٢ ، وقول الرسول ﷺ - فيما يرويه عنه حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : كان النبي ﷺ . . . إذا استيقظ من منامه قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الدعوات «٨٠») ، (باب ما يقول إذا أصبح «١٦») ، ج ٧ ص ١٥٠ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار «٤٨») ، (باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع «١٧») ، حديث رقم (٥٩ - ٢٧١١) ، ج ٤ ص ٢٠٨٣ ، و : سنن الدارمي : (كتاب الاستئذان) ، (باب ما يقول إذا انتبه من نومه) ، ج ٢ ص ٢٩١ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الدعاء «٣٤») ، (باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل «١٦») ، حديث رقم (٢٨٨٠) ، ج ٢ ص ١٢٧٧ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الادب) ، (باب ما يقال عند النوم) ، حديث رقم (٥٠٤٩) ، ج ٤ ص ٣١١ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ٣٨٥ .

وأقل ما قيل في معنى (الوفاة) في الآيتين الكريميتين السابقتين ، هو : أن الله تعالى أمات - المسيح - عليه السلام - على الأرض ، ثم أحياه ، ورفعه بروحه وجسمه إلى السماء - والإماتة المؤقتة ثم الإحياء ، ثم الإماتة النهائية إلى يوم البعث واقعة فعلا في عدة حوادث دونها القرآن

الكريم . راجع : (عقيدتهم في اليوم الآخر) ص ٢٧٤ - ، وهذا الرأي أن الله تعالى أمات المسيح - عليه السلام - على الأرض ، ثم أحياه ، ورفع بروحه وجسمه إلى السماء ، هو ما يميل إليه الإمام الطبري . انظر : جامع البيان ج ٣ ص ٢٨٩ - ٢٩١ و ج ٧ ص ١٣٩ .

٥ - أن المسيح - عليه السلام - سيموت في آخر الزمان كما يموت الناس . وبالتالي فلا خلود لأحد من البشر ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : إن النبي ﷺ قال : « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ... ، فمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » : راجع الحديث بتمامه ص ٢٥٧ .

وجاء في إنجيل برنابا - الذي لا تعترف به الكنيسة النصرانية - : « أجاب يسوع ... إني لم أمت قط . لأن الله قد حفظني إلى قرب انقضاء العالم » : الفصل (٢٢٠) فقرة : ١ - ٢ .

ب - الأحاديث الشريفة الواردة في نزول المسيح - عليه السلام - في آخر الزمان إلى الأرض : ١ - أن تلك الأحاديث تتضمن (الرفع) من باب أولى ؛ لأنه لا نزول من السماء لمن كان في الأرض قبلا من غير رفع .

٢ - أن تلك الأحاديث أحاديث صحيحة متواترة ، يقول عالم الحديث الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني : « إعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى - عليه السلام - متواترة ، يجب الإيمان بها ، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد ، فإنهم جهال بهذا العلم ، وليس فيهم من تتبع طرقها ، ولو فعل لوجدها متواترة ... ، ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم ، لا سيما والأمر دين وعقيدة » : الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ص ٥٦٥ .

و : لمزيد من المعلومات حول تواتر هذه الأحاديث الشريفة . انظر : عبدالعزيز مصطفى : قبل أن يهدم الأقصى ص ٢٣٧٧ - ٢٣٩ .

٢ - نقض أدلتهم العقلية :

أ - أن المسيح - عليه السلام - سيجري عليه ما يجري على البشر من الموت في نهاية الأمر - كما ذكرنا قبل قليل - والإله الحق حي لا يموت .

ب - أن معجزة رفع المسيح - عليه السلام - إلى السماء ستضع لمن يكذب بها حينما ينزل في آخر الزمان إلى الأرض .

ج - أن كيفية حياة المسيح - عليه السلام - في السماء من الأمور الغيبية التي لا تدركها العقول البشرية القاصرة عن الإحاطة بكل المغيبات .

وبناءً على كل ذلك ، فإن الحق الذي نعتقه هو ما قال به الجمهور من رفع (المسيح عيسى - عليه السلام -) بروحه وجسمه إلى السماء ، ثم نزوله في آخر الزمان إلى الأرض حاكماً بشريعة الإسلام ؛ ليقود (المسلمين) في قتال (المسيح الدجال) وأتباعه (اليهود) وغيرهم من الكافرين .

وقد صنف علماء كثيرون مصنفات عديدة تثبت نزول (المسيح عيسى - عليه السلام -) في آخر الزمان إلى الأرض مصنفات عديدة ؛ جمع الحديث فيها الشيخ / عبدالفتاح أبوغدة في تحقيقه

وأثبتوا أنه اليهود (١) -

وغيرهم من الكافرين - ، وستعم البركة في وقته (٢) ، وفي ذلك

لكتاب : (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للشيخ / محمد أنور شاه .

وقد انعقد الإجماع على (نزول المسيح عيسى - عليه السلام - إلى الأرض في آخر الزمان) ، حيث يقول الإمام السفاريني : « أجمعت الأمة على نزوله [أي المسيح عيسى - عليه السلام] ، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة الملاحدة ممن لا يعتد بخلافه ، وقد انعقد إجماع الأمة أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء » : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ج ٢ ص ٩٤ - ٩٥ .

١ راجع : (المعارك الفاصلة المنتظرة بين المسلمين واليهود في آخر الزمان) ج ٤ ص ٤٣٤ .
٢ يزعم اليهود أن مسيحهم المنتظر - المزعوم - عندما يأتي ستعم الأرض البركة . راجع : التعريف بـ (المسيح المنتظر) ص ٢٤٥ ، ولكن (المسيح) الذي ستعم البركة في وقته هو المسيح الحق عيسى - عليه السلام - ؛ فقد جاء في ذلك أحاديث شريفة كثيرة ، منها :

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : إن النبي ﷺ قال : « الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجلاً مربوعاً إلى الصخرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمانة على الأرض ، حتى ترتفع الأسود مع الإبل ، والتمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى و يصلي عليه المسلمون » : مسند الإمام أحمد : - واللفظ له - : ج ٢ ص ٤٠٦ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الأنبياء «٦٠») ، (باب نزول عيسى بن مريم - عليهما السلام - «٤٩») ، ج ٤ ص ١٤٣ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الإيمان «٩») ، (باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة محمد ﷺ «٧١») ، حديث رقم (٢٤٢ - ١٥٥/٢٤٣) ، ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الفتن «٣٦») ، (باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج «٣٣») ، حديث رقم (٤٠٧٧ - ٤٠٧٨) ، ج ٢ ص ١٣٦٢ - ١٣٦٣ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الملاحم) ، (باب خروج الدجال) ، حديث رقم (٤٣٢٤) ، ج ٤ ص ١١٧ - ١١٨ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الفتن «٣٤») ، (باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم - عليه السلام - «٥٤») ، حديث رقم (٢٢٣٣) ، ج ٤ ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .

٢ - حديث النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ... ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وري بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارك في الرسل [اللبن] ، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، و

يقول سبحانه :

﴿وَمَا قَتَلُوهُ (١) وَمَا صَلَبُوهُ ، وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (٢) .

وبهذا - أيضاً - تنبأ المسيح عيسى - عليه السلام - في (الأنجيل) (٣) بنجاته من كل المحاولات التي يبذلها اليهود لقتله (٤) ؛ فقد قال - مثلاً - (٥) عندما أرسل اليهود خداماً ليمسكوه - إن صحت نسبة ذلك

اللغة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللغة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس » : صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الفتن وأشراف الساعة «٥٣») ، (باب ذكر الدجال وصفته ومآله «٢٠») ، حديث رقم (١١٠ / ٢٩٣٧) ، ج ٤ ص ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الفتن «٣٤») ، (باب ما جاء في فتنة الدجال «٥٩») ، حديث رقم (٢٢٤٠) ، ج ٤ ص ٥١٠ - ٥١٤ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ .

١ إن تبرئة اليهود من قتل المسيح عيسى - عليه السلام - قول حق شهد به القرآن الكريم - لا كما يراه اليهود والنصارى - ، ولكن هذا لا ينفي عنهم أنهم كانوا يقتلون الأنبياء : راجع : (التقتيل) ص ٢٣٠ ، كما لا ينفي عنهم أنهم اتخذوا كافة الوسائل الإجرامية لقتل نبيهم عيسى - عليه السلام - وصلبه ، ولكن الله تعالى نجاه من كيدهم - كما ذكرنا ذلك أعلاه - .

ولاشك أن كل ذلك يعتبر من أكبر الجرائم ؛ لأنه من المقرر في الشرائع والقوانين أن من شرع في ارتكاب جريمة من الجرائم ، واتخذ كل الوسائل لتنفيذها ، ولكنها لم تتم لأمر خارج عن إرادته ، فإنه يعد من المجرمين الذين يستحقون العقاب . انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٥٨١ .

٢ سورة النساء ، آية : ١٥٧ - ١٥٩ .

٣ لقد تنبأت - أيضاً - أسفار (العهد القديم) - وخصوصاً (المزامير) بنجاة المسيح عيسى - عليه السلام - من محاولات قتله . انظر : أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢١١ - ٢٢٠ .

٤ انظر : أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

٥ لمزيد من المعلومات حول نجاة المسيح عيسى - عليه السلام - من محاولة (الصلب) انظر : إنجيل لوقا : ٢٩/٤ ، و : إنجيل يوحنا : ٨/٥٩ ، و : ١٠/٣٩ .

و : لمزيد من المعلومات حول رؤية المسيح عيسى - عليه السلام - من قبل أتباعه بعد عملية (الصلب) المزعومة . انظر : إنجيل متى : ٢/١٧ ، و : إنجيل مرقس : ٩/٢ ، و : ١٦/١٢ و ١٤

إليه - :

« فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذي أرسلني . ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » (١)

ويقول (برنابا) (٢) في إنجيله - الذي لم تعترف به (الكنيسة النصرانية) (٣) - أن المسيح - عليه السلام - لم يقتل ، ولم يصلب ، وإنما ألقى شبهه على تلميذه (يهوذا الإسخريوطي) (٤) :

« ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصدع منها يسوع . وكان التلاميذ كلهم نياماً فأتى الله بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا أنت يا سيد هو معلمنا . أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسماً : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي ؟ . وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه » (٥)

و : إنجيل لوقا : ٢٩/٩ ، و : ١٥/٢٤-١٦ و ٣١ ، و : إنجيل يوحنا : ١٤/٢٠ ، و : ٤/٢١

و : لمعرفة نصوص رفعة إلى السماء . انظر : إنجيل متى : ٦/٤ ، و : ١/١٧ و ٨ ، و : إنجيل مرقس : ٨/٩ ، و : إنجيل لوقا : ٢٨/٩ و ٣٦ ، و : إنجيل يوحنا : ٢٨/١٢

١ إنجيل يوحنا ، إصحاح (٧) فقرة : ٣٣ - ٣٤

٢ برنابا : (القرن ١ م) أحد حواربي المسيح عيسى - عليه السلام - ، ولكن (الكنيسة النصرانية) لم تعترف به من الحواريين ، وتبعاً لذلك رفضت إنجيله ، زاعمة أنه وضع إبان (القرون الوسطى) الأوروبية من (القرن ٥ - ١٥ م) . راجع : التعريف بـ (الحواريين) ص : ، و : انظر : د/ توفيق صالح : قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٢

٣ راجع : التعريف بـ (المهد الجديد - الإنجيل) ص

٤ يهوذا الإسخريوطي : (القرن ١م) أحد حواربي المسيح عيسى - عليه السلام - . يقال : إنه هو الذي خان ، ولذلك ألقى شبهه عليه ، فصلب مكانه - كما فصلنا ذلك أعلاه - . راجع : التعريف بـ (الحواريين) ص ٢١٣ ، و : انظر : داود حداد : قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٩ - ١٠٩١

٥ الفصل (٢١٦) فقرة : ١-٩

ولم يكتف اليهود بمحاولات قتل المسيح عيسى - عليه السلام - ،
وظنهم أنهم نجحوا في ذلك ، وإنما عمدوا إلى تحريف الديانة التي جاء
بها من عند الله تعالى ؛ لتصبح ديانة شركية ، عن طريق تحريف دستورها
(الإنجيل) - كما تحدثنا عن ذلك تفصيلاً فيما مضى - (١) .

ولكن اليهود - على الرغم من هذه الحقائق التاريخية والدينية -
أنكروا - فيما بعد - وجود المسيح عيسى - عليه السلام - إنكاراً تاماً ؛
ولذا فقد خلا تاريخهم الديني من أي ذكر له ، فهذا القائد اليهودي
(يوسفيوس) (٢) الذي كتب تاريخه - المشهور - عن اليهود ، لم يشر إليه -
مع تقارب زمنهما - بكلمة واحدة (٣) . وهذا هو الذي حدا ببعض
الملاحدة الغربيين إلى اعتبار المسيح - عليه السلام - شخصية خرافية ،
ليست حقيقية واقعة (٤) .

وإذا ما تكلم اليهود عن المسيح عيسى - عليه السلام - وقتله ، فليس

١ راجع : (العهد الجديد - الإنجيل) ص ١٩٠ .

٢ يوسفيوس : (٣٨ ق م - ١٠٠ م) اسمه العبري الأصلي (يوسف بن ماتياهو هاكوهين) من أسرة
(الكتبة - الفريسيين) ، وهو سياسي ، وقائد عسكري ، ومؤرخ يهودي ، وحينما نشبت (الثورة
اليهودية) عين قائداً عسكرياً لمنطقة (الجليل) عام ٦٦ م ، وحينما وصل الرومان حاول الهرب ،
ولكنه لم يفلح ، إذ أبقاه جنوده رغم أنه ، ثم تمكن القائد والجنود من الفرار إلى أحد الكهوف
، حيث قرر الجنود الانتحار بطريقة جماعية ، وقام بعمل قرعة كفلت له أن يكون آخر المنتحرين
، وحينما لم يتبق إلا هو وشخص آخر أقنعه بالاستسلام للرومان ، حيث غفا عنه القائد
الروماني (فلافيوس فسبسيان) ، فغير اسمه إلى (يوسفيوس فلافيوس) ، وقضى بقية أيامه في
(روما) ، حيث كتب مؤلفات أهمها : (تاريخ اليهود) ، وقد روجت (الضهبونية) لرواية الانتحارية
- هذه - على الرغم من أنه هو المصدر الوحيد لها ؛ مما شكك كثيراً من العلماء اليهود وغيرهم
في مدى صحتها . انظر : موسوعة المفاهيم ص ٤٥٩ - ٤٦٠ ، و : الموسوعة العربية الميسرة
ص ١٩٩٢ .

٣ انظر : رجاء جارودي : فلسطين أرض الرسالات الإلهية ص ١٦٩ - ١٧٠ ، و : د/ محمد ضياء
الرحمن الأعظمي : اليهودية والمسيحية ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

٤ انظر : عبدالوهاب النجار : قصص الانبياء ص ٥١٢ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأيآن ج ٢
(المسيحية) ص ٧٧ .

ذلك لأنه مثبت في تواريخهم الماثورة ، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله
النصارى من أنه جاء ، وقتله اليهود ١٠ (١)

وغاية ما في الأمر ، أن اليهود ينظرون إليه - إن صح وجوده عندهم -
على أنه « رجل عادي ، كفر بدعوتهم ، فقتلوه ، وهم لا يجمعون في كتبهم
أخبار كل فرد من الدولة ، فهذا رجل انشق ، فعاقبوه بالقتل ، ولا يستحق
بعد ذلك أي ذكر » ١٠ (٢)

ولكننا نجد - في الوقت نفسه - أن من علماء اليهود (٣) من يعترف
بوجود ذكر المسيح عيسى - عليه السلام - في (التلمود) ؛ إلا أن أحبارهم
أزالوا كل ذلك ؛ لأنه يحتوي على عدااء شديد له - عليه السلام - ، ولأمه
(مريم) ، ولاتباعه (النصارى) ، حتى لا يعثر عليه أحد من الأمم النصرانية ،
التي كان يقيم بين ظهرانيها اليهود ١٠ (٤)

ومن الأمثلة على هذا العدااء الذي جاء في (التلمود) ، ما يأتي :

« أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران
والنار » ١٠ (٥)

« وإن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنا » ١٠ (٦)

« والمسيحيون الذين يتبعون أضاليل يسوع وثنيون » ١٠ (٧)

« واليهودي الذي يقتل مسيحياً لا يقترب إثماً ، بل يقدم إلى الله »

-
- ١ انظر : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٥١٣ .
 - ٢ د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ٧٧ .
 - ٣ من هؤلاء : العالم اليهودي (إسرائيل ولفسون) . انظر : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٥١٣ .
 - ٤ انظر : محمد عزت إسماعيل الطهطاوي : النصرانية والإسلام ج ١ ص ٢٢٦ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٥١٣ .
 - ٥ د/ أوغست روهلنج : الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٢٧ .
 - ٦ المرجع السابق ص ٢٧ .
 - ٧ المرجع السابق ص ١٠٦ .

ويبدو من هذه النصوص (٢) - وغيرها - (٣) مدى ما يكنه اليهود (٤) من عدااء للمسيح عيسى - عليه السلام - ، كما رأينا ، وبالتالي أمه ، وأتباعه، كما سنرى :

١ - أمه (مريم) - رحمها الله تعالى - :

لقد رمى (اليهود مريم) (٥) - رحمها الله تعالى - بالزنا ، وهذا ما

- ١ آي . برانايثس : فضع التلمود ص ١٤٦ .
- ٢ أين تحقير (اليهودية) للمسيح عيسى - عليه السلام - ، وأمّه (مريم) - رحمها الله تعالى - ، وأتباعه (النصارى) ، من تكريم الإسلام لهم في آيات كريمة وأحاديث شريفة تجل عن الحصر ؟! ومع ذلك نرى هؤلاء النصارى يتكبرون الجميل بتأييدهم باطل اليهود على حق المسلمين ، بل إن الكثير منهم يتآمر مع اليهود ضد الإسلام - الدين الحق - وأهله ، ولا أدل على ذلك من تمكين الأمم النصرانية للصهيانية في ديار المسلمين ، بكافة أنواع التمكين : الاقتصادي ، والبشري ، والسياسي ، والعسكري ، ... ، وما ندري لو صدر مثل هذا الكلام عن المسلمين - لا قدر الله تعالى - ماذا سيكون موقف النصارى ؟!
- ٣ لمزيد من نصوص (التلمود) العدائية ضد (الديانة النصرانية) وأتباعها (النصارى) . انظر : د / أوغست روهلنج : الكنز المرمود في قواعد التلمود .
- ٤ لا يقتصر الأمر في العدااء للمسيح عيسى - عليه السلام - على اليهود الأقدمين ، بل يشمل - أيضاً - اليهود المعاصرين ؛ فقد نشرت (دار سيمون وشوستر - اليهودية للنشر) - ومقرها في (نيويورك) في الولايات المتحدة الأمريكية - كتاباً ، بعنوان : (التجربة الأخيرة للمسيح) ، رمي فيه صراحة بالزنا ! قاتلهم الله أنى يؤفكون . انظر : عبدالله التل : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص ٣٣ - ٣٥ ، و : إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود ص ١١٣ .
- ٥ مريم : (القرن ١ ق م - ١ م) هي مريم بنت عمران ، الصديقة البتول ، العذراء الطاهرة ، كان والدها (عمران) من علماء بني إسرائيل ، وكانت أمها (حنة) لا تحبل ، فنذرت إن حملت لتجعلن ولداً في خدمة (الهيكلي) ، فلما وضعت تبينت أن الجنين الذي انفصل منها أنثى ، حيث سميتها (مريم) ، ولكن الله تعالى تقبلها وأنبتها نباتاً حسناً ، ولما توفي والدها حصل نزاع بين عباد (الهيكلي) فيمن يقوم بكفالتها ، وكان أحقهم بذلك زكريا - عليه السلام - ؛ لصلة القرابة بينها وبين زوجته (إليصابات) ، ولكنه نبي ذلك الزمان ، ولكنه وافق على الاقتراع معهم ، فخرجت القرعة له ، فكان هو كافلها ، حيث انقطعت للعبادة ، فأكرمها الله تعالى بكرامات منها وجود فاكهة الصيف في الشتاء ، والعكس ، ولما بلغت مبلغ النساء وأصبحت في (الثالثة عشرة) من عمرها جاءها جبريل - عليه السلام - بالبشارة بغلام زكي ، من غير نكاح ، حيث تلغ في جيب قميصها نفخة وصلت إلى رحمها ، فحملت طبيعياً ، لتضع المسيح عيسى ، عليه السلام - كما

حكاه القرآن الكريم عنهم - سواء أظهروه ، أم أخفوه - ، حيث يقول تعالى :

﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ (١) .

وهذا البهتان : هو اتهامها بالزنا (٢) ؛ لأنها ولدت المسيح عيسى - عليه السلام - من غير أب (٣) ؛ فقد جاء في التلمود :

فصلنا ذلك أعلاه - . ومريم في العقيدة النصرانية من أعظم القديسات شأنًا ، حيث يلقبونها بـ (السيدة العذراء) ، إلا أن طائفة (البروتستانت) هي أقل الفرق تقديسًا لها ، حيث يصفونها بأنها مثل علبة الثقاب إذا فرغ منها العيدان فإنها لا تحفظ ، وما ورد من ذكر (إخوة عيسى) إنما ينصب على أولاد العم أو الخال ، وقد توفيت بعد رفع ابنها إلى السماء ، حيث يزعم النصارى أنها رفعت هي - أيضاً - ؟! انظر : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٤٨ - ٤٦٠ ، و : محمد الصابوني : النبوة والأنبياء ص ١٨٨ - ١٩٦ ، و : د / أحمد السقا : الأدلة الكتابية على فساد النصرانية ص ٨٢ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٨٩ .

١ سورة النساء ، آية : ١٥٦ .

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ١٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٣ .

٣ ما الحكمة في أن المسيح عيسى - عليه السلام - ولد من غير أب ؟
يقول الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله تعالى - :

« لابد أن يكون ذلك لحكمة يعلمها الله جلت قدرته ، وقد أشار إليها سبحانه في قوله تعالت كلماته : ﴿ولنجمله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ [: سورة مريم ، آية : ٢١] . وإننا نتلمس تلك الآية الدالة في ولادة عيسى - عليه السلام - من غير أب ، فنجد أنه يبدو أمام أنظارنا أمران جليان :

أحدهما : أن ولادة عيسى - عليه السلام - من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى ، وأنه الفاعل المختار المريد ، وأنه سبحانه لا يتقيد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات ، التي نرى العالم يسير عليها في نظامه الذي أبدعه الله والذي خلقه ، فالأسباب الجارية لا تقيد إرادة الله ؛ لأنه خالقها ... ، وخلق عيسى من غير أب هو بلا ريب إعلان لهذه الإرادة الأزلية

الثاني : أن ولادة المسيح - عليه السلام - من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها ، حتى زعموا أن الإنسان جسم لا روح فيه ... ، فلقد قيل عن اليهود إنهم كانوا لا يعرفون الإنسان إلا جسماً عضوياً ... ، فلما جاء عيسى من غير أب ... ، بروج من خلق الله ... ، كان هذا قارعة قرعت حسهم ليدركوا الروح ، وكان آية معلمة لمن لم يعرف الإنسان إلا أنه جسم لا روح فيه ، وهذه آية الله في عيسى وأمه - عليهما السلام - « : محاضرات في

« وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنا » (١) . ١٠

وقد وصف الله تعالى هذا الأمر بـ (البهتان العظيم) ؛ لأن مريم من هذا الاتهام بريئة ؛ ولذلك أثنى الله عليها في آيات كريمة كثيرة ، منها قوله سبحانه :

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) . ١٠

وقوله - أيضاً - سبحانه :

﴿وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَانِتِينَ﴾ (٣) . ١٠

كما أظهر الله تعالى عند ولادتها لابنها عيسى - عليه السلام - من الآيات البينات ما دل على براءتها من كل ريبة ، في سورة تحمل اسمها . حيث يقول سبحانه في هذه السورة :

﴿وَإِذْ نَكَحَ ابْنُ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِي هِينٌ وَلَنَجْعَلَ لآيَةِ النَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي

النصرانية ص ١٧-١٨ .

١ د / أوغست روهلنج : الكنز المصنوع في قواعد التلمود ص ٢٧ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ٤٢ .

٣ سورة التحريم ، آية : ١٢ .

مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً * فناداها من تحتها ألا تحزني قد
جعل ربك تحتك سرياً * وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً
جنيماً * فكلي واشربي وقري عينا فأما ترين من البشر أحداً فقولي
إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً * فأنت به قومها
تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً * ياأخت هارون (١) ما كان

١ في قول الله تعالى - حكاية عن قوم مريم لها - : ﴿يا أخت هارون﴾ : عدة احتمالات ، هي :
١ - أن يكون لها أخ حقيقي اسمه (هارون) ، وهذا لا أصل له في كتب (التراث الديني
النصراني) .

٢ - أن تكون اختاً - على الحقيقة - لنبي الله تعالى (هارون) - عليه السلام - ، وهذا غير
صحيح ؛ لأن بينهما فاصل زمني كبير يقرب من (١٢٠٠ عام) ، ولو صح هذا - جدلاً - لكانت
أخوتها لموسى - عليه السلام - أولى ؛ لأنه أفضل من أخيه هارون - عليه السلام - . انظر :
الطبري : جامع البيان ج ١٦ ص ٧٧ - ٧٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١١٩
٣ - أن يكون تشبيهاً لها برجل صالح من قومها ، اسمه (هارون) . انظر : الطبري : جامع
البيان ج ١٦ ص ٧٧ .

و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١١٨ .
وكان بنو إسرائيل - كما هو حال المسلمين بعدهم - يتسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين منهم
؛ فعن المغيرة بن شعبه - رضي الله عنه - قال :

« لما قدمت نجران سالوني فقالوا : إنكم تقرأون : يا أخت هارون ، وموسى قبل عيسى بكذا
وكذا ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك ، فقال : إنهم كانوا يتسمون بأنبيائهم
والصالحين منهم » : صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الآداب «٣٨») ، (باب النهي عن
التكني بأبي القاسم ، وبيان ما يستحب من الأسماء «١») ، حديث رقم (٩ - ٢١٣٥) ، ج ٣ ص
١٦٨٥ ، و : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب تفسير سورة مريم «٢٠») ،
حديث رقم (٣١٥٥) ، ج ٥ ص ٣١٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ٢٥٢ .

٤ - أن يكون تشبيهاً لها برجل فاسق من قومها ، اسمه (هارون) . انظر : الطبري : جامع
البيان ج ١٦ ص ٧٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١١٩ .
٥ - أن تكون من نسل هارون - عليه السلام - ، كما في قول الله تعالى : ﴿واذكرا أبا عاد﴾ :
سورة الأحقاف ، آية : ٢١ .

و (أخو عاد) هو هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد - عليه السلام - . ومثله :
(صالح) و (شعيب) - عليهما السلام - . انظر : محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس
لألفاظ القرآن الكريم . مادة (أخاهم) و (أخوهم) ص ٢٣ .

أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً ، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً * ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (١) .

وهذه الآيات الكريمة فيها تنزيه لله تعالى من مزاعم النصارى الذين قالوا : إن الله اتخذ المسيح عيسى ولداً (٢) ؛ لمجرد أنه ولد من غير أب (٣) ؛ لأن خلق المسيح مثله كمثل خلق آدم - عليهما السلام - ؛ لقول

١ سورة مريم ، آية : ١٦ - ٣٦ .

٢ راجع : نفي اتخاذ الولد عن الله تعالى ص ١٧٥ .

٣ اعتقاد المسلمين في المسيح عيسى - عليه السلام - هو ما جاء في القرآن الكريم ، حيث يقول تعالى :

﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ : سورة النساء ، آية : ١٧١ .

أما مسألة انتسابه - عليه السلام - إلى (يوسف النجار) الذي هو من (آل داود) ؛ لكونه - كما يزعم النصارى - خطيب أمه مريم ؛ (انظر : إنجيل متى : ١٨/١ - ٢٥) ، ومن ثم ينتسب إلى داود - عليه السلام - ؛ فذلك ما لا يمكن القول به ؛ لأنه - عليه السلام - ولد من غير أب ؛ لهذا يدعى (ابن مريم) ، وهو يتعارض - كذلك - مع ما ورد في (العهد الجديد) من مولده - عليه السلام - من مريم - وحدها - من غير أب ؛ (انظر : إنجيل متى : ١٨/١ - ٢٠) ، ذلك ، فضلاً عن أنه بمقارنته ما جاء في سلسلة النسب - المزعوم - لعيسى حتى داود - عليهما السلام - ، عن طريق (يوسف النجار) كما ورد في (إنجيل متى : ١/١ - ١٦) ، بما ورد عن سلسلة هذا النسب في (إنجيل لوقا : ٣/٢٣ - ٣٨) ، نجد تبايناً شديداً يشوب الأصول العرقية فيهما ، سواء بالزيادة أو بالنقصان ، أو بالاضطراب في ترتيبها وتعاقبها ؛ مما يوحي بالشك في صلة (يوسف النجار) - نفسه - بـ داود - عليه السلام - أصالة ، إلا إذا كان انتساب عيسى إلى داود - عليهما السلام - عن طريق أمه (مريم ابنة عمران) ، وفي هذه - أيضاً - يرى بعض الباحثين

الله تعالى :

﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ﴾ • (١)

« فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى ، وإن جاز ادعاء البنية في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب ، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل ، فدعواه

عدم قيام رابطة عرقية بين مريم وبين داود - عليهما السلام - . انظر : عبد السميع الهراوي : الصهيونية بين الدين والسياسة ص ١٩٥ ، و : محمد مرجان : المسيح إنسان أم إله ص ٥٢ - ٥٨ ، و : أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٧٨ - ٨٣ .

ولكن الثابت انتساب مريم إلى (بني إسرائيل) ، وربما يكون هذا الانتساب عن طريق (هارون) - عليه السلام - ؛ لأن في قول الله تعالى : ﴿يَا لُحْتَ هَارُونَ﴾ - تلك الكلمة التي نطق بها قوم مريم لما جاءتهم - بوليدها ، عيسى عليه السلام - ما يوحي بذلك - كما رجحناه في الفقرة رقم (٥) من الهامش رقم (١) ص ٢٦٥ .

ومما يؤيد ذلك ، أن (زكريا) - عليه السلام - تزوج من (إليصابات) وهي من (آل هارون) ، كما جاء في العهد الجديد :

« كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا ... وامراته من بنات هارون واسمها إليصابات » : إنجيل لوقا ، إصحاح (١) فقرة : ٥ .

و (إليصابات) - هذه - نسيبة لـ (مريم) التي قال لها الملاك لما استبعدت البشرى بالغلام من غير رجل ، كما جاء في العهد الجديد :

« هو ذا إليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها » : إنجيل لوقا ، إصحاح (١) فقرة : ٣٦ .

فلما ثبت أن (إليصابات) من آل هارون ، وثبت أن (مريم) قريبة لها ؛ فيحتمل أن تكون هي من نسل (هارون) من (سبط لاوي) . انظر : أقانيم النصارى ص ٤١ ، و : الأدلة الكتابية على فساد النصرانية ص ١٠٩ .

وبذلك يتضح أن كل ما كتبه النصارى - الذين هم في الأصل يهوداً - عن انتساب المسيح عيسى - عليه السلام - إلى (آل داود) ، فهو من التحريف الذي داخل أسفار (العهد الجديد) ، وأريد به لبس الحق بالباطل ؛ من أجل صرف البشارات التي وضعها (الكنيسة اليهودية) في أسفار (العهد القديم) عن (النبي المنتظر) محمد ﷺ إلى (المسيح عيسى - عليه السلام -) . انظر : د / أحمد السقا : أقانيم النصارى ص ٤٠ ، و : الأدلة الكتابية على فساد النصرانية ص ١٠٩ .

١ سورة آل عمران ، آية : ٥٩ .

في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى . (١) .

٢ - أتباعه (النصارى) :

لقد صب اليهود - بمساعدة من الحكام الرومان - على النصارى صنوف الاضطهاد (٢) ، حيث كانوا ينتهزون كل فرصة مواتية لإبادتهم ، « فقد كانوا يشطرون ضحاياهم من المسيحيين إلى نصفين ، ويسلخون جلودهم

١ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٦٧ .

٢ كانت عهود الاضطهاد التي لقيها النصارى - بعد المسيح عيسى - عليه السلام - من الحكام الرومان كثيرة ، أشهرها :

- ١ - اضطهاد نيرون عام ٦٤ م .
- ٢ - اضطهاد دومتيانوس عام ٩٠ م .
- ٣ - اضطهاد تراجان عام ١٠٦ م .
- ٤ - اضطهاد هارديانوس عام ١٢٤ م .
- ٥ - اضطهاد أوريليوس عام ١٦٢ م .
- ٦ - اضطهاد سافيروس عام ٢٠٣ م .
- ٧ - اضطهاد كاراكلا عام ٢١١ م .
- ٨ - اضطهاد مكسيميانوس عام ٢٣٥ م .
- ٩ - اضطهاد ديسيوس عام ٢٤٩ م .
- ١٠ - اضطهاد فاليريان عام ٢٥٨ م .
- ١١ - اضطهاد دقلديانوس عام ٢٨٤ م .
- ١٢ - اضطهاد غاليريوس عام ٣٠٤ م .
- ١٣ - اضطهاد مكسيميان عام ٣٠٥ م .

انظر : زكي شنودة : موسوعة تاريخ الاقباط ج ١ ص ١٠٠ - ١١٠ ، و د / رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ١٢٤ - ١٣١ .

ويلبسونها ، ويأكلون لحوم قتلاهم (١) ، ويشربون دماءهم (٢) ، ويتحزمون بأمعائهم « (٣) ، حتى حل عليهم الفرج الدنيوي ، باعتناق الرومان لـ (الديانة النصرانية) على يد الإمبراطور الروماني (قسطنطين) (٤) عام ٣٢٥ م .

ومع ذلك؛ فقد حلت بالنصارى عام ٢٤٤م (٥) كارثة عظيمة، على يد الملك الحميري اليهودي (ذي نواس) (٦) ؛ حيث سار بجنوده إلى (نجران)-

١ انظر : د/ فتحي محمد الزغبى : القرايين البشريين والذبايح التلمودية عند الوثنيين واليهود ص ٢٦٣ .

٢ راجع : (القرايين البشرية) ج ٣ ص ٥١٣ .

٣ عبدالله التل : جذور الهلاء ص ٩١ - ٩٢ ، نقلا عن : يوسف الدبس : تاريخ سورية ، م ٢ ج ٢ ص ٥٦٩ .

و : لمعرفة المذابح التي قام بها اليهود ضد النصارى . انظر : عبدالله التل : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص ٣١٠ .

٤ قسطنطين : (٢٨٨ - ٣٣٧م) هو قسطنطين الأول (الكبير) ، ابن (قسطنش الأول) والقيسة (هيلانة) . نودي به إمبراطوراً بعد وفاة أبيه عام ٣٠٦ م ، إلا أنه قنع بلقب (قيصر) . حتى وفاة (غاليريوس) عام ٣١٠م ، الذي ترك (أربعة أشخاص) يتنازعون المنصب الإمبراطوري ، وقد انتهى هذا الصراع عام ٣٢٤م لصالح (قسطنطين) ، حيث حكم بمفرده . وكان (قسطنطين) قد أصدر عام ٣١٣م (منشور بيلان) الذي أقر التسامح مع (الديانة النصرانية) ، وفي عام ٣٢٥م دعا (مجمع نيقية) إلى الانعقاد والذي ألزم بفكرة (الوهية المسيح) ، وبهذا أوجد فكرة (المجمع الدينية) . وقد نقل (قسطنطين) عاصمة ملكة عام ٣٣٠ م إلى (بيزنطة) ، التي أعاد بناءها وأسمائها (القسطنطينية) . ومع أن (قسطنطين) استمر في اهتمامه بـ (النصرانية) فإن لم يعمد إلا وهو على فراش الموت ، وعند وفاته قسم الامبراطورية بين أبنائه : (قسطنز الأول) ، و(قسطنش الثاني) ، و (قسطنطين الثاني) . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٨٠ .

٥ انظر : عبدالله التل : جذور الهلاء ص ٩٢ .

٦ ذو نواس : (٩ - ٥٢٤ م) آخر ملوك (القتابمة) الحميريين باليمن ، تولى الملك حوالي عام ٥١٥ م ، واعتنق (الديانة اليهودية) ، واضطهد (النصارى) الذين بنوا (كنيسة) لهم ، فخرّبها ، وتعقب من امتنع منهم عن دخول ديانته (اليهودية) بالموت حرقاً في أخايد حفرتها لهم - كما فصلنا ذلك أعلاه - ، فاستنصروا إمبراطور الروم ونجاشي الحبشة وكلاهما نصرانيان ، فأنفذ إليهم النجاشي جيشاً هزم (ذا نواس) . انتهى أمره بوفاته غرقاً ، ومن ثم فقدت اليمن استقلالها ، وأصبحت ولاية حبشية ، ثم فارسية ، حتى جاء الإسلام ، فانضوت تحت لوائه .

وكانوا نصارى - ، فدعاهم إلى (اليهودية) ، مخيراً لهم بين ذلك والقتل ، فلما لم يجيبوه إلى طلبه ، خد لهم (الأخدود) (١) ، وأوقد فيها النيران ، حيث أحرق منهم (حوالي عشرين ألفاً) (٢) ، وفي ذلك نزل قول الله تعالى : **(«قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين (٣) شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد» (٤))**

وفي عهد النبي ﷺ رمى اليهود (النصارى) بالضلال في دينهم ؛ لتباعهم المسيح - عليه السلام - ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله

-
- انظر : وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير ص ٣١٢ - ٣١٤ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٣ ص ٨ ، و : أحمد عطية الله : القاموس السياسي ج ٢ ص ٤٥٣ .
- ١ الأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض . انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة خدد) ج ٣ ص ١٦٠ .
- ٢ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٣٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١١٨ - ١٢٣ ، و : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٢٩٠ - ٢٩٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٩٤ .
- ٣ اختلف المفسرون في المراد بـ (المؤمنين) في هذه الآيات الكريمة من سورة البروج :
- وقيل : إنهم مجوس فارس . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٣٠ ص ١٣١ - ١٣٢ ، و : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٢٩٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٩٣ .
- وقيل : إنهم يهود العراق (إبان السبي البابلي) . انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٢٩٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٩٥ .
- وقيل : إنهم نصارى الشام . انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٢٩٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٩٥ .
- وقيل : إنهم نصارى الحبشة . انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٢٩٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٩٣ .
- وقيل : إنهم نصارى تجران ، وهو الأرجح - كما ذكرنا أعلاه - ؛ لما جاء في قصة عبد الله بن الناصر - وهو من نصارى العرب - وكان - فيما يقال - من بين قتلى (الأخدود) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٣٤ - ٣٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٣ ، و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٣ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
- ٤ سورة البروج ، آية : ٤ - ٨ .

عنهما - قال :

« لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ ، أتتهم
أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ ، فقال رافع بن حريمة : ما
أنتم على شيء ، وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل
نجران من النصارى : ما أنتم على شيء ووجد نبوة موسى وكفر
بالتوراة ! (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل
قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (٢) .

أي : أن اليهود قالت : ليست النصارى على شيء من دينها ، منذ رأت
به ؛ لأنهم يرونهم كفاراً مبتدعين ؛ لاتباعهم عيسى - عليه السلام - وهو في
زعمهم ساحر كذاب - ، وكذلك قالت النصارى لليهود ؛ لأنهم يرونهم كفاراً ؛
لتكذيبهم عيسى - عليه السلام - ؛ ولذلك كذب الله تعالى الفريقين فيما جاء
في الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ .

فقد وصف الله تعالى الفريقين وهم أهل كتاب (التوراة والإنجيل)
بقول الجهلة ، سواء أكانوا من مشركي العربي الذين قالوا : « ليس
محمد على شيء »! ، أم من أمم أخرى قبل اليهود والنصارى (٣) ، أم

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ١ ص ٤٩٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج
١ ص ١٥٥ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣٣ ، و : السيوطي : لباب النقول ص
٢٥ - ٢٦ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١١٣ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٩٦ - ٤٩٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج
١ ص ١٥٥ .

غير ذلك - والله أعلم - .

وليس معنى هذا : التكذيب الإلهي لقول الفريقين أن اليهود والنصارى بعد مبعث الرسول محمد ﷺ (على شيء) ، وإنما المقصود أن أوائل اليهود كانوا على دين صحيح قبل تحريف دستورة الذي جاء به موسى - عليه السلام - ، وهو (التوراة) ، وكذلك كان أوائل النصارى على دين صحيح قبل تحريف دستوره الذي جاء به عيسى - عليه السلام - وهو (الإنجيل) (١) ، ومع ذلك رماهم اليهود بالضلال في الدين ؛ لمجرد أنهم أتباع لعيسى - عليه السلام - ، الذي لم يؤمنوا به !
ولذلك جادل اليهود رسول الله ﷺ في المسيح عيسى - عليه السلام -
؛ لأنه آمن به ، وهذا ما سنتحدث عنه - الآن - فيما يأتي :

✽ جدلهم في نبوة عيسى - عليه السلام - :

يزعم اليهود أن المسيح عيسى - عليه السلام - ليس نبياً ، وأن من يؤمن به فليس على دين صحيح ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

” أتى رسول الله ﷺ نفر من اليهود فيهم (أبو ياسر بن أخطب) و (رافع بن أبي رافع) (٢) و (عازر) (٣) و (زيد بن أبي أزار) (٤) و (خالد

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٩٥ - ٤٩٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٥٥ .

٢ رافع بن أبي رافع : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . أجلى مع قومه (بنى قينقاع) عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٣ عازر : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . أجلى مع قومه (بنى قينقاع) عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٤ زيد بن أبي أزار : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي . أجلى مع قومه (بنى قينقاع) عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

بن أبي أزار (١) و (أزار بن أبي أزار) (٢) و (أشيع) ، فسألوه عن
يؤمن به من الرسل ؟ ، قال : (أؤمن بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما
أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) ، فلما ذكر
عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بمن آمن به (٣) ، فأنزل الله تعالى :

« قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل
إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون » (٤)

فهذه الآية الكريمة جاءت على سبيل التوبيخ والتبكيت والرد الملزم ،
فهؤلاء اليهود الذين جعلوا الإيمان بالرسول - ومنهم عيسى ، عليه السلام
- موجباً للرفض والنقمة ، مع أنه موجب للقبول والرحمة ، لكنهم - بمنهجهم
هذا - خارجون عن دائرة الإيمان الصحيح (٥)

ب - محمد ﷺ :

إن رسالة محمد ﷺ موجهة - من بين كافة الرسالات السماوية السابقة
- إلى الناس جميعاً ، ومن بينهم اليهود ، ولكنهم لم يؤمنوا به - وقد تحدثنا
عن ذلك تفصيلاً ، فيما مضى - (٦)

- ١ خالد بن أبي أزار : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلى مع قومه (بني قينقاع)
عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .
- ٢ أزار بن أبي أزار : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلى مع قومه (بني قينقاع)
عن (المدينة) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .
- ٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٦ ص ٢٩٢ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص
١٩٤ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٩٣ .
- ٤ سورة المائدة ، آية : ٥٩ .
- ٥ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٥٣ .
- ٦ راجع : (إنكارهم بنبوته محمد ﷺ) ص ٨٨ .

وبعد ، فهذا هو موقف اليهود من (الأنبياء) ، الذين أرسلهم الله تعالى لهداية البشر ، حيث يتضح من ذلك مدى حرصهم الشديد على إيذائهم ، سواء في ذلك أنبيائهم أو غيرهم ؛ رغبة في إضلال البشرية ، لتبهي في مزالق الفساد ؛ ولذلك يقول سبحانه فيهم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمَنُ بَعْضُ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١).

هـ - عقيدتهم في اليوم الآخر :

تقوم عقيدة اليهود في مسألة الايمان باليوم الآخر : (البعث ، والحساب ، والجزاء) على إهمالها وعدم الاهتمام بها ؛ نظراً لترتيبها على عقائدهم الفاسدة - التي ذكرناها فيما سبق تباعاً - ، خصوصاً عقيدتهم في كتابهم (العهد القديم) ! .

ذلك أن عقيدة اليهود في مسألة (الإيمان باليوم الآخر) - كغيرها من العقائد ، كما جاء بها أنبياء بني إسرائيل ، عليهم السلام - عقيدة صحيحة ، حيث صور القرآن الكريم تلك العقيدة عندهم في آيات كريمة كثيرة ، منها :

قول الله تعالى في سياق خطابه لنبيه موسى - عليه السلام - :

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

١ سورة النساء ، آية : ١٥٠ - ١٥١ .

وقوله سبحانه على لسان مؤمن آل فرعون - رحمه الله تعالى - :

﴿ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار

القرار﴾ • (٢)

كما أثبت القرآن الكريم تلك العقيدة من خلال ما يتعلق ببني إسرائيل

أنفسهم ، بصورة عملية ، في حوادث كثيرة ، منها :

١ - قول الله تعالى :

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم

الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم

تشكرون﴾ • (٣)

أي : أن موسى - عليه السلام - لما اختار (السبعين) رجلاً من خيار

قومه ، لميقات الله تعالى ؛ ليعتنروا إليه عن عبادة العجل ، تماذوا في غيهم

، وطلبوا رؤية الله تعالى علانية ، فأخذتهم الرجفة ، فماتوا جميعاً ، فقام

موسى - عليه السلام - يدعو ربه في ضراعة أن يحييهم ، فاستجاب الله

تعالى له ، وأحياهم ، فقاموا ، وعاشوا رجلاً رجلاً ، ينظر بعضهم إلى بعض

كيف يحيون (٤) ، فكان موتهم عقوبة لهم ، ثم بعثوا ؛ ليستوفوا آجالهم • (٥)

١ سورة طه ، آية : ١٣ - ١٦ •

٢ سورة غافر ، آية : ٣٩ •

٣ سورة البقرة ، آية : ٥٥ - ٥٦ •

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

١ ص ٩٣ •

٥ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

١ ص ٩٣ •

٢ - قول الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخَذْنَاهَا هِزْوَاً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بُكْرَ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرُ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَعْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوه بَبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١)

أي : أن قوماً من بني إسرائيل أتوا إلى نبيهم موسى - عليه السلام - ، يسألونه عن قاتل رجل منهم ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ؛ ليأخذوا قطعة منها ، فيضربوا الميت بها ، فلما فعلوا ما أمروا به أحياء الله تعالى ، وقال : قتلني فلان بن فلان ، ثم مات . (٢) .

٣ - قول الله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مَوْتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ

١ . سورة البقرة ، آية : ٦٧ - ٧٣ .

٢ . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٦١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٠٧ - ١١٣ .

الناس لا يشكرون (١) .

أي : أن جماعة من بني إسرائيل خرجوا من قرية لهم ياقل لها (ذا وردان) ؛ فراراً من الطاعون ، فأماتهم الله تعالى عن آخرهم ، فمر بهم نبي من أنبيائهم (٢) ، فسأل الله أن يحييهم ، حتى يعبدوه ، فأجابه إلى ذلك ، فقاموا أحياءً ينظرون (٣) ، فكان موتهم عقوبة لهم ، ثم بعثوا إلى بقية آجالهم ليستوفوها ، ولو كانت آجالهم جاءت ما بعثوا بعد موتهم (٤) .

٤ - قول الله تعالى :

﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ (٥) .

أي : أن أحد بني إسرائيل (٦) مر على (بيت المقدس) بعد أن خربها الملك البابلي (نبوخذ نصر) عام ٥٨٦ ق م (٧) ، فاستبعد عودتها إلى

١ سورة البقرة ، آية : ٢٤٣ .

٢ يقال : إن هذا النبي اسمه (حزقيال بن بوزي) . والله أعلم . انظر : الطبري : جامع البيان ج

٢ ص ٥٨٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٩٨ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٥٨٥ - ٥٩١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

١ ص ٢٩٨ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٥٨٩ .

٥ سورة البقرة ، آية : ٢٥٩ .

٦ اختلف العلماء في هذا الرجل على عدة أقوال : فقل هو : إرميا بن حلقيا ، وقيل هو : حزقيال

بن بوار ، وقيل هو : عزيز - وهو الراجع - والله أعلم . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٣

ص ٢٨ - ٢٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣١٤ .

٧ راجع : (سقوط المملكة اليهودية - يهوذا) ج ١ ص ٢٠٧ .

ما كانت عليه ، شكاً في قدرة الله تعالى على إحيائه بعد مماته ، فأراه الله قدرته على ذلك ؛ بضرب المثل له في نفسه ، بأن أماته (مائة عام) ، ثم أحياه ، وأراه ماكان عجباً عنده من عدم تغير طعامه وشرابه ، وكيفية إحياء حماره . (١)

وفي كل هذه الحوادث - وغيرها - دليل عملي قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة ، وهذا ما كان يعتقد - قبل - اليهود .
ولكن هذه العقيدة الصحيحة في (اليوم الآخر) عند اليهود آلت - بعد تحريف (العهد القديم) - إلى عقيدة متزعزعة ، حيث اختلفت الطوائف اليهودية فيها ، على رأيين متناقضين :

- قطائفة (الصدوقيين) (٢) : لا تؤمن بـ (اليوم الآخر) مطلقاً ، حيث لا ترى حياة سوى الحياة الدنيا . (٣)

- وبقية الطوائف الأخرى : تؤمن - على وجه العموم - بـ (اليوم الآخر) ، ولكنه إيمان متذبذب ؛ لأنه لم تبق منه في (العهد القديم) - بعد تحريفه - إلا نصوص قليلة جداً ، لا تعدو أن تكون إشارات (٤) عابرة لذلك اليوم .

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٣ ص ٢٨ - ٤٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣١٤ .

٢ راجع : التعريف بـ (الصدوقيين) ج ١ ص ١٠٢ .

٣ انظر : إنجيل مرقس : ١٨/٢٣ .

٤ اختلف العلماء في مصادر تلك الإشارات التي وردت في (العهد القديم) عن (اليوم الآخر) على عدة أقوال : فقل : إنها من الفكر المصري ، وقل : إنها من الفكر الفارسي ، وقل : إنها من الفكر اليهودي نفسه ؛ فحين يأس اليهود من الوصول إلى الحياة السعيدة في الدنيا ، أخذوا يمتنون أنفسهم بهذه (الحياة الآخرة) . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د / أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

ولا شك أن (العهد القديم) قد تأثر بكثير من أفكار الأمم التي احتك بها اليهود ، ولكن لا يبعد أن تكون تلك الإشارات التي وردت فيه عن (اليوم الآخر) من بقايا (الوحي الإلهي) - كما ذكرنا ذلك أعلاه - .

وهذه الإشارات لم ترد إلا مرة واحدة في (التوراة) - أسفار موسى الخمسة - ، حيث جاء فيها :

« ولو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم » . (١)

ولعل هذه (الآخرة) لا تعني (البعث) ، بل تعني ما ينتهي إليه أمرهم في الدنيا ، وحسب . (٢)

وإنما وردت تلك الإشارات في الأسفار المتأخرة من (العهد القديم) - التي ليست محل إجماع بين الطوائف اليهودية (٣) - ، ومن أهم تلك الإشارات ، ما يأتي :

« ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطالب جند الفلاء في الفلاء وجنود الأرض في الأرض . ويجمعون جمعاً كأسارى في سجن ويخلق عليهم في حبس » . (٤)

« وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للآزدراء الأبدى » . (٥)

وهذه الإشارات - وغيرها - لا تغني عن الصراحة بالنسبة إلى موضوع تدور عليه رسالات السماء قاطبة .

وقد حاول العالم اليهودي العراقي (ابن كمونة) (٦) أن يبرر هذا

١ تثنية ، إصحاح (٣٢) فقرة : ٢٩ .

٢ انظر : محمد ندا : جنايات بني اسرائيل على الدين والمجتمع ص ١١٢ .

٣ راجع : (العهد القديم - التوراة) ص .

٤ إشعياء ، إصحاح (٢٤) فقرة : ٢١ - ٢٢ .

٥ دانيال ، إصحاح (١٢) فقره : ٢ .

٦ ابن كمونة : (؟ - ٦٨٣ هـ = ؟ - ١٢٨٤م) هو عز الدولة سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله المعروف بـ (ابن كمونة) . يهودي ، ولد في (بغداد) . له اهتمام بالكيمياء واشتغال بالمنطق والحكمة ، ومن مؤلفاته : (شرح تلويحات السهروردي في الحكمة) ، و (المنطق والطبيعي مع الحكمة الجديدة) ، و (اللمعة الجوينية في الحكمة) ، و (تنقيح الأبحاث للملح

الإفغال - (اليوم الآخر)، بقوله :

» إن خلو التوراة من التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى عم ، وخاطب به بني إسرائيل واستفاض منهم ، فإن قيل : فلم لم يكتبه في التوراة مصرحاً ؟ ، قيل : إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها ، ثم ولا السؤال عنها ، بل فربما يكون ذلك حكمة لا نعرفها « (١) .
والذكر الصريح - (الجنة) و (النار) إنما ورد في (التلمود) ، حيث جاء فيه :

» لا يدخل الجنة إلا اليهود ، أما الجحيم فهي مأوى الكفار « (٢) .
ولكن هذا الحكم إنما جاء في صورة عنصرية مضطربة ، أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة « (٣) .

على أن اليهود عندما أشاروا إلى (الآخرة) ، » لم يكنوا في أكثر الأحوال يعنون ما تعنيه الأديان الأخرى من وجود دار للحساب على ما قدم الإنسان في حياته الأولى ، إنما كانوا يعنون بها شيئاً آخر ، فالشعب اليهودي عند الباحثين اليهود قسمان : قسم عاش حياته الدنيا سعيداً حراً وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا على الجانب المادي من رضا إلههم ، أما القسم الآخر وهم الذين فقدوا هذا الجانب وعاشوا تحت سلطان الجوييم (٤) ، أو عاشوا في المنفى مشردين ، فهؤلاء يرى الفكر

الثلاث - اليهودية ، المسيحية ، الإسلام) ، وهذا الأخير عليه رد للشيخ زين الدين سريجا بن محمد الملطى المارديني الشافعي ت ٧٨٨ هـ - ١٢٨٦ م ، اسمه : (نهوض حثيث النهود إلى خوض خبيث اليهود) . توفي (ابن كمونة) بـ (الحلة) في العراق . انظر : حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١ ص ٤٩٥ . و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ١٠٢ - ١٠٣ .
و : د / عبد المنعم لحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٣٤ - ٣٥ .

١ تنقيح الأبحاث للملث الثلاث (اليهودية ، المسيحية ، الإسلام) ص ٤٠ .

٢ د / أوغست روهلنج : الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٦٨ .

٣ انظر : د / خضر سوندك : عقائد اليهود بين الحق والباطل ص ٣٣٠ .

٤ الجوييم : هم الأتقيار . راجع : التعريف بـ (الجوييم) ج ١ ص ٧٢ .

اليهودي أن من حقهم أن يعودوا للحياة مرة أخرى لينالوا نصيبهم من المتعة والنعيم « ١٠ (١)

ولهذا ، كانت بعض المعجزات التي أيد الله تعالى بها رسوله المسيح عيسى - عليه السلام - إلى (بني إسرائيل) - الماديين - ك (خلقه من الطين طيراً ، وإحيائه الموتى) من هذا الباب ؛ لتصحيح معتقدتهم الفاسد هذا ، في (اليوم الآخر) ، حيث يقول سبحانه :

﴿ورسولا إلى بني إسرائيل أنني قد جئتكم بآية من ربكم أنني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ ١٠ (٢)

ولذلك كان (العهد الجديد - الإنجيل) - على الرغم من تحريفه - يشتمل على نصوص روحانية عديدة تثبت الجزاء الأخروي - من غير اهتمام بذكر الجزاء الدنيوي (٣) - ، ومن ذلك - مثلاً - قول المسيح - عيسى - عليه

١ د / أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، نقلا عن : Guynenert : The Jewish World in the Time of Jesus. P. 117

٢ سورة آل عمران ، آية : ٤٩ .

٣ لم يرد في (الإنجيل) إلا نص واحد يثبت (الجزاء الدنيوي) ، وهو في (إنجيل مرقس) : « فأجاب يسوع وقال الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل . إلا ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان بيوئناً وإخوة وأخوات وأمّهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية » : إصحاح (١٠) ، لفقرة : ٢٩ - ٣٠

كما ورد في (رسائل بولس) نصوص تثبت - أيضاً - (الجزاء الدنيوي) : - في الثواب : « أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق . أكرم أباك وأمك التي هي أول وصية بوعد . لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض » : رسالة بولس إلى أهل أفسس ، إصحاح (٦) ، لفقرة : ١ - ٣

- وفي العقاب : « لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب . من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرتدون » : رسالة بولس الأولى

السلام - :

« فيمضى هؤلاء [أي : اليهود الذين كفروا به] إلى عذاب أبدي ،
والأبرار [أي : أتباعه] إلى حياة أبدية » . (١)

« وكأنه لهذا ... جاء المسيح - عليه السلام - لتبيين هذه العقيدة
العظمى ، واشتهر بالتصريح بها أكثر من جميع من سبقه من أنبياء بني
إسرائيل ، وقد بين قدرة الله تعالى على البعث والنشور بمعجزاته
العظيمة ، كإحياء الموتى ، وخلقة من الطين طيراً - وبوجوده هو نفسه بدون
أب - ، خلافاً لما اعتاده الناس ، فالله سبحانه وتعالى الذي أجرى على
يديه كل هذه الآيات البينات ، لاشك أنه قادر على إحياء الموتى يوم
القيامة » . (٢)

ولكن أكثرية اليهود - كعادتهم في الكفر والجحود - لم ينتفعوا بتلك
المعجزات ، فوصفوها بالسحر ، حيث يقول تعالى :
﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٣)

إلى أهل كورنثوس ، إصحاح (١١) فقرة : ٢٩ - ٣٠ .
وعلى ذلك ، فإن (الجزاء) : يقوم في (المنهج اليهودي) على (الدنيوية) فقط ، أما (المنهج
النصراني) فيقوم على (الأخروية) فقط ، ولما (المنهج الإسلامي) فيقوم على (التوازن بين الحياة
الدنيا والحياة الأخرى) ، فالإنسان - أي إنسان - رهين بما قدمت يده إن خيراً فخير وإن شراً
فشر ، ففي الصالحين يقول تعالى :
﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ : سورة النحل ،
آية : ٣٠ .

و في الصالحين ، يقول سبحانه :
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدِبْهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ : سورة آل
عمران ، آية : ٥٦ .

١ إنجيل متى ، إصحاح (٢٥) . فقرة : ٤٦ .

٢ عبدالله العلمي : مؤتمر تفسير يوسف - عليه السلام - ج ٢ ص ٧٤٣ - ٧٤٤ .

٣ سورة المائدة ، آية : ١١٠ .

ولذلك استمر اليهود على عقيدتهم الخسالة في (اليوم الآخر) ؛ لأنهم لا يعتمدون إلا كتابهم (العهد القديم) ، الذي ضاعت فيه معالم تلك العقيدة ، بعد تحريفه - كما ذكرنا قبل قليل - .
فما هي أسباب إهمال اليهود لعقيدة (اليوم الآخر) ياترى ؟ .

✽ أسباب إهمال اليهود لعقيدة (اليوم الآخر) :

إن إهمال اليهود لعقيدة (اليوم الآخر) يعود إلى أسباب كثيرة ، من أهمها :

١ - الرغبة في التسلط على الشعوب الأخرى :

فاليهود - وهم يرون لأنفسهم الأفضلية على سائر الناس - ، مصممون على ظلم الشعوب الأخرى ، والتنعم بشقائهما ، وتذكر (اليوم الآخر) ، الذي فيه تحقيق للعدالة بمحاسبة الظالم ، يعني القضاء على تلك النزعة العنصرية ! (١) .

٢ - الاهتمام بأمور الحياة الدنيا :

فاليهود في سعيهم الحثيث لكسب ما تستطيع أن تناله أيديهم من متاع الحياة الدنيا ، أودى بهم إلى تناسي أمور الحياة الأخرى ! .
وهذه نتيجة منطقية ، " وهي أن بداية الانحراف - إن لم يتدارك الإنسان نفسه - لا تزيده الأيام إلا توغلا وتعمقا والتصاقا بالمادة ، ويقابلها بعد عن القيم والأمور الروحية ، فلم تعد نفس الإنسان مستعدة لاستقبال أريج القيم الروحية ، أو التفاعل معها ، وهذا يؤدي إلى موات القلب

١ انظر : د/ محمد علي الزعبي : دلائل النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة ص ٣٥ .

الموت الحقيقي ، وإن كانت ماتزال تنبض وعلى قيد الحياة » . (١) :

٣ - التطلع إلى الخلاص من الاضطهاد :

فاليهود عانوا - بسبب أفعالهم السيئة - على امتداد تاريخهم - منذ سقوط دولتهم عام ٥٨٦ ق م - من اضطهادات متواصلة من قبل الأمم الأخرى التي يعيشون بين ظهرانيها ؛ مما جعل أملهم محصور - فقط - بالتطلع إلى العودة العاجلة إلى أرض الميعاد (٢) (فلسطين) ، حيث الأمن والخير ، من غير اهتمام بالحياة الآخرة الآجلة ! .

وبناءً على كل ذلك - وغيره - ، بدأ تحريف (الكتبة اليهود) للنصوص المتعلقة ب (اليوم الآخر) - وغيرها - ؛ لتساير تلك (النفسية اليهودية) الجانحة عن طريق الحق والخير والرشاد .

وبذلك خلا (العهد القديم) - أو كاد - من أي ذكر للآخرة (٣) : (القيامة ، والبعث ، والجنة ، والنار) ، وأصبح الجزاء : (الثواب ، والعقاب) فيه معجل في الدنيا - فقط - :

- فيجازون على الطاعة - لا بالجنة في الآخرة ، وإنما - بالنصر على الأعداء ، وتملك الأرض ، وطول العمر (٤) ، وسعة الرزق ، ونحو ذلك من

١ / د / خضر سوندك : عقائد اليهود بين الحق والباطل ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

٢ انظر : د / عبدالكريم الخطيب : الله والإنسان - قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ص ٣٧٧ .

٣ انظر : ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٥٥ ، و : ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٥ ، و : عباس محمود العقاد : الله ص ١٠٩ ، و : عبدالكريم الخطيب : الله والإنسان ص ٣٨٠ ، و : عبدالله العلمي : مؤتمر تفسير سورة يوسف - عليه السلام - ج ٢ ص ٧٤٢ ، و : د / صابر طعيمة : التراث الإسرائيلي ج ١ ص ٣٨٨ ، و : محمد شبير : صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية ص ٨٢ - ٨٥ .

٤ يقول الكاتب اليهودي الفرنسي (برنارد لازار) في كتابه : (الحرب على الساميين) :
» إن الثواب الوحيد الذي كان البريرة الصلاح من آل إسرائيل يرجونه هو أن يوجد الله عليهم

الخيرات (١) ، خصوصاً تملك الأرض الفلسطينية ! ؛ حيث جاء فيه :
« بما أنني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقة وتحفظ
وصاياه وفراضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض
التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها » . (٢)

وقد يكون هذا النص - وغيره مما يبشر بالخيرات الأرضية - على
فرض صحته ، باباً من أبواب الخير على سبيل الثواب - فقط - .
- ويجازون على المعصية - لا بالنار في الآخرة ، وإنما - بتسلط الأعداء ،
وسلب الأرض ، والموت ، وضيق الرزق ، ونحو ذلك من الشرور (٣) ،
خصوصاً سلب الأرض الفلسطينية ، حيث جاء فيه :

« حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذي أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة
أخرى وتسجدون لها يحمي غضب الرب عليكم فتبديدون سريعاً عن الأرض
الصالحة التي أعطاكم » . (٤)

وقد يكون هذا النص - وغيره مما يبشر بالشرور الأرضية - على فرض
صحته ، باباً من أبواب الشر على سبيل العقاب - فقط - .
إلا أن هذا الجزاء الأرضي : (الثواب ، والعقاب) ، طغى على أفكار
اليهود ، فأصبح هو الصيغة المألوفة لديهم !
وعلى ذلك ، فاليهودية - بوضعها الحالي - تكاد أن تكون ديناً لا يهتم إلا

بحياة طويلة باسعة الأفراح واسعة العيش . . . ، وكان اليهودي يرى نهاية الوجود بنهاية
الحياة . . . ، ويرى أن لا سعادة للإنسان إلا بطيبات الأرض » : عنيف عبدالفتاح طيارة : اليهود
في القرآن ص ٤٦ .

١ انظر : لاويين : ٣/٢٦ - ١٣ .

٢ تثنية ، إصحاح (٣٠) فقرة : ١٦ .

٣ انظر : لاويين : ١٤/٢٦ - ٣٩ .

٤ يشوع ، إصحاح (٢٣) فقرة : ١٦ .

بإصلاح الحياة الدنيوية اليهودية وحدها ، ومن ثم نجدها هي البداية في
(الفكر الديني اليهودي) ، وهي النهاية - أيضاً - .

✽ حرص اليهود على الحياة :

لما وصل الأمر باليهود إلى هذه الدرجة من الإهمال لعقيدة (اليوم
الآخر) ، فلا شك أنهم - في الوقت ذاته - كانوا يخافون مقدماته ، وهو
(الموت) ، يقول المؤرخ الفرنسي (غوستاف لوبون) : (١)

« واليهود على خلاف معظم الشرقيين كانوا يخشون من الموت ، لما لا
يبصرون وراءه سوى راحة كئيبة في مكان مظلم ، فكانوا يحتفلون بعيد
الحياة احتفالاً تمجيداً ، فيبكون من يفقدونه ، مبدئين من الألم المفرط ما
وجب منعه . وكانوا يولولون وينتحبون ، ويضربون صدورهم ، ويشقون ثيابهم
، ويغمرون أنفسهم بالرماد ؛ إظهاراً لحداهم » (٢) .

وقد تحدث القرآن الكريم عن خوف اليهود من الموت (٣) ، في آيات
كريمة كثيرة ، تصور جبنهم (٤) ، منها قول الله تعالى :

﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم
بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا

١ راجع : ترجمة (غوستاف لوبون) ج ٣ ص ٨٣٣ .

٢ اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٥٧ .

٣ من الظواهر الملفتة للنظر عند اليهود - والتي مازال تسود مجتمعهم حتى الآن - ، هي
حرصهم الشديد على الحصول على جثث موتاهم ، وعدم تركها مدفونة في أرض خارج (فلسطين)
، وكما سمعنا عن عمليات تبادل الأسرى من العرب بجثث جنود إسرائيليين لدى البلاد العربية ؛
ليقوموا بدفن تلك الجثث - بعد أن يحصلوا عليها - ضمن طقوس معينة ، وفي مقابر يشرفون
بأنفسهم عليها ! . انظر : د / خضر سوندك : عقائد اليهود بين الحق والباطل ص ٣٣٩ .

٤ لمزيد من المعلومات حول (الجبن) الذي لازم لليهود عبر العصور : في عهد موسى - عليه السلام
- ، وعهد طالوت ، وعهد محمد ﷺ . راجع : ص ٢٠ .

يعقلون ﴿١﴾

ولما كان خوف اليهود من الموت قد علا إلى هذا الحد ، فلا غرابة أن يكون حرصهم على الحياة شديداً ، بما يتكافأ وبغضهم الشديد للموت ، لدرجة لم تصل أمة إلى ما وصلوا إليه من حرص ! (٢) ، وصديق الله العظيم القائل فيهم :

﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحة من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾ (٣)

أي : أن اليهودي يتمنى لو يعمره الله تعالى (ألف سنة) أو أكثر ؛ لأن لفظ (الالف) في لغة العرب هو منتهى أسماء العدد ، فيعبر به عن المبالغة في الكثرة (٤) .

ولذلك حين زعم اليهود أنهم (أبناء الله وأحباؤه) استعلاءً على سائر البشر ، تحداهم الله تعالى ، بقوله سبحانه :

﴿قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ (٥)

كما تحداهم الله تعالى - أيضاً - حين زعموا أن (الجنة لهم وحدهم) ، دون سواهم من البشر ، بقوله سبحانه :

﴿قل إن كانت لكم الآخرة خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ (٦)

١ سورة الحشر ، آية : ١٤ .

٢ انظر : د / خضر سوندك : عقائد اليهود بين الحق والباطل ص ٣٣٩ .

٣ سورة البقرة ، آية : ٩٦ .

٤ انظر : محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ج ١ ص ٣٩١ .

٥ سورة الجمعة ، آية : ٦ .

٦ سورة البقرة ، آية : ٩٤ .

وقد اختلف المفسرون في الوجه الذي أمر الله اليهود به أن
يتمنوا الموت - في الآيتين الكريمتين - على رأيين ، هما :

١ - ذهب طائفة من المفسرين إلى أن الوجه الذي أمر اليهود به : هو
(المباهلة) ، أي : الدعاء على الفريق الكاذب بالموت .

ومعنى الآيتين الكريمتين - السابقتين - على هذا الرأي :

- إذا كنتم - أيها اليهود صادقين في زعمكم : أنكم أولياء لله من دون
الناس ، وأن الدار الآخرة خالصة لكم من دون المؤمنين ، فباهلوا على
ذلك بالدعاء على الفريق الكاذب منكم أو من المسلمين بالموت . (١)

٢ - وذهب طائفة أخرى من المفسرين إلى أن الوجه الذي أمر اليهود
به : هو (سؤال الموت) .

ومعنى الآيتين الكريمتين - السابقتين - على هذا الرأي :

- إذا كنتم - أيها اليهود - صادقين في زعمكم : أنكم أولياء لله من
دون النساء ، وأن الدار الآخرة خالصة لكم من دون المؤمنين ، فاسألوا
الموت ؛ لتعطوا أمميتكم ، فإن من يحب أحداً يتمنى لقاءه ، والله تعالى
أولى بذلك ، وما عنده من النعيم - الذي أنتم واثقون من حصوله لكم
وحدكم - أفضل لكم من الحياة . (٢)

والراجع - في نظري - هو الرأي الأول القائل : إن الوجه الذي
أمر اليهود به أن يتمنوا الموت : هو (المباهلة) ، أي : الدعاء على
الفريق الكاذب بالموت ؛ لأنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في
زعمهم أن يسألوا الموت - كما جاء في الرأي الثاني - ، فإنه لا ملازمة
بين وجود الصلاح وسؤال الموت ، فكم من صالح لا يتمنى الموت ، بل يود

١ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٨ و ج ٤ ص ٣٦٤ .

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ و ج ٢٨ ص ٩٨ .

أن يعمر ؛ ليزداد خيراً وترتفع درجته في الجنة (١) ، فعن أبي بكره عن أبيه - رضي الله عنهما - قال :

« إن رجلاً قال : يا رسول الله أي الناس خير ؟ ، قال : من طال عمره وحسن عمله » (٢) .

فاليهود مع ذلك أن يقولوا : ها أنتم تعتقدون - أيها المسلمون - أنكم أولياء الله تعالى ، وأن الدار الآخرة خالصة لكم من دون الكافرين ، وأنتم لا تتمنون الموت ، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم ؟ (٣) .

ومهما يكن من اختلاف بين هذين الرأيين ، حول الوجه الذي أمر اليهود به أن يتمنوا الموت ، سواء أكان (المباهلة ، أي : الدعاء على الفريق الكاذب بالموت) ، أم (سؤال الموت) ، فإن اليهود قد نكلوا عن تمني الموت ؛ لما يعلمون من كذبهم في تلك المزاعم ، وأنهم إن تمنوا الموت - على كلا الرأيين - هلكوا .

فاليهود أكره للموت من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث مطلقاً ؛ لأنهم (أي : اليهود) يؤمنون بالبعث ، ولكنه ليس بذلك الإيمان الجازم الذي يدفعهم إلى العمل الصالح ؛ لأن معالم البعث قد ضاعت ؛ بسبب تحريفهم كتابهم (العهد القديم) - كما ذكرنا - ، فيخشون أن يكون هناك بعد الموت بعث ، ومن ثم عقاب ؛ ولذلك يرون أن الحياة الدنيا على ما فيها من منفصات خير لهم مما قد يقع لهم في الحياة الأخرى ؛ ولهذا جاء تنكير (حياة) في الآية الكريمة ، أي : أي حياة ، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ، ومن هنا جاء كرههم للموت ، وحرصهم على الحياة ؛ ، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

١ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٨ .

٢ الحديث سبق تخريجه . راجع ص ١٧٨ .

٣ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٢٨ .

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . (١)

أي أن المؤمن مهما أصابه من سعادة في الدنيا فهو قليل أمام ما أعدّه الله تعالى له في الجنة ، أما الكافر فمهما أصابه من شقاء في الدنيا فهو قليل أمام ما أعدّه الله تعالى له في النار . (٢)

ولهذا قال الله تعالى في الآيتين الكريمتين التاليتين للآيتين الكريمتين السابقتين - على الترتيب - مباشرة :

﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ . (٣)

﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ . (٤)

ولكنهم مهما عمروا ، فإن ذلك ليس بمبعدهم من عذاب الله تعالى ؛ لقوله سبحانه في آخر الآية الكريمة السابقة ، التي تصف حرص اليهود على الحياة :

﴿وما هو بممحزره من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾ . (٥)

فما يحاذر منه اليهود وهو (الموت) - وإن تأخر - واقع بهم - وبغيرهم - لا محالة ؛ ليلاقوا يوم القيامة جزاءهم ، حيث يقول تعالى :

﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ . (٦)

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ . (٧)

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ . (٨)

١ الحديث سبق تخريجه . راجع : ص ١٧٩ .

٢ انظر : صحيح مسلم ، تعليق : محمد فؤاد عبدالباقى ج ٤ ص ٢٢٧٢ .

٣ سورة البقرة ، آية : ٩٥ .

٤ سورة الجمعة ، آية : ٧ .

٥ سورة البقرة ، آية : ٩٦ .

٦ سورة الجمعة ، آية : ٨ .

٧ سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

٨ سورة القصص ، آية : ٨٨ .

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (١) .

✽ جدلهم في اليوم الآخر :

لو كان اليهود يؤمنون بـ (اليوم الآخر) حقاً لآمنوا برسول البشرية محمد ﷺ - الذي يعرفونه حق المعرفة - (٢) ، فهو طريق نجاتهم بعد بعثته - وكل البشر - في الدنيا الآخرة ، ولكنهم كفروا به حسداً من عند أنفسهم ، فاستمروا على نهج أسلافهم في تلك العقيدة ، من حيث إهمالها ؛ لاعتمادهم على كتابهم (العهد القديم) الذي لا يهتم - بعد تحريفه - بتلك العقيدة - كما ذكرنا قبل قليل - .

ولذلك أصبح الشك (٣) في وقوع ذلك اليوم عند اليهود أمراً طبيعياً ؛ بدليل سؤالهم الرسول ﷺ تحديد وقوعه ، وكأنهم يعرفون ذلك ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« قال (حمل بن أبي قشير) (٤) و (وشمويل بن زيد) لرسول الله ﷺ : يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول ، فإننا نعلم متى هي » (٥) . ! ، فأنزل الله تعالى :

﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا

١ سورة الرحمن ، آية : ٢٦ - ٢٧ .

٢ راجع : (إنكارهم نبوة محمد ﷺ) ص ٨٨ .

٣ قد يوجد بعض من الأفراد اليهود يؤمن حقيقة بالدار الآخرة وما فيها من جنة أو نار . راجع : ص ٤٩٤ .

٤ حمل بن أبي قشير : (٩ - ٥ هـ = ٦٢٦ م) يهودي . قتل مع قومة (بني قريظة) .

٥ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٩ ص ١٢٧ .

و : قد وردت رواية - من طريق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الواحدي : أسباب نزول

القرآن ص ٢٢٤ ، و : السيوطي لباب النقول ص ١٠٥ .

يجلبها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة
يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا
يعلمون ﴿١﴾

فعلم الساعة من الأمور التي لم يطلع الله تعالى عليها أحداً من خلقه ،
وإنما استأثر - سبحانه - بعلمها وحده ؛ مما يدل على الشك الذي يخامر
عقول اليهود في وقوع ذلك اليوم ، وإلا لاعدوا للسؤال فيه جواباً ، حيث
يتضح ذلك من خلال مزاعمهم ، التي يتمنون فيها - مجرد أمني - أن تكون
الدار الآخرة - إن تحققت - خالصة لهم وحدهم ، دون سائر البشر ، ومن
ذلك ما يأتي :

١ - زعمهم : أن ذنوبهم مغفورة :

يزعم اليهود أن ذنوبهم التي اقترفوها في (الدار الدنيا) - مهما
تعاظمت - فإن الله تعالى سيغفرها لهم في (الدار الآخرة) ؛ لأنهم يزعمون
أنهم (أبناء الله وأحباؤه) (٢) ، وفي ذلك يقول سبحانه :

﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى
ويقولون سيفغر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار
الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ (٣)

١ سورة الاعراف ، آية : ١٨٧ .

٢ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع والرد عليه . راجع : (زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه) ص ١٧٢ .

٣ سورة الاعراف ، آية : ١٦٩ .

قال (مجاهد) (١) - رحمه الله تعالى - في هذه الآية الكريمة :
 « لا يشرف لهم [أي اليهود] شيء من الدنيا إلا أخذه حلالاً كان أو
 حراماً ، ويتمنون المغفرة ٠٠٠ ، وإن يجدوا عرضاً مثله يأخذوه » (٢) .
 وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - ب (أن ذنوبهم
 مغفورة) ، وهم مصررون على المعاصي ، بما جاء في آخر الآية الكريمة
 السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق
 ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ .

أي : أن الله تعالى يوبخ اليهود على زعمهم بأن ذنوبهم في الآخرة
 مغفورة ، مع نقضهم عهوده التي أخذها عليهم بإقامة (التوراة) ؛ من أجل
 أعراض الدنيا الزائلة (٣) ، أفلا يعلم - أولئك اليهود - أن ما عند الله
 تعالى في الدار الآخرة لهم - ولغيرهم - لو اتقوه خير من هذا العرض
 الدنيوي القليل الزائل ؟ ، ولكنهم قوم لا يعقلون ، حتى يعاينون يوم القيامة
 عقاب الله تعالى لهم على ما مضى من ذنوبهم ، التي يزعمون غفرانها ! .

٢ - زعمهم : أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة :

يزعم اليهود أن (النار) لن تمسهم ؛ لأن الله تعالى قد غفر لهم - في

١ مجاهد : (٢١ - ١٠٤ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢ م) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي -
 بالولاء - المكي . تابعي ، شيخ القراء والمفسرين ، استقر في (الكوفة) ، وكان لا يسمع
 بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها ؛ فقد ذهب - مثلاً - إلى (بابل) يبحث عن (هاروت وماروت) .
 توفي بـ (مكة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٤٩ - ٤٥٧ . و : الزركلي :
 الأعلام ج ٥ ص ٢٧٨ .

٢ الطبري : جامع البيان ج ٩ ص ١٠٦ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٩ ص ١٠٧ - ١٠٨ . و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

٢ ص ٢٦٠ .

زعمهم - ذنوبهم - كما ذكرنا في الفقرة السابقة - ، إلا ذنباً واحداً ارتكبه وهو (عبادة العجل) (١) ، الذي سيعاقبهم الله تعالى عليه - في كل أجيالهم ! - ؛ وذلك بتعذيبهم في النار أياماً حدودها بأنفسهم ! .

فإذا ما حاسبهم الله تعالى على هذا الذنب ، فبمقدار ما يحاسب الوالد الرحيم أولاده المدللين ، حيث يقسو عليهم لفترة قصيرة من الوقت ، ثم لا يلبث أن يعود إلى ملاطفتهم والتغاضي عن سيئاتهم ! (٢) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« قالوا [أي : اليهود] : لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم ، الأيام التي أصبنا فيها العجل ، أربعين يوماً ، فإذا انقضت عنا تلك الأيام انقطع عنا العذاب والقسم (٣) » ! ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ (٤) .

إن الذي جراً اليهود على مخالفة الحق هو افتراؤهم على الله تعالى فيما زعموه لأنفسهم من (أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات) ؛ بسبب اغترارهم في دينهم الباطل ، حيث يقول سبحانه :

﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتب الله

١ راجع : (العجل الذهبي) ص ١٤٩ .

٢ انظر : د / محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٥٢٠ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ١ ص ٣٨١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم

ج ١ ص ١١٨ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢١ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : ابن هشام : السيرة

النبوية ج ١-٢ ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ، و : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٣ ، و : ابن

كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١١٨ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٤ - ٢٥

، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٠ - ٢١ .

٤ سورة البقرة ، آية : ٨٠ .

ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا
لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
* فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون ﴿١﴾

وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - ب (أن النار لن
تمسهم إلا أياماً معدودة) ، بما جاء في آخر الآية الكريمة قبل السابقة -
مباشرة - وما بعدها ، حيث يقول سبحانه :

﴿قُلْ أَتُخَذُّنَا عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مِنْ كَسْبٍ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ فَأُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢)

فالاستفهام - في الآية الكريمة - للإنكار على اليهود زعمهم القائل :
(أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة) ، فكأنه - سبحانه - يقول لهم :
إن قولكم هذا يحتمل أمرين لا ثالث لهما :

- إما اتخاذ عهد عند الله تعالى به .

- وإما القول عليه - سبحانه - بدون علم (٣) .

ومادام أنه قد ثبت أن اتخاذ العهد لم يحصل ، فأنتم - يامعشر
اليهود - كاذبون فيما تزعمون من أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة ، إذ
ليس الأمر كما تمنيتم ، بل الأمر أن من كسب شركاً مثلكم وأحاطت خطاياهم
به كما يحيط السراديق بمن في داخله ، ومات على ذلك دون أن يتوب إلى
ربه ، فليس هو من أهل الجنة دار المتقين ، وإنما هو من أهل النار

١ سورة آل عمران ، آية : ٢٣ - ٢٥ .

٢ سورة البقرة ، آية : ٨٠ - ٨١ .

٣ انظر : د / محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٥٢٢ .

٣ - زعمهم : أن الجنة لن يدخلها إلا اليهود :

يزعم اليهود أنهم بعد أن يقضوا الأيام المعدادات في (النار) - كما ذكرنا في الفقرة السابقة - ، يخرجون منها إلى (الجنة) التي هي لهم - في زعمهم - وحدهم ، دون من عداهم من البشر ! - كما يزعم النصارى ذلك ، أيضاً - ، حيث يقول تعالى :

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ • (٢)

يقول الإمام (الطبري) (٣) - رحمه الله تعالى - :

« فإن قال قائل : وكيف جمع اليهود والنصارى في هذا الخبر مع اختلاف مقالة الفريقين ، واليهود تدفع النصارى عن أن يكون لها في ثواب الله نصيب ، والنصارى تدفع اليهود عن مثل ذلك ؟ ، قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذي ذهب إليه ، وإنما عني به : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى ، ولكن معنى الكلام لما كان مفهوماً عند المخاطبين به ، معناه جمع الفريقان في

١ انظر : المرجع السابق من ٥٢٢ - ٥٢٣ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١١١ .

٣ الطبري : (٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري . المؤرخ المفسر ، ولد في (آمل) بـ (طبرستان) ، واستوطن (بغداد) . كان من ثقات المؤرخين وعلماء المفسرين ، له مؤلفات كثيرة ، منها : (تاريخ الأمم والملوك) ، و (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، و (اختلاف الفقهاء) ، و (المسترشد) ، و (جزء في الاعتقاد) ، و (القراءات) ، عرض عليه القضاء فامتنع ، كان مجتهداً غير مقلد ، بل إن بعض الناس من قلده ، وكان أسمر ، أعين ، نحيف الجسم ، فصيحاً ، توفي بـ (بغداد) . انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١٢ - ١٢٨ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٦ ص ٦٩ .

الخبر عنهما » (١) .

وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - ب (أن الجنة لن يدخلها إلا اليهود) - وكذلك النصارى - ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - وما بعدها ، حيث يقول سبحانه :

﴿تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين * بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٢) .

أي : أن ما زعمه اليهود من أن (الجنة) لهم وحدهم مجرد أمانيتهم منهم يتمنونها على الله تعالى بغير حجة حقيقية ، وإنما (الجنة) للمسلمين الذين أخلصوا أنفسهم لله ، وجاؤوا بالعمل الصالح على الوجه الصحيح . (٣) .

ولهذا الزعم اليهودي الباطل ؛ فقد تحداهم الله تعالى إن كانوا صادقين في زعمهم (أن الجنة لهم وحدهم دون من عداهم من البشر) ، بقوله سبحانه :

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ (٤) .

وقد بينا اختلاف المفسرين في الوجه الذي أمر اليهود به أن يتمنوا الموت ، على رأيين ، هما :

١ جامع البيان ج ١ ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١١١ - ١١٢ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٩٢ - ٤٩٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

١ ص ١٥٤ - ١٥٥ .

٤ سورة البقرة ، آية : ٩٤ - ٩٥ .

١ - المباهلة : وذلك بالدعاء على الفريق الكاذب منهم أو من المسلمين بالموت .

٢ - سؤال الموت : لأن ما وراءه من النعيم - الذي هم واثقون من حصوله لهم وحدهم ! - أفضل من الحياة .

ولكن اليهود نكلوا عن هذا التحدي الإلهي ؛ لأنهم في زعمهم - هذا - كاذبين - كما تحدثنا عن ذلك تفصيلاً قبل قليل - (١) .

وبناءً على تلك المزاعم اليهودية - وغيرها - في مسألة (الإيمان باليوم الآخر) ، يتضح لنا مدى التخبط الذي تحويه تلك المزاعم ، فهي لا تقوم على الاعتقاد الجازم ، وإنما على الأمانى المجردة عن الإيمان والعمل (٢) ؛ لأنهم غير جازمين بوقوعه ؛ لاعتمادهم على كتابهم (العهد القديم) الذي لا يهتم - بعد تحريفه - بهذه المسألة الحيوية ، التي عليها مدار الرسالات السماوية قاطبة .

ولو كان اليهود يؤمنون حقاً بـ (اليوم الآخر) لأعدوا للجواب فيه عدته ، حيث يقول تعالى :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

١ راجع : (حرص اليهود على الحياة) ص ٢٨٦ .

٢ لقد ذم الرسول ﷺ الأمانى من غير أن تتبع بإيمان وعمل صالح ، فعن شداد بن أوس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » : سنن الترمذي - واللفظ له - : (كتاب صفة القيامة «٣٨») . (باب «٢٥») . حديث رقم (٢٤٥٩) ، ج ٤ ص ٦٣٨ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الزهد «٣٧») . (باب ذكر الموت والاستعداد له «٣١») . حديث رقم (٤٢٦٠) ، ج ٢ ص ١٤٢٣ ، و : مسند الإمام أحمد ، ج ٤ ص ١٢٤ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (ضعيف) . انظر : ضعيف سنن ابن ماجه ، حديث رقم (٤٣٦) ص ٣٤٩ .

ربه أحداً ، (١)

ولكن اليهود في شك مريب منه ، حيث يدل على ذلك ما يأتي :

١ - نكولهم عن قبول التحدي الإلهي لهم بتمني الموت ، الذي يصلون بعده إلى مبتغاهم (الجنة) ! ، لو كانوا صادقين ، ولكنهم يعلمون كذبهم ، وبالتالي يخسرون الدنيا ، وهم في شك من الأخرى - كما تحدثنا عن ذلك تفصيلاً - فيما سبق - (٢)

٢ - جرأتهم على الله تعالى ، وذلك بزعمهم غفرانه لذنوبهم ، وتحديد مدة عذابهم في النار بأنفسهم ! ، وجعل الجنة خالصة لهم من دون الناس ، وصدق الله العظيم القائل فيهم :

﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا

يظلمون فتيلاً﴾ (٣)

فهل يملك أحد من البشر مثل تلك الضمانات عند الله تعالى ؟ !
- إن اليهود غير صادقين في مزاعمهم ؛ مما يدل على كفرهم بذلك (اليوم الآخر) ، مذحرفوا كتابهم (العهد القديم) ، وإلى أن تقوم الساعة ، ماداموا مصرين على عدم قبول الدين الذي فيه سعادتهم ، وهو (الإسلام) ، فهم لا يؤمنون بالله تعالى أصلاً ، فمن باب أولى أن لا يؤمنوا بالآخرة ، حيث يقول فيهم سبحانه :

﴿والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم

الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ (٤)

١ سورة الكهف ، آية : ١١٠ .

٢ راجع : (حرص اليهود على الحياة) ص ٢٨٦ .

٣ سورة النساء ، آية : ٤٩ .

٤ سورة النساء ، آية : ٣٨ .

وهؤلاء الذين لا يؤمنون باليوم الآخر : هم اليهود . (١)

فأين هذا (التصور اليهودي) لـ (اليوم الآخر) من (التصور الإسلامي) ، الذي يقوم على الخشية من أهواله (٢) ، حيث يقول تعالى فيه : ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣)

حيث يفضي بهذه النفس بعد حسابها في ذلك اليوم :

- إما إلى (النار) إن كانت من الكافرين .

- وإما إلى (الجنة) إن كانت من المسلمين ، الذين لابد أن يتوفر فيهم شرطان ، تتضمنها آيات كريمة كثيرة ، منها قول الله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ (٤)

فهذان الشرطان هما :

١ - الإيمان بالله تعالى وسائر عقائد الدين الإسلامي .

٢ - العمل الصالح ، الذي يشترط فيه - أيضاً - شرطان ، هما :

أ - الإخلاص ، بأن يكون لله تعالى وحده ، لقوله سبحانه :

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٥)

ب - الصواب ، بأن يكون موافقاً لشريعة الإسلام ، التي جاء بها

١ - انظر : الطبري : جامع البيان ج ٥ ص ٨٧ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٤٦ ، و

: السيوطي : لباب النقول ص ٦٨ .

٢ - لمزيد من المعلومات حول أهوال (يوم القيامة) . انظر : سيد قطب : مشاهد القيامة في القرآن

، و : د / أحمد محمد عبد الله العلي : مشاهد القيامة في الحديث النبوي .

٣ - سورة البقرة ، آية : ٢٨١ .

٤ - سورة البقرة ، آية : ٨٢ .

٥ - سورة غافر ، آية : ١٤ .

رسول الله محمد ﷺ ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ :

«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (١) .

ولاشك أن اليهود لا تنطبق فيهم تلك الشروط ، وبالتالي فهم - إن استمروا على ذلك - من أهل النار ، التي هي المحصلة الطبيعية لكل الكافرين - والعياذ بالله تعالى - .

وبعد ، فهذه عقائد اليهود في : (الله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر) ، وهي كما رأينا - من خلال حديثنا التفصيلي عنها - عقائد كفرية ، لا تؤدي بأصحابها إلا إلى الضلال ، حيث يقول سبحانه :

﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضللاً بعيداً﴾ (٢) .

ومن هنا يتضح الفرق بين (التصور اليهودي) لتلك العقائد ، وبين (التصور الإسلامي) ، الذي يقوم على الإيمان المطلق بها ، حيث تشكل - مع (الإيمان بالقدر خيره وشره) - أركان الإيمان ، التي لا يعتد بإيمان المسلم ، إلا إذا اعتقدها جميعاً ، اعتقاداً جازماً ، حيث يقول تعالى :

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر

١ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الاقضية «٣٠») ، (باب نقض الاحكام الباطلة ورد محدثات الامور «٨») حديث رقم (١٧١٨/١٨) ج ٣ ص ١٣٤٣ - ١٣٤٤ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الصلح «٥٣») ، (باب إذا اصطالحوا على صلح جور فالصلح مبرور «٥») ج ٣ ص ١٦٧ ، و : سنن ابن ماجه : (المقدمة) ، (باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتقليظ على من عارضه «٢») حديث رقم (١٤) ج ١ ص ٧ ، و : سنن أبي داود : (كتاب السنة) ، (باب في لزوم السنة) حديث رقم (٤٦٠٦) ج ٤ ص ٢٠٠ ، و : مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ١٤٦ .

٢ سورة النساء ، آية : ١٣٦ .

من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوی القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والساکنین وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرین فی البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذین صدقوا وأولئك هم المتقون ﴿١﴾

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (٢)

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال :

« بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ... فأخبرني عن الإيمان : قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت ... قال ثم انطلق ، فلبث ملياً ، ثم قال لي : يا عمر ، أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » (٣)

١ سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

٢ سورة البقرة ، آية : ٢٨٥ .

٣ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الإيمان «١») ، (باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى «١») ، حديث رقم (٨/١) ج ١ ص ٣٦ - ٣٨ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الإيمان «٢») ، (باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة «٣٧») ، ج ١ ص ١٨ ، و : سنن ابن ماجه : (المقدمة) ، (باب في

٢ - جدلهم في الشرائع :

حين لم يتورع اليهود عن (جدل الرسول ﷺ في العقائد) ، التي هي موضع اتفاق بين الأديان السماوية قاطبة ، فمن باب أولى أن لا يتورعوا عن جدله في المواضع التي يجوز فيها الاختلاف وهي (الشرائع) ، التي اشتهر فيها الجدل بين الطرفين ، على ما سنفصله فيما يأتي :

أ - جدلهم في قضية النسخ :

ينكر اليهود (النسخ) في الأحكام الشرعية ! ، فما هو (النسخ) ؟ .

١ - مفهوم النسخ :

النسخ في اللغة : يطلق على معنيين :

أحدهما : بمعنى الإزالة ، يقال : نسخت الشمس الظل ، أي : أزالته ، ومنه قوله تعالى :

﴿وما أرسنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ (١) .

والمراد به : إزالة ما ألقى الشيطان .

الإيمان «٩» ، حديث رقم (٦٣) ، ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ ، و : سنن أبي داود : (كتاب السنة) ، (باب في القدر) ، حديث رقم (٤٦٩٥) ، ج ٤ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، و : سنن النسائي : (كتاب الإيمان وشرائعه «٩٦» ، (باب نعت الإسلام «٥» ، حديث رقم (٤٩٩٠) ، ج ٨ ص ٩٧ - ١٠١ ، و : مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٥١ - ٥٢ .

١ سورة الحج ، آية : ٥٢ .

وهذا المعنى هو الذي عليه الجمهور . (١)

والآخر : بمعنى نقل الشيء من موضع إلى موضع ، يقال : نسخت الكتاب ، إذا نقلت ما فيه ، ومنه قوله تعالى :

﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم

تعملون ﴾ . (٢)

والمراد به : نقل الأعمال إلى الصحف . (٣)

وفي الاصطلاح : رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي . (٤)

والنسخ لا يقع إلا في الأوامر والنواهي ، سواء أكانت صريحة في الطلب ، أم كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي ، على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات التي ترجع إلى ذات الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، أو أصول العبادات والمعاملات ، أو الآداب الخلقية . (٥)

ولكن اليهود ينكرون النسخ - بهذا لمعنى - ، حيث جادلوا فيه

١ انظر : مكي بن أبي طالب : الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه ص ٤٣ - ٤٧ ، و : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٩ ، و : السيوطي : الإقتان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٧ ، و : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٧١ ، و : مناع خليل القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٢ .
٢ سورة الجاثية ، آية : ٢٩ .

٣ انظر : مكي بن أبي طالب : الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه ص ٤١ - ٤٢ ، و : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠ ، و : السيوطي : الإقتان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٧ ، و : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٧١ ، و : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٢ .

٤ انظر : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٧٢ - ٧٥ ، و : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٢ .

٥ انظر : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٣ ، و : مكي بن أبي طالب : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٥٦ - ٥٧ ، و : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٣ ، و : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٠٧ - ١١٠ .

الرسول ﷺ ؛ لأنه يستلزم - في زعمهم - البداء (١) ، فما هو (البداء) ياترى ؟

٢ - مفهوم البداء :

البداء - بفتح الباء - : يطلق على معنيين متقاربين :

أحدهما : الظهور بعد الخفاء (٢) ، ومنه قول الله تعالى :

﴿وبدا لهم من الله ما لم يخطر على بالهم﴾ (٣)

والآخر : نشأة رأي جديد لم يك موجوداً من قبل (٤) ، ومنه قول الله تعالى :

﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ (٥)

ويعني اليهود بذلك أن النسخ قول ب (البداء) (٦) ! ، وهو محال على

الله تعالى ، ولذلك ينكرونه (أي : النسخ) ؛ لما يلزم عليه - في زعمهم - من

١ انظر : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٠ ، و : السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٧ ، و : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٧٨ ، و : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٤ .

٢ انظر : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٧٦ .

٣ سورة الزمر ، آية : ٤٧ .

٤ انظر : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٧٦ - ٧٧ .

٥ سورة يوسف ، آية : ٣٥ .

٦ يزعم اليهود انهم ينكرون (البداء) ، ولكن (التراث الديني اليهودي) - المحرف ، يحوي الدليل الأكبر على فكرة (البداء) ! ، جاء في التوراة :

«فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه» ! : تكوين ، إصحاح (٦) فقرة : ٦ .

وجاء في (التلمود) أن الله ندم على تخريب (الهيكل) ، حيث قال :

«تباً لي لاني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل» ! : أوغست روهلنج : الكنز المرصود في

قواعد التلمود ص ٥٦ .

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

سبق الجهل (١) ، وحدث العلم عليه سبحانه ! (٢)

وهذا الاستدلال اليهودي (أن النسخ يلزم منه البداء) استدلال فاسد ؛ لأن كلا من حكمة النسخ وحكمة المنسوخ معلوم لله تعالى من قبل ، فلم يتجدد علمه بها ، فهو - سبحانه - ينقل العباد من حكم إلى حكم لحكمة معلومة له من قبل ، بمقتضى علمه وتصرفه المطلقين بكل الموجودات (٣) ، ومن تلك الحكم :

- ١ - مراعاة مصالح العباد .
 - ٢ - تطور التشريع إلى مرتبة الكمال ، سواء أكان من شريعة إلى شريعة أخرى ، أم من حكم إلى حكم في الشريعة نفسها ، حسب تطور أحوال الناس .
 - ٣ - ابتلاء المكلفين واختبارهم بالامتنال وعدمه .
 - ٤ - إرادة الخير والتيسير عليها ؛ لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة في الثواب ، وإن كان إلى أخف ففيه اليسر والسهولة . (٤)
- فالله تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، حيث يقول عن نفسه سبحانه :

﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ . (٥)

-
- ١ إن المصلحة الشخصية هي التي تحكم تصرفات اليهود ، حيث نزهاوا الله تعالى - هنا - عن (الجهل) - وهو أهل لهذا التنزيه - ؛ لأنهم يريدون الوصول إلى هدف - عندهم - أهم ، وهو : إنكار النسخ عموماً ، وبالتالي إنكار نسخ شريعتهم (اليهودية) بشريعة الله (الإسلامية) ، والا فقد وصفوا الله بما نزهاوه عنه - هنا - وهو (الجهل) - في موضع آخر - تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . راجع : (زعمهم أن الله جاهل) ص ١٦٩ .
 - ٢ انظر : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٧٧ .
 - ٣ انظر : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .
 - ٤ انظر : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٠ ، و : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٩٠ - ٩٣ .
 - ٥ سورة النساء ، آية : ١٢٦ .

وعن (أبي بن كعب) (١) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
قال موسى لـ (الخضر) (٢) - عليهما السلام - :

« أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ، قال : يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ... ، فلما ركبا في السفينة جاء عصفور ، فوقع على حرف السفينة ، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين ، قال له الخضر : ياموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر » . (٣)
إلى غير ذلك من (الآيات الكريمة) و(الاحاديث الشريفة) ، التي تثبت علم الله تعالى المطلق .

٣ - ثبوت النسخ :

إن جمهور العلماء المسلمين على اعتقاد ثبوت (النسخ) - من غير أن

- ١ أبي بن كعب : (؟ - ٢١ هـ = ؟ - ٦٤٢ م) هو أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد النجاري الخزرجي . صحابي ، كان قبل إسلامه هجرأ من أحبار اليهود ، مطلعاً على الكتب القديمة ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي ، شهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها ، كتب (الوثيقة العمرية) في الصلح مع أهل (بيت المقدس) ، اشترك في جمع (القرآن الكريم) في عهد (عثمان بن عفان) - رضي الله عنه - . كان نحيفاً قصيراً ، روى (١٦٤ حديثاً) . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٨٩ - ٤٠٢ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٣١ - ٣٢ ، و : الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٨٢ .
- ٢ الخضر : (؟) رجل من عباد الله تعالى ، تحيط بشخصيته الكثير من الأساطير ، فقيل : إنه (بأيا بن ملكان) من بني إسرائيل ، وإنه من المعمرين ، ولكن المفسرين يرون أنه صاحب قصة (مجمع البحرين) الذي التقى به موسى - عليه السلام - ليتعلم منه كما هو مبسوط في (سورة الكهف ، آية : ٦٠ - ٨٢) - والله أعلم - . انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٢ ص ٢٤٨ .

- ٣ صحيح البخاري - واللفظ - : كتاب الانبياء «٦٠» ، (باب حديث الخضر مع موسى - عليهما السلام - «٢٧») ج ٤ ص ١٢٨ ، و : الطبري : جامع البيان ج ١٥ ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٩٣ - ٩٤ .

يلزم عليه قول ب (البداء) - ، حيث قالوا : بجواز عقله ، ووقوعه سمعاً (١) ،
على ما يأتي :

أ - جواز النسخ عقلاً :

الأدلة العقلية على جواز (النسخ) كثيرة ، من أهمها ما يأتي :

- ١ - أن النسخ لا محذور فيه عقلاً ، وكل ما كان كذلك فهو جائز عقلاً .
- ٢ - أن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض ، حيث نرى : الإحياء بعد الإماتة وعكسه ، والصحة بعد المرض وعكسه ، والغنى بعد الفقر وعكسه ، إلى غير ذلك ، فكذا الأمر والنهي . أي : أن لله أن يأمر بالشئ في وقت وينسخه بالنهي عنه في وقت آخر .
- ٣ - ما يأتي من أدلة الوقوع السمعي ؛ لأن الوقوع يستلزم الجواز وزيادة . (٢)

ب - وقوع النسخ سمعاً :

الأدلة السمعية على وقوع (النسخ) نوعان ، هما :

١ - الأدلة من المصادر اليهودية :

هناك أدلة كثيرة يفيض بها كتاب اليهود (العهد القديم) ، وستورد بعضاً منها ؛ إلزاماً لهم بما يؤمنون به ، ومنها ما يأتي :

- ١ انظر : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٠ ، و : السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٧ ، و : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٨٢ ، و : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٦ .
- ٢ انظر : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٨٣ - ٨٦ ، و : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٦ ، و : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٠ ، و : السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٧ .

١ - أن الله تعالى لما أنزل (آدم) (١) و (حواء) (٢) - عليهما السلام - إلى الأرض -، وخلق لهما نرية ، أباح لهم في شريعته كل (الحيوانات والطيور) - من غير استثناء - ؛ فقد جاء في التوراة :

« فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر على طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض . وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبرز بزرأً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبرز بزرأً لكم يكون طعاماً . ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً » . (٣)

ثم لما خرج نوح - عليه السلام - من السفينة مع أتباعه ، حرم الله تعالى عليهم في شريعته (الدم) - فقط - من بين ما أحل سابقاً ، جاء في التوراة :

« ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء

١ آدم - عليه السلام - : (؟ - ؟) هو أبو البشر ، خلقه الله تعالى من تراب ، وأسكنه في الجنة ، وأمر الملائكة - عليهم السلام - بالسجود له ، فسجدوا إلا (إبليس) أبى استكباراً ، فأغواه وزوجه (حواء) - التي خلقت من ضلعه - بالأكل من الشجرة التي نهاها الله تعالى عنها ، وبذلك عصى ربه ، فتاب عليه - سبحانه - ، وأنزله إلى الأرض في جهة (الهند) - على الراجح - . ونبوته محل اتفاق ، ولكن الخلاف في رسالته . ولآدم - عليه السلام - ثلاثة أبناء : (هابيل ، وقابيل ، وشيث) ، وإلى (شيث) ترجع البشرية . توفي آدم - عليه السلام - بعد أن عاش (١٠٠٠ عام) ، ودفن حيث هبط ، وقيل في (جبل أبي قبيس) بـ (مكة) . والله أعلم . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٨٩ - ١٦٢ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٧٤ - ١١١ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ١٣ - ٣٧ ، و : محمد الصابوني : النبوة والأنبياء ص ١٠٩ - ١٣٦ .

٢ حواء (؟ - ؟) أم البشر - كما فصلنا ذلك في الترجمة السابقة - وقد توفيت بعد آدم - عليه السلام - بسنة واحدة . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١١٠ .

٣ تكوين ، إصماح (١) فقرة : ٢٧ - ٣٠ .

مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم . كل دابة حيه تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع . غير أن لحمأ بحياته دمه لا تأكلوه » (١)

ثم حرم الله تعالى في شريعة موسى - عليه السلام - كثيراً مما أحل سابقاً ، فقد جاء في التوراة :

» وكلم الرب موسى وهارون قائلاً لهما . كلما بنى إسرائيل قائلين : هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض . كل ما شق ظلفاً وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فليأه تأكلون . إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف : الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم . والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم . والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم . والخنزير لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم . من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا إنها نجسة لكم . وهذا تأكلونه من جميع ما في المياه . كل ما له زعانف وحرشف في المياه في البحار وفي الأنهار فليأه تأكلون . لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف في البحار وفي الأنهار من كل ديبب في المياه ومن كل نفس حية في المياه فهو مكروه لكم . ومكروهاً يكون لكم من لحمه لا تأكلوا وجثته تكرهون كل ما ليس له زعانف وحرشف في المياه فهو مكروه لكم . وهذه تكرهونها من الطيور لا تؤكل إنها مكروهة النسر والأنوق والعقاب . والحدأة والباشق على أجناسه . وكل غراب على أجناسه . والنعام والظليم والسأف والباذ على أجناسه . واليوم والغواص والكركي . والبجع والقوق والزخم . واللقلق والبيغاء على أجناسه والهدهد والخفاش . وكل ديبب الطير الماشي على أربع فهو مكروه لكم . إلا هذا

١ تكوين ، إصحاح (٩) فقره : ٢ - ٤ .

تأكلونه من جميع دبيب الطير الماشي على أربع ماله كرعان فوق رجلية يثب
بهما على الأرض • هذا منه تأكلون : الجراد على أجناسه والدبا على
أجناسه والحر جوان على أجناسه والجندب على أجناسه • لكن سائر دبيب
الطير الذي له أربع أرجل فهو مكروه لكم • وهذا هو النجس لكم من
الدبيب الذي يدب على الأرض : ابن عرس والفأر والضب على أجناسه •
والحرذون والورل والوزغة والعظاية والحرباء • كل ما يمشى على
بطنه وكل ما يمشى على أربع مع كل ما كثرت أرجله من كل دبيب يدب على
الأرض لا تأكلوه لأنه مكروه » (١) •

٢ - أن الله تعالى أمر آدم - عليه السلام - أن يزوج بناته من بنيه (٢) ،
وورد أنه كان يولد له في كل بطن من البطون ذكر وأنثى ، فكان يزوج توأمه
هذا للآخر ، ويزوج توأمه الآخر لهذا ، وهكذا (٣) ؛ إقامة لاختلاف
البطون مقام اختلاف الآباء والأمهات والأنساب (٤) •

ثم حرم الله تعالى ذلك في كل الشرائع ، ومنها شريعة موسى - عليه
السلام - ؛ فقد جاء في التوراة :

« عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة
خارجاً لا تكشف عورتها » (٥) •

٣ - أن الله تعالى أباح الجمع بين الاختين في شريعة يعقوب - عليه
السلام - ؛ فقد جاء في التوراة :

« كان للابان ابنتان اسم الكبرى ليئة واسم الصغرى راحيل • وكانت

١ لاويين ، إصحاح (١١) فقرة : ١ - ٢٤ و ٢٩ - ٣٠ و ٤٣ •

٢ انظر : تكوين : ١٧/٤ •

٣ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ١٣٧ • و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص
١٠٣ •

٤ انظر : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٨٧ •

٥ لاويين ، إصحاح (١٨) ، فقرة : ٩ •

عينا ليثة ضعيفتين وأما راحيل فكانت حسنة الصورة وحسنة المنظر .
وأحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى .
فقال لابان أن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها لرجل آخر أقم عندي .
فخدم يعقوب براحيل سبع سنين وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته
لها . ثم قال يعقوب لابان أعطني امرأتي لأن أيامي قد كملت فأدخل
عليها . فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة . وكان في المساء أنه
أخذ ليثة ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها . وأعطى لابان زلفه جاريته لليثة
ابنته جارية . وفي الصباح إذا هي ليثة فقال لابان ما هذا الذي صنعت بي
أليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتني . فقال لابان لا يفعل هكذا في
مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر . أكمل أسبوع هذه فتعطيك تلك أيضاً
بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين آخر . ففعل يعقوب هكذا فأكمل
أسبوع هذه فأعطاه راحيل ابنته زوجة له . وأعطى لابان راحيل ابنته بلهه
جاريته جارية لها . فدخل على راحيل أيضاً وأحب أيضاً راحيل أكثر من
ليثة وعاد فخدم عنده سبع سنين آخر . ورأى الرب أن ليثة مكروهة ففتح
رحمها وأما راحيل فكانت عاقراً فلما رأت راحيل أنها لم تلد
ليعقوب غارت راحيل من أختها وذكر الله راحيل وسمع لها الله
وفتح رحمها » . (١)

ثم حرم الله تعالى ذلك في كل الشرائع التالية ، ومنها شريعة موسى
- عليه السلام - ؛ فقد جاء في التوراة :
" ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها في
حياتها » . (٢)

١ تكوين ، إصحاح (٢٩) فقره : ١٥٥ - ٣١ .

٢ لاويين ، إصحاح (١٨) فقره : ١٨ .

إلى غير ذلك من الأدلة التي تثبت وقوع (النسخ) في (العهد القديم) .

٢ - الأدلة من المصادر الإسلامية :

أجمعت الأمة على (أن النسخ وقع بالشرعية الإسلامية) (١) ؛ لنسخها كل الشرائع السابقة ؛ لأن رسالة محمد ﷺ عامة للبشرية جمعاء ، يقول تعالى :

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٢) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
« والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار » (٣) .

و(الآيات الكريمة) و(الاحاديث الشريفة) في هذا كثيرة ، يصعب حصرها ، لضيق المقام .

كما أجمعت الأمة - أيضاً - على (أن النسخ وقع في الشريعة الإسلامية) (٤) - أيضاً - ؛ لنسخ بعض أحكامها ببعض ، حيث يحتوي (القرآن الكريم) و(السنة النبوية) على الكثير من الأحكام الناسخة

١ انظر : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٨٩ .

٢ سورة سبأ ، آية : ٢٨ .

٣ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الإيمان «١») ، (باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته «٧٠») ، حديث رقم (١٥٣/٢٤٠) ، ج ١ ص ١٣٤ . و
مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ٣١٧ .

٤ انظر : الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ٨٩ .

والمنسوخة ؛ مما لا يتسع المقام لحصرها واستقصائها لضيق المقام (١) ،
وحسبنا منها - هنا - مثلاً على ذلك ما يخدم موضوعنا (جدل اليهود مع
الرسول ﷺ) وهو : (مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة
المشرفة) ، والتي سنتحدث عنها - إن شاء الله تعالى - بعد قليل (٢).
وهناك أدلة كثيرة يفيض بها كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ،
تدل على وقوع النسخ سماعاً ، على ما يأتي :

أ - من القرآن الكريم :

قول الله تعالى :

﴿ما ننسخ من آية أو ننسها (٣) نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم
أن الله على كل شيء قدير﴾ (٤).

وقوله - أيضاً - سبحانه :

﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت (٥) وعنده أم الكتاب﴾ (٦)

١ لقد تتبع الإمام مكي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - كل ما وقع فيه النسخ من صور (القرآن
الكريم) ، سواء أكانت الأحكام الناسخة والمنسوخة من (القرآن الكريم) أم من (السنة النبوية) ،
في كتاب مستقل ، أسماه : (الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه) . أنظر : ص ١٠٣ -
٣٨٦٦ .

٢ راجع : (جدلهم في تحويل القبلة) ص ٣١٦.

٣ يذكر المفسرون : « أن المشركين قالوا : ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمن ثم ينههم عنه
ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولاً ويرجع غداً ؟! ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقول من تلقاء
نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها الآية﴾ .
وأنزل - أيضاً - : ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ : « الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣٢ و
٢٨٧ .

٤ سورة البقرة ، آية ١٠٦ .

٥ عن مجاهد - رحمه الله تعالى - قال :

« قالت قريش حين أنزل : ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ - : سورة الرعد ، آية
: [٢٨] - : ما نراك يا محمد تملك من شيء لقد فرغ من الأمر ، فأنزل الله : ﴿يمحو الله ما يشاء
ويثبت﴾ الآية : السيوطي : لباب النقول ص ١٣١ .

٦ سورة الرعد ، آية : ٣٩ .

وقوله - أيضاً - سبحانه :

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ (١) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

ب - ومن السنة النبوية :

ما رواه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« قال عمر - رضي الله عنه - : أقرؤنا أبي (٣) ، وانا لننزع من

قول أبي ، وذلك أن أبا يقول : لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ

وقد قال تعالى : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ (٤) .

إلى غير ذلك من الأدلة التي تثبت وقوع النسخ في (القرآن الكريم) و

(السنة النبوية) المطهرة .

وبناءً على ذلك ، يتضح لنا أن (النسخ) (٥) واقع في كل الشرائع

السمائية :

- إما بنسخ بعض أحكام كل شريعة ببعض .

- وإما بإلغاء كل الشرائع السابقة - ومنها (اليهودية) - ؛ نسخاً لها بالدين

الخاتم (الإسلام) .

١ راجع : هامش الآية الكريمة السابقة : ﴿مانسخ من آية أو ننسها﴾ .

٢ سورة النحل ، آية ١٠١ .

٣ هو : (أبي بن كعب) . راجع : ترجمته ص ٣٠٧ .

٤ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب التفسير «٦٥») ، (باب ما ننسخ من آية أو ننسها

«٧») ، ج ٥ ص ١٤٩ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ١١٣ .

٥ لمزيد من المعلومات حول (النسخ) . انظر : مكي بن أبي طالب : الإيضاح لناسخ القرآن

ومنسوخه ص ٤١ - ١٠٢ ، و : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٨ - ٤٤ ، و

: السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٧ - ٣٥ ، و : الزرقاني : مناهل العرفان في

علوم القرآن ج ٢ ص ٦٩ - ١٦٦ ، و : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٣١ - ٢٤٤

ولهذا الحكم الأخير (إلغاء الشريعة اليهودية بالشريعة الإسلامية) ،
أنكر اليهود النسخ جملة وتفصيلا ، على الرغم من اعترافهم بوقوعه في
كتابهم (التوراة) - كما ذكرنا - ١ .

ومن أهم المسائل التي جادل اليهود فيها الرسول ﷺ مسألة (تحويل
القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام) ، وهي أول نسخ في الإسلام
، وسنتحدث عنها - تفصيلا - في الفقرة التالية :

ج - جدلهم في تحويل القبلة :

لقد استقبل اليهود حادث (تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة
المشرفة في المسجد الحرام في مكة) بالاستهزاء ، وإثارة الشبهات ؛
تشكيكا للمسلمين في عقديتهم ، على ما سنفصله فيما يأتي :

١ - بين القبلتين الأولى والأخيرة :

لقد فرضت الصلاة على الرسول ﷺ في (مكة) ليلة (الإسراء
والمعراج) قبل الهجرة بحوالي (سنة) - على خلاف في ذلك (١) - ، أي
عام ١٢ ب - ٦٢١ م (٢) ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال
النبي ﷺ :

« ... ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى سمعت فيه صريف الأقلام ... »
ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك ، حتى مرت على موسى
فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فارجع
إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعني فوضع شطرها ، فرجعت إلى

١ انظر : المباركفوري : الرحيق المختوم ص ٣٤ .

٢ انظر : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٤١ - ٤٢ .

موسى ، قلت : وضع شطرها ، فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ،
فراجعت ، فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا
تطيق ذلك ، فراجعته ، فقال : هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول
لدي » (١) .

فكان الرسول ﷺ في مكة يصلي بين الركنين : الأسود واليماني ،
فتكون (الكعبة) بين يديه ، وهو مستقبل (بيت المقدس) (٢) ، فلما هاجر إلى

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الصلاة «٨») ، (باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء
«٨») ج ١ ص ٩١ - ٩٣ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الإيمان «١٦») ، (باب الإسراء برسول الله
ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة «٧٤») ، حديث رقم (١٦٢/٢٥٩) ، ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٧ ،
و : سنن الترمذي : (أبواب الصلاة) ، (باب ما جاء كم فرض الله على عبادة من الصلوات
«١٥٩») ، حديث رقم (٢١٣) ، ج ١ ص ٤١٧ ، و : سنن النسائي : (كتاب الصلاة «٥») ، (باب
فرض الصلاة «١») ، حديث رقم (٤٤٨ - ٤٥١) ج ١ ص ٢١٧ - ٢٢٤ ، و : مسند الإمام أحمد
: ج ٣ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

٢ اختلف العلماء في قبله الرسول ﷺ وهو في مكة) ، أكانت (الكعبة) ، أم (بيت المقدس) ؟
على رأيين :

١ - الرأي الأول : أن الرسول ﷺ كان يستقبل في صلاته وهو بمكة (الكعبة المشرفة) ،
وهو لاختيار جماعة من أهل العلم . انظر : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٢٠٠ .
وقد رجح هذا الرأي : الدكتور / محمد سيد طنطاوي والشيخ / عبدالرحمن حسن حبيكة
الميداني ، وحيتهما : أن (المسجد الحرام) هو قبلة أبويه إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -
منذ آلاف السنين ، وقد توارثت الأجيال العربية من بعدهما - على الرغم من وثنيتهما - تعظيمه ؛
ولأنه - ﷺ - ظهر بين قومه العرب ، الذين يعقزون بهذا المسجد أشد من اعتزازهم بأي مسجد
آخر ، إذن فالمصلحة والحكمة تقتضيان بأن يستقبل الرسول ﷺ - والمسلمون - في صلاتهم
بمكة (الكعبة المشرفة) . انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٥٨
، و : عبدالرحمن الميداني : مكابد يهودية ص ٧٤ - ٧٥ .

٢ - الرأي الثاني : أن الرسول ﷺ كان يستقبل في صلاته وهو بمكة (بيت المقدس) . وهو
لاختيار الجمهور . انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٨٩ ، و : السهيلي :
الروض الأنف ج ٢ ص ٢٠٠ .

ويدل على هذا الرأي : ما رواه (كعب بن مالك) - رضي الله عنه - قال :
« خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا (البراء بن معرور) سيدنا
وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ، إنني قد رأيت

(المدينة) تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله تعالى بالتوجه إلى (بيت المقدس) ،
فصلى إليه (بضعة عشر شهراً) (١) ، فعن البراء بن عازب - رضي الله
عنه - قال :

« إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة ٠٠٠ صلى قبل بيت المقدس ستة

رأياً ، فوالله ما أدري ، أتوافقونني عليه ، أم لا ؟ ، قال : قلنا : وماذا ؟ ، قال : قد رأيت
أن لا أدع هذه البنية مني بظهر ، يعني الكعبة ، وأن أصلي إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا
أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن تحالفة . قال : فقال : إني لمصل إليها . قال
: فقلنا له : لكننا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة
، حتى قدمنا مكة . قال : وقد كنا عينا عليه ماصنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا
مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ ، حتى نسأله عما صنعت في سفري
هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء . لما رأيت من خلافتكم إياي فيه . قال : فخرجنا
نسأل عن رسول الله ﷺ . فقال له البراء بن معمر : يا بني الله ، إني خرجت في سفري
هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر ، فصليت إليها ، وقد
خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ ، قال
: قد كنت على قبله لو صبرت عليها . قال : فرجع البراء إلى قبله رسول الله ﷺ ، وصلى
معنا إلى الشام » : ابن هشام - واللفظ له - : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٤٣٩-٤٤٠ ، و :
البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٤٤-٤٤٥ .

ومنتشاً الخلاف في هذه المسألة : هو أن الرسول ﷺ كان في (مكة) يتحرى القبليتين ، فعن
عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« إن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس ، وجعل الكعبة بينه وبين بيت
المقدس » : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٢٠٠ .
وبذلك لم يبين للناس توجهه ﷺ إلى (بيت المقدس) ، حتى هاجر إلى (المدينة) لتعذر الجمع
بينهما .

وللجمع بين هذين الرأيين ، نقول :
إن الرسول ﷺ كان يستقبل في صلاته وهو بمكة - أول الأمر - (الكعبة المشرفة) ، ثم
صرف عنها إلى (بيت المقدس) ، فعن ابن جريج - رحمه الله تعالى - قال :
« صلى رسول الله ﷺ أول ما صلى إلى الكعبة ثم صرف إلى بيت المقدس ٠٠٠ ، ثم ولاه الله
جل ثناؤه إلى الكعبة » : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٥ .

١ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٨٩ ، و : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص
٢٠٠ .

عشر شهراً أو سبعة عشراً » (١) .

وفي توجه الرسول ﷺ في صلاته إلى (بيت المقدس) ، تأليف لقلوب اليهود (٢) ؛ لأن (بيت المقدس) قبلتهم ، حيث فرحوا لذلك ، فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال :

« وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس » (٣) .

وكان أمل الرسول ﷺ أن يلبي اليهود لذلك دعوته ، وأن يسارعوا في إعلان إسلامهم ، فعن (الحسن البصري) - رحمه الله تعالى - (٤) قال :

« إن النبي ﷺ كان يستقبل صخرة بيت المقدس - وهي قبلة اليهود - ، فاستقبلها النبي ﷺ سبعة عشر شهراً ؛ ليؤمنوا به ويتبعوه » (٥) .

ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، حيث لم يستجيبوا لداعي الله

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الإيمان «٢») ، (باب الصلاة من الإيمان «٣٠») ، ج ١ ص ١٥ ، و : صحيح مسلم : (كتاب المساجد ومواضع الصلاة «٥») ، (باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة «٢») ، حديث رقم (١١-١٢/٥٢٥) ، ج ١ ص ٣٧٤ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها «٥») ، (باب القبلة «٥٦») ، حديث رقم (١٠١٠) ، ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، و : سنن الترمذي : (أبواب الصلاة) ، (باب ما جاء في ابتداء القبلة «٢٥٥») ، حديث رقم (٣٤٠) ، ج ٢ ص ١٦٩ - ١٧٠ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ٣٠٤ ، و : موطن الإمام مالك : (كتاب القبلة «١٤») ، (باب ما جاء في القبلة «٤») ، حديث رقم (٧) ، ج ١ ص ١٩٦ .

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٤ .

٣ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الإيمان «٢») ، (باب الصلاة من الإيمان «٣٠») ، ج ١ ص ١٥ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٨٩ .

٤ الحسن البصري : (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري . تابعي ، ولد في (المدينة) ، وسكن (البصرة) ، فكان إمامها ، وقد عظمت هيئته في القلوب ، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ، ولا يخاف في الحق لومة لائم . وكان غاية في الفصاحة ، تنصب الحكمة من فيه ، حتى أصبح هجر الأمة في زمنه . توفي بـ (البصرة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٣ - ٥٨٨ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ٢٢٦ .

٥ الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٤ .

تعالى ، وإنما أثروا الكفر على الإيمان - والعياذ بالله تعالى - ! .

ولم يكتف اليهود بهذا الموقف السلبي من الرسول ﷺ ، وإنما استغلوا صلاته إلى (بيت المقدس) - قبلة الأنبياء ، عليهم السلام - ، فأخذوا يشيعون في الناس أن الرسول ﷺ قد اتبع قبلتهم ، وعما قريب سيتبع ملتهم ، حيث اعتبروا ذلك نوعاً من اقتباس الهدى منهم ، فعن (ابن زيد) (١) - رحمه الله تعالى - قال :

« إن يهود تقول : والله ما درى محمد ... وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم » (٢) .

وقد تأثر الرسول ﷺ من موقف اليهود الجاحد هذا (٣) ، فانبثقت في نفسه أمنية التحول إلى (الكعبة المشرفة) ، فأكثر من التضرع إلى الله تعالى ، والابتهاال إليه ؛ كي يوجهه إلى قبلة أبيه (إبراهيم) - عليه السلام - ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« إن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ... ، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ... ، فاستقبلها ورسول الله ﷺ ستة عشر شهراً ، فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم ، فكان يدعو وينظر إلى السماء » (٤) .

١ ابن زيد : (القرن ١ هـ - ٧ م) هو محمد بن زيد بن المهاجر التيمي . تابعي . من أهل (المدينة) ، ثقة . انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٤٧٩ .

٢ الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢٠ .

٣ يروى أن الرسول ﷺ قال : « وددت أن الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها » : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣٩ .

٤ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢ ص ٢٠ . و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٢ .

و : قدوردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : سنن ابن ماجه : (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (٥) ، (باب القبلة (٥٦) ، حديث رقم (١٠١٠) ، ج ١ ص ٣٢٣ ، و

وقد أجاب الله تعالى رجاء رسوله ﷺ ، فولاه القبلة التي يرضاها
(الكعبة المشرفة) ، حيث أنزل عليه سبحانه :

﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره﴾ (١) .

وكانت أول صلاة صلاها الرسول ﷺ متوجهاً إلى (الكعبة المشرفة)
في (المسجد الحرام) هي (صلاة العصر) ، من يوم ١٧ شعبان عام ٢ هـ -
١٣ شباط (فبراير) ٦٢٤ م (٢) ، فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه
- قال :

« وأنه صلى [أي الرسول ﷺ] أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى
معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد (٣) وهم راكعون ،

: سنن الترمذي : (أبواب الصلاة) ، (باب ماجاء في ابتداء القبلة «٢٥٥») ، حديث رقم (٣٤٠)
، ج ٢ ص ١٧٠ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ٢٠٤ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن
ص ٣٩ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٩ ، : مقبل بن هادي الوادعي : الصحيح المسند
من أسباب النزول ص ٥ - ٦ .

١ سورة البقرة ، آية : ١٤٤ .
٢ انظر : ابن كثير : الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ ص ١١٢ ، و : محمد مختار باشا :
التوقيفات الإلهامية ج ١ ص ٣٤ .

٣ أهل هذا المسجد : هم (أهل قباء) ، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال :
« بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم أت ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه
الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى
الكعبة » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الصلاة «٨») ، (باب ماجاء في القبلة «٣٢»)
، ج ١ ص ١٠٥ ، و : صحيح مسلم : (كتاب المساجد ومواضع الصلاة «٥») ، (باب تحويل
القبلة من القدس إلى الكعبة «٢») ، حديث رقم (٥٢٦/١٣) ، ج ١ ص ٣٧٥ ، و : سنن الدارمي
: (كتاب الصلاة) ، (باب في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة) ، ج ١ ص ٢٨١ ، :
سنن الدارقطني : (كتاب الصلاة) ، (باب التحول إلى الكعبة) ، حديث رقم (٤) ، ج ١ ص ٢٨١
، و : موطأ الإمام مالك : (كتاب القبلة «٤») ، (باب ماجاء في القبلة «٤») ، حديث رقم (٦) ،
ج ١ ص ١٩٥ .

فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت » (١) .

وقد استقبل المسلمون هذا التحويل للقبلة من (بيت المقدس) إلى (المسجد الحرام) بالفرح ؛ لأن في توجيههم إلى (البيت الحرام) تأليفاً لقلوبهم ، فهو مثابتهم ، وموطن أمنهم ، ومهوى أفئدتهم ، ومركز تجمعهم ، وجامع وحدتهم (٢) .

٢ - الشبهات التي أثارها اليهود بعد تحويل القبلة :

ذكرنا - قبل قليل - أن المسلمين فرحوا لتحويل القبلة من (بيت المقدس) إلى (المسجد الحرام) ، فما هو موقف أعداء الإسلام (ولا سيما اليهود) من هذا التحويل ؟ .

- لقد استغل أعداء الإسلام هذا التحويل بإثارة الشبهات ضده :

فقال المشركون :

« تحير على محمد دينه ، فتوجه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه ، ويوشك أن يدخل في دينكم » (٣) . ١

وقال المنافقون :

« ما بالهم [أي : المسلمين] كانوا على قبلة زماناً ، ثم تركوها ،

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب اليمان «٢») ، (باب الصلاة من اليمان «٣٠») ، ج ١ ص ١٥ ، و : سنن الترمذي : (أبواب الصلاة) ، (باب ما جاء في ابتداء القبلة «٣٥٥») ، حديث رقم (٣٤٠) ، ج ٢ ص ١٧٠ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ٣٠٤ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٨٩ ، و : الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٥ - ٦ .

٢ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٥٩ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢ ص ١٢ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٣٠ .

وتوجهوا إلى غيرها « ١٠ (١)

أما اليهود - وهم الذين تولوا كبر التشكيك في صحة هذا التحويل - فقد زعموا أن نسخ الحكم بعد شرعه مناف للحكمة ، ومباين للعقول ، فلا يقع في الشرائع الإلهية (٢) ، مدعين أن (بيت المقدس) أفضل وأعظم من (الكعبة المشرفة) ، فكيف يتم التحويل إلى المفضول ؟! فعن مجاهد - رحمه الله تعالى - قال :

« قالت اليهود : بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة ؛ لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة » (٣) (٤)

وقد ساق اليهود الكثير من الشبهات ضد هذا التحويل ، فقالوا :
« إن محمداً اشتاق إلى بلد أبيه ومولده ، ولو ثبت على قبلتنا لكننا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذي ننتظر » (٥) (٦)
فاليهود حالوا بهذا جر الرسول ﷺ إلى أن يندم على هذا التحويل ، ولكن حاشاه من ذلك ، فهو لم يفعل من تلقاء نفسه ، وإنما هو ينفذ ما يشرعه الله تعالى له .

ولم يكتف اليهود بهذا ، وإنما حاولوا - فقتة للرسول ﷺ عن دينه - إغراءه بالعودة إلى القبلة الأولى (بيت المقدس) ، وكأنه هو الذي يشرع من عند نفسه ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، أتى رسول الله ﷺ

١ الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ١٢ .

٢ لقد فندنا - فيما مضى - هذه الحجة اليهودية في عدم وقوع النسخ في الشرائع الإلهية . راجع : (جدلهم في قضية النسخ) ص ٣٠٣ .

٣ الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١١٠ .

٤ الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ١٢ .

(رفاعة بن قيس) (١) و (كعب بن الأشرف) و (نافع بن أبي نافع) (٢) و (الحجاج بن عمرو) (٣) و (الربيع بن الربيع بن أبي الحقيق) (٤) و (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) (٥) فقالوا : يا محمد ، ما ولاك عن قبلك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ، ارجع إلى قبلك التي كنت عليها تتبعك ونصدقك « ١٠١ (٦)

ولما لم يستجب الرسول ﷺ لأغرائهم ، عمدوا إلى زعزعة الايمان في قلوب المؤمنين ، حين قالوا لهم :

« أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه ، وإن كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ، ومن مات عليها فقد مات على ضلالة » ١٠١ (٧)

وكان مقصد هؤلاء اليهود - وغيرهم - من إثارة هذه الشبهات ، الطعن في نبوة محمد ﷺ ، وفي شريعة الإسلام ؛ تشكيكاً للناس - من المسلمين ، وغيرهم ممن لم يسلموا بعد - في عقيدة الإسلام !

٣ - دحض الشبهات التي أثارها اليهود بعد تحويل القبلة :

لقد رد القرآن الكريم - من خلال آياته الكريمة - كافة الشبهات التي

١ رفاعة بن قيس : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومه (بنو قينقاع) عن (المدينة) ، عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٢ نافع بن أبي نافع (؟ - ٥ هـ = ؟ - ٦٢٦ م) يهودي ، قتل مع قومه (بنو قريظة) .

٣ الحجاج بن عمرو : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومه (بنو النضير) عن (المدينة) عام ٤ هـ - ٦٢٥ م .

٤ الربيع بن الربيع بن أبي الحقيق : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومه (بنو النضير) عن (المدينة) ، عام ٤ هـ - ٦٢٥ م ، فسكن (خيبر) ، ليصبح من زعمائها .

٥ راجع : ترجمة (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) ص ٤٧٤ .

٦ الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٣ .

٧ د/ محمد سيد طنطاوي : ينو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٦٥ ، و : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٧٩ .

أوردها اليهود - وغيرهم من المشركين والمنافقين - في مسألة تحويل القبلة من (بيت المقدس) إلى (المسجد الحرام) ، على ما يأتي :

١ - أفسد الله تعالى خطة هؤلاء اليهود - وغيرهم - ، فأخبر رسوله محمداً ﷺ بما سيقوله هؤلاء السفهاء على هذا التحويل قبل أن يدور في خلدهم ، وذلك قبيل الأمر بتحويل القبلة ، حيث يقول سبحانه :

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مَا وَلَّاهُمْ مِنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ (١) .

والسفهاء : هم اليهود ، فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال :

« كان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ ، فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس ، وهم اليهود ﴿مَا وَلَّاهُمْ مِنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ » (٢) .

ويدخل مع اليهود في الوصف بالسفهاء : كل من شاكلهم في قولهم من المنافقين (٣) ، والمشركين (٤) .

ففي الإخبار بقول هؤلاء السفهاء قبل وقوعه (٥) ، فائدة عظيمة ، ذلك «أن مفاجأة المكروه أشد ، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا

١ سورة البقرة ، آية : ١٤٢ .

٢ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الصلاة «٨») . (باب التوجه نحو القبلة «٣١») ، ج ١ ص ١٠٤ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ١ - ٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٨٩ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣٩ ، و : الواعلي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٦ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٨٩ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ١٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٨٩ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٣٠ .

٥ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢ .

وقع ، لما يتقدمه من توطين النفس ، وأن الجواب العتيد قبل الحاجة
أقطع للخصم ، وأرد لشغبه » (١) .

« وكان من الممكن أن يمتنعوا عن الكلام ، ويتوقفوا عن الجدل ،
ولكن الله أتى على يد خصوم الدين ما يثبت صحة هذا الدين » (٢) .

٢ - لقن الله تعالى رسوله محمداً ﷺ الجواب الذي يخرس به ألسنة هؤلاء
السفهاء المعترضين على هذا التحويل من اليهود - وغيرهم - ، من خلال
ما يأتي :

أ - أن الله تعالى قرر أن جميع الجهات له ، حيث يقول سبحانه :
﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم ﴾ (٣) .

أي : أن الجهات كلها لله تعالى ملكاً وتصرفاً ، فله أن يخص بعضها
بحكم دون بعض ؛ لحكمة يعلمها - سبحانه - ؛ هداية لمن يشاء من عبادة (٤)
فليس في استقبال (بيت المقدس) - أول الأمر - استرضاء لليهود ، ولكن
لابتلاء إيمان المؤمنين من العرب ، ومعرفة مدى تحللهم من رواسب
الجاهلية في ارتباطهم بـ (الكعبة) ؛ على اعتبار أنها شيء له قداسة
ذاتية في نفوسهم ؛ لكونها قبلة أبيهم إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما
السلام - ، وهو ما توارثته الأجيال العربية من بعدهما ، عبر توالي
السنين ، فهل أصبح ارتباطهم بها محدوداً أوامر الله تعالى - فقط
- ، أم ما يزال في نفوسهم شيء غير ذلك ؟ ، وفي ذلك تربية لهم على طاعة

١ الزمخشري : الكشاف ج ١ ص ٣١٧ .

٢ محمد مقولي الشعراوي : القرآن الكريم معجزة ومنهج ج ٣ ص ٦٦ .

٣ سورة البقرة ، آية ١٤٢ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٥ - ٦ . و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص

١٩٠ .

الله ومخالفة لأهوائهم وعواطفهم الخاصة ، سواء أكانت أهواء نفسية ، أم عواطف دينية ، ثم في أمرهم بالعودة إليها (أي : الكعبة) مثل ذلك الابتلاء ، ومثل تلك التربية . (١)

ب - ثم وصف الله تعالى الأمة الإسلامية بالخيرية والعدالة ، حيث يقول سبحانه :

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ . (٢)

أي : مثل ما جعلنا - أيها المسلمون - (قبلتكم وسطا) ؛ لأنها (البيت الحرام) الذي هو مثابة للناس وأمنأ ، جعلناكم - أيضاً - (أمة وسطا) أي : خياراً عدولاً بين الأمم ؛ ليتحقق التناسب بينكم وبين القبلة التي تتوجهون إليها في صلاتكم ؛ ولتشهدوا على الأمم السابقة بأن أنبياءهم - عليهم السلام - قد بلغوهم الرسالة ؛ كي يشهد الرسول ﷺ عليكم بأنكم آمنتم به (٣) ، فعن (أبي سعيد الخدري) (٤) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلغت ؟ ، فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ ، فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول :

١ انظر : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٧٨ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

٣ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٠ - ١٩١ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٦ - ١١ .

٤ أبو سعيد الخدري : (١٠ ق هـ - ٧٤ هـ = ٦١٣ - ٦٩٣ م) هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الخزرجي . صحابي ، كان من الملازمين للرسول ﷺ ، أول مشاهدة (غزوة الخندق) ، لصغره فيما قبلها ، روى (١١٧٠ حديثاً) . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٦٨ - ١٧٢ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٢ - ٣٣ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٨٧ .

: من يشهد لك ؟ ، فيقول : محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ، فذلك قوله جل ذكره : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ . (١)

ج - ثم أبان الله تعالى الحكمة في تحويل القبلة ، حيث يقول سبحانه :
﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وماكان الله ليضع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ . (٢)

أي : إنما شرعنا القبلة الأولى (بيت المقدس) فتنة ؛ ليظهر حال المطيع من العاصي عند التحويل إلى القبلة الجديدة (المسجد الحرام) ، حيث اختلف فيها الناس - بعد التحويل - :

- فضعاف الإيمان : منهم من ارتد عن الإسلام علانية ، ومنهم من أبطن النفاق .

- أما أقوياء الإيمان : من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - ؛ فقد ثبتهم الله تعالى بهدايته لهم إلى الحق ، مبشراً لهم بعدم إضاعة ثواب صلاتهم السابقة إلى (بيت المقدس) ؛ لأنه بهم رؤوف رحيم (٣) - لا كما يزعم

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب تفسير القرآن «٦٥») ، (باب وكذلك جعلناكم أمة وسطاً «١٣») ، ج ٥ ص ١٥١ ، و : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب «٣») ، حديث رقم (٢٩٦١) ، ج ٥ ص ٢٠٧ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٣٢ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٠ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع ، انظر : سنن ابن ماجه : (كتاب الزهد «٣٧») ، (باب صفة أمة محمد ﷺ «٣٤») ، حديث رقم (٤٢٨٤) ، ج ٢ ص ١٤٣٢ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٨ - ١١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٠ - ١٩١ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ١١ - ١٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩١ - ١٩٢ .

اليهود من أن « من مات عليها فقد مات على ضلالة » (١) ، فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال :

« إنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم ،
فأنزل الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ (٢) »

د - ثم حقق الله تعالى رغبة رسوله ﷺ في التوجه قبل (المسجد الحرام) ،
حيث يقول سبحانه :

﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ﴾ (٣) »

أي : أن الرسول ﷺ كان يتضرع إلى الله تعالى ؛ كي يوجهه إلى
(المسجد الحرام) ، فعن عبد الله بن العباس - رضي الله عنهما - قال :

« إن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ، أمره الله عز وجل
أن يستقبل بيت المقدس ، فاستقبلها رسول الله ﷺ ستة عشر شهراً ،

١ انظر : د / محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٦٥ ، و : عبدالرحمن الميداني
: مكاييد يهودية ص ٧٩ .

٢ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الإيمان «٢») ، (باب الصلاة من الإيمان «٣٠») ، ج ١
ص ١٥ ، و : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب «٣») ، حديث رقم (٢٩٦٤) ،
ج ٥ ص ٢٠٨ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ١٧ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٩
، و : الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٦ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : سنن الدارمي : (كتاب
الصلاة) ، (باب في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة) ، ج ١ ص ٢٨١ ، و : سنن ابن
ماجة : (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها «٥») ، (باب القبلة «٥٦») ، حديث رقم (١٠١) ، ج ١
ص ٢٢٣ ، و : سنن أبي داود : (كتاب السنة) ، (باب في الدليل على زيادة الإيمان ونقصه) ،
حديث رقم (٤٦٨٠) ، ج ٤ ص ٢٢٠ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ١٧ ، و : ابن كثير
: تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٢ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣٩ .

٣ سورة البقرة ، آية : ١٤٤ .

فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم ، فكان يدعو وينظر إلى السماء» (١) .

هـ - ثم رد الله تعالى على اليهود إنكارهم هذا التحويل ، حيث يقول سبحانه :

﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون﴾ (٢) .

أي : أن اليهود الذين أنكروا انصرافكم عن (بيت المقدس) ، واستقبالكم (المسجد الحرام) ، يعلمون أن ذلك هو الحق ؛ لأن الذي أخبر به وهو محمد ﷺ قد قامت الآيات البيئات عندهم من كتبهم - وعن غيرهم - على أنه رسول الله حقاً ، ولكنهم يتكاثمون ذلك بينهم حسداً ؛ ولهذا تهددهم الله تعالى بأنه لن يغفل عن أعمالهم السيئة ، بل هو محيط بها وسيحاسبهم عليها يوم القيامة (٣) .

و - ثم أخبر الله تعالى عن عناد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، وأنهم لن يتبعوا الحق مهما كانت الأحوال ، حيث يقول سبحانه :

﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ (٤) .

أي : أن اليهود - والنصارى - لن يتبعوا قبلتك ولو أقمت لهم كل دليل على صحة ما جئتهم به من غرض التحويل إلى قبلة (المسجد الحرام) ؛ لأن تركهم إتباعك ليس عن شبهة يزيلها الدليل ، وإنما هو عن مكابرة وعناد ،

١ الحديث سبق تفريجه . راجع : ص ٣٢٠ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١٤٤ .

٣ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢٣ .

٤ سورة البقرة ، آية : ١٤٥ .

مع علمهم بما في كتبهم أنك على الحق المبين . كما أنهم لن يتبعوا
النصارى في قبلتهم ، ولا النصارى بمتبعيهم - أيضاً - في قبلتهم ، ولذلك لن
تتبعهم (أي : اليهود والنصارى) في قبلتهم ؛ لاختلاف ملهم ، فهو أمر لا
سبيل لك إليه لإرضاء كل حزب منهم ، فإن اتبعت قبلة اليهود أسخطت
النصارى ، وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود ، فدرع مالا سبيل إليه
، وادعهم إلى مالهم السبيل إليه من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة ،
فقبلتك قبله إبراهيم والأنبياء (١) - عليهم السلام - من قبله ومن بعده . (٢)
فإن قيل : كيف قال : « وما أنت بتابع قبلتهم » ، وأهل الكتاب (اليهود
والنصارى) لهم قبلتان مختلفتان ، فقبلة اليهود قبل المغرب نحو (بيت
المقدس) (٣) ، وقبلة النصارى قبل المشرق نحو (مطلع الشمس) ؟ (٤)
- قلنا : « كلا القبلتين باطلة ، مخالفة لقبلة الحق ، فكانتا بحكم الاتحاد
في البطلان قبلة واحدة » : (٥)

ز - ثم حذر الله تعالى رسوله ﷺ من اتباع أهل الكتاب (اليهود
والنصارى) ، حيث يقول سبحانه :
﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن

١ راجع : ص ٣٤٠ .

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١
ص ١٩٤ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢٤ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٣٢ .

٤ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٥٧٤ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص
٢٤ ، و : القرطبي : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، و :
ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٢٨٩ ، و : ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ج
٢ ص ٢٧٠ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ١٢١ ، و : السيوطي : لباب النقول
ص ٣٢ .

٥ الزمخشري : تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٢٩ .

فهذه الآية الكريمة : تحذير للأمة الإسلامية من اتباع آراء اليهود ، المنبعثة عن الهوى والشهوة . وقد سبق هذا التحذير على صورة الخطاب للرسول ﷺ الذي لا يتوقع منه ذلك ، فكأنه - سبحانه - يقول : لو اتبع أفضل الخليفة رسولي محمداً أهواء اليهود - وغيرهم - لجازيته مجازاة الظالمين ، وأحق بهذا المجازاة وأولى من كانوا دونه في الفضل إن اتبعوا أهواء المبطلين من اليهود ومن على شاكلتهم - من النصارى وغيرهم - في العناد والكفر والجحود (٢) .

ح - ثم قرر الله تعالى أن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) يعرفون صدق ما جاء به الرسول ﷺ معرفة لا يخالطها شك ، حيث يقول سبحانه :
﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ (٣) كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (٤) .

أي : أن اليهود - والنصارى - يعرفون صحة ما جاء به الرسول ﷺ من أن (البيت الحرام) هو قبلتهم وقبلة إبراهيم والأنبياء - عليهم السلام - من قبله ومن بعده ، كما يعرفون أبناءهم ، ولكن أكثرهم يكتمون هذا الحق الذي لا مراء فيه ، وهم يعلمونه ، غير عابئين بما يترتب عليه من سوء

١ سورة البقرة ، آية : ١٤٥ .

٢ انظر : د / محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٦٩ .

٣ اختلف العلماء في المراد بمرجع (الهاء) في قوله : « يعرفونه » ، على رأيين :

١ - فقبل : إن المراد به (المسجد الحرام) - كما ذكرنا أعلاه - ، وهو اختيار الطبري -

رحمه الله تعالى - انظر : جامع البيان ج ٢ ص ٢٥ - ٢٦ .

٢ - وقيل : إن المراد به (رسول الله محمد ﷺ) - وقد تحدثنا عن ذلك فيما مضى - ، راجع

: (إنكارهم نبوة محمد ﷺ) ص ٨٨ .

٤ سورة البقرة ، آية : ١٤٦ - ١٤٧ .

ط - ثم بين الله تعالى أن لكل أهل ملة قبله يرتضونها ، حيث يقول سبحانه :
﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت

بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير﴾ • (٢)

أي : لكل أهل دين قبله يتوجهون إليها في عباداتهم ، فسارعوا أنتم -
أيها المسلمون - إلى ما اختاره الله تعالى لكم من الأعمال الصالحة ،
ومنها التوجه إلى القبلة الجديدة (المسجد الحرام) ، حتى لا تضلوا كما
ضل اليهود - وغيرهم - ، فإن مصير البشر جميعاً الموت ، ثم يجمعهم الله
يوم القيامة ، وإن تفرقت أجسادهم ؛ ليلاقوا جزاءهم ، إن خيراً فخير ، وإن
شراً فشر • (٣)

- ثم أكد الله تعالى حكم تحويل القبلة - مرة ثانية - ، حيث يقول سبحانه :
﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق
من ربك وما الله بغافل عما تعملون﴾ • (٤)

ك - ثم كرر الله تعالى الأمر بالتحويل - مرة ثالثة - ، حيث يقول سبحانه :
﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ • (٥)

وهذا الأمر للمؤمنين - الذي تكرر ثلاث مرات - بالتوجه إلى
(المسجد الحرام) ، في صلاتهم ، اختلف العلماء في حكمة تكراره ، على
(أربعة أقوال) ، هي :

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢٥ - ٢٧ •

٢ سورة البقرة ، آية : ١٤٨ •

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢٨ - ٣٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١
ص ١٩٤ •

٤ سورة البقرة ، آية : ١٤٩ •

٥ سورة البقرة ، آية : ١٥٠ •

١ - أن هذا التكرار بالتحويل إلى (المسجد الحرام) : للتأكيد ؛ لأنه كان أول نسخ في الإسلام ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« كان أول مانسخ من القرآن القبلة » . (١)

فافتضى الحال تكرار الأمر بالتحويل تأكيداً له ، حتى يرسخ في نفوس المؤمنين ، ويستقر في مشاعرهم ، ويذهب ما يثار حوله من شبهات أدراج الرياح . (٢)

٢ - أن هذا التكرار بالتحويل إلى (المسجد الحرام) : قد أنيط بكل أمر منه مالم ينط بالأمر الآخر ، وذلك لتعلقه بما قبله من السياق أو بعده .
- فذكر في الأمر الأول : تحقيقه لرغبة الرسول ﷺ في التوجه إلى القبلة التي يرضاها .

- وذكر في الأمر الثاني : ارتقاءه المقام الأول ، حيث كان موافقاً لرغبة الرسول ﷺ ، فبين أنه الحق من الله تعالى الذي يرتضيه .
- وذكر في الأمر الثالث : حكمة قطع حجة المخالفين من اليهود - وغيرهم - . (٣)

٣ - أن هذا التكرار بالتحويل إلى (المسجد الحرام) : منزل على أحوال المستقبل له :

فقل : إن الأمر الأول : لمن هو مشاهد (الكعبة المشرفة) .
والأمر الثاني : لمن هو في (مكة) - ولا يشاهد (الكعبة) .

١ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٢ .

و : قد وردت برواية - من طريق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٤ .

٢ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنوا إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٧٢ .

٣ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٥ .

والأمر الثالث : لمن هو في (بقية الأمصار) ٠ (١)

وقيل : إن الأمر الأول : لمن هو في (مكة) ٠

والأمر الثاني : لمن هو في (بقية الأمصار) ٠

والأمر الثالث : لمن هو في (سفر) ٠ (٢)

٤ - أن هذا التكرار بالتحويل إلى (المسجد الحرام) : منزل على أصناف المنكرين له : من اليهود ، والمشركون ، والمنافقين (٣) - والله أعلم - ٠
ل - ثم قطع الله تعالى على اليهود كل حجة على هذا التحويل ، حيث يقول سبحانه :

﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأنتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون﴾ ٠ (٤)

أي : عليك - يا محمد - ومن معك من المؤمنين أن تتجهوا في صلاتكم إلى (المسجد الحرام) ؛ لكي تقطعوا دابر حجج اليهود الباطلة ، والتي سقناها في مواضع متفرقة - فيما سبق - ، وها نحن - هنا - نجمع أهمها موجزه ، حيث قالوا :

- « والله ما درى محمد ٠٠٠ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم » ! ٠ (٥)

- « إن محمداً اشتاق إلى بلد أبيه ومولده ، ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو

أن يكون هو صاحبنا الذي ننتظر » ! ٠ (٦)

١ انظر : الرازي : التفسير الكبير ج ٤ ص ١٣٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٥ .

٢ انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٦٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٥ .

٣ انظر : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٢١٠ .

٤ سورة البقرة ، آية : ١٥٠ .

٥ الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢٠ .

٦ المرجع السابق ج ٢ ص ١٢ .

- « يا محمد ما ولاك عن قبلك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ، إرجع إلى قبلك التي كنت عليها تتبع ونصدقك » (١) .
 - « أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه ، وإن كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ، ومن مات عليها فقد مات على ضلالة » (٢) .

- « إن بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة ؛ لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة » (٣) .

وقد فندت الآيات الكريمة - السابقة - تلك الحجج اليهودية الواهية ، وقد نزيد في الرد على حجتهم الأخيرة : (أفضلية بيت المقدس على الكعبة المشرفة) ، بقول الله تعالى :

﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين﴾
 فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ (٤) .

فهذه الآيات الكريمة تحتوي على ميزات لم تكن إلا (المسجد الحرام) وهي :

١ - أن الله تعالى قرر أن (المسجد الحرام) هو أول موضع للعبادة ، حيث يقول سبحانه :

﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ (٥) .

١ المرجع السابق ج ٢ ص ٣ .

٢ د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٦٥ ، و : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٧٩ .

٣ الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١١٠ .

٤ سورة آل عمران ، آية : ٩٦ - ٩٧ .

٥ سورة آل عمران ، آية : ٩٦ .

أي : أن أول بيت وضعه الله تعالى للناس في الأرض ؛ ليكون موضعاً لعبادتهم هو (الكعبة المشرفة) في (المسجد الحرام) في (مكة) ، فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال :

« قلت : يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ ، قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي ؟ ، قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة » (١)

٢ - ثم وصف الله تعالى هذا (البيت الأول) بأوصاف كثيرة ، حيث يقول سبحانه :

﴿مباركاً وهدي للعالمين * فيه آيات بينات ومن دخله كان آمناً﴾ (٢)

أي : أن (بيت الله الحرام) يتصف بأوصاف لا تليق إلا به ، ومنها :

١ - أنه (مبارك) : أي : كثير الخير ؛ بسبب ما يحصل لمن حجه ، واعتمره ، وعكف عنده ، وطاف حوله ، وصلى فيه ، من مضاعفة الأجر ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (٣)

١ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب المساجد ومواضع الصلاة «٥» ، حديث رقم (٥٢٠/١) . ج ١ ص ٣٧٠ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الأنبياء «٦٠» ، (باب «١٠») ، ج ٤ ص ١١٧ . و : سنن ابن ماجه : (كتاب المساجد والجماعات «٤») ، (باب أي مسجد وضع أول «٧») . حديث رقم (٧٥٣) . ج ١ ص ٢٤٨ . و : سنن النسائي : (كتاب المساجد «٨») ، (باب لكر أي مسجد وضع أولا «٣») ، حديث رقم (٦٩٠) ، ج ٢ ص ٣٢ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ١٥٠ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ٩٦ - ٩٧ .

٣ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة «٢٠») ، (باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة «١») ، ج ٢ ص ٥٦ - ٥٧ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الحج «١٥») ، (باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة «٩٤») ، حديث رقم (١٣٩٤/٥٠٦) ، ج

وقد ورد تحديد هذا (الخير) في حديث آخر ، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
 « صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواة » . (١)

ولـ (الحرم) بركات معنوية ومادية :

- فمن بركاته المعنوية : اتجاه المسلمين إليه في صلاتهم ، على اختلاف أجناسهم ، وألوانهم ، وبيئاتهم ، وأزمانهم .
 - ومن بركاته المادية : إتيان المسلمين إليه من كل فج عميق ، ومعهم خيرات الأرض يقدمونها عن طريق تبادل المنفعة أو الصدقة للفقراء حوله ، وفي ذلك إجابة لدعوة إبراهيم - عليه السلام - ، حيث يقول الله تعالى على لسانه :

﴿ربنا أني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من

٢ ص ١٠١٢ ، و : سنن الدارمي : (كتاب الصلاة) ، (باب فضل الصلاة في مسجد النبي ﷺ) .
 ج ١ ص ٣٣٠ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها «٥») ، (باب ماجاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ «١٩٥») ، حديث رقم (١٤٠٤) ، ج ١ ص ٤٥٠ ، و : سنن الترمذي : (أبواب الصلاة) ، (باب ماجاء في أي المساجد أفضل «٢٤٣») ، حديث رقم (٣٢٥) ، ج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨ ، و : سنن النسائي : (كتاب المساجد «٨») ، (باب فضل مسجد النبي ﷺ والصلاة فيه «٧») ، حديث رقم (٦٩٤) ، ج ٢ ص ٣٥ ، و : موطأ الإمام مالك : (كتاب القبلة «١٤») ، (باب ماجاء في مسجد النبي ﷺ «٥») ، حديث رقم (٩) ، ج ١ ص ١٩٦ .

١ سنن ابن ماجه - واللفظ له - : (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها «٥») ، (باب ماجاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ «١٩٥») ، حديث رقم (١٤٠٦) ، ج ١ ص ٤٥١ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ٥ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن ابن ماجه ، حديث رقم (١١١٥) ج ١ ص ٢٣٧ .

الثمرات لعلمهم يشكرون ﴿١﴾

ب - أنه (هدى للعالمين) : أي : مصدر هداية لهم ؛ لأنه قبلتهم ومتعبدتهم .
ج - أن فيه (آيات بينات) : تدل على شرف منزلته ، وعلو مكانته ، ومنها ما ذكر في تلك الآيات الكريمة - السابقة - ، ومنها ما لم يذكر ، ومن تلك الآيات :

١ - أنه (مثابة للناس) .

٢ - أن (من رخله كان آمناً) .

٣ - أن فيه (مقام إبراهيم) .

٥ - أن فيه (الحجر الأسود) .

٦ - أن فيه (بئر زمزم) .

و- (الحرم المكي) أحكام عديدة خاصة فيه ، لا يتسع المقام لحصرها

وتفصيلها ، وحسبنا منها ما ذكرناه ﴿٢﴾

٣ - ثم بين الله تعالى لزوم الحج إلى هذا (البيت) على كل قادر عليه ، حيث يقول سبحانه :

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن

الله غني عن العالمين﴾ ﴿٣﴾

أي : أن الله تعالى فرض على الناس أن يحجوا بيته في (مكة) ، في

أوقات معينة ، وبكيفية مخصوصة ، متى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فعن

(عكرمة) (٤) - رحمه الله تعالى - قال :

١ سورة إبراهيم ، آية : ٣٧ .

٢ لمزيد من المعلومات حول أحكام (مكة) . انظر : كتب الحج والمناسك .

٣ سورة آل عمران ، آية : ٩٧ .

٤ عكرمة : (٢٥ - ١٠٤ هـ = ٦٤٥ - ٧٢٢ م) هو أبو عبدالله عكرمة بن عبدالله البربري المدني ،

مولى عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - ، تابعي ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي

، طاف البلدان ، وأخذ بأراء (نجدة الحروري) ، وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عن أهلها

رأي (الصفري) ، وعاد إلى (المدينة) ، فطلبه أميرها ، فتغيب عنه حتى توفي بـ (المدينة) .

« لما نزلت : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) (١) ،
 قالت اليهود : فنحن مسلمون ... ، فقال لهم النبي ﷺ : أن الله فرض
 على المسلمين حج البيت ، فقالوا : لم يكتب علينا ، وأبوا أن يحجوا (٢)
 ١ ، فأنزل الله تعالى :

﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ (٣)

ولذلك ، فإن من جحد فريضة الحج ، ولم يؤدها مع استطاعته ، فإن الله
 تعالى غني عنه ، وعن حجه ، وعن الناس جميعاً ، فعن علي بن أبي طالب -
 رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت
 يهودياً أو نصرانياً » (٤)

وقد ورد أن جميع الأنبياء - عليهم السلام - كانوا يتوجهون إلى
 (المسجد الحرام) في صلواتهم (٥) ، فعن (الربيع) (٦) - رحمة الله تعالى

انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٣٩٧ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٤ ص ٢٤٤ .

١ سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .

٢ السيوطي : لباب النقول - واللفظ له - ص ٥٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص
 ٣٨٦ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج
 ٤ ص ٢٠ - ٢١ .

٣ سورة آل عمران ، آية : ٩٧ .

٤ سنن الترمذي - واللفظ له - : (كتاب الحج «٧») ، (باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج «٣»)
 ، حديث رقم (٨١٢) ، ج ٣ ص ١٧٦ ، و : سنن الدارمي : (كتاب المناسك) ، (باب من مات
 ولم يحج) ، ج ٢ ص ٢٨ - ٢٩ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (ضعيف) انظر : ضعيف سنن الترمذي حديث
 رقم (١٣٢) ، ص ٩٣ .

٥ انظر : ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٢٨٩ و : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج

٣ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩٤ ، و : السهيلي :
 الروض الانف ج ٢ ص ٢٠١ .

٦ الربيع : لم أستطيع معرفة اسمه كاملاً .

- قال :

» إن يهودياً خاصم (أبا العالية) (١) ، فقال : إن موسى - عليه السلام - كان يصلي إلى صخرة بيت المقدس ، فقال أبو العالية : كان يصلي ٠٠٠ إلى البيت الحرام ، قال : قال : فبيني وبينك مسجد (صالح) (٢) [عليه السلام] ، فإنه ، نحته من الجبل ، قال أبو العالية : قد صليت فيه وقبلته إلى البيت الحرام ، قال الربيع : وأخبرني أبو العالية : أنه مر على مسجد (ذي القرنين) (٣) وقبلته إلى الكعبة ٠ ٠ (٤)

وبناءً على ذلك ، يثبت لنا أن (البيت الحرام) أفضل بيت على وجه الأرض ، حتى من (بيت المقدس) ؛ لأنه أجمع منه للديانات السماوية قاطبة . فاتجاه المسلمين إلى (المسجد الحرام) من شأنه أن يزيل كل الحجج اليهودية ، التي قد تبدو مقبولة في نظر ضعاف العقول ، اللهم إلا حجج

١ أبو العالية : (؟ - ٩٣ هـ = ؟ - ٧١٢ م) هو أبو العالية ربيع بن مهران الرياحي التميمي - بالولاء - البصري . تابعي ، مقريء حافظ مفسر ، أدرك زمن الرسول ﷺ ، وأسلم في عهد (أبي بكر الصديق) - رضي الله عنه - ، ودخل عليه ، قرأ (القرآن الكريم) على (أبي بن كعب) - رضي الله عنه - ، وتصدر للعلم ، حتى ذاع صيته . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٠٧ - ٢١٣ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١٤٤ .

٢ صالح - عليه السلام - : (؟ - ؟) هو صالح بن عبيد بن أسف بن ماشع بن عبيد بن حاذر بن ثمود ، وينتهي نسبه إلى سام بن نوح - عليه السلام - . أرسله الله تعالى إلى قومه قبيلة (ثمود) العربية ، التي تسكن (الحجر) ، المعروفة - حالياً - بـ (مدائن صالح) شمال المملكة العربية السعودية ، وقد أیده الله تعالى بمعجزة (الناقة) ، ولكن أكثرهم كفر به ، فمقرؤوا الناقة ، وكان أول من سطا عليها الشقي (قدار بن سالف) ، فاهلكهم الله تعالى بـ (الصيحة) ، وكانوا أهل (٥٠٠٠ بيت) . ونجى (صالحاً) و (١٢٠ شخصاً) من المؤمنين به ، وقد عاش صالح بعد ذلك - على الراجح - في (الرملة) بـ (فلسطين) ، حتى توفاه الله . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٨ ، و : عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٧٨ - ٩٣ ، و : محمد الصابوني : النبوة والأنبياء ص ٢٢٩ - ٢٣٤ .

٣ راجع : ترجمة (ذي القرنين) ص ٣٥٧ .

٤ الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٣٤ - ٣٥ .

و : انظر : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٢٠١ .

الظالمين من مشركي العرب ، الذين قالوا :

« تحير على محمد دينه ، فتوجه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه ، ويوشك أن يدخل في دينكم » (١) .

فهؤلاء يقول الله تعالى فيهم :

﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم
واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون﴾ (٢) .

أي : لا تخافوا - أيها المسلمون - مطاعن أولئك المشركين ، ولا
تقيموا لما يشاغبون به من أمر القبلة - وغيره - وزناً ، بل اجعلوا
خوفكم مني وحدي ، فإنني كفيلاً أن أرد عنكم كيدهم ، وأحبط سعيهم ،
وبذلك تخرس السنة جميع المغرضين عليكم من اليهود والمشركين -
وغيرهم - ، فأنتم - أيها المسلمون - ما توجهتم إلى (بيت المقدس) ثم إلى
(المسجد الحرام) إلا بأمر ربكم في الحالين ، وهذا من تمام نعمتي عليكم
؛ كي ترشدوا للصواب في كل أموركم ، ومن ضمنها (القبلة) ، فما ضلت عنه
الأمم الأخرى من الحق ، هديناكم إليه وخصصناكم به ؛ ولهذا كانت أمتكم
الإسلامية خير أمة أخرجت للناس (٣) .

وبذلك تكون هذه الآيات الكريمة التي نزلت في شأن (تحويل القبلة من
البيت المقدس إلى المسجد الحرام) قد ثبتت المؤمنين ، ودحضت كل
شبهة أوردها اليهود - ومن هنا نحوهم في الحسد والمكابرة - ضد هذه
المسألة .

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢ ص ١٢ .

و : السيوطي : لباب النقول ص ٣٠ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١٥٠ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٣١ - ٣٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١

ص ١٩٥ ، و : د / محمد الطنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٧٣ .

ج - جدلهم فيما حرم عليهم من الطيبات :

يزعم اليهود أن ما حرم عليهم من الطيبات ، كان محرماً على أبيهم يعقوب (إسرائيل) - عليهم السلام - ! فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم - قال :

« قال اليهود للنبي ﷺ : نزلت التوراة بتحريم الذي حرم إسرائيل على نفسه » (١) .

ولم يكتف اليهود بهذا ، وإنما زعموا - أيضاً - بأن ما حرم عليهم من الطيبات كان محرماً على الأنبياء قبلهم ! ، فعن الكلبي - رحمه الله تعالى - قال :

« قالت اليهود : كل شيء أصبحنا نحرمة فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم ، حتى انتهى إلينا » (٢) .

وهذه الطيبات المحرمة على اليهود ، يدل عليها قول الله تعالى :

﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرما عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ (٣) .

أي : أن الله تعالى حرم على اليهود كل ذي ظفر : (وهو من البهائم والطيور ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والأوز والبط) ، كما حرم الله تعالى عليهم - أيضاً - الشحوم ، إلا ما استثناه في الآية الكريمة -

١ الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٢ - ٣ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج

٤ ص ١ .

٢ الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١١٠ .

٣ سورة الأنعام ، آية : ١٤٦ .

وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم الباطل - هذا - بأن هذه المطاعم محرمة على من سبقهم ، بقوله سبحانه :

﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ (٢) .

أي ، كل أنواع الأطعمة كانت قبل أن ينزل الله تعالى (التوراة) على موسى - عليه السلام - حلالاً لبني إسرائيل ، إلا ما حرمه أبوهم يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - على نفسه منها ، فإنهم حرموه على أنفسهم ، استثنائاً به ، من غير تحريم الله تعالى ذلك عليهم (٣) .

وقد اختلف العلماء في هذا الذي حرمه يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - على نفسه (٤) ، على (ثلاثة أقوال) ، هي :

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٨ ص ٧٢ - ٧٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٦ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ٩٣ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ١ - ٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

٤ قد يتساءل متسائل ، فيقول : كيف أجاز يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - لنفسه أن يحرم عليها بعض المباح الحلال ، مع أن التحليل والتحريم لله وحده ، ولا يجوز لأحد - حتى ولو كان نبياً - أن يحرم الحلال ، ما لم يكن مخبراً عن حكم الله تعالى في هذا التحريم ؟!

وفي الجواب على ذلك ، نقول :

إن يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - لم يحرم ما حرمه على نفسه تحريماً شرعياً ، ولم ينسب هذا التحريم لله تعالى ، وإنما هو امتنع امتناعاً تطوعياً ذاتياً عن أكل بعض الأصناف ، ولم يقل للآخرين إنها حرام ، فتحريمه - هنا - بمعنى اقتناعه الشخصي عن ذلك ، ولا شيء في هذا . انظر : د/ صلاح عبدالفتاح الخالدي : الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص ٢٥ .

فها هو رسول الله محمد ﷺ امتنع عن بعض أنواع الطعام ، مثل العسل ، ولم يقل إنه حرام ، ومع ذلك تصف الآية الكريمة إمتناعه بأنه تحريم ، فمن عاشقة - رضي الله عنها - قالت : « كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ، ويمكث عندها ، فواطأت أنا

١ - أن الذي حرمه إسرائيل - عليه السلام - على نفسه : هو لحوم الإبل

وحفصة عن أيتها دخل عليها ، فلتقل له : أكلت مغافير [صغ شجر العرفط] ، أني أجد منك ريح مغافير ؟ قال : لا ، ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ، فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً ، فأنزل الله تعالى :

﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾ : سورة التحريم ، آية : ٧ .

انظر : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب تفسر القرآن «٦٥») ، (باب تفسير سورة التحريم «٦٦») ج ٦ ص ٦٨ - ٦٩ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الطلاق «١٨») ، (باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق «٣») ، حديث رقم (١٤٧٤/٢٠) ج ٢ ص ١١٠٠ - ١١٠١ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الأشربة) ، (باب في شراب العسل) ، حديث رقم (٣٧١٤) ، ج ٣ ص ٣٣٥ ، و : سنن النسائي : (كتاب الطلاق «٢٧») ، (باب «١٧») ، حديث رقم (٣٤٢١) ، ج ٦ ص ١٥١ - ١٥٢ ، و : مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٢١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٨٧ ، و : الوادي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٦١ - ١٦٢ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : صحيح البخاري : (كتاب الطلاق «٦٨») ، (باب لم تحرم ما أحل الله لك «٨») ج ٦ ص ١٦٧ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الطلاق «١٨») ، (باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق «٣») ، حديث رقم (١٤٧٤-٢١) ، ج ٢ ص ١١٠١ - ١١٠٢ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الأشربة) ، (باب في شراب العسل) ، حديث رقم (٣٧١٥) ج ٣ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ٥٩ ، و : الوادي : أسباب نزول القرآن ص ٤٦٧ - ٤٦٨ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢١٧ - ٢١٨ .

و : قد ورد في نزول هذه الآية الكريمة سبب آخر - أيضاً - ، وهو في (شان تحريم الرسول ﷺ أمته ماريه القبطية - رضي الله عنها - على نفسه) . انظر : مستدرك الحاكم (كتاب التفسير) ج ٢ ص ٤٩٣ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ١١٥ - ١٥٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٨٦ ، و : الوادي : أسباب نزول القرآن ص ٤٦٦ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢١٧ ، و : الوادي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٦٢ .

يقول ابن حجر - رحمه الله تعالى - في وقوع هذين السببين :

« فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً » : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٦٥٧ .

ويقول الشوكاني - رحمه الله تعالى - :

« فهذان سببان صحيحان لنزول الآية ، والجمع ممكن بوقوع القضيتين : قضية العسل ، وقضية مارية ، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً » : فتح القدير ج ٥ ص ٢٥٢ .

وألبانها (١) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« إن عصابة من اليهود حضرت رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ... ، أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة ؟ ، قال : فأنتدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل (يعقوب) - عليه السلام - مرض مرضاً شديداً ، فطال سقمه ، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ، ليحرمن أحب إليه وأحب الطعام إليه ، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ ، فقالوا : اللهم نعم » . (٢)

٢ - أن الذي حرمه إسرائيل - عليه السلام - على نفسه : هو العروق (٣) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« كان إسرائيل يأخذه عرق (النسا) (٤) ، فكان يبيت وله (زقاء) (٥) ، فجعل لله عليه إن شفاه أن لا يأكل العروق » . (٦)

٣ - أن الذي حرمه إسرائيل - عليه السلام - على نفسه : هو العروق

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٤ .

٢ مستند الإمام أحمد - واللفظ له - ج ١ ص ٢٧٣ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٨١ ، و : الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٣-٢ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٤ - ٥ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١١٠ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٣ .

٤ النسا : عرق من الورك إلى الكعب . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة النسوة) ج ٤ ص ٣٩٥ .

٥ الزقاء : الصباح . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الزقاء) ، ج ٤ ص ٣٣٩ .

٦ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٤ ص ٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٨٢ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٤ - ١ .

ولحوم الإبل مجتمعان ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال :
 « حرم [أي : إسرائيل] العروق ولحوم الإبل ، قال : ان به عرق النساء ، فأكل من لحومها ، فبات ليلته يزقو ، فحلف أن لا يأكله أبداً » (١) .
 وهذا القول الأخير : تحريم العروق ولحوم الإبل ، هو ما رجحه
 الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ، واستدل على ذلك بـ « أن اليهود
 مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمها كما كان عليه من ذلك أوائلها » (٢)
 - والله أعلم - .

فلما أنزل الله تعالى (التوراة) حرم عليهم فيها بعض الطيبات -
 المذكورة في آية الأنعام السابقة - ؛ بسبب بغيهم وظلمهم .
 وقد تضمنت الآيتان الكريمتان - السابقتان - تنديداً باليهود في أمور
 كثيرة ، من أهمها : (٣)

١ - إبطال حجتهم فيما يتعلق بـ (قضية النسخ) - وقد تحدثنا عن هذه القضية
 تفصيلاً فيما مضى - (٤) .

٢ - تكذيب دعواهم في أن ما حرم عليهم من الأطعمة إنما كان محرماً على
 من سبقهم ، ولم يكن بسبب بغيهم وظلمهم ، بما جاء في آخر آية الأنعام
 الكريمة - السابقة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ (٥) .

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ (٦) .

١ الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٥ .

٢ المرجع السابق ج ٤ ص ٥ .

٣ انظر : د / محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٧٧ - ١٨٠ .

٤ راجع : (جدلهم في قضية النسخ) ص ٣٠٣ .

٥ سورة الأنعام ، آية : ١٤٦ .

٦ سورة النساء ، آية : ١٦٠ .

٣ - تحديهم بكتابهم (التوراة) ، إن كانوا صادقين في دعواهم ، بما جاء في آخر آية آل عمران - السابقة - وما بعدها ، حيث يقول سبحانه :

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين * فمن افترى على الله الكذب فأولئك هم الظالمون﴾ (١) .

أي : اطلب منهم - يامحمد - إحضار (التوراة) ، وقراءة مايزعمونه فيها من أن ما حرم عليهم من الأطعمة كان محرماً على من سبقهم ، فإنها ناطقة - في هذه المسألة (٢) - بالحق ، إن كانوا صادقين ، ولكنهم قوم يفترون (٣) .

وبناءً على ذلك ، يثبت لنا أن ما حرم على اليهود من الطيبات لم يكن محرماً على من سبقهم ، وإنما حرم عليهم وحدهم ؛ بسبب بغيهم وظلمهم .

وبعد ، فهذه أهم القضايا التي جادل فيها اليهود القاطنون في (المدينة) رسول الله ﷺ ، حيث يتضح من خلالها أنهم في هذا المجال الذي يقوم على الأقاويل الكاذبة ، والدعاوى الباطلة ، والمزاعم الحاقدة ، سباقين ، لا يشق لهم أحد غبار ؛ فقد كان جدالهم للرسول ﷺ في (الشؤون الدينية) - والتي تحدثنا عنها تفصيلاً فيما مضى - صادراً منهم عن سوء نية ، وخبث طوية ، وليس من أجل الوصول إلى الحق ، وإنما من أجل إظهار الرسول ﷺ بمظهر العاجز عن مقارعة حججهم ، ومجابهة براهينهم !

فما هذه (المجادلات) - إذن - إلا نوع من أنواع العناد اليهودي للحق

١ سورة آل عمران ، آية : ٩٣ - ٩٤ .

٢ لمعرفة نصوص التوراة في إباحة الأطعمة على الأمم السابقة على اليهود ، وتحريمها عليهم هم - فقط - ٠ راجع : (الأدلة من المصادر اليهودية) على وقوع النسخ ص ٣٠٨ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٥ - ٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص

، والمعاند - حتى ولو اتضح له الحق - لا ينفع معه دليل أو برهان ، وصدق
الله العظيم القائل فيهم :

﴿وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (١) .

ولقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (مجادلتهم للرسول ﷺ في
الشؤون الدينية) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

١ - محاولة الإيحاء بأن لهم إلهاً خاصاً بهم ، لا يشاركون فيه أحد سواهم
من البشر ! .

٢ - محاولة إنكار أن تكون الشرعية الإسلامية ناسخة لشريعتهم
اليهودية ! .

٣ - محاولة التشكيك بصحة القرآن الكريم ! .

٤ - محاولة التشكيك بصدق الرسول ﷺ ! .

٥ - محاولة صرف الناس الذين لم يؤمنوا - بعد - بالإسلام عن
الدخول فيه ! .

٦ - محاولة إثارة البلبلة في نفوس المسلمين ، وذلك بحملهم على الردة أو
النفاق ! .

٧ - محاولة القضاء على الإسلام نهائياً ! .

إلى غير ذلك من الأغراض التي عرضنا لها - عند الحاجة - في
مواضعها المناسبة .

ولكن اليهود لم ينجحوا - والحمد لله تعالى - في مبتغاهم ؛ لأن
(القرآن الكريم) - كما رأينا - وقف لكل ماجادلوا فيه الرسول ﷺ
بالمرصاد ، مفنئاً لكل الشبهات التي أثاروها ، من خلال : أقاويلهم الكاذبة
، ودعاواهم الباطلة ، ومزاعمهم الحاقدة ، بالبراهين الدامغة ، التي تثبت

١ سورة البقرة ، آية : ١٤٦ .

المؤمنين ، وأخرست الكافرين ، فبهتوا ، وانقلبوا صاغرين .

ثالثاً: محاولتهم إثارة جدل ديني بين الرسول ﷺ والطوائف الأخرى :

لم يكتف اليهود بإثارة المجادلات - التي فصلناها في الفقرة السابقة - بأنفسهم ، وإنما تجاوزا ذلك إلى محاولة إثارة جدل ديني بين الرسول ﷺ وبين الوفد النصراني القادم من نجران ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« قال (أبو رافع القرظي) ، حين اجتمعت الأحزاب من اليهود والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ ، فقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له الرئيس : أذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال ، فقال رسول الله ﷺ : معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني ، أو كما قال ! (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياً أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ (٢) .

أي : لا ينبغي لبشر آتاه الله تعالى الكتاب والحكم والنبوة أن يدعو الناس إلى عبادة غير الله تعالى ، سواء أكانت نفسه ، أم أحد الأنبياء

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٣ ص ٣٢٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ -

٢ ص ٥٥٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٧ ، و : الواحدي : أسباب

نزول القرآن ص ١٠٨ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٥٤ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ٧٩ - ٨٠ .

المرسلين ، أم الملائكة المقربين ، وإنما يدعوهم لأن يكونوا علماء الدين ؛ لأن الأنبياء - وعلى رأسهم محمد ، عليهم الصلاة والسلام - لا يأمرُونَ بالكفر ، وإنما يأمرُونَ بالإيمان ، وهو عبادة الله تعالى وحده ، لا شريك له . (١)

وهذه الآية الكريمة تتضمن الرد على اليهود الذين سألوا الرسول ﷺ هذا السؤال المتعنت : (أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟) ! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .
ذلك أن اليهود وهم يعايشون الرسول ﷺ منذ هاجر إلى (المدينة) يعلمون - عليم اليقين - أن دعوته توحيدية خالصة ، حيث لم يذكر أكثر من أنه نبي مرسل من عند الله تعالى ؛ ليأمر الناس بعبادته ، وحده لا شريك له . (٢)

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (محاولتهم إثارة جدل ديني بين الرسول ﷺ والطوائف الأخرى) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :
١ - محاولة صد هذا الوفد عن قبول دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام ، عن طريق إثارة جدل ديني بينهما ؛ لأن الجدل من شأنه أن يثير العصبية ، وبذلك يصاب هذا الوفد بصدمة في عواطفه الطيبة ، التي تحركت فيه نحو الخير ، فجعلته يفد من بلاده البعيدة في (نجران) إلى رسول الله ﷺ في (المدينة) !

٢ - محاولة إغراء الرسول ﷺ بأن يدعو إلى عبادة نفسه ، مع علمهم الأكيد أن ذلك مستحيل عليه ؛ لأنهم يعرفون أنه نبي الله ورسوله حقاً ، فهو معصوم بعصمة الله تعالى له ، ولكنه الأمل الذي يراود عقولهم المريضة ؛ رغبة في ضلال البشر ، حتى ولو أدى أن ينازع الله تعالى فيما يختص به وحده !
٣ - محاولة التشهير بدعوة الرسول ﷺ عن طريق إحراجه بهذا السؤال ،

١ - انظر : الطبري : جامع البيان ج ٣ ص ٣٢٤ - ٣٢٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٨٨ .

٢ - انظر : عبدالرحمن الميداني : مكائد يهودية ص ٨٠ .

حتى يسكت عن إجابة السائل ؛ مجاملة للوفد النصراني ؛ خشية من أن يجرح في عواطفه فيما يمس معتقداته - الباطلة - حول ألوهية المسيح عيسى - عليه السلام - .

ولكن الرسول ﷺ أجاب الجواب الديني الهادي ، الذي ليس فيه جدل ولا إثارة عواطف ، حين قال لهم - كما رأينا - :
« معاذ الله أن نعبد غير الله ، وأو تأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني » .

مما أفسد على اليهود - والحمد لله تعالى - كيدهم . (١)

رابعاً : محاولتهم إحراج الرسول ﷺ بالأسئلة التعنتية :

لقد حاول اليهود إحراج الرسول ﷺ من خلال الأسئلة المتكررة ، التي كانوا يوجهونها إليه ؛ أملاً في عدم جوابه ؛ لإظهاره أمام الناس بمظهر العاجز عن إجابة مطالبهم ؛ ، ومن ذلك :

١ - سؤالهم : عن علامة النبي :

من الأسئلة التعنتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، سؤالهم :
عن (علامة النبي) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم . . .
أخبرنا عن علامة النبي ؟ قال : تنام عينه ولا ينام قلبه » . (٢)

٢ - سؤالهم : عن الروح :

١ انظر : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٨٠ - ٨١ .
٢ مسند الإمام أحمد - واللفظ له - : ج ١ ص ٢٧٤ ، وقال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله تعالى -
- عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر مسند الإمام أحمد ، حديث رقم (٢٤٨٣) ج ٤ ص ١٦١ .

ومن الأسئلة التعنتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، سؤالهم

عن (الروح) (١) ، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال :

الروح : من الالفاظ التي تردت في مواضع عديدة في (القرآن الكريم) و(الحديث الشريف) ، وغيرهما ، وهي : شيء لا نعلم حقيقته ؛ لأن مما جهل العباد يعلمه ، مع اليقين بوجوده ، بدليل قول الله تعالى :

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ : سورة الإسراء ، آية : ٨٥ .

وقد ورد لفظ (الروح) في (القرآن الكريم) بمعان مختلفة ، حيث وردت : بمعنى (الحياة) ، نحو قوله تعالى : ﴿ثم سواه فنفخ فيه من روحه﴾ : سورة السجدة ، آية : ٩ .

و : بمعنى (القرآن الكريم) ، نحو قوله تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ : سورة الشورى ، آية : ٥٢ .

و : بمعنى (الرحمة) ، نحو قوله تعالى : ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ : سورة المجادلة ، آية : ٢٣ .

و : بمعنى (جبريل) - عليه السلام - ، نحو قوله تعالى : ﴿نزل به الروح الامين﴾ : سورة الشعراء ، آية : ١٩٣ . انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٢ ص ٥٨٨ - ٥٨٩ .
ولهذه المعاني - السالفة - ، اختلف العلماء في المراد بـ (الروح) ، التي جاءت في سؤال اليهود على رأيين ، هما :

١ - أن المراد بالروح : ملك من الملائكة - عليهم السلام - . وقد اختلف في هذا الملك ، فقيل : جبريل - عليه السلام - ، وقيل : ملك عظيم بقدر المخلوقات كلها ، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال في قوله : ﴿يسألونك عن الروح﴾ :

« هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان ، لكل لسان منها سبعون ألف لغة ، يسمح الله عز وجل ، بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة » : الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ١٥ ص ١٥٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦١ .

٢ - أن المراد بالروح : روح الإنسان ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« إن اليهود قالوا للنبي ﷺ : أخبرنا ما الروح ، وكيف تعذب الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من الله عز وجل ؟ ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يحر إليهم شيئاً ، فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال له : ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ ، فأخبرهم النبي ﷺ بذلك ، فقالوا له : من جاءك بهذا ؟ فقال لهم النبي ﷺ : جأني به جبريل من عند الله ، فقالوا : والله ما قاله لك إلا عدونا ، فأنزل الله تبارك اسمه : ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزل على قلبه﴾ : الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ١٥ ص ١٥٦ ، و : ابن كثير :

« بينما أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب ، إذ مر اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ... ، فسألوه عن الروح ، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقامت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» (١) » (٢) .

وهذا السياق يقتضي أن هذه الآية الكريمة (مدنية) مع أنها (مكية) ؛ لأنها نزلت جواباً على سؤال كفار قريش الذين استشاروا اليهود في معرفة صدق الرسول ﷺ - كما سبق أن ذكرنا - (٣) .
وقد أجاب الإمام (ابن كثير) (٤) - رحمة الله تعالى - عن ذلك بقوله :

تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦٦ .

وهذا الرأي الأخير هو الراجح - في نظري - والله أعلم .

هذا ، وقد شغل كثير من المفكرين والفلاسفة في الحديث عن (ماهية الروح) ، ولكننا نمسك عن الخوض فيه ، حيث لا طائل تحته ؛ لأن (الروح) مما استأثر الله تعالى بعلمه دون البشر - والله أعلم - .

١ سورة الإسراء . آية : ٨٥ .

٢ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب تفسير القرآن «٦٥») . (تفسير سورة بني إسرائيل «١٧») ، (باب ويسألونك عن الروح «١٣») ، ج ٥ ص ٢٢٨ ، و : صحيح مسلم : (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم «٥٠») ، (باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح «٤») ، حديث رقم (٣٢-٢٧٩٤/٢٤-٣٢) ، ج ٤ ص ٢١٥٢-٢١٥٣ ، و : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب تفسير سورة الإسراء «١٨») ، حديث رقم (٣١٤١) ، ج ٥ ص ٣٠٤-٣٠٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٣٨٩ ، و : الطبري : جامع البيان ج ١٥ ص ١٥٥ - ١٥٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦٠ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٩٩ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٣٩ - ١٤٠ ، و : الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٩٤ - ٩٥ .

٣ راجع : (علم اليهود بمبعث الرسول ﷺ في مكة) ص ٦٥ .

٤ ابن كثير : (٧٠١ - ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٧٣م) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، البصري ثم الدمشقي . حافظ ، مؤرخ ، مفسر ، ولد في قرية من أعمال (بصرى) ، وانتقل إلى (دمشق) ، ورحل في طلب العلم ، تناقل الناس تصانيفه في حياته ، ومن أهمها : (البداية والنهاية) ، و (الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ) و (تفسير القرآن

« قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه وهي : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ » (١)

وقد احتج اليهود على ما جاء في آخر الآية الكريمة - السابقة - : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ : بسعة علمهم الذي تحويه (التوراة) ، فعن (عطاء بن يسار) (٢) - رحمه الله تعالى - قال :

« لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أخصاب يهود ، فقالوا : يا محمد ، ألم يبلغنا أنك تقول : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، أفنعيننا أم قومك ؟ ، قال : كلا قد عنيت ، قالوا : فإنك تتلوا أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله ﷺ : هي في علم الله قليل ، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم » (٣) ، فأنزل (٤) الله تعالى :

العظيم) ، و (طبقات الفقهاء الشافعية) ، و (الاجتهاد في طلب الجهاد) ، و (جامع المسانيد) ، و (اختصار علوم الحديث) ، و (اختصار السيرة النبوية) ، و (التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل) ، و (شرح صحيح البخاري) - لم يكمله - توفي بـ (دمشق) . انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٦ ص ٢٣١ ، و : الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٣٢٠ .

١ تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦٠ .
٢ عطاء بن يسار : (؟ - ٩٤ هـ = ؟ - ٧١٣ م) هو أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي ، مولى أم المؤمنين ميمونة - رضى الله عنها - من أهل (المدينة) ، ثقة ، صاحب وعظ وعبادة . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٤٨ - ٤٤٩ ، و : ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٣٩٢ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ١٥ ص ١٥٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦٠ - ٦١ و ٤٥١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣٦٣ . ٣٦٤ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٦٩ .

٤ في رواية - أخرى - : فأنزل الله تعالى : ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مداد﴾ : سورة الكهف ، آية : ١٠٩ . انظر : سنن الترمذي :

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده

سبعة (١) أبحر ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ (٢)

فـ (الروح) مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه ، أما ما أطلعهم عليه من علم - كـ (التوراة) - ، فهو في علم الله قليل ، حيث يقول عن نفسه سبحانه :

﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ (٣)

وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : قال موسى للخضر - عليهما السلام - :

« أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ، قال : يا موسى إنني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه ... ، فلما ركبا في السفينة جاء عصفور ، فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين ، قال له الخضر : يا موسى مانقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور بمنقاره من البحر » (٤)

(كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب تفسير سورة الإسراء «١٨») ، حديث رقم (٣١٤٠) ، ج ٥

ص ٣٠٤ ، و : مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢٥٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣

ص ٦٠ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣٠٨ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٤٤

، و : الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٩٥ .

١ يقول الإمام بن كثير - رحمه الله تعالى - :

«وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ، ولم يرد الحصر ، ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿فلو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ : [سورة الكهف ، آية : ١٠٩] ، فليس المراد بقوله : (بمثله) آخر فقط ، بل بمثله ، ثم بمثله ، ثم بمثله ، ثم هلم جرا ؛ لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته » : تفسير القرآن

العظيم ج ٣ ص ٤٥١ .

٢ سورة لقمان ، آية : ٢٧ .

٣ سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

٤ الحديث سبق تخريجه . راجع : ص ٣٠٧ .

٣ - سؤالهم : عن ذي القرنين :

ومن الأسئلة التعنتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ سؤالهم :

عن ذي القرنين (١) ، فعن ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - قال :

« جاء حي بن أخطب وكعب بن أسد وأبورافع وأشيع وشمویل بن زيد

، إلى رسول الله ﷺ ، فسأله عن ذي القرنين » (٢) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً * إنا كنا

له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً * فأتبع سبباً * حتى إذا

بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً

قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً * قال أما

من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً * وأما من

آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً *

ثم أتبع سبباً * حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم

١ ذو القرنين : (٩ - ٩) رجل من عباد الله تعالى الذين منحهم القوة والوسيلة ، وقد وردت قصته

في القرآن الكريم : (سورة الكهف ، آية : ٨٣ - ٩٨ . راجع الآيات الكريمة أعلاه) . وقد وقع

الخلاف بين العلماء فيه : هل هو : ملك من الملائكة ، أم نبي من الأنبياء ، أم ملك من الملوك ،

أم عبد من عباد الله الصالحين . ثم اختلفوا - أيضاً - في اسمه ، فقيل : إنه الإسكندر

المقدوني ، وقيل : غيره ، وهو الأرجح - والله أعلم - . كما اختلفوا - أيضاً - في سبب

تسميته بـ (ذي القرنين) ، فقيل : لأنه كان على رأسه ما يشبه القرنين ، وقيل : لأنه كان لتاجه

قرنان ، وقيل : لأنه كان له صغيرتان ، وقيل : لأنه رأى حلاًماً في المنام كأنه تعلق بطرفي

الشمس ، وقيل : لأنه دخل البؤر والظلمة ، وقيل : لأنه ملك فارس والروم ، وقيل : لأنه انقضى

في زمنه قرنان من الناس ، وقيل : لأنه طاف قرني الدنيا شرقاً وغرباً - والله أعلم - . ولذلك

نمسه عن التوسع في هذه الخلافات ؛ لأنه لا طائل تحتها ، حيث لم يثبت فيه نص صحيح -

والله أعلم - . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٨ ، و : ابن كثير :

البداية والنهاية ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٩ ، و : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٥٩ - ٦١ .

٢ ابن هشام - واللفظ له - : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٥٧١ ، و : الواحدي : أسباب نزول

القرآن ص ٣٠٧ .

نجعل لهم من دونها سترًا * كذلك وقد أخطأ بما لديه خبراً * ثم
أتبع سبباً * حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا
يكادون يفقهون قولاً * قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج
مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم
سداً * قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم
ردماً * آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا
حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً * فما استطاعوا أن
يظفروه وما استطاعوا له نقباً * قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء
وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً (١) .

٤ - سؤالهم : عن ذكورة الولد وأنوثته :

ومن الأسئلة التعنتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ سؤالهم :
عن ذكورة الولد وأنوثته ، فعن (ثوبان) (٢) - رضي الله عنه - قال :
" كنت قائماً عند رسول الله ﷺ ، فجاء خبر من أحبار اليهود ، فقال :
السلام عليك يا محمد ! ، جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل
الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : ينفعك إن حدثتك ؟ ، قال : أسمع
بأذني ، قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة

١ سورة الكهف ، آية : ٨٣ - ٩٨ .

٢ ثوبان : (٩ - ٥٤ هـ = ٦٧٤-٩٠ م) هو أبو عبدالله ثوبان بن يجدد . صحابي ، مولى الرسول
ﷺ ، أصله من أهل السراة (بين مكة واليمن) ، اشتراه الرسول ﷺ ، ثم أعتقه ، فلم يزل
يخدمه ، حتى انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، فخرج إلى الشام ، فنزل (الرملة) ، ثم
انتقل إلى (حمص) . روى (١٢٨ حديثاً) ، توفي بـ (حمص) . انظر : الذهبي : سير أعلام
النبلاء ج ٣ ص ١٥ - ١٨ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٢٠٥ ، و :
الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٠٢ .

أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ،
وإذا علا مني المرأة مني الرجل آثنا بإذن الله • قال اليهودي : قد صدقت
، وإنك لنبي ثم انصرف فذهب « ١ » (١)

٥ - سؤالهم : عن الرعد :

ومن الأسئلة التعنتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، سؤالهم
: عن الرعد ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ••• ،
أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال : ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب
بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب ، يسوقه حيث أمر الله ،
قالوا : فما هذا الصوت الذي يسمع ؟ ، قال : صوته • قالوا : صدقت !
» (٢) .

٦ - سؤالهم : عن كلام الميت :

ومن الأسئلة التعنتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، سؤالهم
: عن كلام الميت ، فعن (أبي نملة الأنصاري) (٣) عن أبيه - رضي الله عنه

١ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الحيض «٣») ، (باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن
الولد مخلوق من مائهما «٨») ، حديث رقم (٣١٥/٣٤) ، ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، و : مسند
الإمام أحمد : ج ١ ص ٢٧٤ .

٢ مسند الإمام أحمد - واللفظ له - : ج ١ ص ٢٧٤ ، و : قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله
تعالى - عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) • انظر : مسند الإمام أحمد ، حديث رقم
(٢٤٨٣) ج ٤ ص ١٦١ .

٣ أبو نملة الأنصاري : (القرن ١ ق ١٠هـ - ١هـ = ٧ م) هو أبو نملة عمار بن معاذ بن زرارة بن
عمرو الظفري الخزرجي • صحابي ، شهد (موقعة بدر) مع أبيه ، ثم شهد المشاهد كلها بعد
ذلك • توفي في خلافة عبد الملك بن مروان • انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤

- قال :

» بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ وعنده رجل من اليهود ، مر بجنائز ، فقال : يا محمد : هل تتكلم هذه الجنائز ؟ ، فقال النبي ﷺ : الله أعلم ، فقال اليهودي : إنها تتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ، ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله ورسله ، فإن كان باطلا لم تصدقوه ، وإن كان حقاً لم تكذبوه « . (١)

٧ - سؤالهم : عن أول أيام الآخرة :

ومن الأسئلة التعنيتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ، سؤالهم : عن أول أيام الآخرة ، من حيث ما يأتي :

- موقع الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .
- أول الناس عبوراً على الصراط .
- هدية المؤمنين وغداؤهم وشرابهم حين دخولهم الجنة .

فعن ثوبان - رضي الله عنه - قال :

» كنت قائماً عند رسول الله ﷺ ، فجاء خبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد ! ... ، جنث أسألك ، فقال له رسول الله ﷺ : أينفعك شيء إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني . فنكتت (٢) رسول الله ﷺ بعود معه ،

ص ١٩٧ .

١ سنن أبي داود - واللفظ له - : (كتاب العلم) ، (باب رواية حديث أهل الكتاب) : حديث رقم (٣٦٤٤) ، ج ٣ ص ٣١٨ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ١٣٦ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث إنه (ضعيف) . انظر : ضعيف سنن أبي داود حديث رقم (٧٨٦) ص ٣٦٢ .

٢ النكت : الضرب في الأرض بقضيب فيؤثر فيها . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة النكت) ج ١ ص ١٥٩ .

فقال : سل ، فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر . قال : فمن أول الناس إجازة ؟ ، قال : فقراء المهاجرين . قال اليهودي : فما تحفتهم (١) حين يدخلون الجنة ؟ ، قال : زيادة كبد النون (٢) . قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ ، قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا . قال : صدقت « (٣)

فاليهود في الواقع لا يؤمنون - عموماً - بـ (اليوم الآخر) - كما فصلنا ذلك فيما مضى - (٤) - أما هذه المعلومات - التي ذكرناها عنهم قبل قليل - فهي من محفوظاتهم ، التي أرادوا منها إحراج الرسول ﷺ بمثل هذه الأسئلة التي يظنون أن ليس عنده لها جواباً .

والأسئلة التعنتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ ؛ بقصد إظهاره بمظهر العاجز عن الإجابة عليها كثيرة ، عرضنا لمجموعة أخرى منها في مواضع متفرقة كانت - في رأينا - أنسب لها ، مثل ما يأتي :

٨ - سؤا لهم الرسول ﷺ : أن يأتيهم بقربان تأكله النار ! (٥)

٩ - سؤا لهم الرسول ﷺ : هل يؤمن بالتوراة ! (٦)

١٠ - سؤا لهم الرسول ﷺ : أن ينزل عليهم كتاباً من السماء . (٧)

١ التحفة : البر واللفظ والطرفة . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة التحفة) ج ٣ ص ١٢٠ .

٢ النون : هو الحوت . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة النون) ج ٤ ص ٢٧٤ .

٣ صحيح مسلم : (كتاب الحيض «٣») ، (باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما «٨») ، حديث رقم (٣٤/٣١٥) ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

٤ راجع : (عقيدتهم في اليوم الآخر) ص ٢٧٤ .

٥ راجع : (بعواهم أن محمد ﷺ لا تستنده المعجزات) ص ٢٧٤ .

٦ راجع : (بعواهم أنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم فقط) ص ١٤١ .

٧ راجع : (طلبهم أن ينزل الرسول ﷺ عليهم كتاباً من السماء) ص ١٢٦ .

- ١١ - سؤالهم الرسول ﷺ : أن يفجر لهم أنهاراً ! (١)
- ١٢ - سؤالهم الرسول ﷺ : أن يكلمهم الله تعالى مباشرة ! (٢)
- ١٣ - سؤالهم الرسول ﷺ : عن ذات الله تعالى . (٣)
- ١٤ - سؤالهم الرسول ﷺ : أمع الله إلهاً آخر ! (٤)
- ١٥ - سؤالهم الرسول ﷺ : عن صاحبه من الملائكة - عليهم السلام - (٥)
- ١٦ - سؤالهم الرسول ﷺ : هل ما جاء به من عند الله تعالى هو الحق ! (٦)
- ١٧ - سؤالهم الرسول ﷺ : عمن يؤمن به من الرسل - عليهم السلام - (٧)
- ١٨ - سؤالهم الرسول ﷺ : عن الساعة ! (٨)
- ١٩ - سؤالهم الرسول ﷺ : عما حرم إسرائيل (يعقوب) - عليه السلام - على نفسه ! (٩)
- ٢٠ - سؤالهم الرسول ﷺ : هل يدعو إلى عبادة نفسه ! (١٠)
- لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (محاولتهم إحراج الرسول ﷺ)

-
- ١ راجع : (طلبهم أن يفجر الرسول ﷺ لهم أنهاراً) ص ١٢٩.
- ٢ راجع : (طلبهم أن يكلمهم الله تعالى مباشرة) ص ١٣٢.
- ٣ راجع : (تهجمهم على ذات الله تعالى) ص ١٦٠.
- ٤ راجع : (إشراكهم بالله تعالى) ص ١٦٢.
- ٥ راجع : (جدلهم في جبريل - عليه السلام -) ص ١٨١.
- ٦ راجع : (إنكارهم أن يكون القرآن الكريم مفزلاً من عند الله تعالى) ص ٢١٥.
- ٧ راجع : (جدلهم في نبوة عيسى - عليه السلام -) ص ٢٧٢.
- ٨ راجع : (جدلهم في اليوم الآخر) ص ٢٩١.
- ٩ راجع : (جدلهم فيما حرم عليهم من الطيبات) ص ٣٤٣.
- ١٠ راجع : (محاولتهم إثارة جدل ديني بين الرسول ﷺ والطوائف الأخرى) ص ٣٥٠.

بالأسئلة التعنتية) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

- ١ - إزعاج الرسول ﷺ وشغله بهذه الأسئلة التعنتية ! •
- ٢ - إظهار الرسول ﷺ بمظهر العاجز عن الإجابة على أسئلتهم ! •
- ٣ - محاولة إلقاء الشك في قلوب ضعفاء الإيمان من المسلمين ؛ ليرتدوا عن دينهم ! •

٤ - محاولة صد الناس الذين لم يؤمنوا - بعد - بالإسلام عن الدخول فيه ! •
ولكن اليهود - والحمد لله تعالى - خابوا في مسعاهم ذلك ؛ فقد أجاب الرسول ﷺ على أسئلتهم جميعاً ، بما يخرس أسئلتهم ، فانقلبوا على أعقابهم خاسرين •

ذلك أن اليهود كثيراً ما يعطون الرسول المواقف إن هو أجاب على أسئلتهم تلك ، أن يؤمنوا به ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال:

« أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، إنا نسألك عن خمس أشياء ، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك ، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيهِ إذ قالوا : الله على ما نقول وكيل » • (١)
ولكن اليهود - كعادتهم - نكثوا ما عاهدوا رسول الله ﷺ عليه ، حين أجابهم ؛ مما يدل على أن غرضهم من تلك الأسئلة : ليس التحقق من صدقة - كما زعموا - ، وإنما كان غرضهم : التعنت فيها ؛ لتحقيق تلك الأغراض - التي ذكرناها قبل قليل - •

١ مسند الإمام أحمد - واللفظ له - : ج ١ ص ٢٧٤ ، و : قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله تعالى - عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) • انظر : مسند الإمام أحمد ، حديث رقم (٢٤٨٣) ج ٤ ص ١٦١ •

خامساً : محاولاتهم استدراج الرسول ﷺ بعروض المزالق :

لقد حاول اليهود استدراج الرسول ﷺ من خلال عروضهم الماكرة التي يوجهونها إليه أن ينزلق في إجابة باطلة ، تؤدي به إلى الفتنة في الدين ، ومن ذلك :

١ - محاولتهم أن يقر الرسول ﷺ حكمهم الوضعي في الزاني المحصن :

لقد حاول اليهود أن يقر الرسول ﷺ حكمهم الوضعي في أحد الزناة اليهود المحصنين ، وهو الجلد والتحميم (١) ، بدل الحكم الإلهي ، وهو الرجم ! ، فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال :

« مر على النبي ﷺ يهودي محمماً مجلوداً ، فدعاهم ﷺ ، فقال : هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ و قالوا : نعم : فدعا رجلاً من علمائهم ، فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ ، قال : لا ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، قلنا : تعالوا فلنجتمع على شيء نقيم على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم » (٢) ، فأنزل الله تعالى :

١ التحميم : التسويد بالغم . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة حم) ج ٤ ص ١٠١ .

٢ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الحدود «٢٩») ، (باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا «٦») ، حديث رقم (١٧٠٠/٢٨) ، ج ٣ ص ١٣٢٧ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الحدود «٢٠») ، (باب رجم اليهودي واليهودية «١٠») ، حديث رقم (٢٥٥٨) ، ج ٢ ص ٨٥٥ ، و : سنن أبي

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ

داود : (كتاب الحدود) ، (باب في رجم اليهوديين) ، الحديثان رقم (٤٤٤٧ - ٤٤٤٨) ، ج ٤ ص ١٥٤ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ٢٨٦ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٩ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ١٨٨ - ١٨٩ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٩١ - ٩٢ ، و : الواحدي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٥٨ - ٥٩ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : صحيح البخاري : (كتاب الحدود «٨٦») ، (باب الرجم في البلاط «٢٤») ، ج ٨ ص ٢٢ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الحدود «٢٩») ، (باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا «٦») ، حديث رقم (١٦٩٩/٢٦) ، ج ٣ ص ١٣٢٦ ، و : سنن الدارمي : (كتاب الحدود) ، (باب في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين) ، ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الحدود) ، (باب في رجم اليهوديين) ، الأحاديث رقم (٤٤٤٩-٤٤٥٢) ، ج ٤ ص ١٥٣ - ١٥٦ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ٥ ، و : موطأ الإمام مالك : (كتاب الحدود «٤١») ، (باب ماجاء في الرجم «١») ، حديث رقم (١) ، ج ٢ ص ٨١٩ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ٢٣٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٨ - ٥٩ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٨٩ - ١٩٠ .

و : قد ورد في نزول هذه الآيات الكريمة سبب آخر - أيضاً - ، وهو في (قضية قتل بين يهود بني قريظة وبني النضير) . انظر : سنن أبي داود : (كتاب الديات) ، (باب النفس بالنفس) ، حديث رقم (٤٤٩٤) ، ج ٤ ص ١٦٨ ، و : سنن النسائي : (كتاب القسامة «٤٥») ، (باب تأويل قول الله تعالى : وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط «٧-٩») ، الحديثان رقم (٤٧٣٢ - ٤٧٣٣) ، ج ٨ ص ١٨ - ١٩ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٢٤٦ ، و : مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٩٢ - ٤٩٣ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ٢٣١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٠ - ٦١ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٩١ ، و : الواحدي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٥٩ - ٦٠ .

و : قد قرر العلماء أنه لا مانع من تعدد أسباب النزول للآية الواحدة أو الطائفة من الآيات . انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٦٥٧ ، و : الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٢٥٢ .

فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم * سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين * وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) (١)

فهذا الحديث الشريف - الذي سبق - يدل على أن الرسول ﷺ حكم بموافقة التوراة ، " وليس هذا من باب الإكرام لهم بما يعتقدون صحته ؛ لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة ، ولكن هذا بوحى خاص من الله عز وجل إليه بذلك ، وسؤاله إياهم عن ذلك ليقرهم على ما بأيديهم مما تواطئوا على كتمانة وجحدته وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة ، فلما اعترفوا به مع عملهم على خلافة بان زيفهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم ، وعدو لهم إلى تحكيم الرسول ﷺ إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم ، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به " (٢) ، ولهذا حكى الله تعالى عنهم قولهم - كما جاء في الآية الكريمة الأولى - من الآيات السابقة - :

«يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تأتوه فاحذروا» (٣)

أي : « ائتوا محمداً ... ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن

أفتاكم بالرجم فاحذروا » (٤)

١ سورة المائدة ، آية : ٤١ - ٤٣ .

٢ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٩ .

٣ سورة المائدة ، آية : ٤١ .

٤ صحيح مسلم : (كتاب الحدود «٢٩») ، (باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا «٦») . حديث رقم

(١٧٠٠/٢٨) ، ج ٣ ص ١٣٢٧ .

وقد رد الله تعالى على اليهود محاولتهم بأن يقر الرسول ﷺ حكمهم
الوضعي في الزاني المحصن ، بما جاء في الآية الكريمة الأخيرة - من
الآيات السابقة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من
بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾ (١) .

أي : كيف يعدلون عما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم
(التوراة) ، إلى غيره مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه ، ولكنهم
قوم كافرون ! (٢) .

٢ - محاولتهم أن يحكم الرسول ﷺ لهم على خصومهم بالباطل :

لقد حاول اليهود - كشرط لإيمانهم بالرسول ﷺ - أن يحكم لهم على
خصومهم بالباطل ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« قال كعب بن أسد وابن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض :
انهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فأتوه ، فقالوا : يا محمد إنك قد
عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعنا
يهود ولم يخالفونا ، وإن بيننا وبين قومنا خصومة ، فنحاكمهم إليك ، فتقضي
لنا عليهم ، ونؤمن لك ونصدقك ، فأبى رسول الله ﷺ » ! (٣) ، فأُنزل الله
تعالى :

١ سورة المائدة ، آية : ٤٣ .

٢ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٠ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص
٢٤٧ - ٢٤٨ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٦ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن
العظيم ج ٢ ص ٦٧ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٩١ ، و : السيوطي : لباب
التقول ص ٩٢ .

﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لِفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١)

وهذه الآية الكريمة الأخيرة متضمنة التنديد باليهود الذين يفضلون أن يعرض الرسول ﷺ عن أفضل حكم وهو حكم الله تعالى ؛ ليحكم لهم حسب أهوائهم و كل حكم بهذه الصورة فهو حكم جاهلي .

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (محاولتهم استدراج الرسول ﷺ بعروض المزالق) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

١ - محاولة إيقاع الرسول ﷺ في المزلق الذي وقعوا فيه ، وهو الحكم بغير ما أنزل الله تعالى .

٢ - إشاعة هذا الحكم الوضعي بين الناس ، كدليل على عدم صدق الرسول ﷺ في نبوته ! .

ولكن ، أنى لهم الظفر بتحقيق محاولتهم تلك ؟! ، فمحمد ﷺ ، نبي الله ، ورسوله حقاً ، فهو معصوم بعصمة الله تعالى له .

سادساً : محاولتهم إيذاء الرسول ﷺ بالقول السيء :

لقد اتخذ اليهود من الخداع - الذي جبلوا عليه - سلاحاً لهم في إيذاء الرسول ﷺ ، فكانوا يخاطبونه بالكلام الذي فيه تورية (٢) ، ويلوون

١ سورة المائدة ، آية : ٤٩ - ٥٠ .

٢ إن بعض اليهود قد يعميهم شدة الحقد على الرسول ﷺ ، فيصرح في سبه ﷺ علناً ، ولإسيما النساء منهم ، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال :

« إن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ ، وتتبع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت ، فأبطل رسول الله ﷺ بها » : سنن أبي داود : (كتاب الحدود) ، (باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ) ، حديث

ألسنتهم بالكلمة لتؤدي الغرض السيء الذي يقصدونه من إيذاء الرسول ﷺ (١) ، ومن ذلك :

١ - خطابهم الرسول ﷺ بكلمة (راعنا) :

كان الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - ينطقون في خطابهم للرسول ﷺ كلمة (راعنا) ، ويقصدون بها معناها اللغوي الصحيح ، وهو (المراعاة) ، أي : (الانتظار) (٢) ، فكانوا يقولون للرسول ﷺ : " راعنا " ، أي : انتظرنا حتى نفهم كلامك . (٣)

ولكن اليهود كانوا يتلقفون هذه الكلمة (راعنا) ، لموافقها كلمة سيئة في لغتهم (العبرية) (٤) ، فيقولون للرسول ﷺ : " راعنا " ! ، يظهرون أنهم يريدون في الحقيقة معنى (الرعوثة) (٥) ، التي هي الهوج والحمق (٦) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

" كان (رفاعة بن زيد التابوت) (٧) من عظماء يهود ، وإذا كلم رسول

رقم (٤٣٦٢) ، ج ٤ ص ١٢٩ ، و : ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٦١ .
و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (ضعيف الإسناد) . انظر : ضعيف سنن أبي داود حديث رقم (٩٣٧) ص ٤٣٣ .

- ١ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٣٣ .
- ٢ انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الرعي) ج ٤ ص ٣٣٥ .
- ٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٧٣ ، و : ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٢٤١ .
- ٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٧٢ ، و : ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٢٣٨ و ٢٤١ .
- ٥ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٥ ص ١١٨ - ١١٩ ، و : ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٢٤٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٤٨ و ٥٠٧ .
- ٦ انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الأرعن) ج ٤ ص ٢٢٨ .
- ٧ رفاعة بن زيد بن التابوت : (؟ - ٦ هـ = ؟ - ٦٢٧ م) يهودي منافق ، من (بنو قينقاع) -

الله ﷺ لوى لسانه ، وقال : أرعنا سمعك يا محمد ، حتى نفهمك ، ثم طعن في الاسلام وعابه ١ (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل * والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً * من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع وغير مسمع وراعنا لياً بالسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ (٢)

وقد سمع سعد بن معاذ (٣) - رضي الله عنه - مقالة اليهود هذه - وكان يعرف لغتهم - ، ففطن لها ، فقال لهم :

« عليكم لعنة الله ، والذي نفسي بيده - يامعشر اليهود - لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه ، فقالوا : أولستم تقولونها ؟ » (٤) ، فأنزل الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾ (٥)

أي : لا تقولوا - أيها المسلمون - أثناء حديثكم مع رسولكم محمد

١ السيوطي : لباب النقول - واللفظ له - ص ٦٩ - ٧٠ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٥ ص ١١٦ .

و : قد وردت رواية - من طريق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٤٩ .

٢ سورة النساء ، آية : ٤٤ - ٤٦ .

٣ راجع : ترجمة (سعد بن معاذ) ص ٤٥١ .

٤ ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ - واللفظ له - ص ٢٤١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٣١ . إلا أن الراوي عنده هو (سعد بن عباد) - رضي الله عنه - ،

و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٤ .

٥ سورة البقرة ، آية : ١٠٤ .

ﷺ (راعنا) إذا أردتم أن تفهموا عنه ما يبينه لكم ؛ لكيلا يتخذ اليهود من هذه الكلمة - التي تؤدي معنى شيئاً في لغتهم - سبيلاً إلى شتم الرسول ﷺ ، ولكن قولوا بدلاً عنها (انظرونا) ١٠ (١)

٢ - تحيتهم الرسول ﷺ بكلمة (السام) :

كان اليهود يحيون الرسول ﷺ بقولهم (السام عليكم) ١٠ و (السام) : كلمة محرفة عن (السلام) ، ويقصدون بها معنيين ، هما :

١ - السام : بمعنى الملل (٢) ، أي : أنهم يدعون على الرسول ﷺ وأصحابه المسلمين بالملل من الدين ؛ فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

” إن نبي الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم ، فردوا عليه ، فقال النبي ﷺ : هل تدرون ما قال ؟ ، قالوا : سلم يارسول الله ، قال : بل قال سأم عليكم ، أي : تسأمون دينكم “ ١٠ (٣)

٢ - السأم : بمعنى الموت (٤) ، أي : أنهم يدعون على الرسول ﷺ

١ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٧٤ ، و : ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٢٤١ .

٢ انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة سأم) ج ١٢ ص ٢٨٠ .

٣ الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ١٥ .

٤ انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة سأم) ج ١٢ ص ٢٨٠ .

ومما يؤكد ذلك ما روته عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : سمعت النبي ﷺ يقول :

” إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام ، قلت : وما السام ؟ قال : الموت “

: صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الطب «٧٦») ، (باب الحبة السوداء «٧») ج ٧ ص ١٣ ، و : صحيح مسلم : (كتاب السلام «٣٩») ، (باب التداوي بالحبة السوداء «٢٩») ، حديث رقم (٢٢١٥/٨٨) ، ج ٤ ص ١٧٣٥ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الطب «٣١») ، (باب الحبة السوداء «٦») ، حديث رقم (٣٤٤٩) ، ج ٢ ص ١١٤١ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الطب «٩») ، (باب ما جاء في الحبة السوداء «٥») ، حديث رقم (٢٠٤١) ، ج ٤ ص ٣٨٥ ، و : سنن الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٤٦ .

وأصحابه المسلمين بالموت عليه السلام ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت :
 « دخل رهط من اليهود على رسول الله عليه السلام ، فقالوا : السام عليك ،
 ففهمتها ، فقلت : عليكم السام واللعنة ، فقال رسول الله عليه السلام : مهلا يا عائشة
 فإن الله يحب الرفق في الأمر كله ، فقلت يا رسول الله : أولم تسمع
 ما قالوا : قال رسول الله عليه السلام : فقد قلت وعليكم » (١) ، فأنزل الله تعالى :
 ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ
 وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوكَ بِمَا
 لَمْ يَحْيِكْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ
 حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونَهَا فَيُخْسِئُ الْمُصِيرُ ﴾ (٢)

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الاستئذان «٧٩» ، (باب كيف يرد على أهل الذمة
 السلام «٢٢» ، ج ٧ ص ١٣٣ - ١٣٤ ، و : صحيح مسلم : (كتاب السلام «٣٩» ، (باب النبي
 عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم «٤» ، حديث رقم (٢١٦٥/١٠) ، ج ٤ ص
 ١٧٠٦ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الاستئذان «٤٣» ، (باب ماجاء في التسليم على أهل الذمة
 «١٢» ، حديث رقم (٢٧٠١) ، ج ٥ ص ٦٠ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٢٤١ ، و :
 الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ١٤ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : صحيح البخاري : (كتاب
 استئابة المرتدين «٨٨» ، (باب إذا عرض الذمي بسبب النبي عليه السلام ولم يصرح بنحو قوله السام
 عليك «٤» ، ج ٨ ص ٥١ ، و : صحيح مسلم : (كتاب السلام «٣٩» ، (باب النبي عن ابتداء أهل
 الذمة بالسلام وكيف يرد عليهم «٤» ، الأحاديث رقم (٢١٦٤/٨ و ٢١٦٥/١١ و ٢١٦٦/١٢) ، ج
 ٤ ص ١٧٠٥ - ١٧٠٧ ، و : سنن الدارمي : (كتاب الاستئذان) ، (باب في رد السلام على أهل
 الكتاب) ، ج ٢ ص ٢٧٦ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الأدب) ، (باب رد السلام على أهل
 الفرق «١٣» ، الأحاديث رقم (٣٦٩٩-٣٦٩٧) ، ج ٢ ص ١٢١٩ ، و : سنن أبي داود : (كتاب
 الأدب) ، (باب في السلام على أهل الذمة) ، الحديثان رقم (٥٢٠٦-٥٢٠٧) ، ج ٤ ص ٣٥٣ ، و :
 سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨» ، (باب تفسير سورة المجادلة «٥٩» ، حديث رقم
 (٣٣٠١) ، ج ٥ ص ٤٠٧ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ١٧٠ ، و : موطأ الإمام مالك :
 كتاب السلام «٥٣» ، (باب ماجاء في السلام على اليهودي والنصراني «٢» ، حديث رقم (٣) ،
 ج ٢ ص ٩٦٠ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ١٤ - ١٥ ، و : ابن كثير : تفسير
 القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٢٣ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ، و :
 السيوطي : لباب النقول ص ٢٠٦ ، و : الواحدي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٥٢ .
 ٢ سورة المجادلة ، آية : ٨ .

فاليهود (١) يحيون الرسول ﷺ بهذا الخطاب السيء ، " ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن ، لأن الله يعلم ما نسرره ، فلو كان هذا نبياً حقاً لاوشك أن يعالجنا الله بالعقوبة في الدنيا " (٢) .

ولكن الله تعالى يرد عليهم بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ .

أي : أن جهنم كفايتهم في الدار الآخرة .

وهذا الالذي الذي تعرض له الرسول ﷺ وأصحابه من قبل اليهود ، هو مصداق قول الله تعالى :

﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا

أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ . (٣)

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (محاولتهم إيذاء الرسول ﷺ

بالقول السيء) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

١ - الاتهام بالرسول ، إيذاء له .

٢ - محاولة إظهار الرسول ﷺ أمام الصحابة - رضي الله عنهم - بمظهر

١ يقول مقاتل بن حبان - رحمه الله تعالى - في الآية الكريمة السابقة أعلاه :

" كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن ، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيم فترك طريقهم عليهم ، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى . فأنزل الله تعالى : ﴿الم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ...

الآية﴾ " : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٢٣ .

٢ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٢٣ .

٣ سورة آل عمران ، آية : ١٨٦ .

سابعاً : محاولتهم القضاء على نشاط الرسول ﷺ بالسحر :

لقد لجأ اليهود إلى وسيلة من وسائل الضعفاء ، في محاولة لايذاء الرسول ﷺ بنوع من أنواع المرض ، المعروف عند العرب ، وهو (السحر) ؛ فقد سحره اليهودي (لبيد بن الأعصم) عام ٧ هـ - ٦٢٨ م (١) ، حيث أثر على قواه الجسدية ، دون أن يؤثر على قواه الفكرية ، التي لها صلة بمهمة الرسالة (٢) ؛ لأن الرسل - عليهم السلام - معصومون من ذلك (٣) ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

« سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق ، يقال له (لبيد بن الأعصم) (٤) ، قالت : حتى كان رسول الله ﷺ يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى إذا كان ذات يوم ، أو ذات ليلة ، دعا رسول الله ﷺ ، ثم دعا ، ثم دعا ، ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفئتاني فيما استفتيتني فيه ؟ ، جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي ، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي : ما

١ انظر : د / محمد محمد أبو شهبة : دفاع عن السنة ص ٣٥٤ .

٢ انظر : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ١٢٣ ، و : د / عمر سليمان الأشقر : عالم السحر والشعوذة ص ١٨٣ .

٣ لقد تنازع العلماء في قضية سحر الرسول ﷺ فمنهم من أنكر هذا (الحديث الشريف) جملة وتفصيلاً ، بحجة أن ذلك يناقض العصمة ، ولكن الجمهور على قبوله ؛ لأن الرسول ﷺ معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر في التبليغ والتشريع . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د / عمر الأشقر : عالم السحر والشعوذة ص ١٧٩ - ١٨٨ .

٤ لبيد بن الأعصم : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦ - ٧ م) يهودي من (بني زريق) ، وهو الذي سحر الرسول ﷺ - كما فصلنا ذلك أعلاه - ، وهو أول من قال بـ (خلق القرآن) ، راجع : (القول ببديعة خلق القرآن الكريم) ص ٥٩٥ .

وجع الرجل ؟ قال : مطبوب (١) ، قال : من طبه ؟ ، قال : لبيد بن الأعصم ، قال : في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة (٢) ، قال : وجب طلعة ذكر (٣) ، قال : فأين هو : قال : في بئر ذي أروان ، قالت : فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه ، ثم قال : يا عائشة والله لكان ماءها نقاعة الحناء ، ولكان نخلها رؤوس الشياطين ، قالت : فقلت : يارسول الله أفلا أحرقته ؟ ، قال : لا ، أما أنا فقد عافاني الله ، وكرهت أن أثير في الناس شراً (٤) ، فأمرت بها فدفنت » . (٥)

- ١ مطبوب : أي مسحور ، فكني بالطب عن السحر تفاؤلاً بالبرء ، كما يكنى عن اللدغ بالسليم .
انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة طب) ج ١ ص ٥٥٤ .
- ٢ مشط ومشاطة : هو : الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند التسريح بالمشط . انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة مشط) ج ٧ ص ٤٠٣ .
- ٣ وجب طلعة ذكر : هو : وعاء طلع النخل . انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة جيب) ج ١ ص ٢٥٠ .
- ٤ لقد اعترف لبيد بن الأعصم بأنه سحر الرسول ﷺ مغري بالدنانير ، فعفا عنه ! . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٧ .
و : لمزيد من المعلومات حول حكم الساحر . انظر : د/ عمر الأشقر : عالم السحر والشعوذة ص ٢١٥ - ٢٦١ .
- ٥ صحيح مسلم - واللفظ له - (كتاب السلام) (٣٩) ، (باب السحر «١٧») ، حديث رقم (٢١٨٩/٤٣) ، ج ٤ ص ١٧١٩ - ١٧٢١ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الطب «٧٥») ، (باب السحر «٤٧») ، ج ٧ ص ٢٨ - ٢٩ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الطب «٣١») ، (باب السحر «٤٥») ، حديث رقم (٣٥٤٥) ، ج ٢ ص ١١٧٣ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ٥٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٧٤ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٥١٥ - ٥١٦ .
- و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : صحيح البخاري : (كتاب الطب «٧٥») ، (باب هل يستخرج السحر «٤٩») ، ج ٧ ص ٢٩ - ٣٠ ، و : سنن النسائي : (كتاب الدم «٣٧») ، (باب سحرة أهل الكتاب «٢٠») ، حديث رقم (٤٠٨٠) ، ج ٧ ص ١١٢ - ١١٣ ، و : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٧٣ - ٥٧٤ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٥١٣ - ٥١٥ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (محاولتهم القضاء على نشاط الرسول ﷺ بالسحر) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

- ١ - إيذاء الرسول ﷺ بنوع من أنواع المرض الجسدي ، وهو السحر ! .
- ٢ - محاولة القضاء على نشاط الرسول ﷺ أو - على الأقل - إضعافه ؛ لكيلا يقوم بمهمته الدعوية خير قيام ! .

ولكن الله تعالى صرف أذى السحر عن جسد رسوله ﷺ بسر الالتجاء إليه - كما رأينا في (الحديث الشريف) السابق - ، حيث أنزل عليه سورتي المعوذتين : (الفلق) و (الناس) ؛ ليتعوذ - والمسلمون - بهما من كل مكروه . (١) .

والسحر (٢) من أعمال اليهود التي يتفنون فيها ، منذ تعلموه من الشياطين التي سخرها الله تعالى لنبيه سليمان - عليه السلام - . وقد تحدثنا عن ذلك تفصيلا - فيما مضى (٣) .

ثامناً : محاولتهم إقناع الرسول ﷺ بالجلء عن المدينة :

إن وجود الرسول ﷺ في (المدينة) قد قضى على كثير من مصالح اليهود : الدينية ، والاقتصادية ، والسياسية ، حين كشف للعرب حقيقتهم العنصرية ؛ ولذلك حاولوا إغراءه بالخروج عن (المدينة) (٤) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

١ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٧٤ ، و : السيوطي : لباب القول ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

٢ هل للسحر حقيقة أم هو خيال ؟

هذا موضوع خلاف بين العلماء ، والراجع - جمعاً بين الأدلة - : أن السحر قسمان : قسم له حقيقة ، وقسم لا حقيقة له وإنما هو تخيل - والله أعلم - . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د/ عمر الأشقر : عالم السحر والشعوذة ص ٨٩ - ٩٩ .

٣ راجع : (جدلهم في نبوة سليمان - عليه السلام -) ص ٢٤١ .

٤ انظر : د/ محمد أبو فارس : في ظلال السيرة النبوية - الصراع مع اليهود ج ١ ص ٥٢ - ٥٣ .

« حسدت اليهود مقام النبي ﷺ بالمدينة ، فقالوا : إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام ، فإن كنت نبياً فالحق بها ، فإنك إن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك ، فوقع ذلك في قلبه ، لما يحب مان إسلامهم ، فرحل من المدينة على (١) مرحلة » (٢) ، فأنزل الله تعالى :

﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً﴾ • (٣)

ففي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ إلى حقيقة ما يسعى إليه اليهود ؛ ولذلك بقي في (المدينة) •

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (محاولتهم إقناع الرسول ﷺ بالجلء عن المدينة) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

١ - محاولة إخراج الرسول ﷺ من (المدينة) ؛ ليخلو لهم الجو فيها من جديد ! •

٢ - محاولة إثارة الفتنة بين الرسول ﷺ وأصحابه الانصار من (الأوس) و (الخزرج) ، الذين عاقدتهم على أن تكون (المدينة) هي (دار الهجرة) ،

١ المرحلة : المنزل يرتحل منها ، وما بين المنزلتين مرحلة • انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة رحل) ج ١١ ص ٢٨٠ •

٢ الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٩٨ •

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع • انظر : الطبري : جامع البيان ج ١٥ ص ١٣٢ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٩٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٣ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٣٩ •

و : قد ورد في نزول هذه الآية الكريمة سبب آخر - أيضاً - وهو في مسألة (إخراج المشركين للرسول ﷺ من مكة) - والله أعلم - • انظر : الطبري : جامع البيان ج ١٥ ص ١٣٢ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٩٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٣ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٣٩ •

٣ سورة الإسراء ، آية : ٧٦ •

تاسعاً : محاولتهم إثارة الفتنة بين المسلمين :

لقد كان العداء للمستحکم بين عرب المدينة من (الأوس) و (الخزرج) ، يؤدي في كثير من الأحيان إلى حروب دامية لا تهدأ حيناً حتى تبدأ عنيفة من جديد ، وذلك بإذكاء مستمر من اليهود لهذا الخلاف بين الطرفين ، لكي يعيشوا معهم على توازن هذا العداء المستحکم بينهم ، وكان آخر هذه الحروب ما وقع بين الفريقين عام ٥ ق هـ - ٦٢٧ م ، وهو (يوم بعاث) ، الذي انتصرت فيه (الأوس) على (الخزرج) (٢) .

فلما اجتمعت أكثرية (الأوس) و (الخزرج) على الإسلام ، الذي أزال الله تعالى به من قلوبهم حمية الجاهلية ، فأصبحوا بنعمته إخوة متالفين ، توحد بهم الصف الداخلي في (المدينة) ، حتى أثار هذا الأمر زعر اليهود ، حتى كان هذا الأمر بمثابة الإنذار لهم بأن لا بقاء لهم في (المدينة) ، ماداموا مصرين على رفض الدخول في الإسلام ، وماداموا مصرين على الاستمرار في موقفهم العدائي من الإسلام ، ورسوله ﷺ ،

١ على إثر (غزوة الطائف) عام ٨ هـ - ٦٢٩ م ، وزع الرسول ﷺ الفئام على المهاجرين والمؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً ، فكانهم وجدوا على الرسول ﷺ في أنفسهم ، حتى قال قائلهم : «لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه» ، ولكن الرسول ﷺ استرضاهم بقوله : «أوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة [أي بقلة] من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يامعشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ ، فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » ، فبكى الأنصار حتى أخضلوا لحاهم بالدموع ، وقالوا : «رضينا برسول الله قسماً وحفناً » . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

٢ راجع : (الوجود الإسلامي في يثرب - المدينة) ص ٤٥ .

والمسلمين ، فعمدوا إلى إثارة النزعات الجاهلية ، التي كانت بين (الأوس) و (الخزرج) قبل الإسلام ؛ وذلك بإحياء الخلاف القديم الذي أماتته الأخوة الإسلامية ؛ من أجل أن تنشب فيهم حرب أهلية ، فعن (زيد بن أسلم) (١) - رحمه الله تعالى - قال :

» مر شاس بن قيس - وكان شيخاً قد عسا (٢) في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاضه مارأى من جماعتهم وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملا بني قيلة (٣) بهذه البلاد ، والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر فتى شاباً من اليهود - وكان معه - فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، وذكرهم يوم بعث وماكان قبله ، وأنشدهم بعض ماكانوا يقولوا فيه من الاشعار ، وكان يوم بعث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب (أوس بن قيطي) (٤) [رضي

-
- ١ زيد بن أسلم : (٩ - ١٣٦ هـ = ؟ - ٧٥٣م) هو أبو أسامة زيد بن أسلم العدوي العمري - بالولاء - المدني . فقيه مفسر ، كان مع الخليفة الأموي (عمر بن عبدالعزيز) أيام خلافته ، كان ثقة ، كثير الحديث ، له حلقة في (المسجد النبوي) ، وله كتاب في (التفسير) . انظر : الذهبي : سير اعلام النبلاء ج ٥ ص ٣١٦ - ٣١٧ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٣ ص ٥٦ - ٥٧ .
 - ٢ عسا : أي كبير . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة عسا) ج ٤ ص ٣٦٢ .
 - ٣ ملا بني قيلة : أي (الأوس) و (الخزرج) ، نسبة إلى أمهم (قيلة بنت كاهل الأزدية) . انظر : السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ١٨٣ .
 - ٤ أوس بن قيطي : (القرن ١ ق م - ١ هـ = ٦ - ٧ م) هو : أوس بن قيطي بن عمرو الأوسي . صحابي ، شهد (موقعة أحد) ، ويقال إنه منافق ، انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٩٨ .

الله عنه] ١٠٠ من الأوس ، و (جبار بن صخر) (١) [رضي الله عنه] ١٠٠ من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رددناها جذعة (٢) ، وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح ، السلاح ، موعدكم الظاهرة (٣) ١٠٠ ، فخرجوا إليها ، وتحاور الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، فقال : يامعشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ماكنت عليه كفاراً ؟ ، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فآلقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس ، وما صنع « ١ » (٤) ، فأنزل الله تعالى في شأن (شاس) - واليهود - :

﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ﴾ * قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن

-
- ١ جبار بن صخر : (٣٢ ق.هـ - ٣٠ هـ = ٥٨٨ - ٦٥٠ م) هو أبو عبد الله جبار بن صخر بن أمية بن خنساء السلمى السلمى الخزرجي . صحابي ، شهد (بيعة العقبة) . وقيل : إن أول مشاهدة (غزوة بدر) ومابعدا ، كان الرسول ﷺ يبعثه لفرص ثمار (يهود خيبر) . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
 - ٢ جذعة : أي شابة ، كناية عن ابتداء الحرب من جديد ! . انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة جذع) ج ٨ ص ٤٤ .
 - ٣ الظاهرة : هي (الحره) . انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٢٣ .
 - ٤ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٤ ص ٢٣ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١١١ - ١١٢ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٥٥ - ٥٦ .

تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾ (١) .

وأنزل - سبحانه - في شأن (أوس) و (جبار) - ومن كان معهما من قومهما (الأوس) و (الخزرج) - :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ (٢) .

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (محاولتهم إثارة الفتنة بين المسلمين)، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

١ - محاولة هدم ما بناه الرسول ﷺ من الأخوة الإيمانية بين (الأوس) و (الخزرج) ! .

٢ - محاولة خلخلة الصف الداخلي في (المدينة) ، والذي توحد به (الأنصار) من جراء اجتماع (الأوس) و (الخزرج) على الإسلام ! .

٣ - محاولة الحصول على سبيل للسيطرة - مرة أخرى - بين توازن القوى المتعادية (الأوس) و (الخزرج) ، كما كان شأنهم قبل إسلامهم ! .

١ سورة آل عمران ، آية : ٩٨ - ٩٩ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ١٠٠ - ١٠٥ .

ولكن الله تعالى سلم - كما رأينا - ؛ وذلك بتقبل (الأنصار) من (الأوس) و (الخزرج) - رضي الله عنهم - نصيحة الرسول ﷺ .

عاشراً : إيجادهم المنافقين من العرب في المجتمع الإسلامي :

ذكرنا - في الفقرة السابقة - أن أكثرية (الأوس) و (الخزرج) حين اجتمعت على الإسلام ؛ بعد طول عدااء مستحكم ، يذكيه اليهود بينهم باستمرار ؛ لكي يعيشوا معهم على توازن هذا العدااء بينهم ، أثار هذا الاجتماع زعهم ؛ لأنه بمثابة الإنذار لهم بعدم البقاء معهم بعد الآن في (المدينة) ، ماداموا مصرين على الفساد ، فعمدوا - بالإضافة إلى إثارة النزعات بين المسلمين من (الأوس) و (الخزرج) ، والتي تحدثنا عنها في الفقرة السابقة - إلى بعض حلفائهم من عرب (المدينة) الذين لم يدخلوا - بعد - في الإسلام - بل وإلى بعض من دخلوا فيه مع التيار العام دون أن يتمكن من قلوبهم - ، فجعلوا يوسوسون لهم أن يكونوا مع المسلمين ظاهراً ؛ ليدفعوا عن أنفسهم نقمة إخوانهم المسلمين أو عزلتهم ، على أن ينقلوا إليهم - باستمرار - ما يجري للرسول ﷺ والمسلمين ، حيث صاروا يلتقون بهم في خلواتهم ، بعيداً عن مراقبة المسلمين الصادقين ! (١)

وبذلك تمكن اليهود من إنشاء جبهة عدائية ثالثة في (المدينة) (٢) من

١ انظر : عبد الرحمن الميداني : مكائد يهودية ص ٩٤ .

٢ لم يثبت (النفاق) إلا في (المدينة) بعد هجرة الرسول ﷺ إليها ؛ لأن سلطان الإسلام فيها قوي - خصوصاً بعد الانتصار الإسلامي في (موقعة بدر الكبرى) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م - . فاضطر لمصانمته عدد ممن أظهر الإسلام كذباً ، وأخفى الكفر حقيقة - كما ذكرنا أعلاه - ومن هنا يأتي اشتقاق كلمة (النفاق) ، من أحد مسمي بابي جحر البربوع (قاصعا) و (نافقا) انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة نفاق) ج ١٠ ص ٣٥٩ .

أما (مكة) فلم يكن أحد من أهلها بحاجة إلى النفاق ؛ لأن الإسلام فيها لا سلطان له ، بل إن السلطان كان مع من يعلن كفره حقيقة ، ولم يكن يدخل الإسلام إلا الصادقين ، الذين يتحملون

غير اليهود والمشركين ، وهي : جبهة (المنافقين) . (١)

وفي علاقة هؤلاء المنافقين باليهود ، أنزل الله تعالى :

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شيطانهم قالوا

إننا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ (٢)

فالشياطين الذين يخلو إليهم المنافقون هم : (اليهود) . (٣)

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (إيجارهم المنافقين من العرب

في المجتمع الإسلامي) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

١ - أن يكون المنافقون عيوناً ينقلون إليهم - باستمرار - ما يجري مع الرسول ﷺ والمسلمين .

٢ - أن يجعلوا من المنافقين سنداً لهم متى تعرضوا لنقمة الرسول ﷺ والمسلمين .

وقد تحقق لهم ما أرادوا ، وذلك من خلال عدة مؤامرات حاكها المنافقون - بزعامة (عبدالله بن أبي بن سلول) (٤) - ؛ لمصلحة اليهود ،

الاضطهاد ، ولذلك يخفي بعض الضعفاء من المسلمين إسلامهم .

١ لمعرفة أسماء أشهر المنافقين في (العهد النبوي) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٥١٩ - ٥٢٧ .

٢ سورة البقرة ، آية : ١٤ .

٣ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ١٣٠ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١ .

٤ عبدالله بن أبي بن سلول : (؟ - ٩ هـ = ؟ - ٦٣٠ م) هو أبو الحباب عبدالله بن أبي مالك بن الحارث الخزرجي ، المشهور بـ (ابن سلول) ، و (سلول) جدته لآبيه . رأس المنافقين في الإسلام ، كان سيد (الخزج) في آخر جاهليتهم ، وأظهر الإسلام تقية بعد (موقعة بدر) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م ، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم ، وكلما سمع بسيرة نشرها . وكلما حزيهم أمر خذلهم - كما نكرنا أعلاه - . ولما مات صلى الرسول ﷺ عليه ، ولم يكن ذلك رأي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ : سورة التوبة ، آية : ٨٤ . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤

ومن أهمها :

أ - في (غزوة بني قينقاع) عام ٢ هـ - ٦٢٣ م ، حاول رأس المنافقين (عبد الله بن أبي بن سلول) بالرسول ﷺ أن يصدر عن (يهود بني قينقاع) لما نقضوا العهد ، عفواً عاماً عنهم - بصفتهم حلفاءه - ، حتى تحقق له ذلك - بعد إلحاح - ؛ بشرط أن يخرجوا من (المدينة) ! (١) .

ب - في (غزوة بني النضير) عام ٤ هـ - ٦٢٥ م ، حرض رأس المنافقين (عبد الله بن أبي بن سلول) (يهود بني النضير) على التمرد ، وذلك بعدم تنفيذ طلب الرسول ﷺ منهم الخروج من (المدينة) لما نقضوا العهد ، ووعدهم بالنصر ، فأعلنوا تمردهم ؛ ولذلك حاصرهم المسلمون ، حتى تم إجلاؤهم عن (المدينة) ! (٢) .

٣ - أن يجعلوا من المنافقين جيشاً داخلية عميلاً ، يكيد للرسول ﷺ والمسلمين ، وقد تحقق لهم ما أرادوا - أيضاً - ؛ وذلك من خلال عدة مؤامرات حاكها المنافقون - بزعامة (عبد الله بن أبي بن سلول) - ، ومن أهمها : (٣) .

أ - في (غزوة أحد) عام ٣ هـ - ٦٢٥ م ، تمرد رأس المنافقين (عبد الله بن

ص ٦٥ .

١ - لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . راجع : (غزوة بني قينقاع) ص ٤١٧ .

٢ - لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . راجع : (غزوة بني النضير) ص ٤٢٤ .

٣ - سنشير إلى بعض مؤامرات المنافقين ضد المسلمين في مواضع متفرقة - إن شاء الله تعالى - ، مثل :

١ - مؤامرتهم في (غزوة بني المصطلق) عام ٦ هـ - ٦٢٧ م . راجع : (مناصحتهم الانصار بعدم الاتفاق على المهاجرين) ص ٣٨٧ .

٢ - مؤامرتهم في (غزوة الأحزاب) عام ٥ هـ - ٦٢٦ م . راجع : (أسباب غزوة بني قريظة) ص ٤٤٢ .

٣ - مؤامرتهم في (غزوة خيبر) عام ٧ هـ - ٦٢٨ م . راجع : (وقائع غزوة خيبر) ص ٤٦٩ .

أبي بن سلول) ، وانسحب في (ثلاثمائة مقاتل) من أصحابه المنافقين - وهم (ثلث الجيش) - من (الشوط) - وهو بستان في منتصف المسافة بين (المدينة وأحد) - راجعاً - في هذا الظرف الدقيق - إلى (المدينة) (١) ؛ بهدف إحداث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين ، على مرأى ومسمع من أعدائهم القرشيين ؛ ليكون ذلك أمضى في القضاء عليهم ؛ ولذلك أنزل الله تعالى في هذه الزمرة المنافقة : (٢)

﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾ (٣)

ب - في (غزوة تبوك) عام ٩ هـ - ٦٣٠ م ، تمرد رأس المنافقين (عبدالله بن أبي بن سلول) ، وانسحب في (بضع وثمانين مقاتل) (٤) من أصحابه المنافقين راجعاً إلى (المدينة) ، بعد أن

١ انظر : صحيح البخاري : (كتب المغازي «٦٤») ، (باب غزوة أحد «١٧») ، ج ٥ ص ٣١ .
و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٢١٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٦٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٩ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٠٤ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٢١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٥٧ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٩٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٦ - ٢٨ .
و : لمزيد من المعلومات حول هذه الغزوة - انظر : محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة أحد) .

٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ١٦٧ - ١٦٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٢٥ .

٣ سورة آل عمران ، آية : ١٦٧ .

٤ على الرغم من انسلاخ جماعة من المنافقين - بزعامة عبدالله بن أبي بن سلول - عن الجيش النبوي قبل أن يغادر (المدينة) إلى (تبوك) ؛ فقد بقيت عناصر من المنافقين داخل هذا الجيش ؛ لعدة أهداف أهمها :

عسكر مع الجيش النبوي في (ثنية الوداع) - على مشارف (المدينة) (١) -
 ؛ بهدف إغراء بعض وحدات الجيش الإسلامي بأن تصنع صنيعه ؛ لكي
 تتمزق وحدة هذا الجيش ؛ ولذلك أنزل الله تعالى في هذه
 الزمرة المنافقة : (٢)

﴿لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم
 الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾ . (٣)

إن مكائد المنافقين - صنائع اليهود - ضد الإسلام ، ورسوله محمد
 ﷺ ، وأتباعه المسلمين (٤) ، والتي تحدث (القرآن الكريم) (٥) عنها

- ١ - المشاركة في الفتن مع المسلمين !
 - ٢ - محاولة اغتيال الرسول ﷺ !
 - ٣ - إحداث الإرجاف والتخريب بين صفوف الجيش !
- و : لمزيد من المعلومات حول أهداف المنافقين في هذه الغزوة (تبوك) التي تضمنت أكثر مكائد
 المنافقين . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٥١٥ - ٥٣٠ و ٥٤٨ - ٥٥٣ .
- ١ أنظر : الواقدي : المغازي ج ٣ ص ٩٩٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٥١٩ ،
 و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٦٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص
 ١٠٣ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣٦٧ .
- و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢٥١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥٢٩ ، و : ابن
 كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١١ - ١٢ ، و : لمزيد من المعلومات حول هذه الغزوة . انظر :
 محمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة تبوك) .
- ٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ١٠ ص ١٤٥ - ١٤٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج
 ٢ ص ٣٦١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٤٦ .
- ٣ سورة التوبة ، آية : ٤٧ .
- ٤ لمزيد من المعلومات حول مكائد المنافقين ضد الإسلام ورسوله ﷺ والمسلمين . انظر : ابن
 هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٥١٩ - ٥٢٩ و ٥٨٤ - ٥٨٨ ج ٣ - ٤ ص ٤٨ - ٥٠ و ٦٤ - ٦٥ و
 ١٩١ - ٢١٦ و ٢٩٠ - ٢٩٣ و ٢٩٧ - ٣٠٧ .
- ٥ لقد تحدثت سور كثيرة عن المنافقين ، ومن أهمها : سورة التوبة : التي احتوت على أكثر من
 (٢٨٠ آية) في هؤلاء المنافقين ، ولذلك كان من أسمائها (الفاضة) ؛ لأنها فضحت هؤلاء
 المنافقين ، وسورة المنافقون : التي خصصت للحديث عنهم - فقط - .

عنها حديثاً مستفيضاً ، أكثر من أن يتسع المقام لاستقصائها ، ولكن حسبنا
منها ما كان من المكائد العسكرية التي ذكرناها - قبل قليل - .

حادي عشر : مناصحتهم للأنصار بعدم الإتفاق على المهاجرين :

حين رأى اليهود أن (الأنصار) هم الممولون الأولون لحركة الدعوة
الإسلامية ، ألقى ذلك في قلوبهم الرعب ؛ لعلمهم أن المال من أهم
الوسائل المادية لتدعيم نشاط أي دعوة ، وإعطائها قوة الانتشار ، فأخذوا
يخذلون (الأنصار) - بدعوى النصيح - عن الاستمرار في (الاتفاق) على
الرسول ﷺ وإخوانهم المسلمين (خصوصاً المهاجرين منهم) ، فعن
عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

" كان (كردم بن زيد) (١) و (أسامة بن حبيب) (٢) و (نافع بن أبي نافع)
و (بحري بن عمرو) و (حيي بن أخطب) و (رفاعة بن زيد بن التابوت) ، يأتون
رجالا من الأنصار - وكانوا يخالطونهم - ينتصحون لهم من أصحاب رسول
الله ﷺ ، فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم ، فإننا نخشى عليكم الفقر في
ذهابها ، ولا تسارعوا في النفقة ، فإنكم لا تدرون ما يكون " ! (٣) ، فأنزل
الله تعالى :

**﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ
رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ
قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**

١ كردم بن زيد : (؟ - ٥ هـ = ٦٢٦م) يهودي - قتل مع قومه (بني قريظة) .

٢ أسامة بن حبيب : (؟ - ٥ هـ = ٦٢٦م) يهودي - قتل مع قومه (بني قريظة) .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٥ ص ٨٦ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص

١٤٦ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٦٨ .

وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً (١) .

فالله تعالى قد رزق اليهود من فضله رزقاً واسعاً ، ولكنهم يكتُمونه لبخلهم ، ومع ذلك يأمرُون غيرهم ممن عرف للأموال حقها بالبخل ليكونوا سواءاً ، وما ذاك إلا لأنهم قوم كافرون .

ولم يكتف اليهود بهذا ، وإنما دفعوا إخوانهم (المنافقين) - الذين أوجدوهم - (٢) إلى ترديد الرأي نفسه ؛ ليكون له أثر أبلغ في سائر الأنصار ﷺ ، فعن (زيد بن أرقم) (٣) - رضي الله عنه - قال :

« غزونا (٤) مع رسول الله ﷺ ، وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء ، وكان الأعراب يسبقونا إليه ، فسبق أعرابي أصحابه ، فسبق الأعرابي فيملاً الحوض ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النطع (٥) عليه ، حتى تجيء أصحابه ، قال : فأتى رجل من الأنصار أعرابياً ، فأرخص زمام ناقته لتشرب ، فأبى أن يدعه ، فانتزع قباض (٦) الماء ، ورفع الأعرابي خشبته ، فضرب بها رأس الأنصاري فشجه ، فأتى عبدالله بن أبي رأس المنافقين ، فأخبره - وكان من أصحابه - ، فغضب عبدالله بن أبي ، ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله ، حتى ينفضوا من حوله ، يعني الأعراب

١ سورة النساء ، آية : ٣٧ - ٣٩ .

٢ راجع : (إيجادهم المنافقين من العرب في المجتمع الإسلامي) ص ٣٨٢ .

٣ زيد بن أرقم : (؟ - ٦٨ هـ = ٦٨٧ م) هو أبو عمر زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الخزرجي . صحابي ، أول مشاهدة (غزوة الخندق) لصغرة فيما قبلها ، روى (٧٠ حديثاً) . توفي بـ (الكوفة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٦٥ - ١٦٨ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٥٤٢ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٥٦ .

٤ هي غزوة بني المصطلق عام ٦ هـ - ٦٢٧ م .

٥ النطع : بساط من الجلد . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة النطع) ج ٣ ص ٨٩ .

٦ فانتزع قباض الماء : أي نزع الحجارة التي وضعها الأعرابي لتحجز الماء . انظر : سنن الترمذي . تعليق : أحمد محمد شاكر ج ٥ ص ٤١٦ .

، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام ، فقال عبدالله : إذا انقضوا من عند محمد فائتوا محمداً بالطعام ، فليأكل هو ومن معه ، ثم قال لأصحابه : لئن رجعت إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال : فسمعت عبدالله بن أبي ، فأخبرت عمي ، فانطلق ، فأخبر رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ ، فحلف وجحد ، قال : فصدقه رسول الله ﷺ وكذبنني ، قال : فجاء عمي إلي ، فقال : ما أردت إلا أن أمقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون ، قال : فوقع علي من الهم ما لم يقع على أحد ، قال : فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر قد خفقت برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول الله ﷺ ، فعرك أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين » (١) .

وفي هذه السورة (المنافقون) ، جاء قول الله تعالى :
﴿هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى

١ سنن الترمذي - واللفظ له - : (كتاب التفسير «٤٨») ، (باب تفسير سورة المنافقون «٦٤») ، حديث رقم (٣٣١٣) ، ج ٥ ص ٤١٥ - ٤١٦ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن الترمذي حديث رقم (٢٦٤٠) ج ٣ ص ١١٩ .

و : وقد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : صحيح البخاري : (كتاب تفسير القرآن «٦٥») ، (باب تفسير سورة المنافقون «٦٣») ، ج ٦ ص ٦٣ - ٦٥ ، و : صحيح مسلم : (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم «٥٠») ، حديث رقم (٢٧٧٢/١) ج ٤ ص ٢١٤٠ ، و : سنن الترمذي : (كتاب التفسير «٤٨») ، (باب تفسير سورة المنافقون «٦٤») ، الحديثان رقم (٣٣١٢ و ٣٣١٤) ، ج ٥ ص ٤١٥ و ٤١٧ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٤ ص ٣٧٠ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ١٠٩ - ١١٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٦٩ - ٣٧٢ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٥٨ - ٤٦١ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢١٤ ، و : الواحدي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٦٠ .

ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون» (١) .

ولكن الله تعالى يرد على (المنافقين) دعوتهم لإخوانهم بعدم الإنفاق على المهاجرين من القرشيين (٢) ، وغيرهم من الأعراب ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - ، حيث يقول سبحانه :

﴿ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ .

فالله تعالى له « جميع مافي السماوات والأرض من شيء » ، وبيده مفاتيح خزائن ذلك ، لا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بمشيئته ، ولكن المنافقين لا يفقهون أن ذلك كذلك » (٣) .

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (مناصحتهم للأنصار بعدم الإنفاق على المهاجرين) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

- ١ - محاولة التأثير على الأنصار بمنع إنفاق أموالهم في وجه من وجوه الخير ، على إخوانهم المسلمين .
- ٢ - محاولة إضعاف قوة المسلمين ؛ وذلك بحجب وسيلة مهمه من وسائل تدعيم نشاط حركة الدعوة الإسلامية !

ولكن اليهود لم ينجحوا - والحمد لله - في مبتغاهم ؛ لأن الله تعالى

١ سورة المنافقون ، آية : ٧ .

٢ لقد جاء في بعض الروايات ذكر (القرشيين) نصاً ؛ ذلك أنه حين بلغ رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول ما حصل بين الأعرابي والأنصاري ، قال : « قد ثاورونا في بلادنا ، والله ما مثلنا وجلابيب قریش هذه - [الجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار القليظ ، وهو لقب أطلقه المشركون على من أسلم من المهاجرين] - إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك ... » ! : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ .

٣ الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ١١١ .

قد أثنى على الانصار ، بقوله سبحانه : (١)

﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (٢)

ثاني عشر : تظاهرهم بالدخول في الإسلام نفاقاً :

لقد اتخذ بعض أحبار اليهود من التظاهر بالإسلام أمام المسلمين الصادقين وسيلة - تطمئن لها نفوسهم - ؛ ليتمكنوا من ضرب الإسلام من داخله ، أما إذا خلوا مع شياطينهم فإنهم يعلنون سخريتهم بالدين الإسلامي ، حيث بين الله تعالى استهزاءهم - ومن على شاكلتهم - بشعيرة مهمة من شعائر الإسلام ، وهي النداء إلى الصلاة (الاذان) ! ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« كان (رفاعة بن زيد بن التابوت) و (سويد بن الحارث) (٣) قد أظهرّا الإسلام ، ثم نافقا ، وكان رجال من المسلمين يوادونهما » (٤) ، فأنزل الله تعالى :

١ انظر : صحيح البخاري : (كتاب التفسير «٦٥») ، (باب قوله ويؤثرون على أنفسهم «٦») ، ج ٦ ص ٥٩ - ٦٠ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الأشربة «٣٦») ، (باب إكرام الضيف وفضل إيثاره «٣٢») ، الحديثان رقم (١٧٢-١٧٣/٢٠٥٤) ، ج ٣ ص ١٦٢٤-١٦٢٥ ، و : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب تفسير سورة الحشر «٦٠») ، حديث رقم (٣٣٠٤) ، ج ٥ ص ٤٠٩ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ٤٦ - ٤٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٧ - ٣٣٩ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٤٥ - ٤٤٦ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، و : الواحدي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٥٥ .

٢ سورة الحشر ، آية : ٩ .

٣ سويد بن الحارث : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦-٧ م) يهودي منافق ، من (بنى قينقاع) .

٤ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٦ ص ٢٩٠ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٩٣ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٩٣ .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ * وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون * قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون * قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل * وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ (١) .

وهذه الآية الكريمة الأخيرة متضمنة التنديد باليهود الذين يتظاهرون بالإسلام بالكسنتهم ، وكأن الله تعالى لا يعلم ما يكتمونه من الكفر الذي يضمرونه في أنفسهم ؟!

قاله - تعالى عما يقولون علواً كبيراً - لا تخفى عليه خافية من اليهود - ولا من غيرهم - في الأرض ولا في السماء ، حيث يقول عن نفسه سبحانه :

﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ (٢) .

وكان من أهم من تظاهر بالإسلام من الأحرار (٣) (زيد بن اللصيت) (٤)

١ سورة المائدة ، آية : ٥٧ - ٦١ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ٥ .

٣ من أحرار اليهود الذين دخلوا الإسلام نفاقاً : (الحارث بن عوف) ، و (رافع بن خزيمة) و (رفاعة بن زيد بن التابوت) ، و (زيد بن اللصيت) ، و (سعد بن حنيف) ، و (سلسلة بن برهام) ، و (سويد بن الحارث) ، و (عبدالله بن الصيف) ، و (عثمان بن أوفى) ، و (عدي بن زيد) ، و (كنانة بن صوريا) ، و (نعمان بن أوفى) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٥٢٧-٥٢٨ و ٥٥٣ و ٥٦٨ .

٤ زيد بن اللصيت : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦-٧ م) يهودي منافق ، من (بنى قينقاع) .

، الذي قال حين ظلت (القصوى) ناقة الرسول ﷺ ، في (غزوة تبوك) (١)
عام ٩ هـ - ٦٣٠ م :

” يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناqqته ، فقال
رسول الله ﷺ - وقد جاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله - : إن قائلاً قال
يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، ولا يدري أين ناqqته ، وإنني والله ما
أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ، فهي في هذا الشعب ، قد
حبستها شجرة بزمامها ، فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال
رسول الله ﷺ ، وكما وصف “ . (٢)

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (تظاهروهم بالدخول في الإسلام
نفاقاً) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

- ١ - محاولة الدس على الرسول ﷺ متى سنحت لهم الفرصة ! .
- ٢ - محاولة تفريق المسلمين من داخل صفوفهم ، وذلك بحملهم على
التشكيك ، ومن ثم الردة عن الإسلام أمور النفاق ! .
- ٣ - محاولة معرفة مايجري - مباشرة - مع الرسول ﷺ والمسلمين من
أمر مهمة ، دون واسطة ! .

ثالث عشر : دخولهم الإسلام ثم الإرتداد عنه :

لقد اتخذ اليهود من الدخول في الإسلام على سبيل النفاق ، ثم
الخروج منه ، وسيلة لخداع الناس ؛ فتنة لهم عن هذا الدين ، سواء منهم
حديثي العهد بالإسلام ، أو ضعاف الإيمان ، أو من لم يدخلوا فيه - بعد -

-
- ١ يرى أبو نعيم والبيهقي أن تلك الحادثة وقعت في (غزوة بني المصطلق) عام ٦ هـ - ٦٢٧ م .
انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٥١٥ - ٥١٦ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٥٩-٦٠ .
 - ٢ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - ج ١-٢ ص ٢٧ ، و : الواقدي : المغازي ج ٣ ص
١٠٠٩-١٠١٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠٦ ، و : ابن حبان : السيرة
النبوية ص ٣٦٨ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢٥٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣
ص ٥٣٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١٦-١٧ .

؛ ليوهموا كل أولئك بأن الإسلام دين غير صحيح ؛ لأنهم قوم يبحثون عن الحقيقة ، وأنهم ليس عندهم أي عداة للإسلام ، وأن الذي حصل منهم هو أنهم بعد دخولهم الإسلام وجدوه - وهم أهل علم بالكتاب الأول (التوراة) - ديناً باطلاً ، وأنهم ما عادوا إلى يهوديتهم إلا بعد الاختبار ، وإمعان النظر في الإسلام ، وإلا لما رجعوا عنه بعد دخولهم فيه ، إذ لا يعقل أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته ، ويرغب عنه بعد الرغبة فيه بغير سبب (١) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« قال (عبد الله بن الصيف) (٢) و (عدي بن زيد) (٣) و (الحارث بن عوف) (٤) بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى تلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ، فيرجعوا عن دينهم » (٥) ، فأنزل الله تعالى :

﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون * ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله

١ انظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج ٣ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ، و : د / محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٩٨ .

٢ عبد الله بن الصيف : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦-٧ م) يهودي ، أجلي مع قومة (بنو قينقاع) عن (المدينة) ، عام ٢ هـ - ٦٢٣ م .

٣ عدي بن زيد : (؟ - ٥ هـ - ٦٢٦ م) يهودي ، قتل مع قومة (بنو قريظة) .

٤ الحارث بن عوف : (؟ - ٥ هـ - ٦٢٦ م) يهودي ، قتل مع قومة (بنو قريظة) .

٥ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٣ ص ٣١٠ ، و : السيوطي : لباب القول ص ٥٣ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع - انظر : الطبري : جامع البيان ج

٣ ص ٣١٠ - ٣١٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٣ ، و : الواحدي :

أسباب نزول القرآن ص ١٠٤ - ١٠٥ .

واسع عليهم) . (١)

فهذا الصنيع اليهودي : يتمثل : بالايمان في أول النهار ، وذلك بصلاة الصبح مع المسلمين ، والكفر في آخره ، وذل بعدم الصلاة معهم ؛ ليفتنوا ضعاف الايمان عن دينهم ، وذلك لأنهم لا يطمثنون إلا لمن تبع ديانتهم (اليهودية) ، حيث لا يظهرون ماعندهم من العلم للمسلمين ؛ خشية من أن يساووهم به ، أو يمتازوا عليهم فيه لشدة إيمانهم ، أو يتخونونه حجة عليهم بما في أيديهم ، فتقوم عليهم الحجة عند الله تعالى يوم القيامة ! . (٢)

ولكن الله تعالى يرد على اليهود فلسفتهم الباطلة - هذه - ، بما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة - مباشرة - وما بعدها ، حيث يقول سبحانه :

﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *

يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ . (٣)

فالأمور كلها تحت تصرفه - سبحانه - ، فهو المعطي المانع ، يمن على من يشاء بفضله ، ويصل من يشاء بعذله ، فله الحكمة البالغة ؛ لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . (٤)

لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (دخولهم الإسلام ثم الارتداد عنه) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

- ١ - محاولة إلقاء بذور الشك والحيرة في قلوب المسلمين !
- ٢ - محاولة تصيد بعض المسلمين من ضعاف الايمان ليرتدوا - معهم - عن دينهم !

١ سورة آل عمران ، آية : ٧١-٧٣ .
٢ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٣ ص ٣١١ - ٣١٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٣ .
٣ سورة آل عمران ، آية : ٧٣-٧٤ .
٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٣ ص ٣١٦ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٣ .

٣ - محاولة صرف الناس الذين لم يؤمنوا - بعد - بالإسلام عن الدخول فيه !

٤ - محاولة إحداث تصديق في صفوف المسلمين يفقدهم ما هم عليه من توازن واستقرار ! (١)

إن هذه الأغراض التي يتوخى اليهود تحقيقها ، تنصب في رغبتهم العارمة في رد المسلمين عن إسلامهم ؛ ليكونوا - معهم - في الكفر سواء ، حسداً من عند أنفسهم (٢) ﷺ ، وصدق الله العظيم القائل فيهم : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ (٣) والقائل - أيضاً - سبحانه :

﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (٤)

رابع عشر : ضغوطهم النفسية على من أسلم منهم :

لقد راع اليهود أن يروا أتباعهم يدخلون في الإسلام صدقاً ، فراحوا يمارسون معهم نوعاً من الضغوط التي تتمثل في التعيير والتنقيص والشتائم ، بعد أن كان أكثرهم سادة فيهم ، ووجوهاً ذوي شرف ورياسة ! (٥) ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

١ انظر : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٥٣ .

٢ راجع : (أسباب عداة اليهود للرسول ﷺ والمسلمين والإسلام) ص ٤٨٩ .

٣ سورة البقرة ، آية : ١٠٩ .

٤ سورة آل عمران ، آية : ٦٩ .

٥ انظر : عبدالرحمن الميداني : مكاييد يهودية ص ٨٦ .

« لما أسلم (عبد الله بن سلام) (١) و (ثعلبة بن سعية) (٢) و (أسيد بن سعية) (٣) و (أسد بن عبيد) (٤) ومن أسلم من يهود معهم (٥) ، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه ، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ، وذهبوا إلى غيره » (٦) ١ ، فأنزل الله تعالى في هذه الفئة المسلمة من أهل الكتاب :

﴿ليسوا سواءاً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ (٧)

-
- ١ راجع : ترجمة (عبد الله بن سلام) ص ١١٩ .
- ٢ ثعلبة بن سعية : (القرن ١ ق هـ = ٦-٧ م) هو ثعلبة بن سعية من (بني هذل) - أبناء عمومة (بني قريظة) - . صحابي ، كان يهودياً فأسلم هو وأخوه (أسيد) و (أسد بن عبيد) في أثناء (غزوة بني قريظة) عام ٥ هـ - ٦٦ م ، حيث نصحوا قومهم باتباع الرسول ﷺ ؛ لأنه هو النبي الذي كانوا ينتظرونه ، فلما أبوا عليهم نزلوا إلى الرسول ﷺ فأسلموا . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٢٠١ و ٤٨ .
- ٣ أسيد بن سعية : (القرن ١ ق هـ = ٦-٧ م) هو أسيد بن سعية من بني (هذل) - أبناء عمومة (بني قريظة) - . صحابي ، كان يهودياً فأسلم في أثناء (غزوة بني قريظة) - كما ذكرنا في الترجمة السابقة - . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٩ و ٤٨ .
- ٤ أسد بن عبيد : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦-٧ م) هو أسد بن عبيد من بني (هذل) - أبناء عمومة (بني قريظة) - . صحابي ، كان يهودياً فأسلم في أثناء (غزوة بني قريظة) - كما ذكرنا في الترجمة قبل السابقة - . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ .
- ٥ مثل : مخيريق - رضي الله عنه - . راجع : ص ١١٩ .
- ٦ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٤ ص ٥٢ - ٥٣ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١١٤ ، و : قال الهيثمي - رحمه الله تعالى - عن هذا الحديث : إن (رجالاً ثقات) . انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٦ ص ٣٢٧ .
- ٧ سورة آل عمران ، آية : ١١٣ - ١١٥ .

وأنزل - سبحانه وتعالى - في الفئة الفاسقة منهم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (١) .

ولعل أشهر هؤلاء اليهود الذين بهتهم الاحبار لما أسلموا (عبدالله بن سلام) - رضي الله عنه - . فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

« بلغ عبدالله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه ، فقال : ... ، أشهد أنك رسول الله ، ثم قال : يارسول الله إن اليهود قوم بهت ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك ، فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت ، فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبدالله بن سلام ؟ ، قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا ، فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إن أسلم عبدالله ، قالوا : أعاده الله من ذلك ، فخرج عبدالله إليهم ، فقال : أشهد أن لا إله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا ، ووقعوا فيه » (٢) .

بل إن الأمر قد يصل إلى التهديد بقتل من حاول أن يسلم منهم ! (٣) .

خامس عشر : أشعارهم العدائية ضد المسلمين :

لقد استغل اليهود (الشعر) في مكائدهم ضد الإسلام ، حيث قام شعراؤهم بحملة شرسة حاقدة ، لتحريض القبائل العربية الوثنية عليه ، وعلى رسوله ﷺ ، وعلى أتباعه المسلمين ؛ لأن الشعر عند العرب من أهم

١ سورة آل عمران ، آية : ١١٧-١١٦ .

٢ الحديث سبق تخريجه . راجع : ص ١٢٠ .

٣ انظر : الصالحى : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج ٣ ص ٥٨٨ .

الوسائل الإعلامية التي تعرض على الحروب ،
ومن أهم الشعراء اليهود الذين قاموا بهذه المهمة التحريضية :

١ - أبو عفك :

لما قدم الرسول ﷺ (المدينة) مهاجراً ، انطلق (أبو عفك) (١) يهجوه ،
ويحرض على عداوته (٢) ، حيث يقول : (٣)

لقد عشت دهرأ وما إن أرى من الناس دارأ ولا مجمعا
أبر عهدأ وأوفى لمن يعاقد فهم إذا مارعا
من أولاد قبيلة (٤) في جمعهم يهد الجبال ولم يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم حلال حرام لشتى معا
قلو أن بالعز صدقتم أو الملك تابعتم تبعا ! (٥)
فقال الرسول ﷺ :

« من لي بهذا الخبيث ؟ » (٦)

فخرج (سالم بن عمير) (٧) - رضي الله عنه - في شوال عام ٢ هـ -

١ أبو عفك : (؟ - ٢ هـ = ؟ - ٦٢٤م) شاعر يهودي من (بني عمرو) ، قتله (سالم بن عمير) -
رضي الله عنه - كما فصلنا ذلك أعلاه - .

٢ انظر : الراقي : المغازي ج ١ ص ١٧٤ - ١٧٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص
٦٣٦ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص
٤٣٧ .

٣ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - ج ٣-٤ ص ٦٣٦ ، و : الراقي : المغازي ج ١ ص
١٧٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ٤٣٧-٤٣٨ .

٤ أولاد قبيلة : أي (الأوس) و (الخزرج) ، نسبة إلى أمهم : (قبيلة بنت كاهل الأزدي) . انظر :
السهيلى : الروض الأنف ج ٢ ص ١٨٣ .

٥ راجع : التعريف بـ (تبع) ص ١٦ .

٦ ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٦٣٦ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ٤٣٨ .

٧ سالم بن عمير : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٦-٧ م) هو سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان
الخزرجي . صحابي شهد (بيعة العقبة) ، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، وهو الذي

٢ - كعب بن الأشرف :

لما بلغ (كعب بن الأشرف) (٢) انتصار المسلمين في (موقعة بدر الكبرى) على مشركي قريش ، غاظه هذا الخبر ، فقال :

« أحق هذا ؟ ، أترون محمداً قتل هؤلاء ؟ [يعني من قتل في بدر من مشركي قريش] ، فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها » (٣) .

ولما تيقن (ابن الأشرف) صحة الأخبار توجه إلى (مكة) ، ينشد الأشعار ، التي يتباكى فيها من قتل في (بدر) من صناديد المشركين ، ويحرض قريشاً على قتال الرسول ﷺ ، ويستحثهم على إنقاذ (المدينة) من

قتل الشاعر اليهودي (أبو عفك) - كما ذكرنا أعلاه - . توفي في خلافة (معاوية بن أبي سفيان) - رضي الله عنه - . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٥ .

١ لمعرفة قصة مقتل (أبي عفك) - تفصيلاً - انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٣٦ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ٤٣٨ .

٢ كعب بن الأشرف : (؟ - ٣ هـ = ؟ - ٦٢٤ م) شاعر يهودي من قبيلة (طيء) العربية ، كانت أمة من (يهود بني النضير) فدان بـ (اليهودية) ، وكان سيداً في أخواله . أدرك الإسلام ولم يسلم ، بل إنه أكثر من هجر الرسول ﷺ ودينه وأصحابه ، وتحريض القبائل عليهم ، فأمر الرسول ﷺ بقتله ، فخرج إليه محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - في نفر من (الأوس) فقتلوه - كما فصلنا ذلك أعلاه - . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٧ - ٤٩١ . و : الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٢٢٥ .

٣ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - : ج ٣ ص ٤٠١ ، و : سنن البيهقي : (كتاب الجزية) ، (باب من لا تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان) ج ٩ ص ١٨٣ . و : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٨٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١١ .

طحنت رحي بدر لمهلك أهله
 قتلت سراة الناس حول حياضهم
 كم قد أصيب به من أبيض ماجد
 طلق اليمين إذا الكواكب أخلفت
 ويقول أقوام أسر بسخطهم
 صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا
 صار الذي أثر الحديث بطعنه
 نبئت أن بني المغيرة كلهم
 وابنا ربيعة عنده ومنبه
 نبئت أن الحارث بن هشامهم
 ليزور يثرب بالجموع وإنما
 ثم رجع (ابن الأشرف) إلى (المدينة) ، فشَبَّ بنسب المسلمين (٣) ،

ولمثل بدر تستهل وتدمع
 لا تبعدوا إن الملوك تصرع
 ذي بهجة يأوي إليه الضيع
 حمال أثقال يسود ويربع
 إن ابن الأشرف ظل كعباً يجزع
 ظلت تسوخ بأهلها وتصدع
 أو عاش أعمى مرعشاً لا يسمع
 خشعوا لقتل أبي الحكيم وجدعوا
 ما نال مثل المهلكين وتبع
 في الناس يبني الصالحات ويجمع
 يحمي على الحسب الكريم الأروع!

- ١ انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة) ، حديث رقم (٣٠٠٠) ، ج ٣ ص ١٥٤ ، و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن أبي داود ، حديث رقم (٢٥٩٣) ج ٢ ص ٥٨٢ .
- و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٨٥ و ١٩٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٤-٣ ص ٥١ - ٥٢ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٢ و ٣٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٨ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٩١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١١ .
- ٢ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - ج ٤-٣ ص ٥٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٨٨ - ١٨٩ ، و : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- ٣ يروى أن (كعب بن الشرف) كان يتغزل بـ (أم الفضل بنت الحارث) - رضي الله عنها - ، وهي زوج (العباس بن عبدالمطلب) - رضي الله عنه - في قصيده له ، مطلعها :
- أراحل أنت لم ترحل لمنفعة وتارك أنت أم الفضل بالحرم .
- و : لمعرفة تلك القصيدة المأجنة - التي نربأ بأنفسنا عن إكمالها ؛ إجلالاً لتلك الصحابة الفاضلة - انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية

فقال الرسول ﷺ :

« من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله » (٢) .

فخرج (محمد بن مسلمة) (٣) - رضي الله عنه - في نفر من (الأوس)

في ١٤ ربيع الأول عام ٣ هـ - ٤ أيلول (سبتمبر) ٦٢٤ م ، فقتلوه . (٤)

ج ٣ ص ١٢ .

١ انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٩٠ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٥٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٨ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٩١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١١ .

٢ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب مقتل كعب بن الأشرف «١٥») ، ج ٥ ص ٢٥ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب مقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود «٤٢») ، حديث رقم (١٨٠١/١١٩) ، ج ٣ ص ٢٥ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الجهاد) ، (باب العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم) ، حديث رقم (٢٧٦٨) ، ج ٣ ص ٨٧ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ٩٥ .

٣ محمد بن مسلمة : (٣٥ ق.هـ - ٤٣ هـ = ٥٨٩ = ٦٦٣ م) هو أبو عبد الرحمن محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد الأوسي . صحابي ، شهد المشاهد كلها إلا (غزوة تبوك) فقد تخلف عنها بإذن الرسول ﷺ ، وكان الرسول ﷺ يستخلفه على (المدينة) في بعض غزواته ، وهو الذي قتل في نفر من (الأوس) (كعب بن الأشرف) اليهودي ، كان (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - يعتمد عليه في كشف أمور الولاة في البلاد . ولما نشبت (الفتنة الكبرى) اتخذ سيفاً من خشب ، واعتزلها . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٧٣ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٩٧ .

٤ لمعرفة قصة مقتل (كعب بن الأشرف) - تفصيلاً - انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب قتل كعب بن الأشرف «١٥») ، ج ٥ ص ٢٥ - ٢٦ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود «٤٢») ، حديث رقم (١٨٠١/١١٩) ، ج ٣ ص ١٤٢٥ - ١٤٢٦ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الجهاد) ، (باب في العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم) ، حديث رقم (٢٧٦٨) ، ج ٣ ص ٨٧ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٩٥ - ١٩٦ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٨٧ - ١٩١ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص

وقد يبدو - لأول وهلة - أن مقتل (كعب بن الأشرف) متسماً بالغدر ، ولكن صاحب النظر الفاحص والبصيرة النافذة يدرك أن ذلك هو عين العدالة ؛ لأن (ابن الأشرف) كان قد عاهد الرسول ﷺ على عدم إيذائه - والمسلمين - ، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال :

« إن كعب بن الأشرف عاهد رسول الله ﷺ ألا يعين عليه ولا يقاتله » (١) .

كما أنه معاهد بموجب (الوثيقة) - وثيقة معاهدة اليهود - التي التزم فيها (يهود بني النضير) مع الآخرين (٢) .

ولكن (ابن الأشرف) نقض ما عاهد عليه الرسول ﷺ في حالتين ، هما :

١ - أن (ابن الأشرف) آذى الرسول ﷺ بهجائه ، ولذلك أذن بقتله (٣) - كما ذكرنا قبل قليل - .

« ومن حل قتله بهذا الوجه لم يعصم دمه بأمان ولا عهد ، كما لو أمن المسلم من وجب قتله لأجل قطع الطريق ، أو أمن من وجب قتله لأجل الزنا

٣١ - ٣٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٨ - ٤٩١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٥٤ - ١٥٦ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٩١ - ١٩٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية : ج ٣ ص ١٥٩ .

١ ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٧١ .

٢ انظر : د/ أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ١٤٢ .

٣ يقول الإمام الواقدي - رحمه الله تعالى - :

« حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : قال مروان بن الحكم - وهو على المدينة - وعنده ابن يامين النضري : كيف كان قتل ابن الأشرف ؟ قال ابن يامين : كان غدرأ ، ومحمد بن مسلمة جالس - شيخ كبير - ، فقال : يامروان ، أيغدر رسول الله عندك ؟ ، والله ، ما قتلناه إلا بأمر رسول الله ﷺ . والله ، لا يؤنني وإياك سقف بيت إلا المسجد . وأما أنت ياابن يامين ، فقله علي إن أفلت ، وقدرت عليك وفي يدي سيف إلا ضربت به رأسك » : المغازي ج ١ ص ١٩٢ - ١٩٣ .

، أو لأجل ترك أركان الإسلام ، ونحو ذلك ، ولا يجوز له أن يقصد له عهد ، سواء كان عقد أمان أو عقد هدنة أو عقد ذمة ؛ لأن قتله حد من الحدود ، وليس قتله لمجرد كونه كافراً حربياً » (١) .

٢ - أن (ابن الأشرف) أذى المسلمين بهجائه رسولهم محمداً ﷺ ، وبتشبيهه بنسائهم ، وبفضيله دين أعدائهم (الوثنية) على دينهم (التوحيد) ، وبتحريضهم أعداءهم من قريش على حربهم ، مما كان له أبلغ الأثر في (معركة أحد) التي شنها كفار قريش في شوال عام ٣ هـ - ٦٢٥ م ، ضد المسلمين في (المدينة) ! (٢) .

لكل ذلك ، أصبح من حق المسلمين أن يبتدروا هذا الغادر بالعقاب الصارم ؛ دفاعاً عن أنفسهم ، ولو أنهم تركوه على حاله يتناول عليهم في إيدائهم ، لتعرض دينهم للاستهزاء ، وهيبتهم للضياع ، ودولتهم للاضطراب ، ولطمع فيهم كل من لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة . (٣) .

وقد جاء اليهود إلى الرسول ﷺ بعد مقتل (كعب بن الأشرف) مذعورين ، فعن (عبد الرحمن بن عبد الله بن مالك) (٤) - رحمه الله تعالى - قال :

« لما قتلوه [أي كعب بن الأشرف] فزعت اليهود والمشركون ، فغدوا على النبي ﷺ فقالوا : طرق صاحبنا فقتل ، فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان

١ د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٦٨ .

٢ راجع : (تحريضهم قريشاً على قتال المسلمين) ص ٤٢٥ .

٣ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٦٩ .

٤ عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : (القرن ١ هـ - ٢٧) هو أبو الخطاب عبد الرحمن بن

عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري . تابعي ، من أهل المدينة ، ثقة ، عالم . توفي في خلافة

(هشام بن عبد الملك) . انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٣٤٤ .

يقول (١) ، ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه ، فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة « (٢) ف (كعب بن الاشرف) إذن يستحق القتل في أية واحدة من الحالتين السابقتين »

ولهذا ، استحق غيره ممن فعل مثل أفعاله المصير ذاته ، مثل :

- أبي عفك ، الذي تحدثنا عنه - تفصيلاً - قبل قليل -
- وسلام بن أبي الحصين ، واليسير بن رزام ، اللذين سنتحدث عنهما - إن شاء الله تعالى - في موضع آخر . (٣)
- وكان الله تعالى قد أمر رسوله ﷺ بالصبر على أذى أولئك اليهود - سواء من ذكرنا - أو غيرهم (٤) - ، حيث يقول سبحانه :

﴿وَلَتَسْمَعْنَ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

١ لقد فصل الواقدي هذا القول ؛ بقوله : فقال رسول الله ﷺ : « إنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان له السيف » : المغازي ج ١ ص ١٩٢ .

٢ سنن أبي داود - واللفظ له - : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة) ، حديث رقم (٣٠٠٠) ، ج ٣ ص ١٥٤ و : سنن البيهقي : (كتاب الجزية) ، (باب من لا تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان) ج ٩ ص ١٨٣ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن أبي داود حديث رقم (٢٥٩٣) ج ٢ ص ٥٨٢ .

و : انظر - أيضاً - : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٩٢ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٤ ، و : ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٧٢ - ٧٣ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . وثيقة رقم (١٤) ج ص ٩٢ .

٣ راجع : (وقائع غزوة خيبر) ص ٤٦٩ .

٤ انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة) ، حديث رقم (٣٠٠٠) ، ج ٣ ص ١٥٤ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٢٠١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٢٩ - ١٣٠ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٦٦٢ ، و : الواحدي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٣٦ .

أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور» (١) .

فلما استمروا في أذاهم ، أمر الرسول ﷺ بقتلهم - كما ذكرنا - .
وبعد ، فهذان الشاعران هما أهم الشعراء اليهود ، الذين لم يأن
لألسنتهم السليطة أن تسكت عن عدااء الرسول ﷺ وأصحابه ، إلا بهذا
الجزاء العادل ، الذي نالوه على أيدي أبطال المسلمين . (٢)
لقد كانت غاية اليهود من هذه المكيدة (أشعارهم العدائية ضد
المسلمين) ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

١ - إيذاء الرسول ﷺ والمسلمين .

٢ - تأليب القبائل العربية الوثنية ضد المسلمين في المدينة .

وقد تحقق لهم ما أرادوا ، وذلك في غزوتي : (أحد) و (الأحزاب) ،
وستحدث عنهما - إن شاء الله تعالى - تفصيلاً في موضعين
آخرين . (٣)

سادس عشر : نقضهم للمعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ معهم :

لقد أضر اليهود - كعادتهم في جميع العصور (٤) - عدم الالتزام
بالمعاهدات التي عقدها الرسول ﷺ معهم - منذ صدورهما - ؛ لأنها ستحد
من نشاطهم الإفسادي ضد الإسلام ، ورسوله ﷺ ، وأتباعه المسلمين ؛
ولذلك سرعان ما نقضوها بادئين بالعدوان من الناحيتين : الفكرية
والعسكرية ؛ فقد جاء - على سبيل المثال - في البند (١٥) من (وثيقة

١ سورة آل عمران ، آية : ١٨٦ .

٢ لمزيد من المعلومات حول الشعراء اليهود الذين وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية ، انظر : د/

يوسف محيي الدين أبو هلاله : الشعر والدعوة في عصر النبوة ص ٣٠ - ٣٦ .

٣ راجع : (أسباب غزوة بني النضير) ص ٤٢٥ ، و : (أسباب غزوة خيبر) ص ٤٦٢ .

٤ راجع : (المعاهدة المصرية الإسرائيلية) ج ٣ ص ٤٥٩ .

موادعة اليهود) ما يأتي :

« وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم » (١) .

وهذا (البند) شامل لكلا الناحيتين ، على ما يأتي :

١ - الناحية الفكرية :

لم يلتزم اليهود بالمعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ معهم من (الناحية الفكرية) ؛ فقد جاء في البند السابق - كما رأينا - :

« وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم » .

ومكائد اليهود في هذه الناحية - والتي تحدثنا عنها تفصيلاً في الفقرات السابقة (٢) - ليست من النصح والنصيحة والبر للمسلمين ، وإنما هي من الإثم ضدهم ، وهذا يعد - ولا شك - نقضاً لتلك المعاهدات .

هذا ، بالإضافة إلى أنهم قد أعطوا الرسول ﷺ العهود والمواثيق أن يسلموا إن هو أجابهم على أسئلتهم التعنتية (٣) ، التي يوجهونها إليه على سبيل الإحراج ، ولكنهم في كل مرة - كعادتهم - ينكثون ! (٤) ، وصدق الله العظيم القائل فيهم :

﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا

يتقون﴾ (٥) .

١ راجع : (وثيقة موادعة اليهود) ص ٨٠.

٢ راجع : الفقرات من : ١ - ١٥ ص ٨٨ - ٤٠٦.

٣ راجع : (محاولتهم إحراج الرسول ﷺ بالأسئلة التعنتية) ص ٣٥٢.

٤ راجع : ص ٣٦٣.

٥ سورة الأنفال ، آية : ٥٦ .

وعلى الرغم من قسوة تلك المكائد اليهودية - في هذه (الناحية الفكرية) - التي امتدت منذ هجرة الرسول ﷺ إلى (المدينة) ، حتى إجلاء آخر اليهود عنها ، فلم يؤاخذهم الرسول ﷺ عليها عسكرياً ، وإنما اتخذ منهم بعدها - بل وخلالها - موقفاً فكرياً، تضمن ما يأتي :

أ - مواصلة دعوتهم إلى الإسلام :

ذكرنا أن الرسول ﷺ حينما قدم (المدينة) - مهاجراً - عمل على دعوة اليهود - كغيرهم من البشر - إلى الدخول في دين الإسلام . (١)
ولكن اليهود لم يكتفوا بعدم الاستجابة لداعي الله تعالى ، وإنما عملوا على الإساءة للمسلمين - كما تحدثنا تفصيلاً عن مكائدهم في (الناحية الفكرية) قبل قليل - .

ومع ذلك ، فلم ييأس الرسول ﷺ منهم ، وإنما ظل بعد تلك المكائد - بل وخلالها - يعمل - رغبة في استمالتهم من جديد إلى الإسلام - على نشر روح التسامح معهم ، المتمثل فيما يأتي :

١ - وصفهم بأنهم أهل كتاب :

يقول تعالى :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبِينُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ

١ راجع : (العلاقات بين الرسول ﷺ واليهود) ص ٧٣ .

على كل شيء قدير ﴿١﴾

٢ - مدح كتابهم (التوراة) الأصلية :

يقول تعالى :

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ (٢)

٣ - وصفهم بأنهم بني إسرائيل :

يقول تعالى :

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾ (٣)

٤ - امتداح أنبيائهم - عليهم السلام - :

يقول تعالى :

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (٤)

١ سورة المائدة ، آية : ١٩ .

٢ سورة المائدة ، آية : ٤٤ .

٣ سورة البقرة ، آية : ٤٠ .

و : انظر : محمد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مادة إسرائيل) ص ١٣٧

- ١٣٨

٤ سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

٥ - الانصاف في الحكم عليهم :

يقول تعالى :

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) .

٦ - مجادلتهم بالتي هي أحسن :

يقول تعالى :

﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢) .

٧ - معاملتهم بالحسنى :

لقد أوجب الإسلام معاملة (أهل الكتاب) من اليهود - والنصارى - بالحسنى في كافة أنواع المعاملات ؛ انطلاقاً من القاعدة الذهبية : (لهم مالنا وعليهم ما علينا) .

وقد ظفر (اليهود) ببناءً على ذلك ، بكثير من الحقوق ، التي سنتحدث

١ سورة البقرة ، آية : ٨٣ .

٢ سورة العنكبوت ، آية : ٤٦ .

عنها - إن شاء الله تعالى - تفصيلا ، في موضع آخر . (١) ٠

ب - ردهم الى الصواب فيما جادلوا فيه أو سألوا عنه :

لقد كان موقف الرسول ﷺ من مجادلات اليهود الدينية وأسئلتهم التعنتية ، يتضمن ردهم إلى الصواب في كل ما جادلوا فيه أو سألوا عنه ، وذلك بإيراد البراهين التي تفصح بأباطيلهم ، وتقضي على شبهاتهم ، وتكشف عن أكاذيبهم ، وتتهكم بعقولهم ، وتتحداهم أن يقيموا دليلا واحداً على صحة ما يزعمونه (٢) - كما فصلنا ذلك فيما مضى - (٣) ٠

ج - نهى المسلمين عن موالاتهم :

لقد نهى الله تعالى المسلمين عن موالة اليهود - وأمثالهم من المشركين والمنافقين - ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الحلف والجوار في الجاهلية » (٤) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تَحِبُّونَهُمْ وَلَا

١ راجع : (الوجود اليهودي في البلاد التي عرفت بالعالم الإسلامي) ص ٥٠٠.

٢ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٤٣ - ٢٤٤

٣ راجع : (إنكارهم نبوة محمد ﷺ) ص ٨٨ ، و : (مجادلتهم للرسول ﷺ في الشؤون الدينية) ص ١٤٥ ، و : (محاولتهم إثارة جدل ديني بين الرسول ﷺ والطوائف الأخرى) ص ٣٥٠ ، و : (محاولتهم إخراج الرسول ﷺ بالاسئلة التعنتية) ص ٣٥٢.

٤ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٤ ص ٦١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص

١١٥ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٥٦ .

يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا
 عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات
 الصدور * إن تمسكم حسنة تسؤوهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا
 بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون
 محيط (١) .

د - نهى المسلمين عن سؤالهم :

لقد نهى الرسول ﷺ المسلمين عن سؤال اليهود فيما يتعلق بأموال
 الدين ، وأمرهم أن يراجعوا فيها ما جاء به من كتاب الله وسنته ، فعن
 عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول
 الله ﷺ أحدث ، تقرأونه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب
 بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هو من عند الله
 ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا والله
 ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم » (٢) .

هـ - تحذير المسلمين من أن ينهجوا نهجهم :

لقد حذر الله تعالى المسلمين من أن ينهجوا نهج اليهود ، الذين
 يؤذون أنبياء الله تعالى - ، خصوصاً نبيهم موسى - عليه السلام - ! ، حيث
 يقول سبحانه :

١ سورة آل عمران ، آية : ١١٨ - ١٢٠ .

٢ صحيح البخاري : (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة «٩٦») ، (باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل
 الكتاب عن شيء «٢٥») ج ٨ ص ١٦٠ .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ (١) •

وقد تحدثنا عن ذلك - تفصيلا - فيما مضى • (٢)

و - تذكيرهم بنعم الله عليهم وعقوباته لهم :

لقد أنعم الله تعالى على اليهود بنعم كثيرة أفاض (القرآن الكريم) في سردها ، حيث يقول سبحانه :

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ (٣) •

وفي هذا التذكير حمل لهم على مقابلة تلك النعم بالحمد لله ، والوفاء بعهده ، والإيمان برسوله محمد ﷺ • (٤)

كما أفاض (القرآن الكريم) - أيضاً - في ذكر مواقفهم الجاحدة لهذه النعم ، حيث يقول سبحانه :

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾ (٥) •

وقد ترتب على هذا الجحود أن حكم عليهم الحكيم الخبير بحكم أبدي (٦) ، يقول فيه سبحانه :

١ سورة الاحزاب ، آية : ٦٩ .

٢ راجع : (الإيذاء) ص ٢٢٦ .

٣ سورة البقرة ، آية : ٤٧ .

و : انظر : سورة البقرة ، آية : ٤٧ - ٦٠ .

٤ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن الو سنة ص ٢٥٠ .

٥ سورة البقرة ، آية : ٨٣ .

٦ راجع : ج ١ ص ١٥٠ .

﴿وَإِنْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

ز - إنذارهم بسوء المصير إذا استمروا في طغيانهم :

لقد كان من ضمن موقف الرسول ﷺ من اليهود ، تهديدهم بالعقوبات الرادعة ، وطردهم من (المدينة) ، إذا هم استمروا في زعزعة أمتها ، أو إثارة الفتن فيها ، وهذا الموقف الحازم كان بمثابة الإنذار الأخير ، حتى يثوبوا إلى رشدهم ، ويتركوا مآرجوا عليه من مكائد ضد الإسلام ، ورسوله ﷺ ، وأتباعه المسلمين (٢)

ومن النصوص القرآنية الكريمة التي تحمل هذا الطابع ضد (اليهود) وغيرهم - (٣) ، قول الله تعالى :

﴿لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لِنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا * سَنَسُ بَلِّغُهُمْ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ * وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٤)

ولكن اليهود لم يقابلوا الإحسان بالإحسان ، ويتبعوا الرسول ﷺ فيما يدعوههم إليه من الإسلام ؛ لمصلحتهم في الدنيا والآخرة ، وإنما بقوا على كفرهم ، واستمروا في مكائدهم ضد الإسلام ، ورسوله ﷺ ، وأتباعه المسلمين ، متجاوزين هذه (الناحية الفكرية) - استغلالا لسماحة الرسول

١ سورة الأعراف ، آية : ١٦٧ .

٢ انظر : د / محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٥٠ .

٣ انظر : المرجع السابق ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

٤ سورة الأحزاب ، آية : ٦٠ - ٦٣ .

ﷺ معهم - إلى (الناحية العسكرية) ؛ مما لزم معه اتخاذ موقف تأديبي
ضدهم ، وهذا هو موضوع الفقرة التالية :

٢ - الناحية العسكرية :

لم يلتزم اليهود بالمعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ معهم من
(الناحية العسكرية) - أيضاً - ؛ فقد جاء في البند - السابق - من (وثيقة
موادعة اليهود) :

« وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة » .

وهذا هو ما يسمى ب (الدفاع المشترك) .

ومكائد اليهود في هذه الناحية - والتي سنتحدث عنها بعد قليل - ليست

الوقوف على الحياد بين الرسول ﷺ وأعدائه المشركين - على أقل

تقدير - ، وإنما هي مباشرة الإفساد بأنفسهم !

وتتمثل تلك المكائد اليهودية - بإيجاز - فيما يأتي :

أ - مكائد يهود بني قينقاع :

١ - تهديدهم بمحاربة المسلمين !

٢ - كشفهم عن عورة المرأة المسلمة !

ب - مكائد يهود بني النضير :

١ - تحريضهم قريشاً على قتال المسلمين !

٢ - محاولتهم اغتيال الرسول ﷺ !

ج - مكائد يهود بني قريظة :

- تحالفهم مع القبائل العربية الوثنية (الأحزاب) على حرب المسلمين ! .

د - مكائد يهود خيبر :

١ - تحريضهم القبائل العربية الوثنية (الأحزاب) على حرب المسلمين ! .

٢ - تحريضهم يهود بني قريظة على التحالف مع (الأحزاب) على حرب المسلمين ! .

٣ - تأليفهم جيشاً جديداً لحرب المسلمين ! .

٤ - محاولة سم الرسول ﷺ ! .

وهذه المكائد اليهودية تعد - ولاشك - نقضاً صريحاً لمعاهداتهم مع

الرسول ﷺ .

وإزاء تلك المكائد العدائية التي تشكل أعظم الآثار اليهودية على

الإسلام ، ورسوله ﷺ ، والمسلمين - في هذه (الناحية العسكرية) - كان

لابد من اتخاذ موقف حازم ، يكون فيه تأديباً لهم ، وقطعاً لدابر فتنهم ضد

المسلمين .

ويتجلى ذلك الموقف من خلال غزوات الرسول ﷺ ، ضد تلك القبائل

اليهودية ، التي نقضت عهودها معه ! .

وهذه المكائد اليهودية في هذه (الناحية العسكرية) متفرقة ، تتخلل

مكائدهم في (الناحية الفكرية) ، فعلى الرغم من إجلاء قبيلة (بني قينقاع)

- وهي أول القبائل اليهودية التي نقضت العهد من (الناحية العسكرية) -

؛ فقد كان الرسول ﷺ يعامل القبيلتين الأخريتين : (بني النضير وبني

قريظة) معاملة حسنة ، على الرغم من مكائدهما في (الناحية الفكرية) -

التي تحدثنا عنها في الفقرات السابقة (١) - ، وحين تم إجلاء قبيلة (بني النضير) - وهي ثاني القبائل اليهودية التي نقضت العهد - استمر الرسول ﷺ في معاملة قبيلة (بني قريظة) معاملة حسنة ، حتى تم إجلاؤها حين نقضت العهد هي الأخرى ، وكذلك تم تأديب (يهود خيبر) الذين نقضوا العهد - أيضاً - ، على ما سنفصله في الفقرة التالية :

✽ غزوات اليهود :

تتمثل غزوات الرسول ﷺ لليهود في (أربع غزوات) (٢) ، على ما سنفصله فيما يأتي :

١ - غزوة بني قينقاع :

أ - تاريخ الغزوة :

وقعت غزوة (يهود بني قينقاع) في ١٥ شوال عام ٢ هـ - ١٠ نيسان (أبريل) ٦٢٣ م عقب (غزوة بدر الكبرى) بـ (شهر تقريباً) . (٣)

-
- ١ راجع: الفقرات من ١ - ١٥ ص ٨٨ - ٤٠٦ .
 - ٢ لقد رأيت - حسب اطلاعي المحدود - أن أفضل من كتب في غزوات اليهود ، بتفصيل واف ، جمع أغلب ما احتوته المصادر القديمة ، وبأسلوب موحد - لولا عدم الاهتمام دائماً بمسألة الإحالات إلى تلك المصادر - ، هو : محمد أحمد باشميل ، في كتابه : موسوعة الغزوات الكبرى . فليرجع إليه عند طلب الإستزادة من تلك التفصيلات .
 - ٣ يذكر بعض العلماء أن (غزوة بين قينقاع) وقعت بين (غزوتي بدر وأحد) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٤٧ .
 - ويحددها بضعهم بشهر شوال عام ٢ هـ . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٠ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٠٩ .
 - ويزيدها آخرون تحديداً بـ ١٥ شوال عام ٢ هـ - كما رجحناه أعلاه - . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٦ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٨ - ٢٩ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٦ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥ .

ب - أسباب الغزوة :

يعود سبب (غزوة يهود بين قينقاع) إلى حدثين خطيرين صدرتا عنهما ، وهما :

١ - تهديدهم بمحاربة المسلمين :

لما انتصر المسلمون في (موقعة بدر الكبرى) على مشركي قريش في رمضان عام ٢ هـ - ٦٢٣ م ، أظهر اليهود - عموماً - و(يهود بني قينقاع) - خصوصاً - الحسد ، حتى بلغ بهم الأمر إلى جد المجاهرة بالعداء !
ذلك أن الرسول ﷺ رأى - بعد انتصاره العظيم ذلك - أن يجمعهم في سوقهم - وكانوا صاغة - ؛ ليدعوهم إلى الإسلام من جديد ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

«لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع ، فقال : يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً ، قالوا : يامحمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرأ من قريش كانوا أغماراً (١) لا يعرفون القتال ، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تلق مثلاًنا » (٢)

١ الأغمار : من لم يجربوا الأمور . انظر : الفيروزآبادي : القاموس المحيط (مادة الغمر) ج ٢ ص ١٠٤ .

٢ سنن أبي داود - واللفظ له - : (كتاب الجراح والاميرة والفيء) ، (باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة) ، حيث رقم (٣٠٠١) . ج ٣ ص ١٥٤ - ١٥٥ . و : سنن البيهقي : (كتاب الجزية) ، (باب من لا تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان) ج ٩ ص ١٨٣ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٣ ص ١٩٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٥٠ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٩١ - ٩٢ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٥١ .

و : وقال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (ضعيف الإسناد) . انظر : ضعيف سنن أبي

ولا يخفى ما في هذا الرد من تحد واستفزاز وتهديد للرسول ﷺ -
مع أنهم كانوا قد انضموا تحت لوائه بموجب المعاهدات الملحقة
بالوثيقة (وثيقة موادة اليهود) (١) التي أبرمها معهم - ، إلا أنه كظم
غيطه ، وتركهم وشأنهم ! ، وقد أنزل الله تعالى فيهم :

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ

المهاد﴾ (٢)

٢ - كشفهم عن عورة المرأة المسلمة :

لقد استبد الطغيان بـ (يهود بني قينقاع) ، حتى كانت الشرارة الاولى
التي أشعلوها سفهاً ، فعن (أبي عون) (٣) - رحمه الله تعالى - قال :

« كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ،
فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على
كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعهده إلى ظهرها ، فلما
قامت انكشفت سواؤها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين
على الصائغ فقتله - وكان يهودياً - ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ،
فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع

داود حديث رقم (٦٤٧) ص ٢٩٨ .

و : وقد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص
١٧٦ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٥٥٢ و ج ٣-٤ ص ٤٧ ، و : الطبري :
تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٧٩ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢١٠ ، و : ابن كثير :
السيرة النبوية ج ٣ ص ٥ .

١ راجع : تلك المعاهدات الملحقة في : (وثيقة موادة اليهود) ص ٨٠ .

٢ سورة آل عمران ، آية : ١٢ .

٣ أبو عون : (القرن ١ هـ - ٧م) هو أبوعون الأعور عبدالله بن أبي عبدالله الأنصاري الشامي .
تابعي ، مقبول . انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٦٦٢ .

الشر بينهم وبين بني قينقاع ، (١) ،

وهذان الحدثان اللذان يتسمان بالحق : (تهديدهم بمحاربة المسلمين ، وكشفهم عن عورة المرأة المسلمة) يعدان - ولاشك - نقضاً صريحاً لمعاهداتهم مع الرسول ﷺ .

ج - وقائع الغزوة :

لقد تحصن (يهود بني قينقاع) بحصونهم ؛ استعداداً للحرب ؛ لأنهم شعروا أن فعلتهم - السابقة - نقض للعهد المبرم معهم ، فسار إليه الرسول ﷺ - بأصحابه - ، وضرب الحصار عليهم (خمس عشرة ليلة) (٢) ، فلما اشتد الأمر اضطروا إلى التسليم ، ونزلوا على حكم الرسول ﷺ ، على أن له أموالهم ، ولهم النساء والذرية (٣) ، فأمر بهم فكتفوا ؛ استعداداً لقتلهم (٤) ، إلا أن رأس المنافقين (عبد الله بن أبي بن سلول) - وكانوا حلفاء لقومه (الخزرج) - شفع فيهم عند الرسول ﷺ ، فعن عاصم بن عمر بن قتادة - رحمه الله تعالى - قال : قال (عبد الله بن أبي بن سلول) (٥) للرسول ﷺ :

- ١ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - : ج ٣ - ٤ ص ٤٧ - ٤٨ ، و : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، و : ابن كثير : السير النبوية ج ٣ ص ٦ .
- ٢ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٧ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٤٩ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٩ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٠ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢١٠ ، و : ابن هزم : جوامع السيرة ص ١٥٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٦ و ١٩٠ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٧ .
- ٣ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٨٠ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٩ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧ .
- ٤ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٠ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣١٠ .
- ٥ راجع : ترجمة (عبد الله بن أبي بن سلول) ص ٣٨٣ .

« يا محمد ، أحسن في موالي ... ، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال :
يا محمد ، أحسن في موالي ... ، فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع
رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أرسلني . وغضب ، حتى روي
لوجهه ظلال (١) ، فقال له : ويحك أرسلني ، فقال : والله لا أرسلك ، حتى
تحسن في موالي ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع ، من منعوني من الأحمر
والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، إي والله إنني لامرؤ أخشى الدوائر
، فقال رسول الله ﷺ : هم لك (٢) »
أما (عبادة بن الصامت) (٣) - رضي الله عنه - وكان لهم من حلقة مثل
الذي لهم من (ابن سلول) - ؛ فقد تبرأ منهم ، فعن حفيده (عبادة بن الوليد
بن عبادة بن الصامت) (٤) - رحمه الله تعالى - قال :

« لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي
، وقام بونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني

-
- ١ الظلال : هي الصحابة ، كناية عن تغير الوجه عند الغضب . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الظل) ج ٤ ص ١٠ .
 - ٢ البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٧٤ .
 - و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٨ ، و : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٠ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٧٦ .
 - ٣ عبادة بن الصامت : (٣٨ ق هـ - ٣٤ هـ = ٥٨٦ - ٦٥٤ م) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الخزرجي . صحابي ، شهد (بيعة العقبة) - وكان أحد النقباء - ، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ . ثم حضر (فتح مصر) ، وهو أول من ولي القضاء بـ (فلسطين) . روى (١٨١ حديثاً) . توفي بـ (الرملة) أو (بيت المقدس) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥ - ١١ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، والزيكلي : الأعلام ج ٣ ص ٢٥٨ .
 - ٤ عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت : (القرن ١ هـ - ٧ م) هو أبو الوليد عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الخزرجي . تابعي ، روى عن أبيه وجده وغيرهما من الصحابة . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١٠٧ .

عوف بن الخزرج من له حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي - ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يارسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم « (١) ، فأنزل الله تعالى فيهما (أي ابن سلول وابن الصامت) :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين» (٢)

» والفرق واضح بين عبد الله بن أبي الذي أشرب قلبه النفاق ، وبين عبادة بن الصامت الذي صقلته التربية المحمدية ، وخلصته من آثار العصبية الجاهلية والأهواء والمصالح الشخصية ، فنظر إلى مصلحة العقيدة وقدمها على مصالح الخاصة ، فكان مثلاً للمؤمن الواعي الملتزم « (٣)

د - نتائج الغزوة :

لقد حقن الرسول ﷺ دماء (يهود بني قينقاع) - بناءً على شفاعة المنافق (ابن سلول) - ، على شرط أن يخرجوا بأنفسهم ونسائهم

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٦ ص ٢٧٥ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص

١٧٤ - ١٧٥ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ١٩١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن

العظيم ج ٢ ص ٦٨ - ٦٩ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٩٢ - ٩٣ .

٢ سورة المائدة ، آية : ٥١ - ٥٢ .

٣ د / أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ١٤١ .

وذرا ريهيم - دون أموالهم (١) - من (المدينة) . (٢)

ولكن ذلك المتافق حاول - مرة أخرى - أن يسعى في بقائهم معه في (المدينة) ، حيث ذهب إلى الرسول ﷺ ليكلمه في ذلك ، فأراد أن يدخل ، فردّه (عويم بن ساعدة) (٣) - رضي الله عنه - ، حتى يأذن له الرسول ﷺ ، فدفعه (ابن سلول) ، فغلظ عليه (عويم) ، حتى شج وجهه ، فلما رأى (بنو قينقاع) ذلك خافوا (٤) ، وقالوا :

« لا نقيم أبداً بدار أصاب وجهك فيها هذا ، لانقدر أن نغيره » . (٥)
ثم رحلوا (٦) إلى (أزرعات) (٧) بالشام ، فما كان أقل بقاؤهم بها ،

١ لم يكن لـ (يهود بني قينقاع) أراض ولا مزارع ، وإنما هم صاغة وتجاراً ، ولذلك كانت غنائمهم تنحصر في الأموال وآلة الصياغة والسلاح ، حيث قبض الرسول ﷺ خمسها ، والباقي تم تقسيمه بين الصحابة - رضي الله عنهم - . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٨ - ١٧٩ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢١٠ - ٢١١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٢ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٨ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٩ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٧ .

٣ عويم بن ساعدة : (القرن ١ ق هـ - ١ هـ = ٧ م) هو عويم بن ساعدة بن عابس الأوسي . صحابي ، شهد (بيعة العقبة) ، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ . توفي في خلافة (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٥ .

٤ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٨ .

٥ المرجع السابق ج ١ ص ١٧٨ .

٦ لقد جاء خبر إجلاء (يهود بني قينقاع) في كتب الحديث الشريف دون تفاصيل . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤» ، (باب حديث بني النضير «١٤») ، ج ٥ ص ٢٢ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢» ، (باب إجلاء اليهود من الحجاز «٢٠») ، حديث رقم (١٧٦٦/٦٢) ، ج ٣ ص ١٣٩٩ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والقيء) ، (باب في خبر النضير) ، حديث رقم (٣٠٠٥) ، ج ٣ ص ١٥٧ .

٧ أزرعات : منطقة في الأردن . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١ .

حيث هلكوا جميعاً . (١)

وعلى الرغم من إجلاء الرسول ﷺ لـ (يهود بني قينقاع) - وهم أول الفئات اليهودية التي أُجليت عن (المدينة) - فإن الآخرين من اليهود ، وهم (بني النضير وبني قريظة) لم يجرؤوا على مساندة إخوانهم (بني قينقاع) - على الرغم من حرصهم الاكيد على القضاء على المسلمين - .
وصدق الله العظيم القائل فيهم :

﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾ . (٢)

إلا أن أولئك اليهود لم يتعظوا ، ولم يزدادوا إلا عناداً وتوغلاً في حبك المكائد ضد الرسول ﷺ وأصحابه المسلمين ، كما سنرى - إن شاء الله تعالى - في الفقرة التالية :

٢ - غزوة بني النضير :

أ - تاريخ الغزوة :

وقعت (غزوة يهود بني النضير) - على الراجح - (٣) في ربيع الأول

١ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٠ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٩ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٧ .

٢ سورة الحشر ، آية : ١٤ .

٣ يقال : إن (غزوة بني النضير) وقعت عام ٣ هـ . حيث وردت روايات تدل على أنها وقعت بعد (غزوة بدر الكبرى) - انظر : سفن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب في خبر بني النضير) ، حديث رقم (٣٠٠٤) ، ج ٣ ص ١٥٦ ، (كتاب التفسير) ج ٢ ص ٤٨٣ .

وقد حددت روايات أخرى : أنها على رأس (سنة أشهر) من (غزوة بدر) . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب حديث بني النضير «١٤») ، ج ٥ ص ٢٢ ، و : مصنف عبد الرزاق : (كتاب المغازي) ، (باب وقعة بني النضير) ، حديث رقم (٩٧٣٢) ، ج ٥ ص ٣٥٧ ، و : هذه الروايات - الأخيرة - توافق روايات أخرى من أنها في محرم من عام ٣ هـ . انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٨٢ .

ب - أسباب الغزوة :

يعود سبب (غزوة يهود بني النضير) إلى حدثين خطيرين صدرأ عنهم ،

وهما :

١ - تحريضهم قريشاً على قتال المسلمين :

لما بلغ - اليهود عموماً - و (يهود بني النضير) خصوصاً ، خبر انتصار المسلمين في (موقعة بدر الكبرى) على مشركي قريش في رمضان عام ٢ هـ - ٦٢٣ م ، غاظهم ذلك الخبر ، فقال (كعب بن الأشرف) - وهو من (يهود بني النضير) - :

« أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء ؟ [يعني من قتل في بدر من مشركي قريش] ، فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان

١ يذكر بعض العلماء أن (غزوة بني النضير) وقعت بعد (غزوة أحد) . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب حديث بني النضير «١٤») ، ج ٥ ص ٢٢ - تعليقاً عن ابن إسحاق . - و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٥ .

ويحددها بعضهم بعام ٤ هـ - انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٣١ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٠ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٤ .

ويزيدها آخرون تحديداً بشهر ربيع الأول عام ٤ هـ - كما رجحناه أعلاه - انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ١٩٠ - ١٩١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ، ص ٥٧ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٩ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨١ ، حيث حددها (اي ابن حزم) بأول عام ٤ هـ ، وأول العام عنده (ربيع الأول) ، بناءً على منهجه في احتساب أول السنة الهجرية من (شهر ربيع الأول) الذي قدم فيه الرسول ﷺ مهاجراً إلى (المدينة) ، مخالفاً بذلك منهج الجمهور في احتساب أول السنة الهجرية من (شهر محرم) السابق من تلك السنة التي هاجر فيها الرسول ﷺ . راجع : (تاريخ غزوة خيبر) ص ٤٦١ .

محمداً أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها « ١ » . (١)
ولما تيقن (ابن الأشرف) صحة الأخبار توجه إلى (مكة) ينشد الأشعار ،
التي يتباكى فيها من قتل في (بدر) من صناديد المشركين ، ويحرض قريشاً
على قتال الرسول ﷺ ، ويستحثهم على إنقاذ (المدينة) من المسلمين (٢) ،
في قصيدة له ، مطلعها :
طحنت رحي بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تستهل وتدمع ! . (٣)
وخلال وجود (ابن الأشرف) - ومن معه من يهود - في (مكة) تورط في
جواب ، فضل فيه الوثنية على التوحيد ، فعن عبد الله بن عباس - رضي
الله عنهما - قال :

« لما قدم كعب بن الأشرف مكة ، قالت له قريش : أنت خير أهل المدينة
وسيدهم ؟ ، قال : نعم ، قالوا : ألا ترى إلى هذا الصنوبر (٤) المنبتر من
قومه يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة ، وأهل

١ ابن هشام : السيرة النبوية - واللفظ له - ج ٣-٤ ص ٥١ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣
ص ١٨٨ ، و : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٨٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص
٣٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣
ص ١١ .

٢ انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب كيف كان إخراج اليهود من
المدينة) ، حديث رقم (٣٠٠٠) ، ج ٣ ص ١٥٤ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٨٨ .
و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن أبي
داود حديث رقم (٢٥٩٣) ج ٢ ص ٥٨٢ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٨٥
و ١٩٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٥١ - ٥٢ ، و : ابن سعد : الطبقات
الكبرى ج ٢ ص ٣٢ و ٣٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٨٨ ، و : ابن القيم
: زاد المعاد ج ٣ ص ١٩١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١١ .

٣ لمعرفة تلك القصيدة كاملة . راجع : ص ٤٠١ .

٤ الصنوبر : الرجل الفرد الضعيف الذليل ، بلا أهل ولا عقب ولا ناصر . انظر : الفيروز أبادي :
القاموس المحيط (مادة الصنوبر) ج ٢ ص ٧٣ .

السقاية ؟ ، قال : أنتم خير منه « (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ • (٢)

وأنزل - أيضاً - سبحانه :

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلًا﴾ • (٣)

وقد علق على هذا الحادث العالم اليهودي الدكتور (إسرائيل
ولفنسون) (٤) ، حيث يقول :

« كان من واجب هؤلاء ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ،
وألا يصرحوا أمام زعماء قريش أن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد
الإسلامي [وهو أقرب إلى عقيدتهم] ، ولو أدى بهم الأمر إلى ... أن
يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم ... » [لـ] أنهم بالتجاءهم إلى عبادة

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٥ ص ١٣٣ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص
١٩٠ - ١٩١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٣ ، و : السيوطي : لباب
النقول ص ٧٠ ، و : الوادي الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٤٤ .

و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : الطبري : جامع البيان ج
٥ ص ١٣٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٣ ، و : الوادي : أسباب
نزل القرآن ص ١٤٨ - ١٥٠ .

٢ سورة الكوثر ، آية : ٣ .

٣ سورة النساء ، آية : ٥١ .

٤ إسرائيل ولفنسون : (؟ - ؟) عالم يهودي ، يكنى بـ (إبي ذؤيب) . كان أستاذ لـ (اللغات
السامية) بالجامعات المصرية ، ولكنه رحل إلى (فلسطين) فور قيام دولة (إسرائيل) عام ١٩٤٨ م
- ١٣٦٧ هـ ، حيث عمل فيها كبيراً لمفتشي (اللغة العبرية) . من آثاره : (تاريخ اليهود في
بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام) - وهي رسالته للدكتوراة التي حصل عليها بإشراف
الدكتور طه حسين من (الجامعة المصرية) عام ١٩٢٧ م - ١٣٤٥ هـ - ، و (تاريخ اللغات
السامية) عام ١٩٣٠ م - ١٣٤٩ هـ ، و (موسى بن ميمون حياته ومصنفاته) عام ١٩٣٧ م -
١٣٥٦ هـ ، و (كعب الاحبار) ، كما نشر (المصائد والمطاردة) لـ (أبي الفتح كشاجم) . انظر :
نجيب العقيقي : المستشرقون ج ٢ ص ٧٦٢ .

الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم !! (١) .

وقد تم القضاء على (كعب بن الأشرف) ، حيث وجه الرسول ﷺ (محمد بن مسلمة) - رضي الله عنه - في نفر من (الأوس) في ١٤ ربيع الأول عام ٣ هـ - ٤ أيلول (سبتمبر) ٦٢٤ م ، فقتلوه - كما فصلنا ذلك فيما مضى - (٢) . هذا ، وقد كان لتلك التحريضات والفتاوى اليهودية أعظم الأثر في وقوع (معركة أحد) التي شنها كفار قريش في شوال عام ٣ هـ - ٦٢٤ م ، ضد المسلمين في (المدينة) (٣) .

٢ - محاولتهم اغتيال الرسول ﷺ :

لقد هم (يهود بني النضير) بقتل الرسول ﷺ بعد (موقعة بدر الكبرى) وقد سجلت عليهم المصادر الحديثة والتاريخية في ذلك محاولتين ، هما :

أ - المحاولة الأولى :

حدثت بعد أن كتب كفار قريش إليهم يهددونهم بالحرب ، إن لم يقاتلوا الرسول ﷺ ، فعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال :
» ... كتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود : أنكم أهل الحلقة والحصون ، وأنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا

١ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٤٢ .

٢ راجع : (كعب الأشرف) ص ٤٠٠ .

٣ لمزيد من المعلومات حول (موقعة أحد) ، انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٩٩ - ٣٣٤ ، و ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ١٦٠ - ١٦٨ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٦ - ٤٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٩٩ - ٥٣٣ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢١٨ - ٢٣١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٥٦ - ١٧٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٩٢ - ٢١١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٨ - ٩٦ .

وبين خدم نساكنكم شيء - وهو الخلاخل - ، فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر ، فأرسلت إلى النبي ﷺ : أخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ، ولنخرج في ثلاثين حبراً ، حتى نلتقي في مكان كذا ، نصف بيننا وبينكم ، فيسمعوا منك ، فلن صدقوك ، وآمنوا بك ، آما كلنا ، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه ، وخرج إليه ثلاثون حبراً من يهود ، حتى إذا برزوا في براز من الأرض ، قال بعض اليهود لبعض : كيف تخلصون إليه ، ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه ، كلهم يحب أن يموت قبله ، فأرسلوا إليه : كيف تفهم ونفهم ، ونحن ستون رجلا ؟ ، أخرج في ثلاثة من أصحابك ، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا ، فليسمعوا منك ، فلن آمنوا بك ، آما كلنا ، وصدقناك ، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه ، واشتملوا [أي اليهود] على الخناجر ، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها ، وهو رجل مسلم من الأنصار ، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ ، فأقبل أخوها سريعاً ، حتى أدرك النبي ﷺ ، فساره بخبرهم ، قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم ، فرجع النبي ﷺ « ! » (١) .

ب - المحاولة الثانية :

- ١ مصنف عبدالرزاق - واللفظ له - : (كتاب المغازي) ، (وقعة بني النضير) ، حديث رقم (٩٧٣٣) ج ٥ ص ٣٥٨ - ٣٦٠ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب في خبر النضير) ، حديث رقم (٣٠٠٤) ، ج ٣ ص ١٥٦ ، و : أبو نعيم : دلائل النبوة ص ٤٨٩ - ٤٩٠ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٧٩ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٤١ - ٤٤٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٠-٣٣١ .
- و : قال الشيخ الألباني : عن هذا الحديث : (إنه صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن أبي داود حديث رقم (٢٥٩٥) ج ٢ ص ٥٨٣ .

حدثت بعد أن ذهب إليه الرسول ﷺ ؛ ليستعينهم على دية القتيلين العامريين ! ، فعن عكرمة - رحمة الله تعالى - قال :

« قتل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رجلين من بني سليم وبين النبي ﷺ وبين قومهما مودة ، فجاء قومهما يطلبون الدية ، فأتى النبي ﷺ ، ومعه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف ، فدخلوا على ١٠٠ بني النضير يستعينهم في عقلهما ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة ، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا ، فجلس هو وأصحابه ، فخلا بعضهم ببعض وقالوا : إنكم لم تجدوا محمداً أقرب منه الآن (١) ، فمن يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ ، فقال : (عمرو بن جحاش بن كعب) (٢) : أنا ، فجاء إلى رحي عظيمة ليطرحها عليه ، فأمسك الله تعالى يده ، وجاء جبريل - عليه السلام - ، وأخبره بذلك ، فخرج رسول الله ﷺ ! » (٣)

وقد أنزل الله تعالى في شأن هذه الحادثة (محاولتهم اغتيال الرسول

١ تذكر بعض كتب السير أن (سلام بن مشكم) حذر قومه من الغدر بالرسول ﷺ ؛ معللاً ذلك بأنه نقض للعهد المبرم معهم . انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٤٩١ - ٤٩٢ ، و : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٧ - ١٢٨ .

٢ عمرو بن جحاش بن كعب : (القرن ١ ق.هـ - ٦-٧ م) يهودي ، أجلي مع قومة (بني النضير) عن (المدينة) عام ٤ هـ - ٦٢٥ م ، وقد مات قتيلاً .

٣ الواحدي : أسباب نزول القرآن - واللفظ له - : ص ١٨٦ - ١٨٧ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨١ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ١٤٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣١ وج ٤ ص ٣٣١ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٨٩ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٣ - ٣٦٦ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ١٩٠ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٠ - ٥٥٢ ، و : وابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٧ - ١٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ
يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) .

وهذان الحدثان اللذان يتسمان بالغدر : (تحريضهم قريشاً على قتال
المسلمين ، ومحاولتهم اغتيال الرسول ﷺ) يعدان - ولاشك - نقضاً
صريحاً لمعاهداتهم مع الرسول ﷺ .

ج - وقائع الغزوة :

لقد طلب الرسول ﷺ من (يهود بني النضير) الخروج من (المدينة)
خلال (عشرة أيام) ، وإلا ضربت عنق من رثي منهم - بعد ذلك - (٢) ،
فاستعدوا للخروج ، ولكن رأس المنافقين (عبدالله بن أبي بن سلول) - ولم
يكونوا حلفاء لقومه (الخرج) ، وإنما هم حلفاء لـ (الأوس) (٣) - حرضهم
على التمرد ، وحثهم على عدم الخروج من (المدينة) ، واعداء لهم
بالنصر ! (٤)

١ سورة المائدة ، آية : ١١ .

٢ انظر : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٤٩٥ ، و : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٧ ، و : ابن
سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٨ .

٣ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٧ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٩ و ٤٥ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٨١
، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٨
- ٣٦٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ١٩١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج
٢ ص ٥٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٣ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية
ص ٢٣٥ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨١ - ١٨٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣
ص ١٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٧ ، و : راجع : ص ٤٣٣ .

ولذلك ، أعلنوا تمردهم ، فسار إليهم الرسول ﷺ - بأصحابه - وضرب الحصار (١) عليهم (خمسة عشرة (٢) ليلة) (٣) ، وقع عليهم خلالها سلسلة من الحوادث التي لم يستطيعوا احتمالها ، ومنها :

١ - الخوف الذي قذفه الله تعالى في قلوبهم ، حين حاصرهم الذي نصر بالربع مسيرة شهر (٤) - ﷺ - ، حيث يقول سبحانه :

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ (٥)

- ١ انظر : سنن أبي داود : (كتاب الفراج والإمارة والفيء) ، (باب في خبر النضير) ، حديث رقم (٣٠٠٤) ، ج ٣ ص ١٥٦ - ١٥٧ ، و : مصنف عبدالرزاق : (كتاب المغازي) ، (باب وقعة بني النضير) ، حديث رقم (٩٧٣٢) ، ج ٥ ص ٣٥٨ ، و : مستدرک الحاكم (كتاب التفسير) ج ٢ ص ٤٨٣ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ١٨١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٤٢ .
- و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ١٩١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٢ - ٥٥٤ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨١ - ١٨٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧ .
- ٢ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٧٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٣ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٦ .
- ٣ وقيل إن مدة حصار (يهود بني النضير) : (ست ليال) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ١٩١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨١ . والله أعلم .
- ٤ عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
- « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالربع مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب التيمم «٧») ، (باب «١») ، ج ١ ص ٨٦ ، و : صحيح مسلم : (كتاب المساجد ومواضع الصلاة «٥») ، حديث رقم (٥٢١/٣) ، ج ١ ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، و : سنن الدارمي : (كتاب الصلاة) ، (باب الأرض كلها طهور) ، ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، و : سنن الترمذي : (كتاب السير «٢٢») ، (باب ما جاء في الغنمية «٥») ، حديث رقم (١٥٥٣) ، ج ٤ ص ١٢٣ ، و : سنن النسائي : (كتاب الجهاد «٢٥») ، (باب وجوب الجهاد «١») ، حديث رقم (٣٠٨٧) ، ج ٦ ص ٤-٣ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٣٠٤ .
- ٥ سورة الحشر ، آية : ٢ .

٢ - قطع نخيلهم وتحريقها ، فعن (يزيد بن رومان) (١) - رحمة الله تعالى -
قال :

« لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير ، تحصنوا منه في
الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل ، والتحريق فيها ، فناده :
يامحمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل
وتحريقها ؟ » (٢) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله
وليخزي الفاسقين﴾ (٣)

٣ - خذلان المنافقين لهم ، بعد أن وعدوهم بالنصر ، فعن يزيد بن رومان -

١ يزيد بن رومان : (؟ - ١٣٠ هـ = ؟ ٧٤٧ م) هو أبو روح يزيد بن رومان الاسدي مولى آل
(الزبير بن العوام) - رضي الله عنه - تابعي ، عالم بالمغازي - توفي بـ (المدينة) - انظر :
ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٦٠١ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٨ ص ١٨٢ .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢٨ ص ٣٤ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج
٤ ص ٣٣٣ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٤٣ - ٤٤٥ ، و : السيوطي : لباب
النقول ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، و : الواحدي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٥٤ - ١٥٥ .
و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع - انظر : صحيح البخاري : (كتاب
تفسير القرآن «٦٥» ، (سورة الحشرة «٥٩» ، (باب قوله ما قطعتم من لينة «٢» ، ج ٦ ص
٥٨ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢» ، (باب جواز قطع أشجار الكفار
وتحريقها «١٠» ، الأحاديث رقم (٢٩-٣١/١٧٤٦) ، ج ٣ ص ١٣٦٥-١٣٦٦ ، و : سنن الدارمي
: (كتاب السير) ، (باب في تحريق النبي ﷺ لنخل بني النضير) ، ج ٢ ص ٢٢٢ ، و : سنن
ابن ماجه : (كتاب الجهاد «٤» ، (باب التحريق بأرض العدو «٣١» ، الحديثان رقم
(٢٨٤٣-٢٨٤٥) ، ج ٢ ص ٩٤٨-٩٤٩ ، و : سنن الترمذي : (كتاب التفسير «٤٨» ، (باب
سورة الحشر «٦٠» ، الحديثان رقم (٣٣٠٢-٣٣٠٣) ، ج ٥ ص ٤٠٨-٤٠٩ ، و : مسند الإمام
أحمد : ج ٢ ص ١٢٣ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير - انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٧٢
، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨
، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٦ ،
و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٨ ، و : ابن
كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٧ .

٣ سورة الحشر ، آية : ٥ .

رحمه الله تعالى - قال :

« إن رهطاً من ٠٠٠ الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول ٠٠٠ بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا لذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا » (١) ، فأنزل الله تعالى :

﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون * لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون * لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون * كمثل الذين من قبلهم ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ (٢) .

لهذه الحوادث استسلم (يهود بني النضير) ، ونزلوا على الجلاء .

١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢٨ ص ٢٩ و ٤٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢-٣٣١ و ٣٤٠ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير - انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٧٠ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ١٩١ و ١٩٤-١٩٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٥٧ - ٥٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٣-٥٥٤ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص (١٨) - ١٨٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٤٧ .

٢ سورة الحشر ، آية : ١١ - ١٧ .

د - نتائج الغزوة :

لقد حقن الرسول ﷺ دماء (يهود بني النضير) - بناءً على استسلامهم - ، على شرط أن يخرجوا (١) - بأنفسهم ونسائهم وذرائعهم - من (المدينة) ، وأن لهم ماتحملة إبلهم من الأموال ، دون السلاح (٢) ، فيتركونه للمسلمين (٣) ، واحتملوا معهم ماسمح لهم به من أموالهم ، فعن

١ - لقد أسلم أثناء الحصار من (يهود بني النضير) رجلان - فقط - ، حيث أحزما أنفسهما وأموالهما ، وهما :

١ - أبو سعد بن وهب .

٢ - يامين بن عمرو . ويقال إن (يامين) - هذا - جعل جعلاً للذي قتل ابن عمه (عمرو بن جحاش بن كعب) ، لما هم به من قتل الرسول ﷺ . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ١٩٢ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٨ .

٢ - انظر : مصنف عبد الرزاق (كتاب المغازي) ، (باب وقعة بني النضير) ، حديث رقم (٩٧٣٢) ، ج ٥ ص ٣٥٨ ، و : مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٤٨٣ ، الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٨ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٤٢ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٢٠٨ ، و : الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٥٤ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٧٤ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٣ - ٥٥٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٨ .

٣ - تتمثل غنائم (يهود بني النضير) في الأموال والأراضي والمزارع والسلاح ، حيث قبضها الرسول ﷺ خالصة له من دون تخميس ؛ لأنها مما أفاء الله تعالى عليه ، مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فجعلها الرسول ﷺ في نوائيه ومصالح المسلمين ، خصوصاً الأراضي التي أقطعها للمهاجرين الذين كانوا يعتمدون في سكناهم على بيوت الانصار - رضي الله عنهم أجمعين - . وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ : سورة الحشر ، آية : ٦ .

و : عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال :

يزيد بن رومان - رحمه الله تعالى - قال :

« واحتملوا من أموالهم ٠٠٠ ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل يهدم نجاف (١) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به » ! (٢) ، فأنزل الله

« كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ينفق على أهله منها نفقة سنته ، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب تفسير القرآن «٦٥» ، (سورة الحشر «٥٩» ، (باب ما أفاء الله على رسوله «٣») ، ج ٦ ص ٥٨ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢» ، (باب حكم الفية «١٥») ، حديث رقم (١٧٥٧/٤٨) ، ج ٣ ص ١٣٧٦-١٣٧٧ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيه) ، (باب في خير النضير) : حديث رقم (٣٠٠٤) ، ج ٣ ص ١٥٧ ، و : سنن النسائي : (كتاب قسم الفية «٣٨») ، حديث رقم (٤١٤٠) ، ج ٧ ص ١٢٢ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ١ ص ٢٥ . و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٧٧ - ٣٨٠ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ١٩٢ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٣١ - ٣٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٥ ، و : ابن خزم : جوامع السيرة ص ١٨٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٨ - ١٢٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٨ . ١ النجاف : الخشبة العليا التي يدور عليها الباب . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة النجف) ، ج ٣ ص ١٩٧ - ١٩٨ .

و : يذكر العالم اليهودي الدكتور (إسرائيل ولفنسون) أن المستشرقين يعللون حمل اليهود لنجاف أبوابهم بأن الأخشاب غالية في المناطق الصحراوية ، إلا أنه يخالفهم في ذلك معللاً ذلك بأن هذه عقيدة تلمودية ، ذلك أن كل يهودي يعلق على نجاف باب داره صحيفة تشتمل على وصية موسى - عليه السلام - لبني إسرائيل أن يحتفظوا بالإيمان بولاه واحد مهما أصابهم (انظر : تشنية : ٥/٦) ، ولذلك حينما ينزح اليهودي من داره فإنه يأخذ ذلك النجاف الحاروي لتلك الصحيفة ، وهي عادة متبعة عند اليهود في كل مكان حتى يومنا هذا . انظر : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٣٨ .

وهذا التعليل - في نظري - غير وجيه ، إذ بإمكان اليهودي أن يأخذ تلك الصحيفة - إن كانت موجودة بالفعل - ، ولا حاجة لأن يرهق نفسه بحمل هذه الخشبة ، إلا إن كانت قد تقدست بملاصقة تلك الصحيفة ! والله أعلم .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢٨ ص ٣٠ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيه) ، (باب في خير النضير) ، حديث رقم (٣٠٠٤) ، ج ٣ ص ١٥٧ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٢١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٤٤٢ .

تعالى :

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١)

ثم رحلوا في زهو ؛ تجلداً (٢) ، حيث توجه معظمهم إلى الشام (٣) ، وفي ذلك يقول تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْأُولِ الْكَافِرِينَ﴾ (٤)
ومعنى أول الكافر : أي : أول الجمع في الدنيا ، وذلك حشرهم إلى أرض (٥) الشام (٦)

١ سورة الحشر ، آية : ٢

٢ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٧٤ - ٣٧٦ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ - ٤ ص ١٩٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٨ .

٣ انظر : مصنف عبدالرزاق : (كتاب المغازي) ، (باب وقعة بني النضير) ، حديث رقم (٩٧٣٣) ، ج ٥ ص ٣٦٠ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ٣٥٩ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٨ - ٢٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٠ .
و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ١٧٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ١٩١ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤٧ .

٤ سورة الحشر ، آية : ٢ .

٥ أرض الشام : هي أرض الحشر الأخير ليوم القيامة ، فعن ميمونة بنت سعد - رضي الله عنها - قالت :

« قلت : يا نبي الله ، أفتنا في بيت المقدس ، قال : أرض المحشر والمنشر أنتوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كالف صلاة في غيره » : سنن ابن ماجه - واللفظ له - : (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها «٥») ، (باب ماجاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس «١٩٦») ، حديث رقم (١٤٠٧) ، ج ١ ص ٤٥١ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ٤٦٣ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (منكر) . انظر : ضعيف سنن ابن ماجه ، حديث رقم (٢٩٨) ، ص ١٠٥ .

٦ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٨ - ٢٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢ .

وهذا مصداق وعيد الله تعالى لليهود - عموماً - إن هم استمروا على كفرهم (١) ، حيث يقول سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَنَرُدهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ . (٢)

أما بعضهم (أي : يهود بني النضير) : فسار إلى (خيبر) (٣) ، وخصوصاً زعماءهم ، وهم : (حيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن مشكم ، وغيرهم) ، واستقروا بها ، حيث دان لهم أهلها . (٤) إلا أن الحقد استمر يعمل في نفوس أولئك الزعماء - مرة أخرى - ، مما دفعهم إلى إثارة المكائد - من جديد - ضد الرسول ﷺ وأصحابه في (المدينة) ، كما سنرى ذلك - إن شاء الله تعالى - في موضع آخر . (٥)

وفي (يهود بني النضير) نزلت (سورة الحشر) وهي (سورة بني النضير) ، فعن سعيد بن جبیر - رحمه الله تعالى - قال :

« قلت لابن عباس - رضي الله عنهما - سورة الحشر ، قال : سورة

١ راجع : (إنكارهم أن يكون القرآن الكريم حقاً) ص ٢١٥ .

٢ سورة النساء ، آية : ٤٧ .

٣ انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٧٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ١٩١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٤ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٤٧ .

٤ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٤١ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ١٩١ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٤٧ .

٥ راجع : (غزوة خيبر) ص ٤٦١ .

قال (الداودي) (٢) - رحمه الله تعالى - :

« كأن ابن عباس كره تسميتها سورة الحشر ؛ لئلا يظن أن المراد بالحشر يوم القيامة ، أو لكونه مجملا فكره النسبة إلى غير معلوم » (٣) .
وفي هذه السورة ، يقول تعالى :

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا
ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ
بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ *
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ﴾ (٤)

وعلى الرغم من إجلاء الرسول ﷺ لـ (يهود بني النضير) - وهم ثاني
الفئات اليهودية التي أُجليت عن (المدينة) - فإن الباقيين من اليهود ، وهم
(بني قريظة) لم يجرؤوا على مساندة إخوانهم (بني النضير) ، كما جبنوا -
من قبل جميعاً في نصره إخوانهم (بني قينقاع) - على الرغم من حرصهم
الأكيد على القضاء على المسلمين - ، بل إنهم (أي : يهود بني قريظة)

١ صحيح البخاري : (كتاب تفسير القرآن «٦٥» ، (سورة الحشر «٥٩») ، (باب «١») ، ج ٦ ص ٥٨ ، و : صحيح مسلم : (كتاب التفسير «٥٤») ، (باب في سورة براءة والأنفال والحشر «٥») ، حديث رقم (٣١ - ٣٠٣١) ، ج ٤ ص ٢٣٢٢ ، و : الوادعي : الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٥٣ .

٢ الداودي : لم أتمكن من معرفة اسمه كاملاً .

٣ ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

٤ سورة الحشر ، آية : ٦ - ٤ .

جددوا العهد مع الرسول ﷺ ، في أثناء حصاره لـ (يهود بني النضير) (١) ،
وصدق الله العظيم القائل فيهم :

﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾ (٢) .

إلا أن أولئك اليهود من (بني قريظة) لم يتعظوا - أيضاً - ، ولم
يزدادوا إلا عناداً وتوغلاً في حبك المكائد ضد الرسول ﷺ ، وأصحابه
المسلمين ، كما سنرى - إن شاء الله تعالى - في الفقرة التالية :

٣ - غزوة بني قريظة :

أ - تاريخ الغزوة :

وقعت غزوة (يهود بني قريظة) - على الراجح (٣) - في ٢٣ ذي القعدة

١ انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفقه) ، (باب في خبر النضير) ، حديث رقم
(٣٠٠٤) ، ج ٣ ص ١٥٧ ، و : مصنف عبدالرزاق : (كتاب المغازي) ، (باب وقعة بني النضير)
، حديث رقم (٩٧٣٣) ، ج ٥ ص ٣٦٠ .

٢ سورة الحشر ، آية : ١٤ .

٣ يقال : إن (غزوة بني قريظة) وقعت عام ٤ هـ . انظر : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٦ .

وهذا الخلاف في تاريخ هذه الغزوة مترتب على الخلاف في تاريخ (غزوة الخندق - الأحزاب) ؛
لأنهما متعاقبتان ، دون فاصل ، حيث يذهب البخاري ، وابن حزم - رحمهما الله تعالى - إلى
أن (غزوة الخندق) وقعت في شوال عام ٤ هـ . انظر : البخاري : صحيح البخاري : (كتاب
المغازي «٦٤» ، (باب غزوة الخندق «٢٩») ، ج ٥ ص ٤٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص
١٨٥ .

وقد استدلل الإمام ابن حزم - رحمه الله تعالى - على ذلك بما رواه عبدالله بن عمر - رضي الله
عنهما - ، حيث يقول :

« عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال ، وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ،
وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني » : صحيح مسلم - واللفظ له - :
(كتاب الإمارة «٣٣») ، (باب سن البلوغ «٢٣») ، حديث رقم (١٨٦٨/٩١) ، ج ٣ ص ١٤٩٠ ، و :
صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب غزوة الخندق «٢٩») ، ج ٥ ص ٤٥ ، و :
سنن ابن ماجه : (كتاب الحدود «٢٠») ، (باب من لا يجب عليه الحد «٤») ، حديث رقم (٢٥٤٣)
، ج ٢ ص ٨٥٠ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الحدود) ، (باب في الغلام يصيب الحد) ،
حديث رقم (٤٤٠٦) ، ج ٤ ص ١٤١ ، و : سنن النسائي : (كتاب الطلاق «٢٧») ، (باب متى

يقع طلاق الصبي «٢٠» ، حديث رقم (٣٤٣١) ، ج ٦ ص ١٥٥ - ١٥٦ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ١٧ .

يقول ابن حزم معلقاً على هذا الحديث :

« فصَحَّ أن لم يكن بينهما إلا سنة واحدة » : جوامع السيرة ص ١٨٥ .

لأن (غزوة أحد) عندهم - كما هو رأي الجمهور - وقعت في شوال عام ٣ هـ ، فتكون (غزوة الخندق) بناءً على ذلك في شوال عام ٤ هـ .

وقد أجيب عن هذا الاستدلال بجوابين ، هما :

١ - أن ابن عمر أخبر أن الرسول ﷺ رده لما استصغره عن القتال ، وأجازه لما بلغ السن التي رآه فيها مطيعاً ، وليس في هذا ما ينفي تجاوزها بسنة أو أكثر منها .

٢ - أن ابن عمر قد يكون (يوم أحد) في (أول الرابعة عشرة) و (يوم الخندق) في (آخر الخامسة عشرة) . انظر : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٧٠ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٨١ ، و : ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٣ .

ومما يدل على أن الفارق بين (غزوة أحد) و (غزوة الخندق) سبتان : أن كفار قريش لما انصرفوا عن (أحد) في شوال عام ٣ هـ ، واعدوا المسلمين في (بدر الموعود) في العام القابل ، فخرج الرسول ﷺ وأصحابه إلى (بدر) في شعبان عام ٤ هـ للميعاد المذكور ، ولكن الكفار أخلفوهم ؛ من أجل جذب تلك السنة . و : لمزيد من المعلومات حول (بدر الموعود) . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٩١ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢٠٩ - ٢١٣ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٩ - ٦٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٥٩ - ٥٦١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٥٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٢ .

ولا يعقل أن يأتي كفار قريش لحصار (المدينة) بعد (شهرين) ، أي في شوال عام ٤ هـ . انظر : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٨٠ ، فتعين أن (غزوة الخندق) في شوال عام ٥ هـ . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٤٠ - ٤٤١ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢١٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٥٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٦٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٨٠ .

وبناءً على ذلك ، فإن (غزوة بني قريظة) في ذي القعدة عام ٥ هـ - وهو الذي رجحناه أعلاه - ، والله أعلم .

ب - أسباب الغزوة :

يعود سبب (غزوة يهود بني قريظة) إلى حدث خطير صدر عنهم ، وهو :

* تحالفهم مع القبائل العربية الوثنية (الأحزاب) على حرب المسلمين :

لما استقر بعض (يهود بني النضير) - خصوصاً زعيمهم (حيي بن أخطب) - في (خيبر) ، بعد أن أجلاهم (٢) الرسول ﷺ عن (المدينة) عام ٦٢٥ هـ ، دان لهم أهلها ، فعلموا على تحريض القبائل العربية الوثنية على حرب الرسول ﷺ ؛ مما كان له أعظم الأثر في وقوع (غزوة الخندق) ، التي شنتها تلك الأحزاب في شوال عام ٥ هـ - ٦٢٦ م ، ضد المسلمين في (المدينة) . (٣)

ولم يكتف اليهود بذلك ، وإنما انطلق (حيي بن أخطب) (٤) إلى

١ ينكر بعض العلماء أن (غزوة بني قريظة) وقعت عام ٥ هـ . انظر : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٢ .

ويحددها بعضهم بعام ٥ هـ بعد (غزوة الخندق) التي أرخ لها بشوال عام ٥ هـ . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ١٣٣ .

و يزيد بعضهم تحديدها بذي القعدة عام ٥ هـ . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٤ .

و : ويزيد بعضهم تحديدها - أيضاً - بآخر ذي القعدة عام ٥ هـ . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٩٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٥٠ .

ويزيدها آخرون تحديداً بـ ٢٣ ذي القعدة عام ٥ هـ - كما رجحناه أعلاه - . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٩٦ .

٢ راجع : (نتائج غزوة بني النضير) ص ٤٣٥ .

٣ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . راجع : (تحريضهم القبائل العربية الوثنية - الأحزاب - على حرب المسلمين) ص ٤٦٢ .

٤ حيي بن أخطب : (؟ - ٥ هـ = ؟ ٦٢٦ م) زعيم (يهود بني النضير) من الأشداء العتاة ، كان ينعت بـ (سيد الحاضر والبادي) . أدرك الإسلام ولم يسلم ، بل إنه ناصب الرسول ﷺ ودينه

(المدينة) - في الوقت الحرج الذي كان فيه أولئك الأحزاب يحاصرون المسلمين في (عشرة آلاف مقاتل) - لتحريض (كعب بن أسد) (١) زعيم (يهود بني قريظة) على نقض العهد الذي أبرمه الرسول ﷺ ، معه ، والانضمام إلى تلك الأحزاب ، فعن ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - قال :

« لما سمع كعب بن بحيي بن أخطب أغلق دونه حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناده حيي : ياكعب ، افتح لي ، قال : ويحك يا حيي ، إنك أمرؤ مشؤوم ، وإنني عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً ، قال : ويحك ، افتح لي أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جشيشتك (٢) أن أكل معك منها ، فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : ياكعب ؛ جئتك بعز الدهر ، وببحر طم ، جئتك بقريش ٠٠٠ وغطفان ٠٠٠ ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه ، فقال له كعب بن أسد : جئتني والله بذل الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، يرعد ويبرق ، ليس فيه شيء فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً ، فلم يزل حيي بكعب ٠٠٠ حتى سمح له ، على أن أعطاهم عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ،

العداء ، أجلي مع قومة (بني النضير) عام ٤ هـ - ٦٢٥ م ، فسكن (خيبر) ، ليصبح من زعمائها ، وقد قام بتحريض (يهود بني قريظة) على نقض العهد الذي أبرمه الرسول ﷺ معهم ؛ مما كان سبباً في (غزوة بني قريظة) التي قتل فيها - كما فصلنا ذلك أعلاه - . وهو والد أم المؤمنين (صفية بنت حيي) - رضي الله عنها - انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢٤٣ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٢ ص ٢٩٢ .

١ كعب بن أسد : (؟ - ٥ هـ - ؟ - ٦٢٦ م) زعيم (يهود بني قريظة) ، وشاعر جاهلي له مناقضات مع (قيس بن الخطيم) في (يوم بعاث) . أدرك الإسلام ولم يسلم ، بل إنه ناصبه العداء ، وذلك بتنقضه العهد الذي أبرمه الرسول ﷺ معهم ، مما كان سبباً في (غزوة بني قريظة) التي قتل فيها مع رجال قومه - كما فصلنا ذلك أعلاه - . انظر : المرزباني : معجم الشعراء ص ٢٤٣ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٥ ص ٢٢٥ .

٢ الجشيشة : هي السويق ، المكون من الحنطة واللحم أو التمر . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة جشه) ، ج ٢ ص ٣٦٥ .

ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ،
فنقض كعب بن أسد عهده ، وبريء مما كان عليه فيما بينه وبين
رسول الله ! (١) .

وبذلك ، تحالفت (يهود بني قريظة) مع (الأحزاب) في محاربة الرسول
ﷺ وأصحابه المسلمين ! .

ولما بلغ الرسول ﷺ خبر نقض (يهود بني قريظة) للعهد ، بعث إليهم
من أصحابه من يستوثق الخبر ، فوجدهم مكاشفين بالغدر ! (٢) ، حيث
قاموا - بالفعل - بعده محاولات للهجوم على قلب (المدينة) ! (٣) .
عند ذلك ، اشتد الأمر بالمسلمين ، حيث أحيط بهم من كل جهة :
الكفار من الأعلى ، واليهود من الأسفل (٤) ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ،

-
- ١ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٢١ ص ١٣٠ ، و : مصنف عبدالرزاق : (كتاب
المغازي) ، (وقعة الأحزاب وبني قريظة) ، حديث رقم (٩٧٣٧) ، ج ٥ ص ٣٧١ .
و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣
- ٤ ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، و : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٥٤ - ٤٥٦ ، و : الطبري : تاريخ
الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٧٠ - ٥٧١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٠ و ٢٧١
- ٢٧٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٩٨ - ١٩٩ .
٢ لقد بعث الرسول ﷺ : الزبير بن العوام - رضي الله عنه - أولاً ؛ لاستطلاع خبر نقض (يهود
بني قريظة) للعهد . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٥٧ .
ثم بعث بعده - أيضاً - : سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، وعبدالله بن رواحة ، وخوات بن
جبير - رضي الله عنهم - ؛ للغرض نفسه . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٥٩ ، و :
ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢٢١ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص
٥٧١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٥٧ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة : ص ١٨٨ ،
و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٧٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٩٩ .
وقيل : إن الرسول ﷺ بعث مع السعدين : أسيد بن الحضير - فقط - . انظر : الواقدي :
المغازي ج ٢ ص ٤٥٨ ، والله أعلم .
٣ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٦٢ - ٤٦٣ .
٤ انظر : السيوطي : لباب النقول ص ١٧٢ .

ونجم النفاق من بعض المنافقين ، وفي ذلك (١) يقول تعالى :

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظَّنَّوْنَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٢)

وهكذا ، أسفرت (غزوة الخندق) (٣) عن هذا الحدث الخطير ، وهو : تحالف (يهود بني قريظة) مع (الأحزاب) على حرب الرسول ﷺ والمسلمين ؟

ولكن الله تعالى نصر عبده محمداً ﷺ ، وأعز جنده المسلمين ، وهزم الأحزاب الكافرين وحده ، وفي ذلك يقول سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودَ لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٤)

١ انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «١٦٤») ، (باب غزوة الخندق «٢٩») ، ج ٥ ص ٤٧ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢١ ص ١٢٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٧٠ - ٤٧٣ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ١٧٢ - ١٧٣ .

٢ سورة الأحزاب ، آية : ١٠ - ١٢ .

٣ لمزيد من المعلومات حول (غزوة الخندق - الأحزاب) . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٤٠ - ٤٩٦ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٤٤٠ - ٤٩٦ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٥ - ٧٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٦٤ - ٥٨١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٥٤ - ٢٦٢ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٥ - ١٩١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٧٠ - ٢٧٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٧٨ - ٢٢٢ .

٤ سورة الأحزاب ، آية : ٩ .

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله
المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ (١) .

وهذا الحدث الذي يتسم بالخيانة : (تحالفهم مع القبائل العربية
الوثنية - الأحزاب - على حرب المسلمين) يعد - ولاشك - نقضاً صريحاً
لمعاهداتهم مع الرسول ﷺ .

ج - وقائع الغزوة :

لما انصرف الرسول ﷺ عن (الخنق) إلى (المدينة) ، ووضع السلاح
، جاءه أمر الله تعالى بقتال (يهود بني قريظة) ، فعن عائشة - رضي الله
عنها - قالت :

« لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل
- عليه السلام - ، فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم
، قال : فإلى أين ؟ ، قال : ههنا ، وأشار إلى بني قريظة » (٢) .

١ سورة الأحزاب ، آية : ٢٥ .

٢ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب
ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم «٣٠») ، ج ٥ ص ٤٩ ، و : صحيح مسلم : (كتاب
الجهاد والسير «٣٢») ، (باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم
حاكم عدل أهل للحكم «٢٢») ، حديث رقم (١٧٦٩/٦٥) ، ج ٣ ص ١٣٨٩ ، و : مسند الإمام
أحمد : ج ٦ ص ٥٦ ، و : أبو نعيم : دلائل النبوة ص ٥٠٤ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤
ص ٥ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٩٧
، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢٣٣ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢
ص ٧٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨١ ، و : ابن حبان السيرة النبوية ص

وقد أمر الرسول ﷺ أصحابه بالتوجه إليهم ، وأوصاهم بسرعة الخروج ، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال :

« قال النبي ﷺ يوم الأحزاب : لا يصلين أحد العصر (١) إلا في بني قريظة ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك (٢) ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم » (٣)

- ٢٦٢ - ٢٦٣ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩١ ، و : ابن القيم زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٠ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٢٤ .
- ١ جاء عند الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - أنها صلاة (العصر) - كما رأينا أعلاه - ، أما عند الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - فقد جاء أنها صلاة (الظهر) - مع اتفاق الروایتين في الإسناد - . انظر : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين «٢٣») ، حديث رقم (١٧٧٠/٦٩) ، ج ٣ ص ١٣٩١ .
- و : قد جمع العلماء بين تلك الروایتين : باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر ، وبعضهم لم يصلها ، فقبل لمن لم يصلها : لا يصلين أحد الظهر . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .
- ٢ لقد اختلف الفقهاء في أي من الفريقين : من صلى ومن لم يصل ، كان أصوب ؟ . و : لمعرفة ذلك . انظر : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٦ - ١٣٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، و : ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٤٠٩ - ٤١٠ .
- ٣ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم «٣٠») ، ج ٥ ص ٥٠ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٦٠ .
- و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٩٧ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٣٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٣ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٠ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٢٤ .

ثم ضرب الرسول ﷺ الحصار عليهم (خمساً وعشرين (١) ليلة) (٢) ،
 حتى أيقنوا أن الرسول ﷺ غير منصرف عنهم ، حتى يناجزهم ، فبعثوا
 (النباش بن قيس) (٣) ؛ ليعرض على الرسول ﷺ أن ينزلوا على ما نزل
 عليه إخوانهم (بنو النضير) من الخروج بأنفسهم ونسائهم وذرائعهم من
 (المدينة) ، وأن لهم ما تحمله إبلهم من الأموال دون السلاح ، فأبى
 الرسول ﷺ ذلك ، فعرض عليه أن تحقق بماؤهم وتسلم لهم النساء والذرية
 ، دون الأموال ، فأبى الرسول ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه . (٤)
 فلما رجع (النباش) إلى قومه (يهود بني قريظة) برأي الرسول ﷺ ،
 عرض عليهم رئيسهم (كعب بن أسد) (ثلاثة خيارات) ، فعن (معبد بن كعب بن
 مالك) (٥) - رحمه الله تعالى - قال :

« قال كعب بن أسد لهم : يامعشر يهود ، إنه قد نزل بكم من الأمر ما

١ انظر : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٤٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ١٥ .
 و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب السيرة . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص
 ٢٣٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٣ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ، ص
 ٢٦٣ و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٣ ، و :
 ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٠ .
 ٢ قيل : إن مدة حصار يهود بني قريظة (بضع عشرة ليلة) . انظر : ابن حجر : فتح الباري ج ٧
 ص ٤١٣ .
 و : قيل : إن مدة الحصار (خمسة عشر يوماً) . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص
 ٧٤ .

٣ النباش بن قيس : (؟ - ٥ هـ = ؟ ٦٢٢ م) يهودي ، قتل مع قومة (بني قريظة) .
 ٤ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٠١ .
 ٥ معبد بن كعب بن مالك : (القرن ١ هـ - ٧ م) هو معبد بن كعب بن مالك الانصاري . تابعي ،
 من أهل (المدينة) ، ثقة . انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٥٣٩ .

تروى (١) ، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً ، فخذوا أيها ، قالوا : وما هن ؟ ، قال : نبائع هذا الرجل ونصدقّه ، فوالله لقد تبين لكم إنه لنبي مرسل ، وإنه الذي تجدونّه في كتابكم ، فتأمّنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم هذه علي ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمنّا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ، قال : فإذا أبيتم هذه علي ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمداً وأصحابه قد أمّنوا ، فأنزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة ، قالوا : نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ؟ ، أما من قد علمت فأصابهم من المسخ مالم يخف عليك (٢) ؟ ، قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً (٣) .

١ يضيف الواقدي - رحمه الله تعالى - من قول (كعب بن أسد) :

«ولقد كنت كارهاً لنقض العهد والعقد» : المغازي ج ٢ ص ٥٠٢ .

٢ يشيرون إلى قصة (أصحاب السبت) الذين اعتدوا فيه ، فمسخهم الله عز وجل قردة وخنازير . راجع : (إنكارهم أن يكون القرآن الكريم حقاً) ص ٢١٥ .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢١ ص ١٥١ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ١٥ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٠١ - ٥٠٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٦٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٣ - ٥٨٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٣ . و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٠ .

فلما اشتد عليهم الحصار ، بعثوا إلى الرسول ﷺ أن يرسل إليهم
(أبا لبابة بن عبد المنذر) (١) - وكان حليفاً لهم - ليستشيره في أمرهم ،
فعن أبي لبابة - رضي الله عنه - قال :

« لما أرسلت بنو قريظة إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يرسلني إليهم ،
دعاني رسول الله ﷺ ، فقال : إذهب إلى حلفائك فإنهم أرسلوا إليك من بين
الأوس ، قال : فدخلت عليهم وقد اشتد عليهم الحصار ، فهشوا إلي ،
وقالوا : يا أبا لبابة ، نحن مواليك دون الناس كلهم ، فقام كعب بن أسد
فقال : أبا بشير ١٠٠ إن محمداً قد أبى إلا أن ننزل على حكمه ، أفننزل ؟ ،
قال : نعم ، فانزلوا - وأوماً إلى حلقه (٢) هو الذبح - « ١ (٣)

وقد ندم أبو لبابة - رضي الله عنه - على مشورته - هذه - ، حيث ربط
نفسه إلى إحدى سواري المسجد النبوي (سبعة أيام) ، حتى نزل

١ أبو لبابة بن عبد المنذر : (؟ - ٥٠ هـ = ؟ - ٦٧٠ م) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأوسي .
صحابي ، شهد (بيعة العقبة) - وكان أحد النقباء - ، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ
، ومنها (غزوة بني قريظة) التي استشاروه فيها هل ينزلون على حكم محمد ؟ ، فأجاب : بنعم ،
ولكنه أعلمهم عن ماهية هذا الحكم ، الذي هو الذبح ، فندم حتى تاب الله تعالى عليه - كما
فصلنا ذلك أعلاه - . كانت راية (بني عمرو بن عوف) معه في (فتح مكة) . انظر : ابن حجر :
الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١٦٧ .

٢ كان أبا لبابة - رضي الله عنه - . فهم هذا الحكم (الذبح) من عدم إجابة الرسول ﷺ لهم بحقن
دمائهم . انظر : الزرقاني : شرح المواهب .

٣ الواقدي : المغازي - واللفظ له - : ج ٢ ص ٥٠٦ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ١٥ ،
و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٣٦ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص
٧٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٤ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص
٢٦٣ - ٢٦٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص
١٣٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣١ .

في توبته (١) قول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

وقد قبل (يهود بني قريظة) النزول على حكم الرسول ﷺ ، ولكن (الأوس) - وكانوا حلفاء لهم - تواثبوا ؛ ليشفعوا لهم ، حتى حكم فيهم رجلا منهم ، وهو (سعد بن معاذ) (٣) - رضي الله عنه - ظلماً منهم (٤) أنه

١ لمزيد من المعلومات حول توبة أبي لبابة - رضي الله عنه - انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ١٦ - ١٧ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٩ ص ٢٢١ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، و : الواحدي : أسباب نزول القرآن ص ٢٣١ - ٢٣٢ ، و : السيرطي : لباب النقول ص ١٠٨ - ١٠٩ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٠٦ - ٥٠٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٤ - ٥٨٥ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٣ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٣١ .

٢ سورة الانفال ، آية : ٢٧ .

٣ سعد بن معاذ : (٣٢ ق.هـ - ٥ هـ = ٥٩٠ - ٦٢٦ م) هو أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي . صحابي ، من أطول الناس ، وأعظمهم جسماً ، وهو سيد (الأوس) . وحامل لوائهم في (موقعة بدر) ، كما شهد (موقعة أحد) و (موقعة الخندق) التي أصيب فيها بسهم ، فمات من أثر جرحه بعد (غزوة بني قريظة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٧٩ - ٢٩٧ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٥ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٨٨ .

٤ تذكر بعض الروايات أن (يهود بني قريظة) هم الذين طلبوا تحكيم (سعد بن معاذ) - رضي الله عنه - ؛ ظلماً منهم أنه سيرأف بهم ؛ لكنهم حلفاء لقومه (الأوس) . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إيهاهم «٣٠») ، ج ٥ ص ٥٠ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسيرة «٣٢») ، (باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم «٢٢») ، حديث رقم (١٧٦٨/٦٤) ، ج ٣ ص ١٣٨٨ - ١٣٨٩ ، و : سنن الدارمي : (كتاب السير) (باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ) ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، و : سنن الترمذي : (كتاب السير «٢٣»)

سيراف بهم ؛ بسبب الحلف بينهم وبين قومه (الأوس) ؛ فعن معبد بن كعب بن مالك - رحمه الله تعالى - قال :

« تواتبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله إنهم موالي لنا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت (١) ، فقال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سعد بن معاذ » . (٢) .

وقد حكم فيهم سعد - رضي الله عنه - بأن تقتل رجالهم ، وتسبي نساؤهم وذرايرهم ، وتقسم أموالهم ، فعن معبد بن كعب بن مالك - رحمه الله تعالى - قال :

« كان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمه امرأة من أسلم »

، (باب ماجاء في النزول على الحكم «٢٩») ، حديث رقم (١٥٨٢) ، ج ٤ ص ١٤٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٤٢ .

و للجمع بين تلك الروايتين ، نقول : لا مانع من أن يكون طلب (يهود بني قريظة) ، لـ (سعد بن معاذ) - رضي الله عنه - ليحكم فيهم قد وافق اختيار الرسول ﷺ له . والله أعلم .

١ يقصدون عفو الرسول ﷺ عن (يهود بني قينقاع) . بناءً على شفاعة رأس المنافقين (عبدالله بن أبي بن سلول) - وكانوا حلفاء لقومة (الخزرج) - . راجع : (وقائع غزوة بني قينقاع) ص ٤٢٠ .

٢ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢٦ ص ١٥٢ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٧٨ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٠ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٣٩ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٦ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، و : ابن خزم : جوامع السيرة ص ١٩٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٣ - ١٣٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

، يقال لها (رفيدة) [رضي الله عنها] (١) في مسجده ، كانت تداوي الجرحى ، حين أصابه السهم بالخنق ، ، فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة ، أتاه قومه ، فاحتملوه على حمار ، وقد وطئوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلاً جسيماً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه ، قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، ، فلما أنتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال : قوموا إلى سيدكم (٢) ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ ولاك مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاق ، إن الحكم فھيم كما حكمت ؟ ، قالوا : نعم : قال : وعلى من ههنا - في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ - وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراي والنساء (٣) .

-
- ١ رفيدة : (القرن ١ ق.هـ - ٢ هـ = ٧م) هي رفيدة الأسلمية . صحابية . كانت تداوي الجرحى المسلمين . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
 - ٢ لقد وقع الخلاف بين العلماء في مسألة : استعمال كلمة (السيد) . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية ص ٤٦٤ - ٤٦٧ . كما وقع الخلاف بينهم في مسألة (قيام القاعد للدخل) . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١١ ص ٤٩ - ٥٤ .
 - ٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - : ج ٢١ ص ١٥٢ - ١٥٣ ، و : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم «٣٠») ، ج ٥ ص ٥٠ - ٥١ . و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم «٢٢») ، الحديثان رقم (١٧٦٨/٦٤ و ١٧٦٩/٦٥) ، ج ٣ ص ١٣٨٨ - ١٣٨٩ ، و : سنن الدارمي : (كتاب السير) ، (باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ) ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، و : سنن الترمذي : (كتاب

وقد أقر الرسول ﷺ - حكم سعد - هذا - ، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« لقد حكمت فيهم بحكم الله ، وقال مرة : لقد حكمت بحكم الملك » (١) .
وبذلك تبرأ سعد بن معاذ - رضي الله عنه - من حلف (يهود بني قريظة) ، ولم تقع في نفوس (الآلوس) - رضي الله عنهم - شيء ، على الرغم من تحالفهم معهم ، فهذا حكم الله الذي حكم به (سعد) سيدهم (٢) .

السير «٢٢» ، (باب ماجاء في النزول على الحكم «٢٩» ، حديث رقم (١٥٨٢) ، ج ٤ ص ١٤٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٤٢ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٠ - ٥١٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٦ - ٥٨٨ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٥ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٤ - ١٩٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٣ .

١ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم «٢٢») ، حديث رقم (١٧٦٨/٦٤) ، ج ٣ ص ١٣٨٨ - ١٣٨٩ ، و : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب مرجع النبي من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم «٣٠») ، ج ٥ ص ٥٠ ، و : سنن الدارمي : (كتاب السير) ، (باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ) ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، و : سنن الترمذي : (كتاب السير «٢٢») ، (باب ماجاء في النزول على الحكم «٢٩») ، حديث رقم (١٥٨٢) ، ج ٤ ص ١٤٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٢٢ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٢١ ص ١٥٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٧٨ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٤٠ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٨ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٥ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٣ .

٢ انظر : د/ أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ١٥٥ - ١٥٦ .

د نتائج الغزوة :

لقد نفذ الرسول ﷺ في (يهود بني قريظة) هذا الحكم - الذي حكم به سعد بن معاذ ، رضي الله عنه - ، وهو : قتل الرجال ، وسبي النساء والذراري ، وقسمة الأموال ، حيث قتل (١) الرجال البالغون (٢) ، وذلك

١ لقد أسلم أثناء حصار (يهود بني قريظة) (ثلاثة رجال) - فقط - ، حيث أحرزوا أنفسهم

وأموالهم ، وهم :

١ - ثعلبة بن سعية .

٢ - أسيد بن سعية .

٣ - أسد بن عبيد .

وهؤلاء من (بني هذيل) ، أبناء عمومة لـ (يهود بني قريظة) . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «١٤») ، (باب حديث بني النضير «١٤») ، ج ٥ ص ٢٢ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب إجلاء اليهود من الحجاز «٢٠») ، حديث رقم (١٧٦٦/٦٢) ، ج ٣ ص ١٣٨٨ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب في خبر النضير) . حديث رقم (٣٠٠٥) ، ج ٣ ص ١٥٧ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ١٤٩ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن اسحاق : السير والمغازي ص ٨٥ - ٨٦ ، و : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٠٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٢١٣ - ٢١٤ و ج ٣-٤ ص ٢٣٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ و ج ٣ ص ٢٣٢ .

كما نجا منهم آخرون ؛ بحصولهم على أمان من بعض الصحابة - رضي الله عنهم - . أو لما أظهروه من وفاء بالعهد خلال الحصار ، حيث أحرزوا أنفسهم وأموالهم - عدا السلاح - . وهم :

١ - عمور بن سعدي .

٢ - رفاعه بن شمويل .

٣ - ولد الزبير بن باطا .

ويقال : إنهم أسلموا - والله أعلم - . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٤ - ٥١٥ و ٥١٧ - ٥٢٠ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ و ٢٤٤ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٥ - ٥٨٦ و ٥٨٩ - ٥٩١ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٤ - ١٩٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٥٥ - ١٥٦ و ٢٤٠ - ٢٤١ .

٢ كان من ضمن القتلى : (حيي بن أخطب) ، وهو من زعماء (يهود بني النضير) الذين سكنوا (خيبر) بعد إجلائهم عن (المدينة) . انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٣ ، و : الواقدي

بأن حفرت لهم أخاديد في سوق (المدينة) ، وقتلوا فيها بشكل مجموعات (١) ، وكان عددهم - على أقل تقدير (٢) - (أربعمئة رجل) .

: المغازي ج ٢ ص ٥١٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٤١ ، و : الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٨٨ ، و : وابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٥ ، و : ابن القيم زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٩ .

وقد قدمنا أن (حيي) - هذا - قد أعطى عهداً لزعيم (يهود بني قريظة) (كعب بن أسد) ، لئلا فشل هجوم (الاحزاب) على المسلمين لينضم إلى (يهود بني قريظة) الذين تحالفوا معهم ، يصيبه من أصابهم ، حيث وفى بعهدة ! ، راجع : (تحالفهم مع القبائل العربية الوثنية - الاحزاب - على حرب المسلمين) ص ٤٤٢ .

١ انظر : سنن الدارمي : (كتاب السير) ، (باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ) ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الحدود «٢٠») ، (باب من لا يجب عليه الحد «٤») ، حديث رقم (٢٥٤١) ، ج ٢ ص ٨٤٩ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الحدود) ، (باب في الغلام يصيب الحد) ، حديث رقم (٤٢٠٤) ، ج ٤ ص ١٤١ ، و : سنن الترمذي : (كتاب السير «٢٢») ، (باب ماجاء في النزول على الحكم «٢٩») الحديثان رقم (١٥٨٢ و ١٥٨٤) ، ج ٤ ص ١٤٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٣٥٠ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٣ .
و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٣ - ٥١٦ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٤١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٥ ، و : الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٨٨ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٤ - ١٣٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٩ .

٢ لقد اختلف في عدد المقتولين من (يهود بني قريظة) ، على أقوال متعددة :
- فقل : إنهم (أربعمئة رجل) . انظر : سنن الدارمي : (كتاب السير) ، (باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ) ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، و : سنن الترمذي : (كتاب السير «٢٢») ، (باب ماجاء في النزول على الحكم «٢٩») ، حديث رقم (١٥٨٢) ، ج ٤ ص ١٤٥ ، و : مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٣٥٠ .

- وقيل : إنهم مابين (الستمان والسبعمئة رجل) . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٨ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٤١ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٥ ، و : الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٨٨ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٩ .

- وقيل : إنهم (سبعمئة وخمسون رجلاً) . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٨ .

أما النساء فلم يقتل منهم إلا امرأة واحدة ، وهي (بنانة) (١) ، لكونها

قتلت (خلاد بن سويد) (٢) - رضي الله عنه - ، برحى ، ألقته عليه ، في

أثناء الحصار . (٣)

وأما الغلمان غير البالغين فلم يقتل منهم أحد مطلقاً ، ومن أشهرهم

(عطية القرظي) (٤) - رضي الله عنه - ، وله صحبة . (٥)

١ بنانة : (٩ - ٥ هـ = ٩ - ٦٢٦ م) يهودية من (بني قريظة) ، وهي المرأة الوحيدة التي قتلت ؛

لأنها قتلت (خلاد بن سويد) - رضي الله عنه - كما فصلنا ذلك أعلاه .

٢ خلاد بن سويد : (٩ - ٥ هـ = ٩ - ٦٢٦ م) هو خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي .

صحابي . قتله اليهودية (بنانة) ، في أثناء (غزوة بني قريظة) - كما ذكرنا ذلك - أعلاه .

انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٤٩ .

٣ انظر : سنن أبي داود (كتاب الجهاد) ، (باب في قتل النساء) ، حديث رقم (٢٦٧١) ، ج ٣ ص

٥٤ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ٢٧٧ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٦

- ٥١٧ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٤٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك

ج ٢ ص ٥٩٣ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص

١٣٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٤٢ .

٤ عطية القرظي : (القرن ١ ق.هـ - ١ هـ = ٧م) هو عطية القرظي . صحابي ، كان من (يهود

بني قريظة) الذين حكم عليهم سعد بن معاذ - رضي الله عنه - بالقتل ، ولكنهم شكوا في بلوغه

فتركوه ، سكن (الكوفة) . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٤٧٩ .

٥ انظر : سنن الدارمي : (كتاب السير) ، (باب حد الصبي متى يقتل) ، ج ٢ ص ٢٢٣ ، و :

سنن ابن ماجه : (كتاب الحدود «٢٠») ، (باب من لا يجب عليه الحد «٤») ، حديث رقم (٢٥٤١)

، ج ٢ ص ٨٤٩ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الحدود) ، (باب في الغلام يصيب الحد) ،

حديث رقم (٤٤٠٤) ، ج ٤ ص ١٤١ ، و : سنن الترمذي : (كتاب السير «٢٢») ، (باب ماجاء

في النزول على الحكم «٢٩») ، حديث رقم (١٥٨٤) ، ج ٤ ص ١٤٥ ، و : مسند الإمام أحمد :

ج ٤ ص ٣١٠ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٥ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥١٧

، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٤٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص

٧٦ - ٧٧ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص

١٣٤ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٤١ .

ثم قسمت أموالهم ، ونساؤهم (١) ، وذرائعهم ، بين المسلمين . (٢)

وفي (يهود بني قريظة) نزل قول الله تعالى :

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي
قُلُوبِهِمُ الرِّيبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدْيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرًا﴾ . (٣)

أي : أنزل الله تعالى (يهود بني قريظة) الذين ظاهروا (الأحزاب)

١ لقد اصطفى الرسول ﷺ لنفسه من بين سبايا (يهود بني قريظة) : (ريحانة بنت عمرو بن
خنافة) - رضي الله عنها - ، فلم تزل في ملكه ، حتى لحق بالرفيق الأعلى . انظر : البيهقي :
دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٤ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٤٥ ، و : ابن سعد :
الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٧٥ ، و : ابن حبان :
السيرة النبوية ص ٢٦٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٦ ، و : ابن كثير : السيرة
النبوية ج ٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

واختار الواقدي - رحمه الله تعالى - ، الذي يسميها : (ريحانة بنت زيد) ، أن الرسول ﷺ
قد أعتقها وتزوجها - والله أعلم - . انظر : المغازي ج ٢ ص ٥٢٠ - ٥٢١ .
بينما يذكر الحاكم - رحمه الله تعالى - أن الرسول ﷺ أعتقها ولحقت بأهلها . انظر :
المستدرک ج ٤ ص ٤١ .

٢ لقد قبض الرسول ﷺ (الخمس) ، والباقي تم تقسيمه بين الصحابة - رضي الله عنهم - .
انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب حديث بني النضير «١٤») ، ج ٥ ص ٢٢ .
، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب إجلاء اليهود من الحجاز «٢٠») ،
حديث رقم (١٧٦٦/٦٢) ، ج ٣ ص ١٣٨٨ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة
والفداء) ، (باب في خبر النضير) ، حديث رقم (٣٠٠٥) ، ج ٣ ص ١٥٧ ، و : مسند الإمام
أحمد : ج ٢ ص ١٤٩ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٢١
- ٥٢٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ، و : ابن سعد : الطبقات
الكبرى ج ٢ ص ٧٥ ، و : البلاذري : تقويم البلدان ص ٣٤ - ٣٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم
 والملوك ج ٢ ص ٥٩١ - ٥٩٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٦٦ ، و : ابن كثير :
السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٤٢ .

٣ سورة الأحزاب ، آية : ٢٦ - ٢٧ .

بالتحالف معهم على حرب المسلمين في (غزوة الخندق) من حصونهم ؛ لتنفيذ الحكم فيهم ، وهو القتل للرجال ، والسبي للنساء والذرائع ، وتقسيم الأموال .

لقد كان جزاء يهود بني قريظة من جنس عملهم ، حين عرضوا بخيانتهم العظمى أرواح المسلمين للقتل ، ونساءهم وذرائعهم للسبي ، وأموالهم للسلب ، وذلك حين تحالفوا مع (الأحزاب) على حرب المسلمين في (المدينة) ، بدل أن يشتركوا معهم في الدفاع عنها ، بموجب نصوص المعاهدة (١) بين الطرفين ، فكان أن عوقبوا بذلك العقاب جزاءً وفاقاً . (٢)

وهذا العقاب جاء وفق مافي (الشرعية اليهودية) - أيضاً - ، إذ تنص (التوراة) على أن اليهود إذا انتصروا في حرب على دولة ما فعليهم أن يقتلوا كل رجالها ، وأن يسبوا كل نساءها وأطفالها ، وأن يملكوا كل بهائمها وأشياءها غنيمة ، حيث جاء فيها :

” حين تقترب من مدينة لكي تحاربها ٠٠٠ و ٠٠٠ لم تسالملك بل عملت معك حرباً فحاصرها ٠ وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ٠ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك “ (٣)

-
- ١ راجع : البنود (١، ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٣) من (وثيقة موادة اليهود) ص ٨٠ .
٢ انظر : د/ أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ١٥٧ ، و : محمد الغزالي : فقه السيرة ص ٤٧٦ ، و : مولانا محمد علي : حياة محمد ورسالته ص ١٧٤ - ١٧٥ ، و : د/ عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ٣٤٩ .
٣ تنبيه ، إصحاح (٢٠) فقرة : ١٠ و ١٢ - ١٤ .

وهكذا ، تحكم جميع القوانين الدولية في كل العصور (١) ، حتى وإن حاول المعترضون من أعداء الإسلام وصف هذا الحكم الإلهي بالقسوة والوحشية .

ولنفرض أن اليهود هم الذين انتصروا على المسلمين في هذه الغزوة ، فماذا سيكون عليه الحال ؟

- لا شك أن حكم اليهود سيكون أقسى من حكم سعد بن معاذ - رضي الله عنه - (٢) ، على الرغم من خيانتهم للمسلمين .
ومن هنا كان العقاب النازل باليهود إنما هو جزاءاً وفاقاً لهم .

وبعد أن أدب الرسول ﷺ أولئك الخونة من (يهود يثرب - المدينة) ، وذلك بإجلاء بعضهم (يهود بني قينقاع) و (يهود بني النضير) ، وقتل بعضهم الآخر (يهود بني قريظة) ، خلصت (٣) (المدينة) منهم بتاتاً (٤) .

١ انظر : د/ حسن ظاظا والسيد عاشور : شريعة الحرب عند اليهود ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

٢ انظر : المرجع السابق ص ٢٨٢ .

٣ يذكر الواقدي - رحمه الله تعالى - أنه بقي في (المدينة) يهود ليسوا من القبائل اليهودية الكبرى الثلاث : (بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة) . انظر : المغازي ج ٢ ص ٦٣٤ ، و : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٧١ .

ويشهد لذلك ما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - أنه قال :

«بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ ، فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس» : راجع تخريج هذا الحديث ص ٥١٤ .

ومعلوم إن إسلام أبي هريرة - رضي الله عنه - إنما كان بعد طرد تلك القبائل من (المدينة) .

راجع : تزجمة (أبي هريرة - رضي الله عنه -) ص ٣٥ .

ولكن لا أدل على ذلك ، مما رواه عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت :

«توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير» : راجع تخريج هذا الحديث ص ٥٠٣ .

٤ انظر : صحيح البخاري : كتاب المغازي (٦٤) ، (باب حديث بني النضير) ، ج ٥ ص ٢٢ ، و :

صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير (٣٢)) ، (باب إجلاء اليهود من الحجاز (٢٠)) ، حديث

رقم (١٧٦٦/٦٢) ، ج ٣ ص ١٣٨٨ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ،

(باب في خبر النضير) ، حديث رقم (٣٠٠٥) ، ج ٣ ص ١٥٧ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢

عند ذلك ، بدأ الرسول ﷺ يهتم بمعالجة الموقف خارج (المدينة) ، حيث بعض (يهود بني النضير) الذين استقروا في (خيبر) - بعد أن أجلاهم الرسول ﷺ من (المدينة) - ؛ ذلك أنهم لم يتعظوا ، ولم يزدادوا إلا عناداً وتوغلاً في حبك المكائد ضد الرسول ﷺ وأصحابه المسلمين ، وذلك من خلال تأليبهم للقبائل العربية الوثنية (الأحزاب) وليهود (بني قريظة) على حرب المسلمين - كما رأينا - ؛ مما كان له أعظم الأثر في وقوع (غزوة خيبر) ، كما سنرى - إن شاء الله تعالى - في الفقرة التالية :

٤ - غزوة خيبر :

أ - تاريخ الغزوة :

وقعت (غزة خيبر) - على الراجح (١) - في محرم عام ٧ هـ - ٦٢٨ م ،

عقب (غزوة الحديبية) بأيام ٠ (٢)

ص ١٤٩ .

١ يقال : إن (غزوة خيبر) وقعت في صفر أو ربيع الأول عام ٧ هـ . انظر : الواقدي : المغازي ج

٢ ص ٦٣٤ ، و : يقال - أيضاً - : إنها وقعت في جمادي الأولى عام ٧ هـ . انظر : ابن سعد

: الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٦ .

٢ يذكر بعض العلماء أن (غزوة خيبر) وقعت عام ٧ هـ . انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٦

، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣١٦ .

و يحددها بعضهم بأول عام ٧ هـ . انظر : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٤٤ .

و : يزيدها آخرون تصديداً بـ محرم عام ٧ هـ - كما رجحناه أعلاه - . انظر : ابن هشام :

السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٢٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٩ ، و : ابن

حبان : السيرة النبوية ص ٣٠٠ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١١ ، حيث حددها (أي

ابن حزم) بـ محرم عام ٦ هـ ، وأول العام عنده (ربيع الأول) ؛ بناءً على منهجه في احتساب

أول السنة الهجرية من (شهر ربيع الأول) الذي قدم فيه الرسول ﷺ مهاجراً إلى (المدينة) ،

مخالفاً بذلك منهج الجمهور في احتساب أول السنة الهجرية من (شهر محرم) السابق من تلك

السنة التي هاجر فيها الرسول ﷺ . فتكون تلك الغزوة (خيبر) عند ابن حزم في محرم آخر

ب - أسباب الغزوة :

يعود سبب (غزوة خيبر) إلى حدثين خطيرين صدرتا عن يهودها ، وهما :

١ - تحريضهم القبائل العربية الوثنية (الأحزاب) على حرب المسلمين :

لما استقر بعض يهود (بني النضير) في (خيبر) - بعد أن أجلاهم الرسول ﷺ عن (المدينة) عام ٤ هـ = ٦٢٥ م - ، دان لهم أهلها (١) ، فعمل

عام ٦ هـ ، وعند الجمهور أول عام ٧ هـ .

ونود أن ننبه - هنا ، في ختام حديثنا عن تلك الغزوات - أن تاريخ غزوات اليهود - وغيرها من غزوات الرسول ﷺ - قد اختلف فيه العلماء ؛ بناءً على اختلافهم في بداية التاريخ الإسلامي ، على (ثلاثة مذاهب) ، هي :

١ - مذهب الجمهور : الذين اعتبروا أن أول التاريخ الإسلامي يبدأ من (شهر محرم) السابق على (شهر ربيع الأول) الذي قدم فيه الرسول ﷺ مهاجراً إلى (المدينة) . راجع : التعريف بـ (التاريخ الهجري) ص ٦٣ .

وهذا المذهب : هو الذي أخذنا به في تاريخ كل غزوة من غزوات اليهود : (بني قينقاع) عام ٢ هـ ، و (بني النضير) عام ٤ هـ ، و (بني قريظة) عام ٥ هـ ، و (خيبر) عام ٧ هـ - كما سبق وأن ذكرنا - .

٢ - مذهب الأئمة : الزهري ، وموسى بن عقبة ، ومالك ، والبخاري وابن حزم ، وغيرهم - رحمهم الله تعالى - : الذين اعتبروا أن أول التاريخ الإسلامي يبدأ من (شهر ربيع الأول) الذي قدم فيه الرسول ﷺ مهاجراً إلى (المدينة) . انظر : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣١٦ .

٣ - مذهب الإمامين : يعقوب بن سفيان الفسوي ، والبيهقي ، وغيرهما - رحمها الله تعالى - : الذين اعتبروا أن أول التاريخ الإسلامي يبدأ من (محرم) السنة الثانية التالية لسنة الهجرة التي قدم فيها الرسول ﷺ مهاجراً إلى (المدينة) . انظر : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨١ .

وهذه (المذاهب الثلاثة) لا فرق بينها في حقيقة الأمر والواقع ، وإنما الفرق في اللفظ - فقط - ، ولكننا اخترنا مذهب الجمهور ، لأن العمل جرى عليه في التاريخ الإسلامي إلى يومنا هذا . راجع :

التعريف بـ (التاريخ الهجري) ص ٦٣ .

١ راجع : (نتائج غزوة بني النضير) ص ٤٣٥ .

حيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن مشكم ، واليسير بن رزام ، وغيرهم) على تحريض القبائل العربية الوثنية على حرب المسلمين ، حيث توجه معظمهم إلى قريش في (مكة) ، فدعواهم إلى غزو الرسول ﷺ ، ووعدهم بنصرتهم ، فاستجابوا لهم (١) .

وخلال وجود أولئك اليهود في (مكة) تورطوا في جواب ، فضلوا فيه

الوثنية على التوحيد ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« كان الذين حزبوا الأحزاب - قريش وغطفان وبني قريظة ، (حيي بن

أخطب) ، (سلام بن أبي الحقيق) ، و (الربيع بن الربيع بن أبي

الحقيق) ، و (أبو عامر) (٢) ، فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء

أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأولى ، فاسألوهم : أدينكم خير أم دين

محمد ؟ فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن

اتبعه» (٣) ! ، فأنزل (٤) الله تعالى :

١ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٤٦ - ٤٤٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص

٢١٤ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك

ج ٢ ص ٥٦٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٥٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص

١٨٥ - ١٨٦ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، و : ابن كثير : السيرة

النبوية ج ٣ ص ١٨١ - ١٨٢ .

٢ أبو عامر : (القرن ١ ق.هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومة (بني النضير) عن (المدينة)

عام ٤ هـ - ٦٢٥ م ، فسكن (خيبر) .

٣ الطبري : جامع البيان - واللفظ له - ج ٥ ص ١٣٥ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج

١ ص ٥١٣ ، و : السيوطي : لباب النقول ص ٧١ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٤٢

، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢١٤ - ٢١٥ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك

ج ٢ ص ٥٦٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية

ج ٣ ص ١٨٢ .

٤ لقد ذكرنا - فيما سبق - أن سبب نزول هذه الآية الكريمة هو جواب (كعب بن الأشرف) - ومن

معه من يهود - لكفار قريش ، حين فضلوا وثنتهم على توحيد المسلمين . راجع : (تحريضهم

«ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً» (١) .

وقد علق على هذا الحادث العالم اليهودي الدكتور (إسرائيل ولفنسون) ، حيث يقول :

« كان من واجب هؤلاء ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش أن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي [وهو أقرب إلى عقيدتهم] ، ولو أدى بهم الأمر إلى ... أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم ... ، [لـ] أنهم بالتجائهم إلى عبادة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم !! » (٢) .

ثم خرج أولئك اليهود إلى (غطفان) ، فدعوههم إلى مثل ما دعوا إليه قريشاً ، حتى استجابوا لهم ! (٣) .

ثم طافوا قبائل العرب ، فاستجاب لهم من استجاب - من (بني سليم ، وبني أسد ، وبني مرة ، وبني فزارة ، وأشجع) (٤) - ، حتى وافى

قريشاً على قتال المسلمين) ص ٤٢٥ .

ولامانع من تعدد أسباب النزول للآية الواحدة أو الطائفة من الآيات - كما قرر ذلك العلماء - .

انظر : ابن حجر : فتح الباري ج ٨ ص ٦٥٧ ، و : الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٢٥٢ .

١ سورة النساء ، آية : ٥٦ .

٢ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٤٢ .

٣ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٤٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢١٥ .

، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص

٥٦٦ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٥٥ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٦ ، و

: ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٧١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٨٢ .

٤ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص

٢١٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج

٢ ص ٥٦٦ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٥٥ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص

١٨٦ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٧١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص

(الخنق) من أولئك (الحزاب) ، (عشرة آلاف مقاتل) ، حاصروا المسلمين في (المدينة) ، وذلك في شوال عام ٥ هـ - ٦٢٦ م ٠ ! (١)

٢ - تحريضهم يهود بني قريظة على التحالف مع (الأحزاب) على حرب المسلمين :

في الوقت الحرج الذي كان فيه أولئك (الأحزاب) يحاصرون المسلمين في (المدينة) ، انطلق (حيي بن أخطب) - وهو أحد زعماء (يهود بني النضير) الذين استقروا في (خيبر) - إلى (المدينة) ؛ لتحريض (يهود بني قريظة) على نقض العهد الذي أبرمه الرسول ﷺ معهم ، والانضمام إلى تلك (الأحزاب) ، حتى نجح في ذلك ؛ مما كان سبباً في (غزوة بني قريظة) ، التي قتل فيها رجالهم ، وسبيت نساؤهم وذرايرهم ، وقسمت أموالهم بين المسلمين ، بعد أن رد الله تعالى (الأحزاب) عن (المدينة) ، خائبين - كما فصلنا ذلك فيما مضى - ٠ (٢)

٣ - تأليفهم جيشاً جديداً لحرب المسلمين :

لما بلغ (يهود خيبر) أنه تم القضاء على إخوانهم من (يهود بني قريظة) ، فزعوا وقرروا تأليف جيش لحرب المسلمين في (المدينة) ، حيث استنجد زعيمهم (اليسير بن رزام) بـ (غطفان) ، فجمعها ، إلا أن مقتله - كما سنرى بعد قليل - قد حال دون ذلك ٠ (٣)

٠ ١٨٢

١ لمزيد من المعلومات حول (غزوة الخندق - الأحزاب) ٠ راجع : ص ٤٤٥ ٠

٢ راجع : (غزوة بني قريظة) ص ٤٤٠ ٠

٣ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٦٦ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٦١٨

، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٦٠ ٠

و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤١٨ ٠

ثم إن كبيرهم (سلام بن مشكم) رأى أن يكون هذا الجيش من اليهود - فقط - ، دون الاستعانة بالعرب - الذين لم يستطيعوا إحراز نصر على المسلمين في (موقعة الخندق) - ؛ ولذلك استجلب يهود : (فدك ، ووادي القرى ، وتيماء) ؛ للزحف على (المدينة) في غيبة أهلها حين كانوا في (الحديبية) ؛ للأخذ بثأر (بني قريظة) ! (١) .

وهذه الأحداث : (تحريضهم القبائل العربية الوثنية الأحزاب على حرب المسلمين ، وتحريضهم يهود بني قريظة على التحالف مع أولئك (الأحزاب) ، وتأليفهم جيشاً جديداً لحرب المسلمين) ، تعد - ولاشك - نقضاً صريحاً لمعاهداتهم مع الرسول ﷺ ، التي أبرمها معهم عند إجلائهم من (المدينة) .

ولهذا ، اهتم الرسول ﷺ بمعالجة الموقف مع (يهود خيبر) ، الذين صاروا مصدر خطر كبير ؛ لاستمرارهم في التحريض على حرب المسلمين . فقد بعث الرسول ﷺ إليهم كتاباً يدعوهم فيه - كعادته - إلى الإسلام (٢) ، ولكنهم لم يستجيبوا - كعادتهم - لدعوته ، فكان أن عمد إلى القضاء على بعض زعمائهم الذين أدوا مهمات في التحريض عليه ، ومنهم : ١ - (سلام بن أبي الحقيق) (٣) ، الذي وجه إليه الرسول ﷺ في (خيبر) ، (عبدالله بن عتيك) (٤) - رضي الله عنه - في نفر من (الخرزج) ، في

١ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

٢ انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ - ٢ ص ٥٤٤ - ٥٤٥ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - وثيقة رقم (١٥) ص ٩٢ - ٩٣ .

٣ سلام بن أبي الحقيق : (٩ - ٦ هـ = ٩ - ٦٢٨ م) يهودي ، أجلي مع قومه (بني النضير) عن (المدينة) ، عام ٤ هـ - ٦٢٥ م ، فسكن (خيبر) ؛ ليصبح من زعمائها ، قتل في سرية (عبدالله بن عتيك) ، - رضي الله عنه - كما فصلنا ذلك أعلاه .

٤ عبدالله بن عتيك : (٩ - ١٢ هـ = ٩ - ٦٣٣ م) هو عبدالله بن عتيك بن قيس بن الأسود الخزرجي ، صحابي شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، وهو الذي قتل في - نفر من (الخرزج) - (سلام بن أبي الحقيق) في (خيبر) - كما فصلنا ذلك أعلاه - ، وكان يعرف (اللغة

رمضان عام ٦ هـ - ٦٢٨ م ، فقتلوه . (١)

٢ - اليسير بن رزام (٢) : الذي وجه إليه الرسول ﷺ في (خيبر) ،
(عبدالله بن رواحه) (٣) - رضي الله عنه - في نفر من أصحابه ، في
شوال عام ٦ هـ - ٦٢٨ م ، فقتلوه . (٤)

إلا أن القضاء على بعض الزعماء لا يكفي لإزالة الخطر عن
المسلمين ، ولكن (معاهدة الحديبية) ، التي وقعها الرسول ﷺ مع كفار

العبرية) . قتل في أثناء حروب الردة في (اليمامة) . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز
الصحاب ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ١٠٢ .
١ لمعرفة قصة مقتل (سلام بن أبي الحقيق) تفصيلاً . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي
«٦٤» ، (باب قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق ويقال سلام بن أبي الحقيق «١٦») ، ج ٥
ص ٢٦ - ٢٨ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٣٩١
- ٣٩٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٦ ، و : ابن سعد : الطبقات
الكبرى ج ٢ ص ٩١ - ٩٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٩٣ - ٤٩٩ ، و :
ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٣٩ - ٢٤١ ، : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٩٨ - ٢٠٠ ،
و : ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ١٥١ - ١٥٣ ، و : ابن القيم : زاد
المعاد ج ٣ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

٢ اليسير بن رزام : (؟ - ٦ هـ = ؟ ٦٢٨ م) يهودي من زعماء (خيبر) ، قتل في سرية (عبدالله
بن رواحة) ، رضي الله عنه - كما فصلنا ذلك أملاه - .

٣ عبدالله بن رواحة : (؟ - ٨ هـ = ؟ - ٦٢٩ م) هو أبو محمد عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن
امرئ القيس الخزرجي . صحابي كان يكتب في الجاهلية . وكان من الشعراء الراجزين .
شهد (بيعة العقبة) - وكان أحد النقباء - ، كما شهد المشاهد كلها حتى كانت (موقعة مؤتة)
التي قتل فيها . وكان أحد أمرائها . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٤٠ ،
و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج
٤ ص ٨٦ .

١ لمعرفة قصة مقتل (اليسير بن رزام) تفصيلاً . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٦٦ - ٥٦٨ ،
و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٦١٨ - ٦١٩ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى
ج ٢ ص ٩٢ - ٩٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٦٠ ، و : ابن كثير : السيرة
النبوية ج ٣ ص ٤١٨ - ٤١٩ .

قريش في ذي القعدة عام ٦ هـ - ٦٢٨ م ، قد فرضت الهدنة بين الطرفين (١) ؛ مما أتاح الفرصة أمام المسلمين ليتفرغوا لفتح (خيبر) (٢) .

وقد وعد الله تعالى المسلمين بـ (فتح خيبر) وحيازة غنائمها ، في (سورة الفتح) ، التي نزلت في طريق العودة من (الحديبية) ، وذلك بقوله سبحانه :

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً﴾ (٣) .

والفتح القريب ، هو : (فتح خيبر) ، والمغانم المعجلة ، هي : (غنائم يهود خيبر) (٤) ، لما ثبت أن الرسول ﷺ قد قسم غنائم خيبر بعد أن

١ لمزيد من المعلومات حول (غزوة الحديبية) - انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٧١ - ٦٣٣ .
و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٠٨ - ٣٢٧ . و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩٥ - ١٠٥ . و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦٢٠ - ٦٤٤ . و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٢٨٠ - ٢٨٨ . و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢٠٧ - ٢١١ . و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٨٦ - ٣٠٠ . و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣١٢ - ٣٣٧ .

٢ انظر : د/ أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ٦١ .
و : د/ محمد السيد الوكيل : تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ . و : محمد باشمیل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة خيبر) ص ٦٧ .

٣ سورة الفتح ، آية : ١٨ - ٢١ .

٤ انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢٦ ص ٨٨ - ٩٢ . و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩١ .

فتحتها على من شهد (الحديبية) ، فعن (ابن شهاب) (١) - رحمه الله تعالى -
قال :

« خمس رسول الله ﷺ خير ، ثم قسم سائرهما على من شهدها ومن
غاب عنها من أهل الحديبية » (٢)

ج - وقائع الغزوة :

لقد علم الرسول ﷺ ما يدبره (يهود خيبر) من الهجوم على (المدينة) ،
في أثناء غيابه عنها - مع أصحابه - في (الحديبية) ، ولذلك لما وصل
(المدينة) أقام بها أياماً ، ثم توجه ومعه (ألف وأربعمائة من
المسلمين) - الذين بايعوا (بيعة الرضوان) (٣) في (غزوة

١ ابن شهاب : (٥٨ - ١٢٤ هـ = ٦٧٨ - ٧٤٢ م) هو أبوبكر محمد بن مسلم بن عبدالله بن
شهاب الزهري القرشي المدني . تابعي ، أحد كبار الحفاظ والفقهاء ، أول من دون (الحديث
الشريف) ، وله كتاب اسمه (تنزيل القرآن) . نزل (الشام) ، واستقر بها . توفي بـ (شغب) -
في الحد بين الحجاز والشام . انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٥٠٦ . و : الزركلي :
الأعلام ج ٧ ص ٩٧ .

٢ سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) ، حديث
رقم (٣٠١٩) ، ج ٣ ص ١٦١ ، و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (حسن) . انظر :
صحيح سنن أبي داود حديث رقم (٢٦٠٨) ج ٢ ص ٥٨٦ .

٣ لقد أراد بعض الأعراب - الذين تخلفوا عن (غزوة الحديبية) - الانضمام إلى هذا الجيش
المتوجه إلى (خيبر) ؛ وجاء الغنيمة الموعودة ، ولكن الرسول ﷺ رفض ذلك ، إلا بشرط
الجهاد دون الغنيمة . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٣٤ .

والسبب في اشتراط الرسول ﷺ - هذا - على أولئك الأعراب ، يعود إلى : أن (خيبر) ليست
من البلاد القريبة الفتح ، اليسيرة المغمم ؛ لأنها حصون منيعة ، وأهلها من أقوى الطوائف
اليهودية بأساً . وأعظمها دربة على القتال ، وكان الرسول ﷺ يدرك أنه لو فشل أمام (خيبر)
، فسيتغير ميزان القوى من جديد ، ولربما حدثت نكسة ، أعادت لأعدائه قوتهم وحماسهم لقتاله
، وحالت دون إتمام الوحدة التي يسعى إليها ، ولذلك كان الرسول ﷺ يريد جيشاً ، تحرك
قوة الإيمان بالله تعالى ، لا جشع النفس وطمعها . انظر : د/ أحمد الشريف : مكة والمدينة
في الجاهلية وعهد الرسول ص ٤٩٥ - ٤٩٨ ، و : د/ عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص

الحديبية) - إلى (خيبر) (١)

فلما سمع اليهود في (خيبر) بخروج المسلمين إليهم (٢) - وكانوا يتوقعون ذلك ؛ لتقصهم العهود التي أبرمها الرسول ﷺ معهم - اتصلوا بحلفائهم من (غطفان) يطلبون نجدتهم ، فاستجابوا لهم . (٣)

ولذلك ، أسرع الرسول ﷺ فنزل بـ (الرجيع) - واد بين (خيبر) و (غطفان) - ؛ ليحول بين اليهود وبين نجدة حلفائهم الغطفانيين ، الذين تراجعوا - بعد أن ساروا فعلا - ؛ خوفاً على ديارهم من غزو المسلمين . (٤)

ثم انطلق الرسول ﷺ إلى (خيبر) في الصباح ، حيث فوجيء

٣٥١ - ٣٥٢ ، و : د / محمد الوكيل : تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
ولذلك لم يقبل أولئك الأعراب ما اشترط الرسول ﷺ عليهم ، فلم يخرجوا ، وفيهم نزل قول الله تعالى :

﴿سَيَقُولُ الْمَخْلُوفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ : سورة الفتح ، آية : ١٥ .

انظر : الطبري : جامع البيان ج ٢٦ ص ٧٩ - ٨٢ .

١ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٣٤ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٢٨ ،

و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٩ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١١ ، و :

ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣١٦ - ٣١٧ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٤٤ .

٢ يذكر الواقدي - رحمه الله تعالى - أن بقايا اليهود في (المدينة) هم الذين أبلغوا (يهود خيبر)

بمسير الرسول ﷺ إليهم . انظر : المغازي ج ٢ ص ٦٤١ و ٦٤٢ .

بينما يذكر الحلبي - رحمه الله تعالى - أن المنافقين - بزعامه (عبدالله بن أبي بن سلول) -

هم الذين أبلغوهم بذلك . انظر : السيرة الحلبية - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ج ٢

ص ٧٣٠ .

٣ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٤٠ و ٦٤٢ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١٢ .

٤ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٣٩ و ٦٥٠ - ٦٥٢ و ٦٧٥ - ٦٧٧ ، و : ابن هشام :

السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٣٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٩ ، و : ابن

حزم : جوامع السيرة ص ٢١٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣١٧ ، و : ابن كثير :

السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٤٥ .

الفلاحون من اليهود ، الذين يعملون في المزارع خارج حصونهم ، بوجود المسلمين ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

« إن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغزهم حتى يصبح - ، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاثلهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس (١) ، فقال النبي ﷺ : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » (٢).

فلجأ اليهود إلى حصونهم ، التي قسموها إلى (ثلاث مناطق) ، تتألف كل منطقة من جملة حصون ، على ما يأتي :

- ١ - منطقة النطاة : وتتألف من : حصن ناعم ، وحصن الزبير ، وحصن الصعب .
- ٢ - منطقة الشق : وتتألف من : حصن أبي ، وحصن النزار .
- ٣ - منطقة الكتيبة : وتتألف من حصن القموص ، وحصن الرطيح ، حصن

١ الخميس : هو الجيش . انظر : الفيروزآبادي : القاموس المحيط (مادة الخمسة) ج ٢ ص ٢١٠ .

٢ صحيح البخارى - واللفظ له : (كتاب المغازي «٦٤» ، باب غزوة خيبر «٣٨») ، ج ٥ ص ٧٣ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب غزوة خيبر «٤٣») ، حديث رقم (١٣٦٥/١٢١) ، ج ٣ ص ١٤٢٧ ، و : سنن الترمذي : (كتاب السير «٢٢») ، باب في البيات والغارات «٣» ، حديث رقم (١٥٥٠) ، ج ٤ ص ١٢١ ، و : سنن النسائي : (كتاب المواقيت «٦») ، (باب التغليس في السفر «٢٦») ، حديث رقم (٥٤٧) ، ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، و : مسند الامام احمد : ج ٣ ص ١١١ ، و : موطأ الامام مالك : (كتاب الجهاد «٢١») ، (باب ما جاء في الخيل والمسابقة عليها والنفقة في الغزو «١٩») ، حديث رقم (٤٨) ، ج ٢ ص ٤٦٨ - ٤٦٩ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، و : الوداعي : الصحيح المسند من اسباب النزول ص ٥١٥ - ٥١٦ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٤٢ - ٦٤٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣١٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية : ج ٣ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

وقد حاصره الرسول ﷺ في حصونهم تلك (بضع عشرة ليلة) ، فقاتلهم ، فكانوا يتحولون بعد سقوط كل حصن إلى حصن آخر ، حتى افتتحها حصناً حصناً (٢) ، إلى أن انتهى إلى آخر حصونهم : (حصني : الوطيح ، والسلام في منطقة الكتيبة) ، فإن يهودهما لما أيقنوا بعدم جدوى المقاومة - بعد سقوط (حصون منطقتي : النطاة ، والشق ، وحصن القموص في منطقة الكتيبة) ، وقتل زعمائهم (مرحب) (٣) وأخيه (ياسر) (٤) ، اللذين سقطا في أثناء المباراة ، و (سلام بن مشكم) و (الحارث بن أبي زينب) (٥) ، اللذين سقطا في الدفاع عن تلك الحصون - عرضوا الصلح على

- ١ انظر : محمد الخضري : نور اليقين ص ٢٠٩ ، و : المباركفوي : الرحيق المختوم ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، و : محمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة خيبر) ص ٩٥ .
- ٢ لمزيد المعلومات حول وصف فتح تلك الحصون اليهودية في (خيبر) . انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٢٣ - ٢٢٦ ، و : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٤٤ - ٦٦٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٣٠ - ٣٣٧ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٩ - ١٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣٠٠ - ٣٠٣ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١٢ - ٢١٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٢١ - ٣٢٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .
- ٣ مرحب : (؟ ٧ هـ = ؟ ٦٢٨ م) يهودي ، من زعماء (خيبر) ، قتله في أثناء المباراة (علي بن أبي طالب) أو (محمد بن مسلمة) - رضي الله عنهما - . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٥٦ .
- ٤ ياسر : (؟ - ٧ هـ = ؟ - ٦٢٨ م) يهودي ، من زعماء (خيبر) وهو أخو (مرحب) ، قتله في أثناء المباراة (الزبير بن العوام) - رضي الله عنه - . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٥٧ ، و : راجع : (فهرس الاعلام) ج ٣ ص .
- ٥ سلام بن مشكم : (؟ - ٧ هـ = ؟ - ٦٢٨ م) يهودي ، من أعداء الاسلام ، إذ استقبل (أبا سفيان) ، ودله على عورات المسلمين ؛ مما كان سبباً في (غزوة السويق) عام ٢ هـ - ٦٢٤ م ، أجلي مع قومة (بني النضير) عن (المدينة) عام ٤ هـ - ٦٢٥ م ، فسكن (خيبر) ؛ ليصبح من زعمائها ، وهو زوج (زينب بنت الحارث) التي حاولت سم الرسول ﷺ ، قتل في الدفاع عن حصون (منطقة النطاة) - كما فصلنا ذلك أعلاه - . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٥٤ - ٦٥٧ و ٧١٣ .

د - نتائج الغزوة :

لقد قبل الرسول ﷺ الصلح مع (يهود خيبر) ، على أن يخرجوا منها - جميعاً - بأنفسهم ونسائهم وذرائعهم ، دون الأموال والسلاح ، واشترط عليهم ألا يخفوا عنه شيئاً من أموالهم ، فإن فعلوا فلا زمة لهم ولا عهد ، فعن عبد الله بن عمر (٢) - رضي الله عنهما - قال :

« إن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر ، فغلب على النخل والأرض ، وأجأهم إلى قصرهم ، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء (٣) ، والبيضاء (٤) ، والحلقة (٥) ، ولهم ما حملت ركابهم ، على أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا زمة لهم ولا عهد ، فغيبوا مسكاً لحبي بن أخطب - وقد كان قتل قبل خيبر ، كان احتمله معه يوم بني النضير ، حين أجليت النضير ، فيه حلبيهم ، قال : فقال النبي ﷺ لـ (سعية) (٦) [وهو عم حيي] (٧) : أين مسك حيي بن أخطب ؟ قال : أذهبته الحرب والنفقات ، فوجدوا المسك ،

١ انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٢٦ ، و : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٧٠ - ٦٧١ .
و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٣٣٢ و ٣٣٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠ و ١٤ - ١٥ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٢٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٥ .

٢ راجع : ترجمة (عبد الله بن عمر) ص ٥١٦ .

٣ الصفراء : أي الذهب . انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط (مادة الصفرة) ج ٢ ص ٧٠ .
٤ البيضاء : أي الفضة . انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط (مادة الأبيض) ج ٢ ص ٣٢٥ .
٥ الحلقة : السلاح وخاصة الدروع . انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة حلق) ج ١٠ ص ٦٤ - ٦٥ .

٦ سعية : (القرن ١ ق . هـ = ٦ - ٧ م) يهودي ، أجلي مع قومة (بني النضير) عن (المدينة) ، عام ٤ هـ - ٦٢٥ م ، فسكن (خيبر) ، وهو عم (حيي بن أخطب) .

٧ انظر : العظيم آبادي : عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ٨ ص ٢٤١ .

فقتل «كنانة بن الربيع» بن [أبي] (١) الحقيق (٢) ، وسبي نساءهم
وذراريهم » . (٣)

فالسبي لم يقع إلا في (حصن القموص) - وهو حصن (آل الحقيق) - ؛
لكونهم نقضوا العهد الذي أبرمه الرسول ﷺ معهم ؛ بأن لا يخفوا عنه
من أموالهم شيئاً - كما رأينا - .

فلما أراد الرسول ﷺ أن يجلبهم عن (خيبر) - بناءً على الصلح
بينهما - سألوه أن يبقوهم فيها ؛ ليعملوا في زراعتها - أجراء - ، فعن
عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال أهل خيبر :
« نحن أعلم بالأرض فأعطاناها على أن نعملها » . (٤)

١ . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ . ص ٦٧١ - ٦٧٣ .

٢ . كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق : (؟ - ٧ هـ = ؟ - ٦٢٨ م) يهودي ، أجلي مع قومه (بني
النضير) عن (المدينة) ، عام ٤ هـ - ٦٢٥ م . فسكن (خيبر) ؛ ليصبح من زعمائها ، كان زوجاً
لـ (صفية بنت حيي) - رضي الله عنها - ، قتل لخيانته - كما فصلنا ذلك أعلاه - .

٣ . سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب ماجاء في حكم أرض خيبر) . حديث
رقم (٣٠٠٦) ، ج ٣ ص ١٥٧ - ١٥٨ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : أنه (حسن) . انظر : صحيح سنن أبي داود حديث
رقم (٢٥٩٧) ج ٢ ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٧١
- ٦٧٣ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ، و : ابن سعد : الطبقات
الكبرى ج ٢ ص ١١٠ و ١١٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٤ ، و : ابن القيم
: زاد المعاد ج ٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

٤ . سنن ابن ماجه - واللفظ له - : (كتاب الزكاة «٨») ، (باب خرص العنب والبخل «١٨») .
حديث رقم (١٨٢٠) ، ج ١ ص ٥٨٢ ، و : سنن أبي داود : (كتاب البيوع) ، (باب المساقاة) ،
حديث رقم (٣٤١٠) و ج ٣ ص ٢٦٣ .

و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (حسن) . انظر : صحيح سنن ابن ماجه حديث
رقم (١٤٧٣) ج ١ ص ٣٠٥ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٩٠
، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٣٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣
ص ١٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣٠٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٢٩

فأبقاهم الرسول ﷺ فيها ، على النصف من ثمارها ، والنصف الآخر للمسلمين (١) على أن ينفقوا عليها من أموالهم (٢) ، وأن يخرجوا (٣) منها متى شاء (٤) ؛ وذلك لما يعرفه من طبع اليهود ، من عدم الوفاء بالعهود

، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٥ .

١ انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر «٤٠») . ج ٥ ص ٨٤ ، و : صحيح مسلم : (كتاب المساقاة «٢٢») ، (باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع «١») ، حديث رقم (١٥٥١/٤) ، ج ٣ ص ١١٨٧ ، و : سنن الدارمي : (كتاب البيوع) ، (باب أن النبي ﷺ عامل خيبر) ، ج ٢ ص ٢٧٠ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الروهون «١٦») ، (باب معاملة النخيل والكرم «١٤») ، حديث رقم (٢٤٦٧) ، ج ٢ ص ٨٢٤ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب ماجاء في حكم أرض خيبر) ، حديث رقم (٣٠٠٨) ، ج ٣ ص ١٥٨ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الأحكام «١٣») ، (باب ماذكر في المزراعة «٤١») ، حديث رقم (١٣٨٣) ، ج ٣ ص ٦٦٦ - ٦٦٧ ، و : سنن النسائي : (كتاب الايمان والذنور «٣٥») ، (باب ذكر اختلاف الألفاظ المأثورة في المزراعة «٤٦») ، حديث رقم (٢٥٢٩) ، ج ٧ ص ٥٣ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ١٧ ، و : موطأ الإمام مالك : (كتاب المساقاة «٣٣») ، (باب ماجاء في المساقاة «١») ، حديث رقم (١) ، ج ٢ ص ٧٠٣ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٢٦ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٩٠ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٢٣٧ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٠٣ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٢٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٥ .

٢ انظر : صحيح البخاري : (كتاب الحرث والمزراعة «٤١») ، (باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله «١٧») ، ج ٣ ص ٧١ ، و : صحيح مسلم : (باب المساقاة «٢٢») ، (باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع «١») ، حديث رقم (١٥٥١/٥) ، ج ٣ ص ١١٨٧ ، و : سنن أبي داود : (كتاب البيوع) ، (باب في المساقاة) ، حديث رقم (٣٤٠٩) ، ج ٣ ص ٢٦٣ ، و : سنن النسائي : (كتاب الايمان والذنور «٣٥») ، (باب ذكر اختلاف الألفاظ المأثورة في المزراعة «٤٦») ، حديث رقم (٢٩٢٩) ، ج ٧ ص ٥٣ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ١٤٩ .

٣ لقد رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافته أن يخرج اليهود من (خيبر) . راجع : مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص .

٤ انظر : صحيح البخاري : (كتاب الحرث والمزراعة «٤١») ، (باب إذا قال رب الأرض اترك ما ترك الله «١٧») ، ج ٣ ص ٧١ ، و : صحيح مسلم : (كتاب المساقاة «٢٢») ، (باب المساقاة

، وانتهاز أية فرصة تسنح للغدر والخيانة .

ولم يقتل الرسول ﷺ من نسائهم إلا (زينب بنت الحارث) (١) - زوج
(سلام بن مشكم) - ؛ لأنها حاولت - عبر خطة مرسومة (٢) - قتل الرسول

والمعاملة بجزء من الثمر والزرع «١» ، حديث رقم (١٥٥١/٤) ، ج ٣ ص ١١٨٧ ، و : مسند
أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (با مجاء في حكم أرض خيبر) ، حديث رقم
(٣٠٠٨) ، ج ٣ ص ١٥٨ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ١٤٩ ، و : موطأ الإمام مالك :
(كتاب المساقاة «٣٣») ، (باب مجاء في مجاء في المساقاة «١») ، حديث رقم (١) ، ج ٢ ص
٧٠٣ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٣٦٦ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣
- ٤ ص ٣٣٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٥ ، و : ابن حزم : جوامع
السيرة ص ٢١٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٢٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية
ج ٣ ص ٣٧٥ .

١ زينب بنت الحارث : (؟ - ٧ هـ = ؟ - ٦٢٨ م) يهودية ، من (خيبر) ، وهي ابنة أخي (مرحب)
، وزوجها (سلام بن مشكم) ، حاولت قتل الرسول ﷺ بالسسم ، وقتلت لقتلها (بشر بن البراء
بن معمر) - رضي الله عنه - الذي أكل مع الرسول ﷺ الشاة المسمومة - كما فصلنا ذلك
أعلاه - .

٢ لقد كشف الدكتور / منير العجلاني رئيس تحرير (المجلة العربية) - السورية - عن وثيقة
أرمينية مخطوطة في (دار الكتب الوطنية) في (باريس) ، جاء فيها :
" يقال : إن الأمة اليهودية تحسد أمة النصارى ، ولما جاء محمد وعظم أمره ، اجتمع رؤساء
اليهود ، وقالوا في أنفسهم : لنضمه إلينا ، بأن نزوده بأحكام ديننا ، فينشرها بين الناس ،
وبذلك نتقلب على النصارى وأنجيلهم ، ولكن المسلمين الذين انتصروا على أعدائهم ، وفتحوا
الفتوحات العظيمة لم يكتروا لليهود ، ولم يقيموا لهم وزناً ، بل اضطروا - أحياناً - إلى
قتالهم ، فعاد رؤساء اليهود إلى الاجتماع والتفكير في أسلوب يتخلصون به من محمد ... ،
فاختاروا من نسائهم فتاة جميلة ، وقالوا لها : يجب عليك أن تدعي محمداً إلى وليمة وتقتليه ،
فعلت المرأة ما أمرها الرؤساء به " البيهقي : دلائل النبوة ، تعليق : د/ عبدالمعطي قلنجي ج ٤
ص ٢٥٨ ، نقلا عن : د/ منير العجلاني : (المجلة العربية) - السورية - السنة الثالثة ، العدد
الثالث .

وفي هذا يفاخر الشاعر اليهودي الأندلسي (يوسف بن شموئيل بن النغيلة) بهذه الفعلة
الشنيعة (سم الرسول ﷺ) ، حيث يقول :
ونبياً من هاشم قد سمعنا خراً من أكلة الذراع طريحاً
انظر : ابن سمي : المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص ١١٥ .

ﷺ بالسّم ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - قال : « إن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ، ثم أهدتها للرسول ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع ، فأكل منها ، (١) ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : ارفعوا أيديكم ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها : أسمت هذه الشاة ؟ ، قالت اليهودية : من أخبرك ؟ ، قال : أخبرتني هذه في يدي - للذراع - ، قالت : نعم ، قال : فما أردت إلى ذلك ؟ ، قالت : قلت : إن كان نبياً فلن يضره ، وإن لم يكن استرحنا منه ، فعفا عنها رسول الله ﷺ ، ولم يعاقبها » (٢) .

١ - لقد أحس الرسول ﷺ بأثر ذلك السم في مرضه الذي توفي فيه ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

« كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم » : صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب المغازي «٦٤» ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته «٨٣») ، ج ٥ ص ١٣٧ ، و : سنن الدارمي : (مقدمة) ، (باب ما أكرم النبي ﷺ من كلام الموتى) ج ١ ص ٣٢ - ٣٣ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الديات) ، (باب فيمن سقى رجلاً سمّاً أو أطعمه فمات إيقاد منه) ، حديث رقم (٤٥١٣) ج ٤ ص ١٧٥ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٨ .

ولذلك يرى بعض العلماء أن الله تعالى دفع أثر السم عن رسوله ﷺ ، حتى إذا جاء موعد أجله تحرك السم في جسمه ، فمات شهيداً - والله اعلم - انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٧٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٣٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٦ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٣٧ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٩٩ .

٢ - سنن أبي داود - واللفظ له - : (كتاب الديات) ، (باب فيمن سقى رجلاً سمّاً أو أطعمه فمات إيقاد منه) ، حديث رقم (٤٥١٠) ، ج ٤ ص ١٧٣ - ١٧٤ ، و : صحيح البخاري : (كتاب الطب «٧٦») ، (باب ما يذكر في سم النبي ﷺ «٥٥») ، ج ٧ ص ٣٢ ، و : صحيح مسلم : (كتاب السلام «٣٩») ، (باب السم «١٨») ، حديث رقم (٢١٩٠/٤٥) ، ج ٤ ص ١٧٢١ ، و : سنن الدرامي : (مقدمة) ، (باب ما أكرم النبي ﷺ من كلام الموتى) ، ج ١ ص ٣٢ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ٤٥١ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٧٧ - ٦٧٨ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، و : ابن سعد : الطبقات

فلما مات (بشر بن البراء بن معرور) (١) - رضي الله عنه - من أثر السم - وكان من الرهط الذين أكلوا من تلك الشاة المسمومة - ، أمر بها الرسول ﷺ - على الراجع (٢) - فقتلت . (٣)

ثم قسم الرسول ﷺ ماغنم من أموالهم (٤)، ونسأئهم (٥)، وذرائعهم

- ١ الكبرى ج ٢ ١١٥ - ١١٦ . و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣٠٥ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١٤ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٩٤ - ٣٩٧ .
- ٢ بشر بن البراء بن معرور : (؟ - ٧ هـ = ؟ - ٦٢٨ م) هو بشر بن البراء بن معرور بن صخر الخزرجي . صحابي ، شهد (بيعة العقبة) - مع والده - ، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، حتى كانت (غزوة خيبر) التي مات فيها من أثر أكلة مع الرسول ﷺ من الشاة المسمومة - كما فصلنا ذلك أعلاه - . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٦٩ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ١٥٤ .
- ٣ انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٥٩ - ٢٦٣ .
- ٤ انظر : سنن أبي داود : (كتاب الديات) ، (باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أبقاد منه) ، حديث رقم (٤٥١١) ، ج ٤ ص ١٧٤ ، و : مستدرک الحاكم (كتاب معرفة الصحابة) ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢٠ .
- ٥ و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٣٦ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٩٧ .
- ٦ كان مما غنم المسلمون في (غزوة خيبر) صحفاً من (التوراة) ، فلما جاء اليهود يطلبونها ، أمر الرسول ﷺ بردها إليهم . انظر : الحلبي : السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٤٥ .
- ٧ وفي هذا الموقف الإنساني من الرسول ﷺ ، يقول العالم اليهودي الدكتور (إسرائيل ولفنسون) - بعد أن ذكر هذه القصة - :
 « مما جعل اليهود يشيرون إلى النبي بالبنان ، ويحفظون له هذه اليد ، حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة ، ويذكرون بإزاء ذلك ما فعله الرومان حين تغلبوا على أورشليم سنة ٧٠ ق.م ، إذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ، وما فعله المتعصبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس ، حيث أحرقوا - أيضاً - صحف التوراة . هذا هو اليون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرواهم وبين رسول الإسلام » : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٧٠ .
- ٨ لم يقع سبي النساء والذرائع من (يهود خيبر) إلا في (آل الحقيق) - فقط - ؛ لكونهم نقضوا العهد مع الرسول ﷺ - كما ذكرنا أعلاه قبل قليل - . وكانت (صفية بنت حيي بن أخطب) - زوج (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) - من بين السبي ، فاصطفاه الرسول ﷺ لنفسه ،

إن مما أعان المسلمين على (فتح خيبر) أن هياً الله تعالى عدة أمور ،

وأعتقها ، فتزوجها ، وأصبحت إحدى أمهات المؤمنين ، فرضي الله عنها . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب غزوة خيبر «٣٨») ، ج ٥ ص ٧٣ - ٧٤ و ٧٧ - ٧٨ ، و : صحيح مسلم : (كتاب النكاح «١٦») ، (باب فضيلة إعتاق أمة ثم يتزوجها «١٤») ، حديث رقم (١٣٦٥/٨٤) ، ج ٢ ص ١٠٤٣ - ١٠٤٤ ، و : سنن الدارمي : (كتاب النكاح) ، (باب في الأمة يجعل عتقها صداقها) ، ج ٢ ص ١٥٤ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب النكاح «٩») ، (باب الرجل يعتق أمته ثم يتزوجها «٤٢») ، حديث رقم (١٩٥٧٧) ، ج ١ ص ٦٢٩ ، و : سنن أبي داود : (كتاب النكاح) ، (باب في الرجل يعتق أمته ثم يتزوجها) ، حديث رقم (٢٠٥٤) ، ج ٢ ص ٢٢١ ، و : سنن الترمذي : (كتاب النكاح «٩») ، (باب ماجاء في الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها «٢٤») ، حديث رقم (١١١٥) ، ج ٣ ص ٤٢٣ ، و : سنن النسائي : (كتاب النكاح «٢٦») ، (باب التزويج على العتق «٦٤») ، حديث رقم (٣٣٤٢) ، ج ٦ ص ١١٤ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ٩٩ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٣٥ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٧٣ - ٦٧٥ و ٧٠٧ - ٧٠٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٣١ - ٣٣٦ - ٣٤٠ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٩ و ١٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١٢ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧١ - ٣٧٤ .

١ لقد قسم الرسول ﷺ مغانم (خيبر) إلى قسمين : نصف قبض خمسته ، وما بقي منه تم تقسيمه بين الصحابة - رضي الله عنهم - ممن شهد (الحديبية) - سواء حضر (غزوة خيبر) ، أم غاب عنها ؛ لأي سبب من الأسباب - ، وممن حضر (خيبر) - وإن لم يكن شهد (الحديبية) - ، وعزل النصف الآخر لنواب المسلمين . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب غزوة خيبر «٣٨») ، ج ٥ ص ٨١ - ٨٢ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الفراج والإمارة والفيء) ، (باب ماجاء في حكم أرض خيبر) ، حديث رقم (٣٠٠٨ - ٣٠٢٠) ، ج ٣ ص ١٥٨ - ١٦٢ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٨٠ - ٦٩٠ و ٦٩٣ - ٦٩٩ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٤٩ - ٣٥٣ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٦ - ٤٢ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٩ - ٢١ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢١٣ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٢٨ - ٣٣٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٩ - ٣٨٦ .

من أهمها :

١ - تفرغ المسلمون لتأديب اليهود ، دون أن تنجدهم قريشاً ؛ بناءً على (اتفاقية الحديبية) . (١)

وقد أصابت الكآبة والغیظ كفار قريش لما بلغهم خبر انتصار المسلمين على (يهود خيبر) (٢) ؛ لأنهم لم يكونوا يتوقعون ذلك - لا هم ، ولا المنافقون ولا اليهود أنفسهم - ؛ لما هو معروف من صلابة حصون اليهود في (خيبر) ، وكثرة مقاتليهم ، حيث يصلون إلى (عشرة آلاف مقاتل) ، مع وفرة أسلحتهم (٣) .

ولكن كل ذلك لم يغن عنهم من الله تعالى شيئاً ، وصدق سبحانه ، حيث يقول :

﴿لَا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر﴾ . (٤) .

٢ - تفرد المسلمون بغزو اليهود ، بعد تخاذل حلفائهم من (غطفان) عن نجدتهم ؛ خوفاً على ديارهم من غزو المسلمين . (٥) .

✽ آثار فتح خيبر :

لقد كان لسقوط (خيبر) بيد المسلمين ، آثار عظيمة ، من أهمها :

١ انظر : د/ أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ١٦١ ، و : محمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة خيبر) ص ٦٧ .

٢ انظر : مسند الإمام أحمد : ج ٣ ص ١٣٨ - ١٣٩ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٦٥ - ٢٦٨ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٧٠٢ - ٧٠٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٣٤٥ - ٣٤٧ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٧ - ١٩ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣٠٧ - ٣١٠ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٣٧ - ٣٣٩ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٠٧ - ٤١٢ .

٣ راجع : ص ٤٧١ .

٤ سورة الحشر ، آية : ١٤ .

٥ راجع : (وقائع غزوة خيبر) ص ٤٦٩ .

١ - تساقط بقية مناطق اليهود في (فدك ، وادي القرى ، وتيماء - وغيرها -) بيد المسلمين :

- أما (يهود فدك) : فقد بعث إليهم الرسول ﷺ - قبل أن يهاجم (خيبر) - يدعوهم إلى الإسلام ، ولكنهم لم يعطوا جواباً قاطعاً ، وكانهم كانوا ينتظرون ورود أنباء انتصار (يهود خيبر) على المسلمين ؛ ليعلنوا الرفض ، ولكنهم سارعوا - لما سمعوا بسقوط (خيبر) - إلى طلب الصلح ، حيث سألوا الرسول ﷺ أن يحقن دماءهم ، ويجلبهم ، ويخلوا له الأموال ، فوافق على طلبهم ، ثم سألوه أن يبقوهم في أراضيهم - كما أبقى (يهود خيبر) - ؛ ليعملوا في زراعتها - أجراء - ، فأبقاهم فيها على (النصف) من ثمارها ، أما النصف الآخر فكان للرسول ﷺ خاصة ؛ لأنه فيء ، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (١) .

- وأما (يهود وادي القرى) : فقد حاصرهم الرسول ﷺ - بعد أن فرغ من (خيبر) - ، حيث وقعت بعض المناوشات بين الطرفين ، إلا أنهم لما يئسوا طلبوا الصلح ، فوافق على طلبهم ، وعاملهم معاملة (يهود

١ انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والإمارة والفداء) ، (باب في حكم أرض خيبر) ، حيث رقم (٣٠١٦) ، ج ٣ ص ١٦١ .
و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٧٠٦ - ٧٠٧ . و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٣٣٧ - ٣٥٣ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٢ - ٤٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٥ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية ص ٣٠٣ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٢٨ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٥ .

خيبر) ، (١)

- وأما (يهود تيماء) : فقد صالحوا الرسول ﷺ ، لما بلغهم تساقط
معاقل (يهود : خيبر ، وفدك ، ووادي القرى) ، على مثل ما صالح عليه
إخوانهم . (٢)

وبذلك ، انهارت سائر معاقل اليهود العسكرية في (الحجاز) ، أمام
المسلمين .

ثم بدأ الرسول ﷺ يعامل بقية التجمعات اليهودية المنبثّة في أنحاء
(الجزيرة العربية) بروح التسامح ؛ لأنها لم تجاهر بالعداء ، حيث كتب إلى
زعمائها ؛ لتحديد موقفهم من الدعوة الإسلامية ، فكان يدعوهم إلى
الإسلام - أولاً - ، فإن رفضوه ، صالحهم :

- فقد صالح (يهود بني جنبه) بـ (مقنا) ، على أن للمسلمين (الربع) من

نتائجهم . (٣)

١ انظر : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٧١٠ -
٧١١ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٣٣٨ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص
٤٧ - ٤٨ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٦ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية
ص ٣٠٦ ، و : ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٢٩ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٥٤ -
٣٥٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٠١ و ٤١٢ - ٤١٣ .

٢ انظر : الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٧١١ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٨ - ٤٩ ، و :
ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٥٥ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤١٣ .

٣ انظر : الواقدي : المغازي ج ٣ ص ١٠٣٢ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧٦ -
٢٧٧ و ٢٩٠ و ٢٩١ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٧١ - ٧٢ ، و : الحلبي : السيرة
الطلبية ج ٣ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة
• وثيقة رقم (٣٣) و (٣٤) ص ١١٩ - ١٢٤ .

- كما صالح (يهود بني عاديا) (١) ، و (يهود بني عريض) (٢) ، و (يهود جرباء) (٣) ، و (يهود أذرح) (٤) و (يهود البحرين) (٥) (٦) ، و (يهود اليمن) (٧) ، على أن يدفعوا (الجزية) (٨) للمسلمين .

- ١ انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . وثيقة رقم (١٩) ص ٩٨ .
- ٢ انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧٩ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . وثيقة رقم (٢٠) ص ٩٨ .
- ٣ انظر : الواقدي : المغازي ج ٣ ص ١٠٣٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٥٢٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٧١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ٢٩ - ٣٠ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . وثيقة رقم (٣٢) ص ١١٨ - ١١٩ .
- ٤ انظر : الواقدي : المغازي ج ٣ ص ١٠٣٢ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٥٢٥ ، و : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٧١ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ٢٩ - ٣٠ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . وثيقة رقم (٣٢) ص ١١٨ - ١١٩ .
- ٥ البحرين : هي المنطقة الواقعة شرقي شبه الجزيرة العربية ، والمعروفة - حالياً - بمنطقة (الخليج العربي) . أما إصطلاح (البحرين) فيطلق - حالياً - على (دولة البحرين) وهي جزيرة قرب الشاطئ الشرقي للمملكة العربية السعودية . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩ ، و : د/ حسن عبدالقادر صالح : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ص ١١٦ ، و : حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) ج ١ ص ٣١ .
- ٦ انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦٣ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٠ - ٩١ ، و : ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٦٩٢ - ٦٩٣ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . وثيقة رقم (٥٧) ص ١٤٥ - ١٤٦ .
- ٧ انظر : الواقدي : المغازي ج ٣ ص ١٠٨٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣-٤ ص ٥٨٨ - ٥٩٠ و ٥٩٤ - ٥٩٦ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٨٦ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٢٠ - ١٢٢ و ١٢٨ - ١٢٩ ، و : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . وثيقة رقم (١٠٥) ص ٢٠٦ - ٢١٠ ، و : رقم (١٠٦/د) ص ٢١٢ - ٢١٣ ، و : رقم (١٠٩) ص ٢٢٠ - ٢٢٦ ، و : رقم (١١٠/هـ) ص ٢٣٠ .
- ٨ راجع : التعريف ب (الجزية) ص ٥٠٢ .

وبذلك ، صارت سائر التجمعات اليهودية في (الجزيرة العربية) ضمن حدود الدولة الإسلامية الناشئة .

٢ - تحسن وضع المسلمين الإقتصادي :

لقد تحسن وضع المسلمين اقتصادياً بعد (فتح خيبر) ، حتى قالت عائشة - رضي الله عنها - :

« لما فتحت خيبر ، قلنا : الآن نشبع من التمر » . (١)

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - :

« ما شبعنا حتى فتحنا خيبر » . (٢)

ومع هذه الشدة التي كان يعانيها المسلمون قبل (فتح خيبر) ؛ فقد كان الرسول ﷺ يفضل إسلام اليهود - وغيرهم - على كل مغنم ، كما يتضح من وصيته لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، فعن (سهل بن سعد) (٣) - رضي الله عنه - قال :

« إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، قال : فبات الناس يدوكون (٤) ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ ، فقيل : هو

١ صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») ، (باب غزوة خيبر «٣٨») ، ج ٥ ص ٨٣ .

٢ صحيح البخاري : (كتاب المغازي «٦٤») . (باب غزوة خيبر «٣٨») ، ج ٥ ص ٨٣ .

٣ سهل بن سعد : (٩ ق م - ٩١ هـ = ٦١٣ - ٧١٠ م) هو أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد الساعدي الخزرجي . صحابي ، كان اسمه (حزناً) ، فغيره الرسول ﷺ إلى (سهل) . وهو آخر من مات من الصحابة بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٨٧ .

٤ يدوكون : أي يخرضون ويموجون ويختلفون . انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة دوك) ج ١٠ ص ٤٣٠ .

يارسول الله يشتكي عينيه ، قال : فأرسلوا إليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ، ودعا له ، فبرأ ، حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يارسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم (١) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :

« يارسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا قطعوا ذلك فقد منعوا منك ماعهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » (٢) .

ولم يكن الرسول ﷺ - بعد أن رفضوا دعوته - راغباً في إفنائهم ، أو إجلائهم ؛ ولذلك قبل الصلح منهم لما عرضوه عليه ، كما قبل بعد الصلح - الذي وافق بموجبه اليهود على إجلائهم - أن يبقوهم في (خيبر) - وغيرها من معاقلمهم - ؛ بناءً على طلبهم ؛ مما يدل على الروح الإنسانية والعدالة السامية التي يتمتع بها الرسول ﷺ (٣) .

١ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب المغازي «٦٤» ، (باب غزوة خيبر «٣٨» ، ج ٥ ص ٧٦ - ٧٧ ، و : صحيح مسلم : (كتاب فضائل الصحابة «٤٤» ، (باب من فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - «٤» ، حيث رقم (٢٤٠٦/٢٤) ، ج ٤ ص ١٨٧٢ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ٢٢٢ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٠٥ .

٢ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب فضائل الصحابة «٤٤» ، (باب من فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - «٤» ، (٢٤٠٥/٢٢) ، ج ٤ ص ١٨٧٢ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٢٠٦ .

٣ انظر : د / أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ١٧٢ .

إضافة إلى أن في تحقيق طلب اليهود - هذا - بإبقائهم في (خيبر) - وغيرها من معاقلهم - ؛ لفلاحة الأرض ، مصالح علينا : اقتصادية وعسكرية ، حيث تمت المحافظة على طاقات المسلمين العسكرية ، وذلك بعدم تحويلهم إلى الفلحة ، التي تحتاج إلى إدامة العمل في استصلاح الأرض ورعاية الزرع ؛ مما يستنفذ طاقاتهم ، وكذلك تمت الاستفادة من خبرة وطاقات الفلاحين اليهود ؛ للحفاظ على مستوى الإنتاج الزراعي ؛ مما يوفر للمسلمين حصة كبيرة يمكن الاستفادة منها في النفقات التي تحتاجها الدولة الإسلامية ، وأهمها : تجهيز الجيوش للجهاد الدائم ؛ من أجل نشر راية الإسلام خفاقة في ربوع المعمورة . (١)

علماً بأن بقاء اليهود في (خيبر) ليس له تأثير على الوضع العسكري بالنسبة للمسلمين ، وذلك لما يأتي :

١ - أن (خيبر) تبعد عن (المدينة) مسيرة (ثلاثة أيام) - بالنسبة للتنقلات العسكرية في ذلك الزمان (٢) - ، فإذا حصل أي تمرد هناك ، يمكن تلافيه قبل أن يصيب عاصمة الدولة (المدينة) . (٣)

٢ - أن (يهود خيبر) قد عاينوا قوة المسلمين ، التي فتحت - بتوفيق الله تعالى - حصونهم المنيعه ؛ مما كان له أكبر الأثر في ردعهم عن التفكير في الخروج على طاعة المسلمين . (٤)

١ انظر : إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٦٩ ، و : د / أكرم العمري : المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى ص ١٧٢ ، و : محمد حسين هيكل : حياة محمد ص ٣٩٠ ، و : د / محمد السيد الوكيل : تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ٢٢٩ ، و : د / عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ٣٥٤ ، و : منير الغضبان : المنهج الحركي للسيرة النبوية ج ٣ ص ٧٩ - ٨٠ .

٢ المسافة بين (خيبر) و (المدينة) = حوالي (١٦٥ كم) .

٣ انظر : د / محمد الوكيل : تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ٢٢٨ .

٤ انظر : المرجع السابق ص ٢٣٠ .

٣ - أن (زعماء خيبر) قد قتلوا جميعاً :

- فبعضهم قبل المعركة : (حي بن أخطب ، قتل مع بني قريظة) ، و(سلام بن أبي الحقيق ، قتل في سرية عبدالله بن عتيك) ، و (اليسير بن رزام ، قتل في سرية عبدالله بن رواحة) .

- وبعضهم أثناء المعركة : (سلام بن مشكم ، والحارث بن أبي زينب قتلا في الدفاع عن حصون منطقة النطاة) ، و (مرحب ، وأخوه ياسر ، قتلا أثناء المبارزة) .

- وبعضهم بعد المعركة : (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، قتل لخيانته) ، وهكذا أصبح اليهود وليس لهم زعماء يخافهم المسلمون لجمع اليهود مرة أخرى للحرب ضد الدولة الإسلامية . (١)

٣ - جنوح القبائل العربية المعادية للمسلمين إلى المسالمة :

لقد كففت القبائل العربية من عداتها ضد المسلمين بعد (فتح خيبر) ، واتجهت إلى المسالمة ، فتفتحت بذلك آفاق جديدة أمام انتشار الإسلام .

وهكذا انتهى دور اليهود العسكري في (منطقة الحجاز) بمختلف جماعاتهم : (يهود بني قينقاع ، ويهود بني النضير ، ويهود بني قريظة ، ويهود خيبر - وغيرهم) ، وتفرغ المسلمون لتوحيد (الجزيرة العربية) تحت راية الإسلام .

وبذلك ، نصل إلى الغاية التي كانت تتوخاها كل جماعة من هذه الجماعات اليهودية من هذه المكيدة (نقضهم المعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ معهم) .

١ انظر : د/ محمد الوكيل : تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ٢٢٩ .

إن غاية اليهود من هذه المكيدة ، تحقيق عدة أغراض ، أهمها :

١ - التخلص من صاحب الرسالة الإسلامية محمد ﷺ !

٢ - هزيمة المسلمين !

٣ - القضاء على الإسلام نهائياً !

وبعد ، فهذه أهم المكائد اليهودية في (العهد النبوي) ضد الرسول ﷺ وأتباعه المسلمين ، ودينهم الإسلام ، وهي مكائد لم يتفكرها اليهود - كما رأينا - اعتباطاً ، وإنما تفننوها من خلال مخطط رهيب ، جرى فيه اقتسام العمل بين جماعاتهم وأفرادهم ؛ رغبة في القضاء النهائي على الإسلام في مهده .

ولكن مكائدهم باءت - والحمد لله تعالى - بالفشل الذريع ، حيث نصر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ ، وأعز عباده المؤمنين ، فخرج الإسلام ظافراً من كل مكيدة كابوها له ، بل إن الدائرة دارت عليهم ، حيث هزموا جميعاً - كما رأينا قبل قليل - إما بالتهجير كـ (بني قينقاع) ، و(بني النضير) ، وإما بالقتل كـ (بني قريظة) ، وإما بالتأيب كـ (يهود خيبر) ، وصدق الله العظيم القائل :

﴿ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾ . (١)

وهنا يحق لنا في ختام هذا المبحث الذي تحدثنا فيه عن المكائد اليهودية في (العهد النبوي) ، أن نتساءل عن أسباب عدااء اليهود للرسول ﷺ وأتباعه المسلمين ، ودينهم الإسلام ؟ !

١ سورة فاطر ، آية : ٤٣ .

❖ أسباب عداة اليهود للرسول ﷺ والمسلمين والإسلام :

ذكرنا - فيما سبق - أن الكتب اليهودية ، وعلى رأسها (التوراة) حوت الكثير من البشارات بمبعث نبي الإسلام محمد ﷺ باسمه ، وصفته ، ومكان مولده ، وزمانه ، ومبعثه ، ومهاجره . (١)

إلا أن اليهود حين رأوا - أثناء فترة (السبي البابلي) فيما بين عامي ٥٨٦ - ٥٣٨ ق.م - إنبار الدنيا عنهم بزوال ملكهم من (فلسطين) ، وخشيتهم من إقبالها على بني عمومته (العرب) نسل إسماعيل - عليه السلام - ، كما بشرتهم بذلك (التوراة) - الأصلية - ، عمدوا إلى تحريفها على مبادئ عنصرية متعددة ، وما يعيننا منها - هنا (٢) - سوى المبدأ الآتي :

- النبي المنتظر الذي بشر بمجيئه أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام - ، سوف يأتي ، ولكن ربما يكون من بني إسرائيل (اليهود) ، لا من بني إسماعيل (العرب) ! .

وعلى أساس هذا المبدأ العنصري ، حرفوا كثيراً مما جاء في (التوراة) من تلك البشارات ، التي تبشر بنبوته محمد ﷺ (٣) ، ولا سيما ما يتعلق منها باسمه وصفته ؛ لأن فيهما للإنكار مجال ، أما مكان مبعثه ومهاجره فلا مجال لتحريفه ؛ لأنهم يعلمون أن هذا النبي سيبعث في مكانه الذي أراد الله تعالى ؛ ولذلك كثفوا من وجودهم في كل مكان من أرض (الحجاز) العربية ، التي تنطبق عليها الأوصاف التي جاءت في تلك

١ راجع : ص ٦٥ - ٦٨ و ٩٠ - ١٢٦ .

٢ راجع : (نشأة العنصرية اليهودية) ج ١ ص ٦٥ .

٣ راجع : (تحريف البشارات بنبوته محمد ﷺ في العهد القديم - التوراة) ص ٩٣ .

البشارات ، وأهما (يثرب - المدينة) (١) ؛ رجاء أن يكون هذا النبي المبعوث من قومهم (بني إسرائيل) ، كما حاولت أن تغريهم بذلك توراتهم - المحرفة - ، وكأنهم استمروا تصديق ما حرفوه من اسم محمد ﷺ وصفته ، ظانين أن الله تبع لهم في تخرصاتهم - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - !

ولكن أكثرية اليهود لما علموا بمبعث الرسول ﷺ في (مكة) ، لم يعيروا هذا الموضوع اهتمامهم - على الرغم من علمهم الأكيد بأنه هو النبي الذي طالما انتظروه - ، وكأن الأمر لا يعنيتهم ؛ لأنهم عرفوا أنه ليس من قومهم بني إسرائيل (اليهود) - كما كانوا يأملون - (٢) ، وإنما هو من أبناء عموماتهم بني إسماعيل (العرب) ! (٣)

وحين هاجر الرسول ﷺ إلى (المدينة) ، لم يشارك بعض اليهود في استقبالة - ولو مجاملة - ، وعلى رأسهم أكثرية الأحرار ، الذين تنكروا لدعوته منذ البداية ! (٤)

إلا أن الرسول ﷺ عمل على نشر روح التسامح معهم - بكل وسيلة ممكنة - (٥) ؛ رغبة في استمالتهم إلى الدخول في دين الله تعالى (الإسلام) ، إلا أنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، حيث لم تستجب أكثريتهم لداعي الله تعالى ، وإنما آثروا الكفر به - والعياذ بالله تعالى - ، بعد أن

١ راجع : (أسباب اختيار اليهود لمنطقة يثرب) ص ٤٣ .

٢ منذ عرف اليهود أن الرسالة الدينية قد غادرتهم ببعثة محمد ﷺ إلى غير رجعة ؛ فقد ركزوا اهتمامهم على انتظار مخلص دينوي ، وهذا ما تحدثنا عنه - تفصيلاً - فيما مضى . راجع :

التعريف بـ (المسيح المنتظر) ص ٢٤٥ .

٣ راجع : (علم اليهود بمبعث الرسول ﷺ في مكة) ص ٦٥ .

٤ راجع : (استقبال اليهود للرسول ﷺ في المدينة) ص ٧١ .

٥ راجع : (العلاقات بين الرسول ﷺ واليهود) ص ٧٣ .

عرفوه حق المعرفة ، ولم يكفهم ذلك ، وإنما عملوا على حبك المكائد - التي تحدثنا عنها فيما سبق - ضده ، وضد أتباعه المسلمين ، ودينهم الإسلام !
ومن خلال هذه المقدمة ، يتضح لنا أن عدااء اليهود للرسول ﷺ ، وأتباعه المسلمين ، ودينهم الإسلام ، يعود إلى أسباب كثيرة ، أهمها :
١ - أنهم كانوا يأملون أن يكون النبي الذي ينتظرون مبعثه بناءً على بشرى (التوراة) - بعد أن حرقوها - ، من قومهم بني إسرائيل (اليهود) ، فلما جاء من بني إسماعيل (العرب) ، وهو محمد ﷺ - كما أراد الله تعالى - عادوه حسداً !

٢ - أن الرسول ﷺ سد عليهم باب الأمل في مجيء رسول من قومهم (بني إسرائيل) ، يحقق لهم أغراضهم - فيما يزعمون - ، وذلك أنه قرر أنه خاتم النبيين (١) ، فكيف يقبلون أن يكون فخر الرسالات لسلالة إسماعيل - عليه

١ عن ثوبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
« أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » : سنن الترمذي : (كتاب الفتن «٣٤») ، (باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون «٤٣») ، حديث رقم (٢٢١٩) ، ج ٤ ص ٤٩٩ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الفتن) ، (باب نكر الفتن ودلائلها) ، حديث رقم (٤٢٥٢) ، ج ٤ ص ٩٧ - ٩٨ ، و : مسند الإمام أحمد : ج ٥ ص ٢٧٨ .
و : قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح الإسناد) . انظر : صحيح سنن الترمذي ، حديث رقم (١٨٠٧) ج ٢ ص ٢٤٤ .
و : قد وردت روايات - من طرق أخرى - في هذا الموضوع . انظر : صحيح البخاري : (كتاب المناقب «٦١») ، (باب خاتم النبيين «١٨») ، ج ٤ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، و : (كتاب الانبياء «٦٠») ، (باب ما ذكر عن بني إسرائيل «٥٠») ، ج ٤ ص ١٤٤ ، و : صحيح مسلم : (كتاب الإيمان «١») ، (باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها «٨٤») ، حديث رقم (٣٢٧ / ١٩٤) ، ج ١ ص ١٨٥ ، و : (كتاب الإمارة «٢٣») ، (باب وجوب الوفاء بين الخلفاء الأول فالأول «١٠») ، حديث رقم (٤٤ / ١٨٤٢) ، ج ٣ ص ١٤٧١ ، و : سنن الدارمي : (المقدمة) ، (باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل) ، ج ١ ص ٢٧ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الفتن «٣٦») ، (باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج «٣٣») ، حديث رقم (٤٠٧٧) ، ج ٢ ص ١٢٥٩ ، و : (المقدمة) ، (باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ «١١») ، حديث رقم (١٢١) ، ج ١ ص ٤٥ .

السلام - ، مع تواتر الانبياء من سلالة - أييهم - إسحاق - عليه السلام - ١٢ .

٣ - أن الرسول ﷺ لم يجعلهم خارج نطاق دعوته الإسلامية الجديدة ، وإنما دعاهم إلى الدخول في الإسلام - كغيرهم من البشر - ؛ لأن رسالته عامة للناس جميعاً (١) ، وهذا ما أفزعهم ؛ لأنهم يزعمون أنهم (شعب الله المختار) ، من بين سائر الأمم ، وأنه من المحال أن يرسل الله تعالى رسولا من غيرهم (٢) ، أو أن يوجي إليه بشرع جديد لا يقتصر في تعاليمه على ما جاء في كتابهم (التوراة) ! (٣)

٤ - أنهم رأوا أن تعاليم الإسلام تدعو إلى إحياء روح المساواة بين البشر ، فلا فضل لأحد - مهما كان : جنسه ، أو بيئته ، أو شكله ، أو لونه ، أو لغته ، أو طبقته ... - ، على أحد إلا بالتقوى ، وأنها قد اجتنبت الكثير من الناس - وهم في ازدياد - ، حتى أن بعض أحبارهم انضموا إليها ، مثل (عبد الله بن سلام) - رضي الله عنه - . (٤)

٥ - أنهم لمسوا في شخصية الرسول ﷺ المنافس الخطير الذي قضى على امتيازهم الديني ؛ فقد أخذ الناس ينصرفون عنهم ، ويتخذون من الرسول ﷺ قائداً في كل مجالات الحياة ؛ لأنه رسول من عند الله تعالى ، وما جاء به ، فيه السعادة في الدارين : الدنيوية والأخروية .

١ راجع : ص ٨٨ .

٢ جاء في التوراة :

« إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة - ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قانلاً : لنذهب وراء آلهة أخرى لم نعرفها ونعبدها - فلاتسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم » ! : تثنية ، إصحاح (١٢) فقرة : ١ - ٣ .

٣ لمزيد من المعلومات حول هذا التحالي - راجع : (الديانة اليهودية) ج ١ ص ١٣٦ .

٤ راجع : قصة إسلام (عبد الله بن سلام) - رضي الله عنه - ص ١١٩ .

٦ - أنهم شعروا بأن حركة التجارة التي كانوا يحتكرونها منذ مئات السنين ، ويستغلونها للكسب الحرام ، قد بدأت تخرج من أيديهم ، بعد أن نافسهم فيها المهاجرون الذين لا يقلون عنهم خبرة في الشؤون الاقتصادية .

٧ - أنهم أحسوا بأن قوتهم السياسية المبنية على تفرق العرب قد بدأت تتلاشى بعد أن دخل (الأوس) و (الخزرج) في الإسلام ، فأصبحوا - بنعمة الله تعالى - إخواناً ، بعد أن كانوا - بتحريض من اليهود - في الجاهلية متباغضين متحاربين .

٨ - أنهم أدركوا أن طمعهم في ضم المسلمين إليهم ليزدادوا بهم قوة عسكرية على محاربة (النصارى) في (جزيرة العرب) من باب الأمانى ؛ لأن الإسلام ليس في تعاليمه ما يدل على أنه تابع لـ (الشريعة اليهودية) - وإن كان لا يعارض الصحيح منها - ؛ بل هو في كل يوم يظهر - من خلال الوحي - بمظهر التجديد والاستقلال ؛ ولأن المسلمين في (المدينة) أصبحوا يكونون دولة لها شخصيتها المعنوية المستقلة ، وهم - في كل شؤونهم - لا يسيرون إلا حسب توجيهات دينهم الإسلامي ، عن طريق نبيهم محمد ﷺ ، وليصوا على استعداد لأن يسيروا في ركاب اليهود - أو غيرهم من الناس - (١) .

وهذه الأسباب تعود - كما رأينا - إلى (الحسد) ، حسد اليهود لكل من عداهم من الأجناس البشرية الأخرى ، ولا سيما (المسلمين) !

ذلك أن اليهود كانوا يبشرون بمبعث النبي الذي بشرت به (التوراة)

١ انظر : د/ محمد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٣٩ - ١٤٠ ، و : د/ محمد أبووفارس : في ظلال السيرة النبوية (الصراع مع اليهود) ج ١ ص ٦٩ - ٧٤ ، و : محمد منصور : اليهود المغضوب عليهم ص ٧١ - ٧٢ ، و : د/ جميل عبدالله المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ص ٦٧ - ٦٨ .

، فلما بعث (١) ، ورأوه من غير (بني إسرائيل) (٢) كذبتهم أكثريةهم حسداً !
، فعن (سلمة بن سلامة بن وقش) (٣) - رضي الله عنه - قال :

« كان لنا جار من يهود ٠٠٠ ، فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ ببسبر ، فوقف على مجلس عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي ، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! ترى هذا كائن أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ، قال : نعم والذي يحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ، ثم يدخلونه إياه ، فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النار غداً ، قالوا له : ويحك ، وما آية ذلك ، قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن ، قالوا : ومتى تراه ، قال : فنظر إلي ، وأنا من أحدثهم سناً ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه ، قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار ، حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ ، وهو حي بين أظهرنا ، فأمننا به وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا : ويحك يا فلان !

١ لقد حذر الراهب النصراني (بحيرى) عم الرسول ﷺ (أبا طالب) حينما كان في تجارة بالشام وبصحبته ابن أخيه (محمد) من غدر اليهود فيما لو رأوه ، وذلك قبل مبعثه ؛ لأنهم كانوا يعرفون صفته . راجع : ص ١٢١ .

٢ انظر : أبانعيم : دلائل النبوة ص ٤٩٥ .

٣ سلمة بن سلامة بن وقش (٤٠ ق.هـ - ٣٤ هـ = ٥٨٢ - ٦٥٤ م) هو أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة الأشهلي الأوسي . صحابي . شهد (بيعة العقبة) ، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤ .

ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ ، قال : بلى ، وليس به " (١) .

وكان اليهود قد أضمروا عدم اتباع النبي ﷺ في حال ما إذا جاء من غير (بني إسرائيل) حسداً ، فعن (عبدالله بن وابصة العبسي) (٢) عن أبيه عن جده ، قال :

" جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى ٠٠٠ ، فوقف علينا يدعونا ، فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي (٣) ، فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي ، فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ ، فقال القوم : دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به ٠٠٠ ، فانصرف رسول الله ﷺ ، وخرج القوم صادرين إلى أهليهم ، فقال لهم ميسره : ميلوا نأتي فذك فإن بها يهوداً نسألهم عن هذا الرجل ، فمالوا إلى يهود ، فأخرجوا سفراً لهم ، فوضعوه ، ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ النبي الأمي العربي ، يركب الحمار ، ويجتزيء بالكسره ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجعد ولا بالسبط ، في عينه حمرة ، مشرق اللون ، فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه ، وادخلوا في

١ مستند الإمام أحمد - واللفظ له - : ج ٣ ص ٤٦٧ ، و : أبا نعيم : دلائل النبوة ص ٧٤ - ٧٥ ، و : البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٧٨ - ٧٩ .

و : قد أوردت - ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : ابن اسحاق : المغازي والسير ص ٨٤ - ٨٥ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ١-٢ ص ٢١٢ ، و : ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ ، و : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٥٢ - ٥٣ .

٢ عبدالله بن وابصة العبسي : لم أقف له على ترجمة .

٣ ميسرة بن مسروق العبسي : (القرن ١ ق.هـ = ٦-٧ م) صحابي . كان أحد التسعة الذين وفدوا على الرسول ﷺ من (بني عبس) ، وشهد (حجة الوداع) ، شهد مع قومه (هروب الردة) في (اليمامة) ، كما شهد (فتوح الشام) . تولى عام ٢٠ هـ - ٦٤١ م قيادة جيش زحف من الشام إلى (أرض الروم) فظفر وغنم - وهو أول جيش دخل بلاد الروم . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٤٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٣٣٩ .

دينه ، فإننا نحسده ولا نتبعه ، وإننا منه في موطن بلاء عظيم ، ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله ، فكونوا ممن يتبعه » (١) .

ولذلك ، لما بعث الرسول ﷺ وكان من غير (بني إسرائيل) لم يتبعوه حسداً ! ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

« أتى رسول الله ﷺ بيت المدراس (٢) ، فقال : أخرجوا إلي أعلمكم ، فقالوا : عبد الله بن سوريا ، فخلا به رسول الله ﷺ ، فتأشبه بدينه ، وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظلهم به من الغمام : أتعلم أنني رسول الله ؟ قال : اللهم نعم ، وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لمبين في التوراة ، ولكنهم حسدوك ، قال : فما يمنعك أنت ؟ قال : أكره خلاف قومي ، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم » (٣) .

وصدق الله العظيم القائل فيهم :

﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ (٤) .

وصدق رسوله الكريم محمد ﷺ ، فيما روته عنه عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ :

-
- ١ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٧٠ .
 - ٢ راجع : التعريف بـ (المدراس) ص ١٣٧ .
 - ٣ ابن سعد : الطبقات الكبرى - واللفظ له - ج ١ ص ١٦٤ ، و : ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ - ص ٥٦٤ - ٥٦٥ ، و : الطبري : جامع البيان ج ٦ ص ٢٣٢ ، و : ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٨٩ .
 - و : لمزيد من المعلومات حول معرفة الأخبار للرسول ﷺ وكفرهم به ؛ حسداً له وللعرب .
 - راجع : ص ١٢٣ .
 - ٤ سورة البقرة ، آية : ١٠٩ .

« ما حسنتكم اليهود على شيء ، ما حسنتكم على السلام

والتأمين » (١) .

وهذا الحسد اليهودي لرسول الله محمد ﷺ ، هو ما عبّر عنه الكاتب

اليهودي المعاصر (ليفي موسى ليفي) (٢) ، حيث يقول :

« في أواخر الجيل السادس للنجال يسوع (٣) الذي أضنكنا

بتجليلاته ، ظهر رجال آخر (٤) ، ادعى التنبؤ بالوحي ، وأخذ ينادي بالهداية

مرشداً العرب ، الذين كانوا عبدة الأصنام إلى عبادة الإله الحق ، وسن

شرائع مخالفة لسنة ديانتنا اليهودية ، فمال إليه كثيرون في مدة قصيرة ،

فقمنا نناهض دعوته وإرشاده ، وسنته ، ونصرخ بأصواتنا الخفية لنفهم

الذين يميلون إليه وإلى رجاله أنه وإياهم رجالون كسابقهم يسوع . بلغ تعبنا

أقصى الدرجات ولم يحالفنا نجاح ، وكلما ناهضنا تلك التعاليم المفسدة

طمعاً في استمالة أولئك الشعوب إلينا ، تكاثرت عند وأتباع محمد يوماً فيوم

كأتباع يسوع ، غير أن بين هؤلاء وأولئك لفرقاً وهو أن القوة التي كانت

لأتباع يسوع غير منظوره ... ، بخلاف القوة التي تعضد المحمديين (٥) ،

فإنها محسوسة ... ، أما كفتتنا البلابل التي أحدثها النجال يصوع ، حتى

١ سنن ابن ماجة : (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٥٥) ، (باب الجهر بآمين ١٤٩) ، حديث رقم

(٨٥٦) ، ج ١ ص ٢٧٨ . وقال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : إنه (صحيح) . انظر : صحيح

سنن ابن ماجة ، رقم الحديث (٦٩٧) ج ١ ص ١٤٢ .

و : قد وردت رواية - من طريق أخرى - في هذا الموضوع ، فيها زيادة (الجمعة والقبلة) .

انظر : مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ١٢٥ .

٢ ليفي موسى ليفي : لم ألق له على ترجمة .

٣ يقصد : رسول الله المسيح عيسى - عليه السلام - .

٤ يقصد : رسول الله محمد ﷺ .

٥ يعتمد الكثير من الكتاب اليهود والنصارى على تسمية المسلمين بـ (المحمديين) نسبة إلى محمد

ﷺ الذي أرسله الله تعالى إلى الناس أجمعين بـ (دين الإسلام) ، وكان هذا الدين من عند

نفسه ! .

جاءنا هذا الدجال الآخر الطاغية يزيدنا بلبلة وشغباً ؟ ، إذن لتجعل
مقاومتنا واحدة ، ذلك صلبناه (١) وهذا لم نحتج لأن نصلبه ؛ لأننا أمتناه
مسموماً (٢) ، فالواجب الديني والاجتماعي والوطني يقضي علينا بمناوأة
تعاليمه بكل ما في الوسع " (٣) .

وبعد ، فهذه أهم الأسباب التي يجمعها (الحسد) ، والتي جعلت
اليهود ينشطون لحبك المكائد ضد الرسول ﷺ ، وأتباعه المسلمين ،
ودينهم الإسلام ، والتي كان مصيرها جميعاً - والحمد لله تعالى - الفشل
الذريع ، كما تحدثنا عن ذلك - تفصيلاً - فيما مضى .

وبذلك ، انتهى نشاط اليهود العنصري العلني ، لينتقلوا - من غير
يأس - إلى نشاط من نوع آخر ، ألا وهو النشاط السري ، الذي استمر
حتى ظهور نشاطهم - العلني مرة أخرى - بعد ظهور الصيغة الحديثة
لليهودية (الحركة الصهيونية) (٤) ، كما سترى ذلك - إن شاء الله تعالى -
في المبحث التالي :

١ راجع : ص ٢٤٨ .

٢ راجع : ص ٤٧٦ .

٣ انظر : صابر طعيمة : الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١١٧ - ١١٩ .

٤ راجع : الفصل الثاني (أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي بعد ظهور الحركة
الصهيونية) ج ٣ ص ٣ .

المبحث الثاني :

(أثر المنصرية اليهودية في بقية العهود الإسلامية)

توطئة : في (الوجود اليهودي والإسلامي في البلاد التي عرفت بـ «العالم الإسلامي») :

قبل أن نتحدث عن (أثر العنصرية اليهودية في بقية العهود الإسلامية التالية للعهد النبوي) ، يحسن بنا أن نتحدث عن (الوجود اليهودي الإسلامي في البلاد التي عرفت - فيما بعد - بـ (العالم الإسلامي) ، نظراً لعلاقة كل ذلك - مباشرة - بموضوع هذا الأثر ، على ما سنقصه فيما يأتي :

أولاً : الوجود اليهودي في البلاد التي عرفت بـ (العالم الإسلامي) :

ذكرنا - فيما مضى - أن الأقليات اليهودية تشكلت في هذا العالم ، من خلال عاملي: (التشتيت) و (التهود) ، حيث فاق المعتنقون للديانة (اليهودية) - عن طريق التبشير بها - أولئك المشتتين ، وهذا يصدق على البلاد التي عرفت - فيما بعد - بـ (العالم الإسلامي) (١) ، حيث وجد فيها أولئك اليهود الاستقرار ، ولاسيما (٢) بعد (الفتح الإسلامي) ، كما سنرى في الفقرة التالية :

ثانياً : الوجود الإسلامي في البلاد التي عرفت بـ (العالم الإسلامي) :

يعود الوجود الإسلامي في البلاد التي عرفت - فيما بعد - بـ (العالم الإسلامي) إلى (الفتوحات الإسلامية) ، التي قامت بها الدولة الإسلامية ، في عهودها المختلفة : العهد الراشدي ، العهد الأموي ، العهد العباسي ، العهد الأندلسي ، العهد العثماني ؛ لتخلّفها - حالياً - الدول الإسلامية المتعددة .

١ يستثنى من هذه القاعدة العامة بالنسبة لجميع بلاد العالم (منطقة يثرب - المدينة) ، التي تشكلت فيها الأقلية اليهودية عن طريق (التشتيت) فقط . راجع : (الوجود اليهودي في منطقة يثرب - المدينة) ص ١٥ .

٢ كان اليهود يجنون الملاذ الآمن يوماً في البلاد التي عرفت بـ (العالم الإسلامي) ، حتى قبل (الفتح الإسلامي) . انظر: رفيق شاعر التتشة : الاستعمار وفلسطين - إسرائيل مشروع استعماري ص ٥٢ .

وقد وجد اليهود الذين كانوا يقيمون في تلك البلاد المفتوحة - ومن أقاموا فيها بعد الفتح - الاستقرار (١) ولاسيما بعد الفتوحات الإسلامية ، بعد أن كانوا يعانون من الاضطهادات المتوالية (٢) ، فقد كان المسلمون يعاملونهم على مر العصور معاملة حسنة ؛ باعتبارهم (أهل كتاب سماوي) (٣) ، بناءً على القاعدة التالية :

❖ معاملة المسلمين لليهود بمقتضى قاعدة (لهم مالنا وعليهم ما علينا) :

لقد ظفر أهل النمة (٤) ، من (أهل الكتاب) من اليهود - والنصارى - بناءً على هذه القاعدة النهيية: (لهم مالنا وعليهم ما علينا) ، بكثير من

١ انظر: آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو (عصر النهضة في الإسلام) ج ١ ص ٨٠ - ٨٤ و ٨٦ - ١١٢ وج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٥ ، و: طانيوس منعم: خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام ص ٧٤ ، و: د/أحمد شلبي: مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ٩٢ ، و: نصر شمالي: ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية ص ٦٩ - ٨٢ ، و: عبدالسميع سالم الهراوي : الصهيونية بين الدين والسياسة ص ٢٥٨ ، و: رفيق شاعر النقشة: الاستعمار وفلسطين ص ٢٢ - ٢٤ ، و: عمر أبو النصر : نهاية إسرائيل ص ١٨ - ١٩ ، و: د/كامل سفيان : اليهود تاريخ وعقيدة ص ٢٧ - ٢٥ ، و: د/محمود عباس (أيومازن) : الوجه الآخر - العلاقات السرية بين الصهيونية والنازية ص ٢٤١ - ٢٤٤ ، و: د/ محمد بحر عبد الحميد : اليهود في الأندلس ص ٢٠ - ٩٥ ، و: غازي محمد فريج : النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة ص ١٠٤ - ١١٢ ، و: د/عبدالرزاق أحمد قنديل : الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ص ١٤٦ - ١٥١ و ٢٠٨ - ٢١١ .

٢ راجع : (الاضطهاد اليهودي في العصور القديمة) ج ٤ ص ٢٣ .

٣ انظر : الفريد لينتال : الصهيونية حركة عنصرية ص ٥٧ - ٥٩ ، و: ليلان هاليفي : المسألة اليهودية ص ٢٧ - ٤٠ ، و: علي سامي النشار وعباس أحمد الشريبي : الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الإسلامية ص ٥٩ - ٢٨٩ ، و: نصر شمالي: ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية ص ٨٣ - ٩٤ ، و: د/عبدالغني عبود: اليهود واليهودية والإسلام ص ١٤١ - ١٤٢ ، و: سيد قطب: معركتنا مع اليهود ص ٥٦ .

٤ إن إقرار (أهل النمة) على أديانهم ليس دليلاً على صحتها ، وإنما هو من باب عدم الإكراه على دين (الإسلام) ، لقول الله تعالى :

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ : سورة البقرة ، آية : ٢٥٦ .

الحقوق ، التي أهمها :

- ١ - إقامة العلاقات معهم على أساس من الأدب والتعاون والاحترام (١)
- ٢ - تطبيق العدالة الاجتماعية معهم ، كصيانة دمائهم ، وأعراضهم ، وأموالهم ، من الانتهاك . (٢)
- ٣ - مشروعية الرفق بهم ، والعطف عليهم ، والإحسان إليهم . (٣) ، ومن ذلك إسقاط (الجزية) (٤) الواجبة عليهم (٥) عند العجز . (٦)

١ انظر: د/ عبدالله بن إبراهيم بن علي الطريقي: الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي ص ١٤٠ - ١٤١ .

٢ انظر: د/ محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٢٥ .

٣ انظر: د/عبدالله الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين ١٦ - ٣٠ .

٤ الجزية: كلمة مشتقة لغوياً من (الجزاء) ، وهي مبلغ معين يفرض على بعض الأشخاص (الرؤوس) من (أهل الذمة) ، من (أهل الكتاب) - وفي قول علي (الوثنيين) أيضاً - من رعايا الدولة الإسلامية ، في مقابل (الحماية) ، وليس عليهم زكاة ، وإنما هي على المسلمين فقط ، وبذلك تساوت طوائف الرعية في الدولة الإسلامية ، كما تكافأت في الحقوق العامة . وقد ثبتت (الجزية) بنص القرآن الكريم ، حيث يقول الله تعالى : «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» سورة التوبة، آية: ٢٩ . ومقدار (الجزية) يختلف بحسب الظروف والاحوال ، ومن مقاديرها في السنة الواحدة (٤٨ درهماً) على الموسرين ، و (٢٤ درهماً) على متوسطي الحال ، و (١٢ درهماً) على من دونهم . انظر: أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي ج ١ ص ٦٠٩ - ٦١٠ .

٥ إن أخذ (الجزية) من (أهل الذمة) من (أهل الكتاب) ليس هو في مقابل تركهم وما يعتقدون من أديانهم الباطلة ، فالإسلام لا يقارن بشيء منها البتة ، وإنما هو في مقابل (الحماية) ، التي لا يشاركون فيها ، وإن شاركوا - لسبب ما - فتسقط عنهم . انظر: د/ عبدالله الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين ص ٣٤٩ - ٣٥٢ .

٦ عن أبي بكر - رحمه الله تعالى - قال :

«مر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بباب قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه ، وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي ، قال : فما أُلجأك إلى ما أرى ؟ ، قال : أسأل الجزية والحاجة والسن . قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله ، فرفض له بشيء من المنزل . ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال : انظر هذا وضرباه ،

- ٤ - إباحة التعامل الشخصي معهم في كافة أنواع المعاملات الدنيوية ،
إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك ، ومن ذلك :
- أ - حل التعامل الإداري معهم في الوظائف التي ليست بها استقالة
على المسلمين (١) .
- ب - حل التعامل الاقتصادي معهم ، كالبيع (٢) والشراء والرهن ،
والاجارة ، والجمالة ، والوكالة ، وما إلى ذلك (٣) ، والحرف المهنية
كالاستطباب (٤) ، والتعليم غير الشرعي (٥) ، وما إلى ذلك من المسائل

فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذه عند الهرم : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ ،
[سورة التوبة، آية ٦٠] ، والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع
عنه الجزية وعن ضربائه : أبو يوسف : كتاب الخراج ص ١٢٦ .

١ انظر: د/ عبدالله الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين ص ٣٦ - ٢٨٧ .

٢ عن عائشة رضي الله عنها - قالت :

«إن رسول الله ﷺ اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل ، ثم رهن درعاً له من حديد» : صحيح
مسلم - واللفظ له - : (كتاب المساقاة «٢٢») ، (باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر «٢٤»)
، حديث رقم (١٦٠٣/١٢٦) ج ٣ ص ١٢٢٦ ، وصحيح البخاري : (كتاب الرهن «٤٨») ، (باب من
رهن درعه «٢») ، ج ٣ ص ١٥ ، و : سنن ابن ماجه : (كتاب الرهن «١٦») ، (باب «١») ،
حديث رقم (٢٤٣٦) ، ج ٢ ص ٨١٥ ، و : سنن النسائي : (كتاب البيوع «٤٤») ، (باب الرجل
يشترى الطعام إلى أجل ويهرن البائع منه بالثمن رهناً «٥٨») حديث رقم (٤٦٠٩) ج ٧ ص ٢٨٨ ،
و : مسند الامام أحمد ج ٦ ص ١٦٠ .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

«توفي رسول الله ﷺ ودعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير» : صحيح البخاري
- واللفظ له : (كتاب الجهاد «٥٦») ، (باب ما قيل في درع النبي ﷺ «٨٩») ج ٣ ص ٢٣٠ -
٢٣١ و : سنن الدارمي : (كتاب البيوع) ، (باب الرهن) ج ٢ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، و : سنن ابن
ماجه : (كتاب الرهن «١٦») (باب «١») ، حديث رقم (٢٤٣٩) ج ٢ ص ٨١٥ و : سنن الترمذي
(كتاب البيوع «١٢») ، (باب ما جاء في الرخص في الشراء الى أجل «٧») ، حديث رقم (١٢١٤)
ج ٣ ص ٥١٩ و : سنن النسائي (كتاب البيوع «٤٤») ، (باب مبايعة أهل الكتاب «٨٣») حديث
رقم (٤٦٥٠) ج ٧ ص ٣٠٣ و : مسند الامام أحمد : ج ١ ص ٢٣٦ .

٣ انظر : د/ عبدالله الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين ص ٣٤٥ - ٣٦٥ و ١٩٤ - ٢٥٤ .

٤ انظر : المرجع السابق ٣٥٦ و ٢٢٩ - ٢٣٣ .

٥ انظر : المرجع السابق ص ٣٥٦ و ٢٣٣ - ٢٢٥ .

التي تخدم المصلحة العامة .

ج - حل التعامل الاجتماعي معهم ، كالسلام (١) ، والزواج من نسائهم المحصنات ، وأكل طعامهم المباح ، وأكلهم طعام المسلمين (٢) ، والمخالطة (٣) ، والتهادي (٤) ، وما إلى ذلك .

هـ - إعطاؤهم حق التصرف في الأمور التي تخصهم ، مثل :

أ - منحهم الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية (٥) .

ب - إسناد أحوالهم الشخصية إليهم : كالزواج ، والنفقات ، والطلاق ، والجناز ، والموارث ، وغيرها (٦) .

ومع إعطاء الإسلام (٧) كل هذه الحقوق لـ (أهل الذمة) ، من (أهل الكتاب) ، من (اليهود والنصارى) ، فإن هناك أمرين ، يجب التزامهما عند قيام العلاقة بين الطرفين :

الأول : وجوب التزامهم أحكام الإسلام العامة .

الثاني : وجوب البراءة منهم وعدم موالاتهم .

هذه المعاملة الحسنة لليهود ، ساعدتهم على الاستقرار في المجتمع

١ انظر: المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠ .

٢ يقول الله تعالى :

(﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ : سورة المائدة . آية : ٥ .

٣ انظر : د/عبدالله الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين ص ٣٤ - ٣٧ .

٤ انظر: المرجع السابق ص ٣١ - ٣٣ .

٥ انظر : أنور الرفاعي : النظم الإسلامية ص ٢١٣ - ٢١٤ .

٦ انظر : المرجع السابق ص ٢١٤ .

٧ هذه الحقوق التي فكرنا - أعلاه - أن الإسلام قد منحها لـ (أهل الذمة) من (أهل الكتاب) من

(اليهود والنصارى) . هي موضع خلاف بين العلماء ، وما أثبتناه هو الرأي الوسط الذي

اختارناه . و: لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع بتفصيلاته . انظر : د/ عبدالله بن

إبراهيم بن علي الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي .

الإسلامي وتحقيق الأمان لهم في كافة مجالات الحياة ، حتى وصلوا إلى الكثير من المناصب (١) ، ولا سيما السياسية في (العصر الحديث) :
ففي العراق أصبح اليهودي (ساسون حسقيل) (٢) وزيراً للمالية في أول حكومة شكلت ، وذلك عام ١٩٢٠م - ١٣٣٩هـ . (٣) .
وفي مصر أصبح اليهودي الماسوني (يوسف قطامي) (٤) وزيراً للمالية عام ١٩٢٤م - ١٣٤٢هـ . (٥)
وفي المغرب أصبح اليهودي (هوليون بن زاكون) (٦) وزيراً للبريد والاتصالات ، في أول حكومة شكلت بعد الاستقلال عام ١٩٥٦م - ١٣٧٥هـ . (٧) .
ولذلك يعترف المنصفون منهم (٨) - وما أقلهم - بتلك المعاملة الحسنة لهم :

يقول العالم اليهودي الدكتور (إسرائيل ولفنسون) :
«لقد أنتقد الفاتحون المسلمون آلافاً من اليهود كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومية ، وكانوا يقاسون ألواناً شتى من

-
- ١ انظر : آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١١٢ - ١١٤ و ١٧٦ .
 - ٢ ساسون حسقيل : لم أقف له على ترجمة .
 - ٣ انظر : د/ فاضل البراك : المدارس اليهودية الإيرانية في العراق ص ٢٢ .
و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر : د/ فاضل البراك : المدارس اليهودية والإيرانية في العراق ص ١٩ - ٢٦ .
 - ٤ يوسف قطامي : لم أقف له على ترجمة .
و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د/ كامل سغفان : اليهود تاريخ وعقيدة ص ٣٥ - ٤٦ .
 - ٥ انظر : د/ كامل سغفان : اليهود تاريخ وعقيدة ص ٢٩ .
 - ٦ هوليون بن زاكون : لم أقف له على ترجمة .
 - ٧ انظر : هشام النجاني : اليهودية والصهيونية ص ١٣٤ .
و : لمزيد من المعلومات حول الحالة الفريدة التي كان يعيشها اليهود في البلاد العربية .
انظر : د/ مهنا يوسف حداد : الرؤية العربية لليهودية ص ٢٥٨ - ٢٨٠ ، و : رفيق شاعر : النهضة : الاستعمار وفلسطين - إسرائيل مشروع استعماري ص ٤٦ - ٦٠ .
 - ٨ لمعرفة شهادات المنصفين من النصارى والوثنيين - وهم غير متهمين بمحاربة المسلمين - حول المعاملة الإسلامية الحسنة لليهود . انظر : رفيق النهضة : الاستعمار وفلسطين ص ٥٢ - ٥٣ .

العذاب» (١).

ويقول الكاتب اليهودي (داغوبيرد رونيس) : (٢)

«إن السلام حل على اليهود في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مع مجيء الحكم الإسلامي ، ولم يحل بهم الدمار إلا على يد الصليبيين في فلسطين» (٣).

ويقول المؤرخ اليهودي (هيامسون) : (٤)

«وعملياً فيما يتعلق بيهود فلسطين ، فإن المسلمين قد جاؤوا كمنقذين ، وليس كمضطهدين» (٥).

حتى قالت (دائرة المعارف اليهودية العامة) :

«إن فتح العرب للبلاد أنقذ فلسطين من الدمار الكامل» (٦).

ويقول الكاتب اليهودي الأمريكي (الفريد لينتال) (٧) :

«إن العصر الذهبي لليهودية امتد على القرون الماضية عام ٧١١م [٥٩٢هـ] عندما عاش اليهود متمتعين بالنفوذ والاحترام ، تحت السلطة

١ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص ١

٢ داغوبيرد رونيس : لم أقف له على ترجمة .

٣ غازي فريخ : النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة ص ٢٢٧ ، نقل عن Runes: The Jew and the cross p. 76.

٤ هيامسون : لم أقف له على ترجمة .

٥ ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ص ١٣٥ ، نقل عن : HYGMSON, Palestine, p.15.

٦ ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ص ١٣٥ ، نقل عن : UJE, VOL.8, p. 358.

٧ الفريد لينتال (؟ - ؟ - ؟) محام يهودي أمريكي ، يرأس تحرير صحيفة (ميدل ايست بيرسيكتيف) الأمريكية ، وهو من معارضي (الصهيونية) ، وفي ذلك ألقى العديد من المحاضرات في كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ، والشرق العربي ، واشترك في (ندوة طرابلس الفكرية حول العنصرية الصهيونية) ، وألف مجموعة من الكتب منها: (ثمن إسرائيل) عام ١٩٥٣م - ١٣٧٢هـ ، و (الوجه الآخر من العملة - منظور أمريكي للنزاع العربي الإسرائيلي) عام ١٩٥٦م - ١٣٧٥هـ ، و (إسرائيل ذلك الدولار الزائف) عام ١٩٦٥م - ١٣٨٥هـ . انظر : ندوة طرابلس الفكرية حول العنصرية الصهيونية : الصهيونية حركة عنصرية ص ٢٥٩ .

الإسلامية في أسبانيا والبرتغال ، وحين اضطر اليهود إلى الفرار من وجه مجالس التفتيش المسيحية وجدوا ملجأ لهم في شمال أفريقيا والشرق الأوسط . ما يعرف في الغرب بالعداء للسامية لم ينشأ في العالم العربي يوماً من الأيام . إن العرب لم يكونوا قط معادين لليهود» (١) .

ويقول الكاتب اليهودي (أبراهام ليون) (٢) :

«عامل الإسلام اليهودية بتسامح يفوق التسامح الذي لقيه هذا الدين من جانب المسيحية» (٣) .

ويقول الكاتب اليهودي العراقي (نعيم قطان) (٤) :

«الإسلام يؤكد نفسه كآخر دين للتوحيد ، محمد هو المبعوث الأخير للإله ، ليس عليه أن يقلب لا المسيحيين ولا اليهود عن دينهم ، إنه يعترف باستقلالهم الديني ، ويقبل بوجودهم وبكيانهم كجماعة (دينية) منفصلة مستقلة ، إنني كيهودي بين المسلمين ، لم يحاول أحد أبداً أن يحولني عن ديني ، إن عيشي بين المسلمين لا يهدد اعتقادي ، ولا يحكم علي بالامتصاص أو بالاختفاء» (٥) .

ويقول الكاتب اليهودي الأمريكي (موشي مينوهين) : (٦)

«لقد عشت طفولتي في القدس القديمة ، وتنقلت بين مختلف المدن

١ رفيق النتشة : الاستعمار وفلسطين ص ٥٢ ، نقلا عن : الفريد ليلنتال: هكذا يضع الشرق

الأوسط ، دار العلم للملايين - بيروت ، عام ١٩٥٧م ، ص ٣٩٤ .

٢ أبراهام ليون : لم أقف له على ترجمة .

٣ رفيق النتشة : الاستعمار وفلسطين ص ٥١ ، نقلا عن : أبراهام ليون : المفهوم المادي للمسألة

اليهودية ، دار الطليعة - بيروت ، عام ١٩٧٠م ، ص ١٥٦ .

٤ نعيم قطان : لم أقف له على ترجمة .

٥ نصر شمالي : ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية ص ٩٥ - ٩٨ ، نقلا عن : مجلة

(الازمنة الحديثة) - الفرنسية - عدد خاص بعنوان : (إسرائيل الثانية) عدد ٣٩٤ ، عام ١٩٧٩م

، ص ٣٦٧ .

٦ موشي مينوهين : لم أقف له على ترجمة .

العربية ، ولم أحس في يوم من الأيام أنه كانت هناك عداوة لنا» . (١)
ويقول الزعيم الصهيوني (حاييم وايزمن) (٢) ، في شهادة أدلى بها
أمام (اللجنة الأنجلو أمريكية لتقصي الحقائق في فلسطين) ، عام ١٩٤٦م -
١٣٦٥هـ :

«إنني أفضل عدم اعتراف الظلم ؛ لأن العالم الإسلامي يعامل اليهود
بقدر كبير من التسامح ... ، ويجب على اليهود ألا ينسوا ذلك» . (٣)

إلا أنهم - ويا للأسف - نسوا ، فعلى الرغم من تلك المعاملة
الإنسانية الطيبة ، التي عامل بها المسلمون اليهود على مر العصور
- ومازالوا - ، فإنهم يقلبون ظهر المجن (٤) للمسلمين ، كلما راو الفرصة

١ عصام شريح : الصهيونية والنازية ص ١١٢ ، نقلا عن: موسى مينوهين : انحطاط اليهودية في
زماننا .

٢ راجع: ترجمة (حاييم وايزمن) ج ٣ ص ٥٢.

٣ كيت ماجواير : تهويد القدس ص ٧ .

٤ لقد كانت أعنف الضيقات التي قام بها اليهود ضد المسلمين ، هي لحتلال (فلسطين) ، التي
أقاموا عليها دولتهم (إسرائيل) عام ١٩٤٨م - ١٣٦٧هـ ، قبل وجد فيها اليهود الشرقيون ،
الذين كانوا يعيشون في البلاد الإسلامية ، ولا سيما العربية منها ، الراحة بعد هجرتهم إليها ؟

والجواب : كلا ؛ لأن (اليهود الشرقيين - السفارد) يعانون من (التمييز العنصري) . من قبل
(اليهود الغربيين - الأشكناز) ، في كافة مجالات الحياة . راجع : (اتهام اليهود باللامسامية) ج
٣ ص ٤٩٦.

وقد وصل الأمر بغير المعاندين من أولئك المهاجرين اليهود إلى الرجوع إلى بلدانهم الأصلية ،
ومن ذلك مايرويه (تشارلز بلجريف) مستشار (حكومة البحرين) إبان الاحتلال البريطاني ، حيث
يقول :

«عندما صار بإمكان اليهود الهجرة إلى إسرائيل أعلنت حكومة البحرين بأن أي يهودي يرغب في
السفر إلى هناك له مطلق الحرية في ذلك وبإستطاعته أن يأخذ معه جميع ممتلكاته الشخصية
وأمواله ، بشرط عدم العودة إلى البحرين إذا هاجر إلى إسرائيل . وتدرجياً غادر معظم اليهود
البلاد ولم يعد هناك الآن أكثر من اثنتي عشرة عائلة ساكنة في المنامة . وسافروا إلى إسرائيل
تحبهم الآمال الكبيرة والإغراءات بإعطائهم أراض مليئة بالحليب والعسل ، لكن سرعان ما
وصلت تقارير إلى اليهود الذين ظلوا في البحرين تفيد بأن الحياة في إسرائيل ليست كما توقعوا

مواتية للإفساد ، وهذا ما سنتحدث عنه - ان شاء الله تعالى - تفصيلاً ،
في مواضع البحث القائمة (١) ، ولا سيما في الموضوع الرئيس لهذا
المبحث (أثر العنصرية اليهودية في بقية العهود الإسلامية) ، فيما
يأتي :

، ونتم شيان كثيرون منهم بشدة على ترك البلاد . ومن بين الذين هاجروا ، شاب عمل في
السابق في وظيفة كتابية . فبعد أن مكث لفترة ما في إسرائيل نجح في الهروب منها . رغم
صعوبة ذلك الشيء ، واستطاع عن طريق اتباع وسائل غير شرعية ومخادعة ، الرجوع إلى
البحرين . وتم اعتقاله . وقدم إلى المحاكمة ، وكنا مختارين في كيفية التعامل مع هذه القضية
الأولى من نوعها التي تقرر علينا لاتخاذ قرار بشأنها . وحكمتنا عليه بالحبس لمدة سنة واحدة
. يستطيع بعدها الاستمرار في العيش داخل البحرين ، أو أن يعود إلى إسرائيل . فشكر
الشاب المحكمة لقرارها وأحتى رأسه مبتسماً للقاضي ، وعندما مشى إلى الخارج نادى مجموعة
من أصدقائه الذين كانوا بانتظار الحكم في القضية وهو يصيح فرحاً : سنة واحدة فقط بعدها
سأكون قادراً على الحياة هنا ؟ ، وشعرنا وقتها بأننا ربما أخطأنا في الحكم عليه على
حساب اللين والتساهل^١ : منكرات بلجريف ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

أو تمنى ذلك (أي الرجوع إلى بلدانهم الأصلية) - على الأقل - ، حيث يقول الكاتب اليهودي
(شالوم كوهين) عن شاب يهودي عربي ، يقيم في مستوطنة (كيرات كات) :
«إننا نعرف العرب جيداً ، وباستطاعتنا العيش معهم بشكل أفضل مما نستطيعه مع هؤلاء الذين
نعيش معهم حالياً» : إسرائيل الثانية - المشكلة السفارية ص ٩١ .

١ راجع: (أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي بعد ظهور الحركة الصهيونية) ج ٣ ص

(أثر العنصرية اليهودية في بقية العهود الإسلامية)

ذكرنا - في ختام المبحث السابق - أن نشاط اليهود العنصري بصورة علنية قد انتهى خلال (العهد النبوي) ، ليبدأ نشاطاً من نوع آخر ، ولكن بصورة سرية ، تتمثل بالعمل الخفي ، أو التستر وراء (النفاق) (١) من أجل القضاء على روح الإسلام في نفوس أتباعه (المسلمين) ، على ما سنفصله من خلال العهود الإسلامية التالية :

أولاً : أثر العنصرية اليهودية في العهد الراشدي :

لقد شهد (العهد الراشدي) - ولاسيما في آخره - من (أثار العنصرية اليهودية) ما لم يشهده عهد آخر ، خلال أنشطتهم السرية ، التي يمارسونها في ظل قوة دولة الإسلام ، ومكائد اليهود في (دولة الخلافة الراشدة) (٢) كثيرة ، من أهمها ما يأتي :

١ النفاق : هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر . راجع : ص ٢٨٢ .

٢ دولة الخلافة الراشدة: تعتبر ثانية الدول الإسلامية ، التي تكونت بعد وفاة صاحب الدولة الإسلامية الأولى رسول الله محمد ﷺ ، عام ١١هـ - ٦٣٢م ، مباشرة . وقد تعاقب على حكمها (أربعة خلفاء) ، هم : (أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : ١١ - ١٣هـ = ٦٣٢ - ٦٣٤م) ، و : (عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : ١٣ - ٢٣هـ = ٦٣٤ - ٦٤٤م) ، و : (عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : ٢٣ - ٣٥هـ = ٦٤٤ - ٦٥٦م) ، و : (علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : ٣٥ - ٤٠هـ = ٦٥٦ - ٦٦١م) . ومقر الخلافة (المدينة) ، ثم انتقلت في عهد علي - رضي الله عنه - إلى (الكوفة) . ويتم تنصيب الخلفاء الراشدين بناء على مبدأ (الشورى) ، التي يتولاها أهل الحل والعقد من الصحابة المبشرين بالجنة . وقد شهد العهد الراشدي أعظم الفتوحات الإسلامية في العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر ، وشمال أفريقيا ، وخراسان ، وأرمينية . وقد انتهت (دولة الخلافة الراشدة) بقتل علي - رضي الله عنه - عام ٤٠هـ - ٦٦١م ؛ لتحل محلها (الدولة الأموية) . انظر: أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ ، و : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٧١٢ - ٧١٣ .
و : لمزيد من المعلومات حول (دولة الخلافة الراشدة) . انظر: عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون .

١ - حركة الردة :

لما انتقل الرسول ﷺ الى الرقيق الأعلى ، تطاولت اليهود والنصارى (١) ، فشجعوا - ولاسيما اليهود (٢) - (حركة الردة) (٣) ، ولكن أبابكر الصديق - رضي الله عنه - الذي آل إليه أمر الخلافة ، عام ١١هـ - ٦٣٢م ، جابه تلك الحركة بقوة متناهية .
وكان اشتداد (حركة الردة) حيث تكثر العناصر اليهودية - والنصرانية - ، فقد تكونت أحلاف قبلية ، هي في حقيقتها انتفاضة يهودية تقنعت بتلك الحركة (٤) ؛ بغية القضاء على الاسلام .

٢ - هل مات خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قتيلاً على يد اليهود :

قد يكون غاظ اليهود - وغيرهم من النصارى والفرس - استمرار (الدولة الإسلامية) في قوتها وفتوحاتها ، فعملوا - كعادتهم - على التخلص من خليفتها ، خليفة رسول الله ﷺ (أبي بكر الصديق) (٥) - رضي الله

١ انظر: ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٦٦٥ .

٢ انظر: د/ جميل عبدالله المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ص ١٧٤ .

٣ لقد ابتدأت (حركة الردة) في حياة الرسول ﷺ . انظر: ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ - ٤ ص ٥٩٩ .

٤ انظر : د/ جميل المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ص ١٨٧ .

٥ أبوبكر الصديق: (٥١ ق.هـ - ١٣هـ = ٥٧٣-٦٣٤م) هو أبوبكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي . صحابي ، من كبار الصحابة . ولد في (مكة) ، ونشأ فيها سيداً من سادات قريش ، وغنياً من كبار موسريهم ، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها ، حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية ، وكان صديقاً للرسول ﷺ قبل بعثته ، ثم كان أول من آمن به - من الرجال - بعد بعثته ، حيث شهد معه المواقف الشديدة والحروب العظيمة ، لقبه الرسول ﷺ بـ (الصديق) ، وهو أول العشرة المبشرين بالجنة ، بويع بالخلافة يوم وفاة الرسول ﷺ عام ١١هـ - ٦٣٢م ، حيث ابتدأ الفتوحات العظيمة في العراق والشام ، كان موصوفاً بالحلم والرافة ، خطيباً لسناً ، وشجاعاً بطلاً ، له في كتب الحديث (١٤٢ حديثاً) . توفي بـ (المدينة) . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣-٣٣٦ ، و: الزركلي: الاعلام ج ٤ ص ١٠٢ .

عنه - ، حيث يروي الإمام (الطبري) بسنده أن اليهود سمته (١) ؛
وهذه الرواية محل شك كبير ؛ لأنها غير مستفيضة بين غالبية
المؤرخين (٢) ، وهو ما يراه الأديب المصري الدكتور (طه حسين) (٣) ،
الذي يستبعد صحة تلك الرواية (٤) .

وفي ذلك يقول الكاتب اللبناني الأستاذ (غازي محمد فريج) : (٥)
فوسواء أصبحت هذه الرواية أم لم تصح ، فإن فيها ما يصح دليلاً على
شعور عام لدى المسلمين بأن اليهود لا يؤمن بجانبهم ، وأن مكرمهم بالإسلام
ورجاله مستمر ، وأن هؤلاء اليهود لا يتورعون - بالرغم من انكسارهم
العسكري - عن تكبير السمات في الخفاء للدولة الإسلامية الناشئة (٦) .

٢ - هل لليهود دور في مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي

الله عنه - :

لاشك أن قتل أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) (٧) - رضي الله عنه -

- ١ . انظر: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤١٩ .
- ٢ . انظر - أيضاً - : ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٨٧ .
- ٣ . راجع : ص ٥٢٥ .
- ٤ . راجع: ترجمة (طه حسين) ج ٣ ص ٥٤٢ .
- ٥ . انظر: الشيخان ص ١٠٤ .
- ٦ . غازي محمد فريج: لم أقف له على ترجمة .
- ٦ . النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة ص ٩٠ .
- ٧ . عمر بن الخطاب : (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤ م) هو أبوفضل عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي . ضحائي ، من كبار الصحابة . لقبه الرسول ﷺ بـ (الفاروق) . وهو ثاني العشرة المبشرين بالجنة ، وثاني الخلفاء الراشدين ، بعد وفاة خليفة رسول الله ﷺ (أبي بكر الصديق) - رضي الله عنه - عام ١٣ هـ - ٦٣٤ م . وأول من لقب بـ (أمير المؤمنين) . صاحب الفتوحات العظيمة في العراق ، والشام ، ومصر ، يضرب بعده المثل . وهو أول من وضع (التاريخ الهجري) ، واتخذ (بيت المال) للمسلمين ، وأمر ببناء (البصرة) و (الكوفة) . وأول من دون (النواوين) في الإسلام ، له في كتب الحديث (٥٢٧ حديثاً) . طبعه (أبو لؤلؤة

عام ٢٣هـ - ٦٤٤م ، كان مؤامرة من قبل أعداء الاسلام ، بطلها العلني
(أبولؤلؤة فيروز المجوسي) (١) .

فهل شارك اليهود في تلك المؤامرة ؟ .

والجواب : أنه لا يستبعد أن يكون اليهود قد شاركوا في مؤامرة

قتل عمر - رضي الله عنه - (٢) ، لسببين رئيسين ، هما :

١ - السبب العام ، ويتمثل في :

أ - عداوتهم المتأصلة للمسلمين ، منذ هجرة الرسول ﷺ إلى (المدينة) ،

حيث بدأ الاحتكاك بهم ، ويشهد لذلك قول الله تعالى :

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين أشركوا ﴾ (٣)

ب - طبيعة الفدر الملازمة لهم (٤) ، على مر العصور ، حيث يصبح الاغتيال

عندهم شهوة ، لا تنفك عنهم ، ولاسيما الزعماء من : الأنبياء ، والمصلحين ،

والحكام !

٢ - السبب الخاص ، ويتمثل في :

- حنقهم على عمر - رضي الله عنه - ، حيث أجلاهم من (جزيرة

فيروز المجوسي) بخنجر في خاصرته وهو يؤم الناس في صلاة الفجر ، ودفن بجوار صاحبيه
الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ، في حجرة عائشة - رضي الله عنها - ب
(المدينة) . انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٥١١ - ٥١٢ ، و: الزركلي :
الأعلام ج ٥ ص ٤٥ - ٤٦ .

١ راجع: ترجمة (أبي لؤلؤة فيروز المجوسي) ص ٥٢٠ .

٢ انظر : محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ج ٣ ص ١٩٢ ١٩٩ ، و : عبدالرحمن حسن

حينكة الميعاني : مكاييد يهودية عبر التاريخ ص ١٦١ .

٣ سورة المائدة ، آية: ٨٢ .

٤ راجع : (النفسية اليهودية) ج ١ ص ٢٦٤ .

العرب) ، وكان ذلك الاجلاء لسببين :

أ - الامتثال للأمر النبوي ، الذي يأمر بإجلاء اليهود (١) من (الجزيرة العربية) ، وقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة ، منها :

١ - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
«لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا
أدع إلا مسلماً» (٢) .

٢ - وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :
«أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» (٣) .

١ كان الرسول ﷺ قد أُنذر من بقي في (المدينة) من اليهود بعد طرد قبائلهم الكبرى الثلاث (بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة) بالطرْد - أيضاً - . إن لم يسلموا ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال :

«بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ ، فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس ، فقال : أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإنني أريد أن أجسكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله» : صحيح البخاري : (كتاب الجزية والموادعة «٥٨») ، (باب إخراج اليهود من جزيرة العرب «٦٠») ج ٤ ص ٦٥ .

ومعلوم إن إسلام أبي هريرة - رضي الله عنه - إنما كان بعد طرد تلك القبائل من (المدينة) .
راجع : ص ٤٦٠

٢ صحيح مسلم - واللفظ له - : (كتاب الجهاد والسير «٣٢») ، (باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب «٢١») ، حديث رقم (١٧٦٧/٦٣) ج ٣ ص ١٣٨٨ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفتوى) ، (باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب) ، حديث رقم (٣٠٣٠) ج ٣ ص ١٦٥ ، و : سنن الترمذي : (كتاب السير «٢٢») ، (باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب «٤٣») ، حديث رقم (١٦٠٧) ج ٤ ص ١٥٦ ، و : مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢٩ .

٣ صحيح البخاري : (كتاب الجزية والموادعة «٥٨») ، (باب إخراج اليهود من جزيرة العرب «٦٠») ج ٤ ص ٦٥ - ٦٦ ، وصحيح مسلم : (كتاب الوصية «١٥») ، (باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه «٥») حديث رقم (١٦٣٧/٢٠) ج ٣ ص ١٢٥٧ - ١٢٥٨ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفتوى) ، (باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب) ، حديث رقم (٣٠٢٩) ج ٣ ص ١٦٥ .

٣ - وعن (أبي عبيدة عامر بن الجراح) (١) - رضي الله - قال : كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ :

« أخرجوا اليهود من الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب » (٢) .

٤ - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان آخر عهد رسول الله ﷺ ، أن قال :

« لا يترك جزيرة العرب دينان » (٣) .

وكل هذه الأحاديث الشريفة تدل دلالة قاطعة على عدم جواز إقامة غير المسلمين من اليهود والنصارى - وغيرهم - في (الجزيرة العربية) (٤) ،

١ أبو عبيدة عامر بن الجراح : (٤٠ ق.هـ - ١٨ هـ = ٥٨٤ - ٦٣٩ م) هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي . صحابي ، من كبار الصحابة ، ولد في (مكة) واشتهر بكنية (أبو عبيدة) ، وهو من السابقين إلى (الإسلام) ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، لقبه الرسول ﷺ بـ (أمين الأمة) ، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، وله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قيادة الجيوش بالشام بعد خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ، فتم له فتح (الشام) ، حتى بلغ (الفرات) شرقاً ، و (آسيا الصغرى) شمالاً ، ورتب للبلاد المرابطين والعمال ، فتعلقت به قلوب الناس لرفقه وتواضعه ، له في كتب الحديث (١٤ حديثاً) ، توفي بـ (طاعون عمواس) ، ودفن في (غوريهسان) ، وانقرض عقبه . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٢٥٢ .

٢ سنن الدارمي : (كتاب السير) ، (باب إخراج المشركين من جزيرة العرب) ج ٢ ص ٢٣٣ .

٣ مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٧٥ .

و : في رواية مرسلة عن ابن شهاب - رحمه الله تعالى - قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » : موطأ الإمام مالك : (كتاب الجامع «٤٥») ، (باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة «٥») ، حديث رقم (١٨) ج ٢ ص ٨٩٢ .

وفي رواية عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تكون قبلتان في بلد واحد » : سنن أبي داود - واللفظ له - : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب) ، حديث رقم (٣٠٣٢) ج ٣ ص ١٦٥ ، و :

سنن البيهقي : (كتاب الجزية) ، (باب لا يسكن أرض الحجاز مشرك) ج ٩ ص ٢٠٨ .

و : في رواية - أخرى - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :

« لا يجتمع قبلتان في جزيرة العرب » : سنن البيهقي : (كتاب الجزية) ، (باب لا يسكن أرض

الحجاز مشرك) ج ٩ ص ٢٠٨ .

٤ الجزيرة العربية : شبه جزيرة ، مساحتها حوالي (٢.٦٠٠.٠٠٠ كم مربع) ، تحيط بها المياه من ثلاث جهات : البحر الأحمر غرباً ، والخليج العربي شرقاً ، والبحر العربي جنوباً ، أما الجهة

على خلاف في المقصود بـ (الجزيرة العربية) (١).

ب - إفسادهم في الأرض ، ولاسيما (يهود خيبر) ، ومن ذلك :

١ - اعتدائهم على (عبد الله بن عمر) (٢) - رضي الله عنه - ، حيث

الشمالية : فموضع خلاف قديم بين العلماء ، ولكنها تبلورت حسب الحدود السياسية في (العصر الحديث) ؛ لتلتقي مع الأطراف الجنوبية لبلاد العراق والشام ، وتشغلها - حالياً - (سبع دول ، هي : المملكة العربية السعودية ، والكويت ، والبحرين ، وقطر ، والإمارات ، وعمان ، واليمن) . انظر : د/ عبدالله بن إبراهيم الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي من ٤١٠ - ٤١٢ ، و : الموسوعة العربية الميسرة من ١٠٧٣ .

١ لقد اختلف العلماء في المقصود بـ (الجزيرة العربية) في الأحاديث الشريفة المدونة أعلاه ، والراجح في نظري - أن المقصود هو (الحجاز) فقط ؛ لأن عمر - رضي الله عنه - لما أجلي (يهود خيبر) ، استوطن بعضهم في (تيماء) ، وهي من (الجزيرة العربية) كما ذكرنا أعلاه . راجع : من ٥١٧ و : انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب) ، حديث رقم (٣٠٣٣) ج ٣ ص ١٦٦ .

وفي إجلاء (يهود وادي القرى) خلاف بين العلماء . راجع : الهامش رقم (٥) ص ٥١٨ . أما ما كان شمالها من المناطق التي يقطنها اليهود ، كـ (مقتنا ، وجريا ، وأذرح) ، فإن اليهود لم يجلوا منها من باب أولى .

أما ما عدا (الحجاز) من (الجزيرة العربية) ، فلم يجل اليهود منها . كـ (اليمن ، والبحرين) . أما (يهود نجران) فلهم وضع خاص ، نونه في الهامش رقم (٦) ص ٥١٨ .

و : لمزيد من المعلومات حول (المقصود بالجزيرة العربية) . انظر : د/عبدالله الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي من ٤١٧ - ٤٢١ .

كما اختلفت العلماء - أيضاً - في إقامة المشركين من اليهود والنصارى - وغيرهم - في (الحجاز) ، وهي المقصود من (الجزيرة العربية) - كما رجحنا قبل قليل - ، والراجح في نظري . منعهم من الدخول أصلاً ، إلا إذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك ، شريطة أن تكون إقامتهم محددة . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د/ عبدالله الطريقي : الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي من ٤١٢ - ٤١٦ .

٢ عبدالله بن عمر (١٠ ق. هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م) هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب . صحابي ، كان جريئاً ، ولد في (مكة) ، وهاجر مع أبيه إلى (المدينة) . شهد (غزوة الخندق) - وهي أول مشاهدته عام ٥ هـ = ٦٢٦ م - وما بعدها مع الرسول ﷺ . غزا (أفريقية) مرتين ، ولما قتل (عثمان بن عفان) - رضي الله عنه - عرض عليه نفر أن يبایعوه بالخلافة فأبى ، ولما حدثت (الفتنة الكبرى) بين المسلمين ، اعتزلها . له في كتب الحديث (٢٦٣٠ حديثاً) ، كف بصره في آخر حياته ، وهو آخر من توفي بـ (مكة) من الصحابة . انظر : الذهبي : سير أعلام البلاد ج ٣ ص ٢٠٣ - ٢٢٩ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص

فدعسوا (١) يديه ورجليه ، وهو في ماله ، ليلا ، في (خيبر) (٢)!.
 ٢ - تحريضهم على قتل (مظهر بن رافع) (٣) - رضي الله عنه - ، وهو في طريق عودته من الشام بغلمان له من النصاري ، حتى إذا كان بـ (خيبر) ، دخل عليهم قوم من اليهود ، فحرضوا غلمانهم على قتله ، وأعطوهم السلاح ، فقتلوه (٤)!.
 ولذلك كله ، أجلاهم عمر - رضي الله عنه - من (جزيرة العرب) ، عام ٢٠ هـ - ٦٤١ م :

فقد أجلي (يهود خيبر) (٥) ، إلى (تيماء) (٦) ، و (أريحا) (٧) ،

- ٣٣٨ - ٣٤١ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ١٠٨ .
 ١ الفدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة الفدع) ج ٣ ص ٦١ .
 ٢ انظر : صحيح البخاري : (كتاب الشروط «٥٤») ، (باب إذا شرط في المزارعة إذا شئت أخرجتك «١٤») ج ٣ ص ١٧٧ - ١٧٨ ، و : مسند الإمام أحمد ج ١ ص ١٥ .
 ٣ مظهر بن رافع : (؟ - ٢٠ هـ = ؟ - ٦٤١ م) هو مظهر بن رافع بن عدي الحارثي الأوسي . صحابي ، شهد (غزوة أحد) ، وعاش إلى خلافة عمر - رضي الله عنه - . قتله غلمان النصاري ، بتحريض من (يهود خيبر) - كما ذكرنا أعلاه - . انظر : الذهبي : تجريد أسماء الصحابة ج ٢ ص ٨٠ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٠٦ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٥٧ .
 ٤ انظر : ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٤٨١ ، و : القرطبي : الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج ٣ ص ٤٩٢ - ٤٩٣ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٠٦ .
 ٥ كان الرسول ﷺ قد أبقي (يهود خيبر) على النصف من ثمارها - أجراء - ، على أن يخرجهم منها متى شاء ؛ لأنها فتحت عنوة . راجع ص .
 ٦ انظر : صحيح البخاري (كتاب الحرث والمزارعة «٤١») ، (باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله «١٧») ج ٣ ص ٧١ ، و : صحيح مسلم : (كتاب المساقاة «٢٢») ، (باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع «١») حديث رقم (١٥٥١/٦) ج ٣ ص ١١٨٨ .
 ٧ انظر : صحيح البخاري : كتاب الحرث والمزارعة «٤١» ، (باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله «١٧») ج ٣ ص ٧١ ، و : صحيح مسلم : (كتاب المساقاة «٢٢») ، (باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع «١») حديث رقم (١٥٥١/٦) ج ٣ ص ١١٨٨ .

و (أذرعاً) (١) ، وقسمها بين المسلمين ؛ (٢) ؛ لأنها فتحت
عنه (٣) .

كما أجلى (يهود (٤) وادي القرى) (٥) ، وقسمها بين المسلمين .
كما أجلى (يهود نجران) (٦) إلى

- ١ انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١١٥ .
- ٢ انظر : صحيح البخاري : (كتاب الشروط «٥٤») ، (باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك «١٤») ج ٣ ص ١٧٧ - ١٧٨ ، و : صحيح مسلم : (كتاب المساقاة «٢٢») ، (باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع «١») ، حديث رقم (١٥٥١/٦) ج ٣ ص ١١٨٧ - ١١٨٨ ، ومسنّد الإمام أحمد ج ١ ص ١٥ ، وموطأ الإمام مالك : (كتاب الجامع «٤٥») ، (باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة «٥») ، حديث رقم (١٩) ج ٢ ص ٨٩٣ .
- و : قد أوردت ذلك - أيضاً - كتب المغازي والسير . انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٠ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١١٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٤٨١ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١١٥ .
- ٣ راجع : (غزوة خيبر) ص ٤٦١ .
- ٤ كان الرسول ﷺ قد عامل (يهود وادي القرى) معاملة (يهود خيبر) . راجع : ص ٤٨٢ .
- ٥ يرى الإمام مالك - رحمه الله - أن (يهود وادي القرى) لم يجلوا منها ، لأنهم لم يروها من أرض العرب . انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب) ، حديث رقم (٢٠٢٣) ج ٣ ص ١٦٦ .
- و : انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٧ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١١٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٤٨١ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١١٥ .
- ٦ يقول أبو عبيد - رحمه الله تعالى - :
«وإنما نرى عمر استجاز إخراج أهل نجران - وهم أهل صلح - لحديث يروى عن النبي ﷺ فيهم خاصة » : الأموال ص ١٠٨ .
وقد سبق إيراد هذا الحديث أعلاه . راجع : ص ٥١٥ .
بينما يذكر البلاذري - رحمه الله تعالى - أنهم هم الذين طلبوا الخروج ، فعن سالم بن أبي الجعد - رحمه الله تعالى - قال :
«كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفاً ، فتحاسدوا بينهم ، فأتوا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، فقالوا : أجلنا ، وكان عمر قد خافهم على المسلمين ، فاغتنمها ، فأجلاهم ، فقدموا بعد ذلك ، وأتوه ، فقالوا : أفلنا ، فأبى ذلك » : فتوح البلدان ص ٧٨ .
ولما آلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حاولوا أن يسمح لهم بالعودة ،

(الكوفة) (١) ، وقسمها بين المسلمين (٢).

أما (يهود فذك) فقد أجلاهم ، وقوم لهم (النصف) ، الذي صالحوا الرسول ﷺ عليه (٣) ؛ لأنها فتحت صلحا (٤).

وكان - عمر - رضي الله عنه - قد قال لهم قبل إجلائهم :
«من كان له منكم عهد من رسول الله ﷺ ، فليأت بعهد ، حتى ننفذه ،
ومن لم يكن له عهد ، فإني أجليه ٠٠٠ ، وقد أذن الله بإجلائكم ، إلا أن يأتي
رجل منكم بعهد أو بينه من النبي ﷺ أنه أقره ، فأقره» (٥).

ولكنه أبى ، فعن سالم بن أبي الجعد - رحمه الله تعالى - قال :

«جاء أهل نجران إلى علي - رضي الله عنه - ، فقالوا : شفاعتك بلسانك ، وكتابك بيدك ،
أخرجنا عمر من أرضنا ، فردنا إليها ضيعة ، فقال : ويلكم ، إن عمر كان رشيد الأمر ، فلا
أغير شيئا صنعه عمر» : أبو عبيد - واللفظ له - الأموال ص ١٠٧ - ١٠٨ ، و : البلاذري : فتوح
البلدان ص ١٧٨ .

ويروى أن سبب خوف عمر - رضي الله عنه - منهم على الإسلام . هو من أجل تعاملهم بـ
(الربا) بكثرة . انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٧ .
وكان الرسول ﷺ قد صالحهم على أن لا يحدثوا حدثا أو يأكلوا الربا ، ولكنهم نقضوا الصلح
بأكلهم الربا . انظر : سنن أبي داود : (كتاب الخراج والإمارة والفيء) ، (باب في أخذ الجزية)
، حديث رقم (٣٠٤١) ج ٣ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

١ انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٨ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص
٤٨١ .

٢ انظر : موطأ الإمام مالك : (كتاب الجامع «٤٥») ، (باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة
«٥») ، رقم (١٩) ج ٢ ص ٨٩٢ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٧ - ٧٨ ، و : الطبري :
تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١١٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٤٨١ ،
و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١١٥ .

٣ انظر : موطأ الإمام مالك : (كتاب الجامع «٤٥») ، (باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة
«٥») ، حديث رقم (١٩) ج ٢ ص ٨٩٢ ، و : البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٢ - ٤٣ ، و :
الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١١٢ ، و : ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء
ص ٤٨١ .

٤ راجع : (تساقت بقية مناطق اليهود في فذك ووادي القرى وتيماء وغيرها بيد المسلمين) ص ٤٨١ .

٥ ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٤٨١ .

وقد حدد عمر - رضي الله عنه - بعد إجلاء اليهود من (الجزيرة العربية) مدة لإقامة من قدم من اليهود إليها للتجارة ، بقدر ما يبيعون سلعهم (١) .

إذن ، فلا يبعد - بعد كل ذلك - أن يكون لليهود ضلع في تلك المؤامرة الشريرة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، لكن هل يكون ذلك عن طريق (كعب الأحبار) ؟ .

- إن منشأ اتهام (كعب الأحبار) (٢) - رحمه الله تعالى - بالاشتراك في مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، التي بطلها العلني (أبولؤلؤة فيروز المجوسي) (٣) ، مؤداه إلى ماروي عن (المسور بن مخرمة) (٤) - رضي الله عنه - ، أنه قال :

١ انظر : أباعبيد : الأموال ص ١٠٧ .

و : راجع : الهامش رقم (١) ص ٥١٦ .

٢ كعب الأحبار: (٧٥ق.هـ - ٣٢هـ = ٩ - ٥٤٨م) هو أبو إسحاق كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري اليماني . تابعي . كان في (الجاهلية) من كبار علماء اليهود في اليمن ، وأسلم في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه - على الراجح - ، ثم قدم (المدينة) عام ١٢هـ - ٦٣٣م ، فأخذ عن الصحابة الكتاب والسنة ، وأخذوا - وغيرهم - عنه أخبار الأمم الغابرة ، من خلال ما يعرف بـ (الإسرائيليات) . خرج إلى الشام ، فسكن (حمص) ، وتوفى فيها . انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٨٩ - ٤٩٤ ، و: ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٢٩٧ - ٢٩٩ ، و: الزركلي: الأعلام ج ٥ ص ٢٢٨ .

٣ أبولؤلؤة فيروز المجوسي : (؟ - ٢٣هـ = ٩ - ٦٤٤م) فارسي مجوسي ، أسره (الروم) صغيراً في إحدى الحروب بين الفريقين ، فنشأ نصرانياً ، اشتراه (المغيرة بن شعبة) - رضي الله عنه - وقدم به (المدينة) ، ليعمل صانعاً ، وكان حاقداً على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، حيث قتله - كما فصلنا ذلك أعلاه - ، وقد انتحر أبولؤلؤة ، كما قام عبيدالله بن عمر - رضي الله عنهما - بقتل ابنة أبي لؤلؤة ، ومن توقعه مشاركاً في الجريمة . وهما (جفينة) و (الهرمزان) . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٣٩ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥٥ .

٤ المسور بن مخرمة : (٢ - ٦٤هـ = ٦٢٤ - ٦٨٣م) هو أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب الزهري القرشي . صحابي ، من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، خاله عبد الرحمن بن

«خرج عمر بن الخطاب يطوف في السوق ، فلقيه (أبولؤلوة) غلام (المغيرة بن شعبة) (١) - رضي الله عنه - ، وكان [أي أبولؤلوة] نصرانياً (٢) ، فقال : يا أمير المؤمنين أعطني (٣) على المغيرة بن شعبة ، فإن علي خراجاً كثيراً ، قال : وكم خراجك ؟ ، قال : درهماً في كل يوم ، قال : وأيش صناعتك ؟ ، قال : نجار ، نقاش ، حداد ، قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أعمل

عوف - رضي الله عنه - ، روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة ، وشهد فتح (أفريقية) ، وهو الذي حرض عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على غزوها ، ثم كان مع عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهما - ، في الحصار الأول لـ (مكة) ، فأصابه حجر من حجارة (المنجنيق) ، حيث قتل . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٩٠ - ٣٩٤ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ض ٣٩٩ - ٤٠٠ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٢٥ .

١ المغيرة بن شعبة : (٢٠ق هـ - ٥٥٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٧٠ م) هو أبو عبدالله المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي . صاحبني ، ولد في (الطائف) ، وكان أحد قادة العرب وولاتهم ودهاتهم ، حتى قيل له (مغيرة الرأي) . سافر في (الجاهلية) مع جماعة من (بني مالك) ، فدخل (الإسكندرية) وأفدا على ملك مصر (المقوقس) ، ثم عاد إلى (الطائف) ، فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله ، حتى كان عام ٥ هـ - ٦٢٧ م ، حيث أسلم ، وشهد (الحديبية) ، و(موقعة اليمامة) . وفتوح العراق والشام ، ولاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على (البصرة) ، ففتح عدة بلاد ، وعزله ، ثم ولاء (الكوفة) ، ولما حدثت (الفتنة الكبرى) إعتزلها . ولاء معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - (الكوفة) فلم يزل بها ، إلى أن توفي . له في كتب الحديث (١٣٦ حديثاً) . وهو أول من وضع (ديوان البصرة) ، وأول من سلم عليه بـ (الإمرة) في الإسلام . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢١ - ٣٢ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٣٢ - ٤٣٣ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٧٧ .

٢ كان (أبولؤلوة) مجوسياً فارسياً ، ولكن الروم أسروه صغيراً في أثناء الحروب بين الفرس والروم ، فنشأ نصرانياً . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٣٦ . وهذا ما يؤكد ابن كثير - رحمه الله تعالى - حيث يرى أنه مجوسي الأصل رومي الدار . انظر : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥٤ .

٣ أعطني : أي أعني وأنصرتني . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، تعليق المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ج ٤ ص ١٩٠ .

ولم أتمكن من العثور على هذه الكلمة (أعطني) في المعاجم اللغوية .

رحاً تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ، قال : فأعمل لي رحاً ، قال : لنن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها المشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه ، فقال عمر - رضى الله تعالى عنه - : لقد توعدني (١) العبد آنفاً ! ، قال : ثم انصرف عمر إلى منزله ، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إعهد ، فإنك ميت في ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ ، قال : أجده في كتاب الله عز وجل التوراة ، قال عمر : آله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ ، قال : اللهم لا ، ولكني أجد صفتك وحليتك ، وأنه قد فني أجلك - قال : وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً - ، فلما كان من الغد جاءه كعب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهب يوم وبقي يومان ، قال : ثم جاءه من غد الغد ، فقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة ، وهي لك إلى صبيحتها ، قال : فلما كان الصبح ، خرج عمر إلى الصلاة ، وكان يوكل بالصفوف رجلاً ، فإذا أستوت جاء هو فكبر ، قال : ودخل أبولؤلؤة في الناس ، في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات ، إحداهن تحت سترته ، وهي التي قتلتها ! (٢) .

وقد بنى بعض المفكرين المحدثين على هذه الرواية نتيجة ، مفادها : اشتراك (كعب الأحبار) في مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ، فهذا - مثلاً (٣) الكاتب اللبناني الأستاذ / غازي محمد فريج ، يقول تعقيباً على هذه الرواية :

١ يقول الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - :

"لما قدم بسبي نهاوند إلى المدينة ، جعل أبولؤلؤة فيروز ٥٠٠ لايلقى منهم صغير إلا مسح رأسه ويكى ، وقال : أكل عمر كبدي" : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٣٦ .

٢ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٩٠ - ١٩١ .

وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥٤ - ١٥٥ .

٣ انظر - أيضاً - : د / جميل عبدالله المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في

القرن الأول الهجري ص ٢٤٠ ، و : عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

«لست أشك في أن كعباً كان ضالعا في المؤامرات التي دبرت لاغتيال عمر ، أو أنه كان على علم بها وبمن يدبرونها على الأقل ، فهو ليس ممن تنكشف له أستار الغيب ، فليس في التوراة (١) ما ينبئ بموت عمر بعد ثلاث ليال كما زعم» (٢).

والذي أراه في هذه القضية المعقدة : أن تلك الرواية ، التي رواها الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - غير صحيحة ، لأمر كثيرة ، من أهمها :
١ - أن هذه القصة لو كانت في (التوراة) ، لما اقتص بعلمها (كعب) - رحمه الله تعالى - وحده ، ولشاركه العلم بها كل من له علم ب (التوراة) من أمثال (عبد الله بن سلام) - رضي الله عنه - (٣).

٢ - أن هذه القصة لو صحت لكان من المنتظر من عمر - رضي الله عنه - أن لا يكتفي بقول (كعب) ، ولكن لجمع طائفة ممن أسلم من (اليهود) وله إحاطة ب (التوراة) مثل عبد الله بن سلام ، ويسألهم عن هذه القصة ، وهو لو فعل لافترض أمر (كعب) ، وظهر للناس كذبه ، ولتبين لعمر - رضي الله عنه - أنه شريك في مؤامرة دبرت لقتله ، أو أنه على علم بها ، وحينئذ يعمل عمر - رضي الله عنه - على الكشف عنها بشتى الوسائل ، وينكل بمدبريها ،

١ الذي يخمس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في (المعهد القديم) ، هي تلك النبوة ، المعروفة بـ (نبوة زكريا) في (القرن ٦ ق م) ، والتي تشير إلى دخول عمر - رضي الله عنه - (بيت المقدس) فاتحاً عام ٦٣٦ هـ - ٦٣٦ م ، وقد جاء في تلك النبوة :

«ابتهجي جداً يا ابنة صهيون اهتقي يابنت اورشليم . هو ذا ملكك يأتي اليك هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار بن أتان ٠٠٠ وتقطع قوس الحرب . ويتكلم بالسلام للأُم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض» : زكريا ، إصحاح (٩) فقرة: ٩ - ١٠ .
و : لمزيد من المعلومات حول هذه (النبوة) . انظر: رسالتي لمرحلة (الماجستير) : الفكر

الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي ص ٣٦٣ .

٢ النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة ص ٩٣ .

٣ انظر : محمد محمد أبوزهو : الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية ص ١٨٢ .

ومنهم (كعب) ، هذا هو المنتظر من أي حاكم ، فضلا عن عمر - رضي الله عنه - المعروف بكمال الفطنة ، وحدة الذهن ، وتمحيص الأخبار ، لكن شيئا من ذلك لم يحصل ، فكان ذلك دليلا على اختلاقها (١) .

٣ - أن هذه القصة لو صحت - أيضا - لكان معناها أن (كعبا) له يد في المؤامرة وأنه يكشف عن نفسه بنفسه ، وذلك باطل لمخالفته طباع الناس ، إن المعروف أنه من اشترك في مؤامرة ، يبالغ في كتمانها بعد وقوعها ، تفاديا من تحمل تبعاتها ، فالكشف عنها قبل وقوعها لا يكون إلا من مغفل أبله ، وهذا خلاف ماكان عليه (كعب) ، من حدة الذهن ، ووفرة الذكاء (٢) .

٤ - ثم ما لـ (التوراة) وتحديد أعمار الناس؟ ، إن الله تعالى إنما أنزل كتبه هدى للناس ، لا لمثل هذه الأخبار التي لا تعدو أصحابها (٣) .

٥ - ثم - أيضا - هذه (التوراة) بين أيدينا ليس فيها شيء من ذلك مطلقا . وبعد أن أورد الشيخ (محمد محمد أبو زهو) (٤) - الأستاذ في كلية أصول الدين بـ (جامعة الأزهر) - تلك الاعتراضات الأربعة الأولى ، عقب عليها ، بقوله :

"ومن ذلك كله ، يتبين لك أن هذه القصة مفتراة ، بدون أدنى اشتباه ، وأن رمي (كعب) بالكيد للإسلام في شخص عمر ، والكذب في النقل عن (التوراة) اتهام باطل ، لا يستند على دليل أو برهان" (٥) .

١ - انظر : المرجع السابق ص ١٨٢ .

٢ - انظر : المرجع السابق ص ١٨٣ .

٣ - انظر : المرجع السابق ص ١٨٣ .

٤ - محمد محمد أبو زهو : لم أقف له على ترجمة .

٥ - الحديث والمحدثون ص ١٨٣ .

ويقول الدكتور (محمد السيد حسين الذهبي) (١) - الأستاذ في كلية الشريعة ب (جامعة الأزهر) ووزير الأوقاف المصري - رحمه الله تعالى - :
 «رواية ابن جرير (الطبري) للقصة لا تدل على صحتها ؛ لأن ابن جرير - كما هو معروف عنه - لم يلتزم الصحة في كل مايرويه ، والذي ينظر في تفسيره يجد فيه مما لا يصح شيئاً كثيراً (٢) ، كما أن مايرويه في تاريخه لا يعدو أن يكون من قبل الأخبار التي تحتل الصدق والكذب ، ولم يقل أحد بأن كل مايروي في كتب التاريخ (٣) ثابت وصحيح» (٤)
 ثم يتابع ، قائلاً :

«ثم إن مايعرف عن كعب الأخبار من دينه ، وخلقه ، وأمانته ، وتوثيق أكثر أصحاب الصحاح (٥) له ، يجعلنا نحكم بأن هذه القصة موضوعة عليه ، ونحن ننزه كعباً عن أن يكون شريكاً في قتل عمر ، أو يعلم من يدبر أمر قتله ثم لا يكشف لعمر عنه ، كما ننزهه أن يكون كذاباً وضاعاً ، يحتال على تأكيد ما يخبر به من مقتل عمر بنسبته إلى التوراة وصوغه في قالب

١ محمد السيد حسين الذهبي (؟ - ١٣٩٧هـ = ؟ - ١٩٧٧م) عالم مصري ، تخرج في جامعة الأزهر) ، حتى نال درجة (الدكتوراة) ، ليعين أستاذاً فيها ، ثم تقلب في عدة وظائف حتى أصبح وزيراً للأوقاف . له مؤلفات من أهمها : (التفسير والمفسرون) الذي استل منه كتاب منفرد هو : (الإسرائيليات في التفسير الحديث) . توفي قتيلاً ، واتهمت به (جماعة التكفير والهجرة) . انظر : محمد سرور بن نايف زين العابدين : الحكم بغير ما أنزل الله وأهل القلوب ص ٣٢٧ - ٣٢٩ .

٢ راجع: ص ٥٧٧ و ٥٨٠ .

٣ يقول الشيخ (محمد محمد أبو زهر) - الأستاذ في كلية أصول الدين ب (جامعة الأزهر) - في أولئك المفكرين المعاصرين ، الذين يطعنون في (كعب) - رحمه الله تعالى - :

«ومن عجيب أمر هؤلاء الطاعنين ، أنهم يجعلون روايات المؤرخين حجة لا يأتيها الباطل إذا كان لهم غرض في إثبات مضمونها ، ويتشككون في روايات البخاري ومسلم [أصح كتابين بعد القرآن الكريم] ، إذا جاء على غير ما يشتهون» ! : الحديث والمحدثون ص ١٨٣ .

٤ الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٩٩ .

٥ انظر : المرجع السابق ص ٩٦ .

إسرائيليلي !!» (١)

إلى أن يقول :

« اللهم إن كعباً مظلوم من متهميه ، ولا أقول عنه : إلا أنه ثقة مأمون ،
وعالم استغل اسمه ، فنسب إليه روايات معظمها خرافات وأباطيل ، لتروج
بذلك على العامة ، ويتقبلها الأغمار من الجهلة» (٢)

وبعد ، فإن تبرئتنا لـ (كعب الأحبار) - رحمه الله تعالى - لا تنفي أن
(اليهود) - قومه قبل إسلامه - ربما كانت لهم اليد الطولى في تلك
المؤامرة الشريرة ، التي استهدفت رأس المسلمين عمر بن الخطاب -
رضي الله عنه - .

٤ - الفتنة الكبرى :

ذكرنا - في مقدمة هذا المبحث (٣) - أن اليهود - بعد أن كبت
نشاطهم العنصري العلني في (المجتمع الإسلامي) - بدأوا نشاطاً سرياً ،
تمثل بالعمل الخفي من وراء (النفاق) ، وهذا ما تجلى على يد اليهودي
المنافق (ابن السوداء) ، (عبدالله بن سبأ) (٤) ، الذي أخذ ينشر

١ المرجع السابق ص ٩٩ .

٢ المرجع السابق ص ١٠٤ .

و : لمزيد من المعلومات حول توثيق العلماء لـ (كعب الأحبار) . انظر: د/ محمد الذهبي :
الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٩٥ - ١٠٤ ، و: د/ محمد بن محمد أبوشهبة :
الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٠٠ - ١٠٥ .

٣ راجع : ص ٥١٠ .

٤ عبدالله بن سبأ : (٩ - ٤٠ هـ = ٩ - ٦٦٠ م) رأس الطائفة (السبئية) . يهودي من (صنعاء -
اليمن) ، يقال له (ابن السوداء) ؛ لأن أمه حبشية . أظهر الإسلام في عهد أمير المؤمنين عثمان
بن عفان - رضي الله عنه - ، ورحل إلى (الحجاز) ، و (العراق) ، ف (مصر) ، حيث جهر
بضلالته في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، كما فصلنا ذلك أعلاه .
انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٨٨ .

ضلالاته بين المسلمين ، مما كان له أبلغ الأثر في حدوث (الفتنة الكبرى) ،
خلال (العقد الرابع) من (القرن الأول الهجري) - (العقد السادس) من
(القرن السابع الميلادي) - ، والتي هزت الأمة الإسلامية في الصميم ،
فمن هو (عبد الله بن سبأ) ، ومتى كان ظهوره ، وما آثاره في إذكاء الفتنة
بين المسلمين ، ياترى ؟!

أ - شخصية عبد الله بن سبأ :

تتفق آراء معظم المتقدمين ، من أهل السنة والشيعة ، على أن
شخصية (عبد الله بن سبأ) حقيقة تاريخية (١) .

١ لقد تتبع بعض الباحثين الكثير من الكتب التراثية التي أثبتت شخصية (عبد الله بن سبأ) ، أو
أشارت إليه من خلال فرقة (السبئية) ، سواء في ذلك أهل السنة ، أو الشيعة ، على ما يأتي :

١ - أهل السنة :

- الحسن بن محمد بن الحنفية ت ١٠٠هـ - ٧١٨ م ، في رسالة الأرجاء ، في : العدني :
الإيمان (مخطوط) ص ٢٤٩/ب .

- الشعبي ت ١٠٣هـ - ٧٢١ م ، في رواية عنه ، في : ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق
(مخطوط) ص ١٢٤ .

- ابن سعد ت ٢٣٠هـ - ٨٤٥ م ، في: الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٩ .

- ابن حبيب البغدادي ت ٢٤٥هـ - ٨٥٩ م ، في : المحبر ص ٣٠٨ .

- الجاحظ ت ٢٥٥هـ - ٨٦٩ م ، في : البيان والتبيين ج ٣ ص ٨١ .

- الجوزجاني ت ٢٥٩هـ - ٨٧٣ م ، في : الضعفاء (مخطوط) ص ٣/ب .

- البلاذري ت ٢٧٩هـ - ٨٩٢ م ، في : أنساب الأشراف ص ٣٨٢ .

- الطبري ت ٣١٠هـ - ٩٢٣ م ، في : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ .

- ابن عدي ت ٣٢٨هـ - ٩٤٠ م ، في : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٥ .

- الأشعري ت ٣٣٠هـ - ٩٤٢ م ، في : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ١ ص ٨٦ .

- ابن حبان ت ٣٥٤هـ - ٩٦٥ م ، في : المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ج ٢
ص ٢٥٣ .

- المقدسي ت ٣٥٠هـ - ٩٦٦ م ، في : البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٢٩ .

- الملطى ت ٣٧٧هـ - ٩٨٧ م ، في : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٨ .

- الهمداني ت ٤١٥هـ - ١٠٢٤ م ، في : تثبيت دلائل النبوة ج ٣ ص ٥٤٨ .

- البغدادى ت ٤٢١هـ - ١٠٣٠ م ، في الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ .

- ابن حزم ت ٤٥٦هـ - ١٠٦٤م ، في : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٣ .
- الأسفراييني ت ٤٧١هـ - ١٠٧٨م ، في : التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص ١٠٨ .
- الشهرستاني ت ٥٤٨هـ - ١١٥٣م ، في : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ .
- السمعاني ت ٥٦٢هـ - ١١٦٧م ، في : الأنساب ج ٧ ص ٢٤ .
- ابن عساکر ت ٥٧١هـ - ١١٧٥م ، في : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) ص ١٢٣/ب .
- نشوان الحميري ت ٥٧٣هـ - ١١٧٧م ، في : الحور العين ص ١٥٤ .
- الرازي ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م ، في : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٧ .
- ابن الأثير ت ٥٦٣هـ - ١٢٣٣م ، في : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٧٢ .
- السكسكي ت ٦٨٣هـ - ١٢٨٤م ، في : البرهان لمعرفة عقائد أهل الأديان ص ٥٠ .
- ابن تيمية ت ٧٢٨هـ - ١٣٢٨م ، في : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٨٣ .
- المالقي ت ٧٤١هـ - ١٣٤٠م ، في : التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ص ٥٤ .
- الذهبي ت ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م ، في : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ج ٣ ص ١٢٢ .
- الصفي ت ٧٦٤هـ - ١٣٦٣م ، في : الوافي بالوفيات (مخطوط) ج ١٧ ص ٢٠ .
- ابن كثير ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٣م ، في : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٨ .
- الكرمانلي ت ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م ، في : الفرق الإسلامية (ذيل شرح المواقف) ص ٣٤ .
- الشاطبي ت ٧٩٠هـ - ١٣٨٨م ، في : الاعتصام ج ٢ ص ١٩٧ .
- الجرجاني ت ٨١٦هـ - ١٤١٣م ، في : التعريفات ص ٧٩ .
- المقرئ ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م ، في : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٣٥٦ .
- ٣٥٧ .
- ابن حجر ت ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م ، في : لسان الميزان ج ٣ ص ٢٩٠ .
- الزبيدي ت ١٢٢٥هـ - ١٨١٠م ، في : تاج العروس من جواهر القاموس ج ١ ص ٧٥ - ٧٦ .
- محمد صديق حسن خان ت ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م ، في : خبيئة الأكران في افتراق الأمم على المذاهب والأديان ص ٨ و ٣٣ و ٤٤ .
- ٢ - كتب الشيعة :
- الأصفهاني ت ٢٨٣هـ - ٨٩٦م ، في : الغارات ؟ .
- الناشئ الأكبر ت ٢٩٣هـ - ٩٠٦م ، في : مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات ص ٢٢ .

ولكن الاختلاف الكبير وقع بين الباحثين المحدثين في تلك الشخصية

- القمي ت ٣٠١هـ - ٩٢٢م ، في : المقالات والفرق ص ٢٠ .
- النوبختي ت ٣١٠هـ - ٩٢٢م ، في : فرق الشيعة ص ٢٣ .
- أبوحاتم الرازي ت ٣٢٢هـ - ٩٣٤م ، في : الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ص ٣٠٥ .
- الكشي ت ٣٤٠هـ - ٩٥١م ، في : معرفة أخبار الرجال ص ٩٨ .
- ابن بابويه القمي ت ٣٨١هـ - ٩٩١م ، في : من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢١٣ .
- الطوسي ت ٤٦٠هـ - ١٠٦٨م ، في : تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٣٢٢ .
- ابن شهر آشوب ت ٥٨٨هـ - ١١٩٢م ، في : مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- ابن أبي الحديد ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م ، في : شرح نهج البلاغة ؟ .
- ابن طاووس ت ٦٧٣هـ - ١٢٧٤م ، في : حل الإشكال ؟ .
- الحلبي ت ٧٤٠هـ - ١٢٣٩م ، في : الرجال ج ٢ ص ٧١ .
- ابن المرتضى ت ٨٤٠هـ - ١٤٣٦م ، في : طبقات المعتزلة ص ٥ - ٦ .
- العاملي ت ١٠١١هـ - ١٦٠٢م ، في : التحرير الطاووسي ؟
- القهبائي (القرن ١١هـ - ١٧م) ، في : مجمع الرجال ؟
- التفوشي (القرن ١١هـ - ١٧م) ، في : نقد الرجال ؟
- الأردبيلي ت ١١٠١هـ - ١٦٩٠م ، في : جامع الرواة ج ١ ص ٤٨٥ .
- المجلسي ت ١١١٠هـ - ١٦٩٨م ، في : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ج ٢٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .
- طاهر العاملي ت ١١٣٨هـ - ١٧٢٦م ، في : مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن ص ٦٢ .
- انظر : د/ سليمان بن حمد العودة: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٥٣ - ٦٢ ، و: إحسان إلهي ظهير: الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ ص ٤٨ - ٦٢ ، و: د/ سعدي الهاشمي: ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٢٤ - ٢٩ .
- وقد نقل الدكتور / سعدي الهاشمي بعض النقول الشيعية التي تثبت شخصية (عبدالله بن سبأ) ، ثم عقب عليها ، قائلاً :
- ”وبهذه النقول والنصوص الواضحة المنقولة من كتب القوم [الشيعة] ، تتضح لنا حقيقة شخصية ابن سبأ اليهودي ، ومن طعن من الشيعة في ذلك فقد طعن في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين - عندهم - على هذا اليهودي (ابن سبأ) ، ولايجوز ولايتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول ، وكذلك لا يجوز في معتقد القوم تكذيب المعصوم“ : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٧٦ .

، أهي شخصية حقيقية أم خيال ؟ .

فالمثبتون لشخصية عبد الله بن سبأ : هم
الغالبية العظمى من أهل السنة (١)

١ مثل : - محمود محمد شاكر ، في: مجلة (الرسالة) - المصرية - السنة ١٦ ، ج ١٩٤٨ ، عدد ٧٦١ ص ١٣٧ والعدد ٧٦٣ ص ١٩٣ .

- محب الدين الخطيب ، في : تصدير (العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ) لابن العزبي ص ٦ .

- محمد أبوزهرة ، في: المذاهب الإسلامية ص ٦٤ .

- محمد الخضري بك : الدولة الأموية ج ٢ ص ٣٤ .

- أحمد أمين ، في : فجر الإسلام ص ٢٦٩ .

- يوسف العش ، في : الدولة الأموية ص ٥٩ .

- أحمد راتب عرموش ، في: الفتنة واقعة الجمل ص ٢٧ .

- سعيد الأفغاني ، في: عائشة والسياسة ص ٦٠ .

- د/ محمود قاسم ، في: دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٠٩ .

- د/ عمار الطالبي ، في: آراء الخوارج ص ٧٢ .

- د/ عبدالرحمن بدوي ، في: مذاهب الإسلاميين ج ٢ ص ١٦ .

- د/ نايف محمود معروف ، في: الخوارج في العصر الأموي ص ٤٨ .

- د/ عزت عطية ، في : البدعة ص ٧٣ .

- د/ حسن إبراهيم حسن ، في: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ص ٣٥٨ .

- د/ إبراهيم علي شعوط ، في: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص ١٥٩ .

- محمود شاكر ، في : التاريخ الإسلامي ج ٣ ص ٢٤١ .

- عبدالوهاب النجار ، في: الخلفاء الراشدون ص ٣٠٨ .

- أنور الجندي ، في: الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٧ ، و: المؤامرة على الإسلام ص ٩٠ .

و: طه حسين وفكره في ميزان الإسلام ص ١٧١ - ١٧٢ .

- د/ فتحي محمد الزعبي : غلاة الشيعة وتأثرهم بالاديان المغايرة للإسلام - اليهودية المسيحية ، المجوسية ص ٧٤ .

- غازي محمد فريج: النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة ص ٩٧ .

- د/ جميل عبدالله المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري ص ٢٤٧ .

١٠ ، و المستشرقين (١) ، وبعض الشيعة (٢) .

- عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني : مكاييد يهودية عبر التاريخ ص ١٦٢ .
- إحسان إلهي ظهير ، في: السنة والشيعة ص ٣١ ، و: الشيعة وأهل البيت ص ١١٧ .
- د/ حمدي عبدالعال: السبئيون مذهبا وغاية ص ١١ .
- د/ سعدي الهاشمي: ابن سبأ حقيقة لا خيال .
- د/ سلمان بن حمد العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام .
- انظر : د/ سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٧٦ - ٩٠ .
- ١ مثل : - فان فلوتن ، في: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ص ٨٠ .
- يوليوس فلهاوزن ، في: الخوارج والشيعة ص ١٧٠ .
- جولد زيهر ، في : العقيدة والمشرقة في الاسلام ص ٢٢٩ .
- إسرائيل فريد لندر ، في : (المجلة الآشورية) - الألمانية - العديدين لعام ١٩٠٩ م ، ص ٣٢٢ ، وعام ١٩١٠م ص ٢٣ .
- رينولد نكلسن ، في : تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الاسلام ص ٣٢٥ .
- دوايت م. روندلسن ، في: عقيدة الشيعة ص ٥٨ .
- انظر : د/ سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٦٣ - ٧٢ .
- ٢ مثل : - محمد باقر الخونساري ، في: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ج ٣ ص ١٤١ .
- الفيض الكاشاني ، في : الوافي ، المجلد الثاني ج ٥ ص ١١٨ .
- عبدالله بن محمد المامقاني ، في : تنقيح المقال في أحوال الرجال ج ٢ ص ١٨٣ .
- محمد تقي التستري ، في : قاموس الرجال ج ٥ ص ٤٦١ - ٤٦٥ .
- محمد حسين المظفري ، في: تاريخ الشيعة ص ١٠ .
- يحيى بن حمزة الزيدي ، في: طوق العمامة في مباحث الإمام ؟
- محمد حسين الأعلمي ، في: دائرة المعارف (مقتبس الأثر ومجدد ما دثر) ؟ .
- عباس بن محمد رضا القمي ، في : الكنى والألقاب ؟ .
- محسن الأمين ، في: أعيان الشيعة .
- انظر: د/ سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٦١ - ٦٢ ، و : د/ سعدي الهاشمي: ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٢٧ - ٢٨ .
- و: د/ إحسان إلهي ظهير: الشيعة والتشيع ص ٦٤ .

أما النافون لتلك الشخصية : فهم الغالبية العظمى من : الشيعة (١) ،
والبعض من : المستشرقين (٢) ، وأهل السنة (٣) .

١ مثل : - د/علي الوردى ، في: وعاظ السلاطين ص ٢٧٣ . وهو صاحب بدعة أن (ابن
السوداء) هو (عمار بن ياسر) - رضي الله عنه - ، لا (عبدالله بن سبأ) ! - انظر : وعاظ
السلاطين ص ٢٧٣ - ٢٧٦ .

- د/كامل مصطفى الشبيبي : في: الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤١ .

- د/ عبدالله الفياض ، في: تاريخ الإمامية ص ٩٥ .

- مرتضى العسكري ، في: عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى ص ٣١٦ .

- محمد جواد مغنية ، في: التشيع ص ١٨ .

- محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، في: أصل الشيعة وأصولها ص ١٦ .

- طالب الرفاعي ، في: التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية ص ٢٠ .

انظر : د/ سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٩٠ .

١٠٣ ، و: د/ سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ١٦ - ٢٤ .

ولعل هذا النفي شبه الجماعي من قبل أولئك الباحثين الشيعة لشخصية (عبدالله بن سبأ) ، هو
بفرض نفي التأثير اليهودي في عقائد الشيعة ! . ولكن أنى لهم ذلك ، وقد اعترف الشيعة
الأقدمون بذلك التأثير . راجع: ص ٥٦١ .

وقد رد على أولئك الشيعة الأستاذ/ إحسان إلهي ظهير - رحمه الله تعالى - ، ودأً مفحماً .

انظر : الشيعة وأهل البيت ص ١١٧ - ١٢٨ ، و: الشيعة والتشيع ص ٦٢ .

حتى قال الأستاذ/ أحمد أمين - رحمه الله تعالى - :

"يذهب بعض الباحثين إلى أن عبدالله بن سبأ رجل خرافي ليس له وجود تاريخي محقق ، ولكنه
لم تر لهم من الأدلة ما يثبت مدعاهم" فجر الإسلام ص ٢٦٩ .

٢ مثل : ليفي ديلافيدا ، في: G Levi Della Vida: (II Cgliffa to di' Ali Secondo

ansab Al-Ashraf di Al-Baladuri), in Rso, anno, vi, volume K i t a b ,
vi, P. 595, Roma, 1913.

- كابتاني ، في: حوليات الإسلام ج ٨ ، الأعوام ٣٣ - ٣٥ هـ ، عام ١٩١٨ م ، ص ٤٢ .

- برنارد لويس ، في: أصول الاسماعيلية ص ٨٦ .

انظر : د/ سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٦٣ .

٧٢ ، و: د/ سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٧ - ٨ .

٣ مثل : - د/ طه حسين ، في: الفتنة الكبرى (عثمان) ص ١٣٢ ، و: علي وبنوه ص ٩٠ .

- د/ محمد كامل حسين ، في: أدب مصر الفاطمية ص ٧ .

- د/ حامد حفني داود ، في: التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية ص ١٨ .

وبناءً على ذلك ، فإن شخصية هذا اليهودي المنافق (عبد الله بن سبأ) شخصية حقيقية لا خيال فيها ، وهذا ما أقرت به (دائرة المعارف اليهودية العامة) ، حين اعترفت بكل ما نسب إليه في تاريخنا الإسلامي (١) من أفكار كفرية ، كما سنرى في الفقرات التالية :

ب - ظهور عبد الله بن سبأ بين المسلمين :

عبد الله بن سبأ يهودي من (صنعاء - اليمن) ، أظهر الإسلام في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، حين سمع عن الخلافات التي بدأت تظهر في المسلمين (٢) ، وأخذ يتنقل من قطر إلى آخر ، محاولاً إضلالهم ، على ما يأتي :

١ - ظهوره في الحجاز :

كانت بداية (عبد الله بن سبأ) بعد إسلامه - المزعوم - في (اليمن) ،

- د/ جواد علي ، في : مجلة (الرسالة) - المصرية - السنة ١٦ ، ج ١٩٤٨ ، عدد ٧٧٨ ، ص ٩١ .

- د/ علي سامي النشار ، في: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ٢٨ .

- د/ محمد عمارة ، في: الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية ص ١٥٤ - ١٥٥ .

- د/ عبدالله السامرائي ، في: القلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص ٨٦ ، إلا أن (السامرائي) يثبت وجود (الأفكار) التي تنسب إلى (عبد الله بن سبأ) ، من غير جزم بوجود صاحبها ،

انظر : د/ سليمان العودة: عبد الله بن سبأ وأثر في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٧٣ -

٨٩ ، و: د/ سعدي الهاشمي: ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٩ - ١٦ .

١ انظر : جواد رفعت أتلخان : الإسلام وبنو إسرائيل ص ٢٠٠ .

٢ انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

أن رحل إلى (الحجاز) قبل عام ٣٠هـ - ٦٥٠م ، ولكنه لم يستطع أن يحقق شيئاً من أهدافه التخريبية فيه ، فتجاوزه إلى البصرة ! (١) .

٢ - ظهوره في البصرة :

حاول (ابن سبأ) أن يفعل شيئاً في (البصرة) ، حين لقي أذنأ صاغية ، ولكن واليها (٢) أخرجه منها ، فاتجه إلى الكوفة ! (٣) .

٣ - ظهوره في الكوفة :

لم يلبث (ابن سبأ) في (الكوفة) طويلاً ، حيث أخرجه أهلها منها عام ٣٣هـ - ٦٥٣م ، إلى (الشام) إلا أن صلته ببعض الكوفيين استمرت قائمة ، من خلال المكاتبات بين الطرفين ! (٤) .

٤ - ظهوره في الشام :

لم يكن لـ (ابن سبأ) دور يذكر في (الشام) (٥) ، لإخراج أهلها له إلى

١ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ ، و: د / سليمان بن حمد العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٤٨ .

٢ هو: عبدالله بن عامر الأموي القرشي - رضي الله عنه - انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٣٦ .

٣ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

٤ انظر : المرجع السابق ج ٤ ص ٣٢٧ و ٣٣١ .

٥ لقد زار (ابن سبأ) الشام لأول مرة عام ٣٠هـ - ٦٥٠م ، قابل خلالها (أبازر الغفاري) - رضي الله عنه - ، حيث يقال إنه هو الذي هيج على أميرها (معاوية بن أبي سفيان) - رضي الله عنهما - . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٨٣ .

ولكن الدكتور / سليمان العودة ينفي هذا التهيج جملة وتفصيلاً . انظر: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٥٠ - ٥١ .

ه - ظهوره في مصر :

اتجه (ابن سبأ) إلى (مصر) عام ٣٤هـ - ٦٥٤م ، واختار النهج الذي يمكنه من الوصول إلى قلوب الناس ، حيث اتخذ من (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (٢) تكأة يعتمد عليها ، وهناك وجد ضالته ، كما سنرى في الفقرة التالية :

ج - آثار عبدالله بن سبأ في إذكاء الفتنة بين المسلمين :

إن (الفتنة) التي نشرها هذا اليهودي المنافق (عبدالله بن سبأ) بين المسلمين ، تتردد بين فكرتين أساسيتين ، هما :

١ - القول بـ (الرجعة) (٣) : حيث أخذ يبشر برجعة لرسول الله ﷺ إلى الحياة ! ، قائلا:

١ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ ، و: د/ سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٤٩ .

٢ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٨ .

٣ إن فكرة (الرجعة) مأخوذة من (العهد القديم) -المحرّف - ، حيث جاء فيه :
«هأنذا أرسل اليكم إيليا النبي قبل مجي يوم الرب اليوم العظيم المخوف»: ملاخي ، اصحاح (٤) فقرة : ٥ .

والمقصود بـ«يوم الرب» : خروج (المسيح المنتظر) ورجوع (إيليا) الذي - يزعم اليهود - رفعه حياً إلى السماء : (انظر : الملوك الثاني : ١/٢١ و ١١) علامة على ذلك .
أما رجوع المسيح (عيسى) - عليه السلام - فهو ما يؤمن به المسلمون - وكذلك النصارى - من خلال النصوص الشرعية الصحيحة ، كما تحدثنا عن ذلك تفصيلاً فيما مضى . راجع ص ٢٥١ .

«لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادِّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (١) ، فمحمدا أحق بالرجوع من عيسى» (٢).

وهدفه من ذلك : تحويل هذه الرجعة - فيما بعد - إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ! (٣)

٢ - القول بـ (الوصية) : (٤) •

فهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلي - رضي الله عنه - ، وأنه خليفته على أمته من بعده (٥) ، حيث يقول :

١ سورة القصص ، آية : ٨٥ •

٢ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ •

و : انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٨ •

٣ راجع : (مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -) ص ٥٥٠ •

٤ إن فكرة (الوصية) مأخوذة من (العهد القديم) - المحرفة - ، حيث جاء فيه :

«ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه قسم له بنو إسرائيل : تنحية ، إصحاح (٣٤) فقرة : ٩ •

٥ لم يثبت نص واحد عن الرسول ﷺ بالوصية لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالخلافة من بعده ، فقد ترك الأمر شورى للمسلمين ، يختارون من يشاؤون ، وهو ما كان في اختيار (أبي بكر الصديق) - رضي الله عنه - بعده بالخلافة • بل إن الإشارات الواردة عن الرسول ﷺ في ذلك ، تدل على رغبة الرسول ﷺ في أن يكون الخليفة أبابكر - رضي الله عنه - • انظر : ابن العربي : العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاته النبوي ﷺ ص ١٨٦ - ١٩٣ •

وفي ذلك يقول (عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) - رضي الله عنهم - ، لما قيل له : «هل فيكم أهل البيت إنسان مقترضة طاعته ؟» ، قال :

«لا ، والله ، ما هذا فينا ، من قال هذا فهو كذاب» : المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٦١ - ٦٢ • ولما ذكرت له (الوصية) ، قال :

«والله ، لمات أبي ، فما أوصى بحرفين ! قاتلهم الله إن كانوا ليتأكلون بنا ؟» : المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٦٢ •

وقد اعترف المؤرخ الشيعي (ابن المرتضى) - وهو من أئمة (الشيعية الزيدية) بذلك ، حيث يقول :-

«ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص في علي جلي متواتر ، ولا في اثني عشر كما زعموا ، وقد مر أن أول من أحدث هذا القول عبدالله بن سبأ ، ولم يظهر قبله» : نقلا عن :

«إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان على وصي محمد ، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء ، وعلى خاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ ، وتناول أمر الأمة» (١).

وتبعاً لذلك ، فإن (ابن سبأ) هو أول من أشهر القول بإظهار البراءة من مخالفتي علي - رضي الله عنه - ، لا الكفار ، وإنما صفوة المسلمين ، يقول المؤرخ الشيعي (النوبختي) (٢):

«وهو [أي ابن سبأ] أول من شهر القول بفرض إمامة علي - عليه السلام - ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفته» (٣).

ومن هنا جاء سبه للصحابية ، ولا سيما الخلفاء الثلاثة ، الذين سبقوا

ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ص ١٣ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د/ حمدي عبدالعال : السبئيون منهجاً وغاية ص ٤٤ - ٥١ .

١ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ .

و: انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٨ .

٢ النوبختي : (؟ - ٣١٠ هـ = ؟ - ٩٢٢ م) هو أبو محمد الحسن بن موسى بن محمد النوبختي . فلكي وفيلسوف ومؤرخ شيعي ، وتدعيه (المعتزلة) - أيضاً - ، من أهل بغداد ، له مؤلفات كثيرة ، أهمها: (فرق الشيعة) ، و(الآراء والديانات) ، و (اختصار الكون والفساد لأرسطاطاليس) ، و (الجزء الذي لا يتجزأ) ، و (الرد على أصحاب التناسخ) ، و (المرايا وجهة الرؤية فيها) ، و (الإنسان) ، و (الفرق والمقالات) ، و (الرد على المنجمين) ، و (النكت على ابن الراوندي) ، و (الرد على الغلاة) . انظر: ابن حجر: لسان الميزان ج ٢ ص ٣١٨ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ٢٢٤ .

٣ إحسان إلهي ظهير: الشيعة والتشيع ص ٧٥ ، نقلاً عن: النوبختي: فرق الشيعة ص ٤٣ - ٤٤ .

و : انظر : القمي : المقالات والفرق ص ٢٠ .

علياً بالخلافة ، وهم : أبوبكر ، وعمر ، وعثمان - رضي الله عنهم - (١) .

وقد التف حول هذا اليهودي المنافق (عبدالله بن سبأ) لفيف من الحاقدين ، وأسسوا فرقة سياسية سرية ، مغلفة بقناع ديني ، عرفت بـ (السبئية) (٢) ، حيث صدرت عنها أحداث جسام هزت (الأمة الإسلامية) في الصميم . ومن أهم تلك الأحداث ما يأتي :

١ - دور عبدالله بن سبأ في مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - :

لقد كانت أول بوادر (الفتنة) التي زرعها (عبدالله بن سبأ) في المسلمين ، هي المطالبة بعزل أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) (٣) - رضي الله عنه - ، وإسناد الأمر إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، نظراً إلى أنه - في زعمه - خاتم الأوصياء ؛ فقد قال (ابن سبأ) لاتباعه :

١ انظر : القمي : المقالات والفرق ص ٢٠ ، و : د / سليمان العوبة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢١١ ، نقلاً عن : النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٤ .
٢ راجع : التعريف بـ (الشيعة) ص ٥٥٦ .

٣ عثمان بن عفان : (٤٧ق.هـ - ٣٥هـ = ٥٧٧ - ٦٥٦م) هو أبو عبدالله عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي القرشي . صحابي ، من كبار الصحابة ، وهو ثالث العشرة المبشرين بالجنة ، وثالث الخلفاء الراشدين ، بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عام ٢٣هـ - ٦٤٤م ، صاحب الفتوحات في أرمينية ، والقوقاز ، وكرمان ، وسجستان ، وخراسان ، وأفريقية ، وقبرص ، يجمع (القرآن الكريم) الجمع الأخير الذي هو عليه الآن . وأول من زاد في (المسجد الحرام) و(المسجد النبوي) ، وأمر بـ (الأذان الأول) لـ (صلاة الجمعة) ، واتخذ (الشرطة) ، شهد المشاهد كلها ، إلا (غزوة بدر) ؛ لانشغاله بتمريض زوجة (رقية) بنت رسول الله ﷺ ، وبعد وفاتها زوجه الرسول ﷺ أختها (أم كلثوم) - رضي الله عنهما - ، ولذا لقب بـ (ذي النورين) . كان عثمان - رضي الله عنه - غنياً سخياً . له في كتب الحديث (١٤٦) حديثاً ، قتله الخارجيون عليه ، وهو يقرأ (القرآن الكريم) في بيته بـ (المدينة) . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٤٥٥ - ٤٥٦ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٢١٠ .

«إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ﷺ ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه» (١) .

وقد ابتدأ (ابن سبأ) معركته مع المسلمين ، بادعاء الاهتمام بـ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، لاستمالة الناس (٢) ، فسلط سهامه الأولى على والي مصر (عمرو بن العاص) (٣) - رضي الله عنه - ، ذلك الرجل الذي سيبطل مخططاته - بالتأكيد - ، حيث أثار عليه الناس ، بقوله : «ماباله أكثركم عطاءً ورزقاً ؟ ، ألا ننصب رجلاً من قريش يسوي بيننا» (٤) .

ثم بدأ يدعو الناس إلى تحقيق أهدافه التي نذر نفسه لها ، فبث دعاته

-
- ١ الطبري: تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠ - ٣٤١ .
و : انظر : ابن كثير البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٨ .
٢ انظر : الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٣٤١ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٨ .
٣ عمرو بن العاص : (٥٠ق.هـ - ٤٣هـ = ٥٧٤ - ٦٦٤م) هو أبو عبدالله عمر بن العاص بن وائل السهمي القرشي . صحابي ، من أعظم دعاة العرب ، كان في (الجاهلية) من الأشداء على الإسلام ، وأسلم في أثناء هدنة (الحديبية) عام ٨هـ - ٦٢٩م ، ولاة الرسول ﷺ إمرة جيش (ذات السلاسل) عام ٨هـ - ٦٢٩م ، ثم استعمله على (عمان) ، ثم كان من أمراء الجيوش في الشام ، حيث افتتح (فلسطين) عام ١٥هـ - ٦٣٦م ، فولاه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عليها ، ثم فتح (مصر) عام ٢٠هـ - ٦٤٠م ، فولاه عليها - أيضاً - ثم عزله عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بعد (أربع سنين) من خلافته ، كان في (الفتنة الكبرى) فيما بين عامي ٣٥ - ٤٠هـ = ٦٥٥ - ٦٦٠م مع معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - ، فولاه (مصر) عام ٣٨هـ - ٦٥٨م . له في كتب الحديث (٢٩ حديثاً) . توفي بـ (القاهرة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٤ - ٧٧ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٢ - ٣ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٧٩ .
|| د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٥٣ ، نقلا عن : ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) ص ١/١٢٤ .
و : انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٩٠ - ١٩١ .

سراً ، في الأمصار ، لإظهار عيوب الولاة (١) ، وأميرهم الذي ولاهم ، حتى انتهى الأمر ، بتجهيز جيش من الثوار ، أحاطوا ب (المدينة) ، حيث تمكنوا - بعد دساتس (٢) من زعماء الفتنة ، ك (الرسائل) (٣) - من قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عام ٣٥هـ - ٦٥٦م (٤).

٢ - دور عبدالله بن سبأ في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -

رضي الله عنه - :

- ١ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤١ .
- ٢ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٦ - ٣٦٥ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٩٤ - ١٩٧ .
- ٣ عن أبي سعيد - مولى أسيد الأنصاري - قال :
«ثم رجعوا إلى الثوار راضين ، فبينما هم بالطرق إذا راكب يتعرض لهم ويفارقهم ، ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ، قالوا : مالك ؟ ، قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ، ففتشوه ، فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان ، عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم ، أو يقتلهم ، أو يقطع أيديهم وأرجلهم ، فأقبلوا حتى قدموا المدينة ، فأتوا علياً ، فقالوا ألم تر إلى عبد الله كتب فينا بكذا وكذا ، وإن الله قد أحل دمه ، فقم معنا إليه ، قال : والله لا أقوم معكم ، قالوا : فلم كتبت إلينا ؟ ، قال : والله ما كتبت إليكم كتاباً ، فنظر بعضهم إلى بعض ، وخرج علي من المدينة ، فانطلقوا إلى عثمان ، فقالوا : كتبت فينا بكذا وكذا ، فقال : إنهما اثنتان : أن تقيموا رجلاً من المسلمين ، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم ، قالوا : قد أحل الله دمك ، ونقضت العهد والميثاق ، وحصروه في القصر - رضي الله عنه - « : تاريخ خليفة بن خياط - واللفظ له - ص ١٦٨ - ١٦٩ ، و : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
- و : انظر : ابن العربي : العواصم من القواصم ص ١٠٩ - ١١٠ و ١٢٥ - ١٢٩ و ١٣٦ .
- ٤ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٦ - ٢١١ .
- و : لمزيد من المعلومات حول (مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه -) .
- انظر : د / سليمان العويدة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ١٥٠ - ١٦٧ ، و : إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ٧٩ - ١٣٣ .

لقد كان هذا اليهودي المنافق (عبدالله بن سبأ) يخطط للقضاء على روح الإسلام في نفوس أتباعه ، فكانت فكرته الأساسية ، هي القول بـ (الوصية) من الرسول ﷺ لـ (على بن أبي طالب) (١) - رضي الله عنه - بالخلافة بعده - كما ذكرنا قبل قليل - (٢) .

فلما آلت الخلافة إلى علي - رضي الله عنه - عام ٣٥هـ - ٦٥٦م اندس (ابن سبأ) في محبيه ، فصار من خلال جماعته (السبئية) يحرك الفتن بين المسلمين ، ومن ذلك :

أ - إشعال الحرب في موقعة الجمل :

لاشك أن جميع الحروب التي وقعت في عهد على بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان سببها غير المباشر - في نهاية الأمر - تلك الفتن التي بثها

١ علي بن أبي طالب : (٢٣ ق . هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١م) هو أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي . صحابي ، من كبار الصحابة ، ابن عم الرسول ﷺ ومربيه في بيته ، وأخوه (من المؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والانصار) ، وأول الناس إسلاما بعد خديجة - رضي الله عنها - ، ورابع الخلفاء الراشدين بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عام ٣٥ هـ - ٦٥٦م ، شهد المشاهد كلها إلا (غزوة تبوك) ؛ لأن الرسول ﷺ خلفه في (المدينة) . زوجه الرسول ﷺ من ابنته (فاطمة) - رضي الله عنه - فولدت له : (الحسن) و (الحسين) و (أم كلثوم) و (زينب) . وعدد أولاده (٢٨ ولدا) ، منهم (١٧ أنثى) ، و (١١ ذكرا) ، أشهرهم بعد (الحسن والحسين) : (محمد بن الحنفية) ، و(العباس بن الكلابية) ، و (عمر بن القلبيبة) - رضي الله عنهم أجمعين - تكاملت في عهده أحداث (الفتنة الكبرى) ، التي نشبت بينه وبين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - ، كما فصلنا ذلك أعلاه . كان أحد الشجعان الأبطال ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء . له في كتب الحديث (٥٨٦ حديثا) ، قتله الخارجي (عبد الرحمن بن ملجم المرادي) وهو ذاهب لصلاة الفجر في (الكوفة) . انظر : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٥٠١ - ٥٠٣ ، والزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

٢ راجع : (آثار عبدالله بن سبأ في إنكاء الفتنة بين المسلمين) ص ٥٣٥.

ذلك اليهودي المنافق (عبدالله بن سبأ) بين المسلمين ، ولكن الاثر المباشر لـ (ابن سبأ) كان في أولها (موقعة الجمل) ، على ما يأتي :

حين علمت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وبيعة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، أعلنت المطالبة بدم عثمان ، والقصاص من كل من اشترك في قتله ، ثم انضم إليها (طلحة بن عبيد الله) (١) و (الزبير بن العوام) (٢) - رضي الله عنهما - ، وبنو أمية ، والولاة الذين عزلهم علي - رضي الله عنه - ، واتفق رأي الجميع على نزول (البصرة) ، حيث استجاب لهم أهلها ، فلما علم علي - رضي الله عنه - دعا أهل (الكوفة) إلى الانضمام إليه ، فاستجابوا له ، فأرسل إلى أهل (البصرة) يفاوضهم على الصلح ، الذي كاد أن يتم ، لولا افساد من اشترك في قتل عثمان -

١ طلحة بن عبيدالله : (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ = ٥٩٤ - ٦٥٦ م) هو أبو محمد طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمي القرشي . صحابي ، من كبار الصحابة ، لقبه الرسول ﷺ بـ (طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض) ، وهو أحد الثمانية السابقين الى الاسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، كان من دهاة (قريش) ، شهد المشاهد كلها الا غزوة (بدر) فقد كان في تجارة له بالشام ، وكان من الثابتين في (غزوة أحد) . له في كتب الحديث (٣٨ حديثاً) . قتل في (موقعة الجمل) ، ودفن في (البصرة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣ - ٤٠ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٢٢٠ - ٢٢٢ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٣ ص ٢٢٩ .

٢ الزبير بن العوام : (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ = ٥٩٤ - ٦٥٦ م) هو أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي . صحابي ، من كبار الصحابة ، ابن عمه الرسول ﷺ وحواريه وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأول من سل سيفه في الاسلام هاجر الهجرتين إلى (الحبيشة) وشهد المشاهد كلها ، كان موسراً ، حيث خلف أملاكاً بيعت بنحو (٤٠ مليون درهم) . كان طويلاً جداً ، إذا ركب تخط رجلاه الأرض . له في كتب الحديث (٣٨ حديثاً) . قتل غيلة ، بعد انصرافه عن المعركة (يوم الجمل) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤١ - ٦٧ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٥٢٦ - ٥٢٨ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٣ ص ٤٣ .

رضي الله عنه - ، لأنهم علموا أن هذا الصلح سيكون على أساس القصاص منهم ، فبيتوا أمرهم على أن ينشبوا القتال فجأة ، قبل تمام الصلح ، يقول (عبد الله بن سبأ) في أعوانه :

«إن عزكم في خلطة الناس ، فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ، ولا تفرغوهم للنظر ، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون» (١) وهذا ماكان ، حيث هجموا على أهل (البصرة) ، ليرد أولئك عليهم بالمثل ، فاخطط الأمر ، وظن أهل (الكوفة) أن أهل (البصرة) غدروا بهم ، كما ظن أهل (البصرة) أن أهل (الكوفة) غدروا بهم ، فحدثت بين الجيشين معركة عنيفة عام ٣٦ هـ - ٦٥٦ م ، عرفت بـ (معركة الجمل) ؛ لأن عائشة - رضي الله عنها - كانت في أثناء المعركة في هودج على جملها .

وقد انتهت تلك المعركة بانتصار على - رضي الله عنه - ، ولكن ذهب ضحيتها طلحة والزبير - رضي الله عنهما - (عشرة آلاف) من المسلمين (٢).

ب - نشأة فرقة الخوارج :

تعتبر نشأة فرقة (الخوارج) (٣) من الأسباب غير المباشرة للفتنة

١ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٩٤ .

و: انظر : ابن العربي : العواصم من القواصم ص ١٥٦ - ١٥٧ .

٢ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٥٦ - ٥٤٧ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٥٧ - ٢٧٨ .

٣ الخوارج : أول فرقة عقديّة سياسية ، ظهرت في التاريخ الإسلامي ، إبان أحداث (الفتنة الكبرى) بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - ذلك أن علياً حين أرغمه بعض أتباعه على تحقيق رغبة معاوية في وقف القتال في (موقعة صفين) عام ٣٧ هـ

التي زرعها (عبد الله بن سبأ) بين المسلمين ، ذلك أن قائد أهل (البشام)
(معاوية بن أبي سفيان) (١) - رضي الله عنهما - حين رفض الازدعان لأمير

٦٥٧م - بعد أن لاح له النصر فيها - والتحاكم إلى كتاب الله تعالى ، رجع بعضهم عن موقفه
في قبول مبدأ (التحكيم) ، وقالوا : (لاحكم الا الله) ، لأن علياً - رضي الله عنه - هو
(الخليفة الشرعي) ، ومعاوية وأنصارهم (الفئة الباغية) ، والقرآن الكريم صريح في الدعوة لقتال
(البغاة) ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفْزِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ : سورة الحجرات ، آية : ٩ .
ومن ثم فعلي - رضي الله عنه - مقطي في رأيهم - عندما قبل (التحكيم) في أمر قد ورد فيه
حكم القرآن الصريح - علماً بأنهم هم الذين أرغموه على ذلك - ، حيث طلبوا منه الرجوع عن
موقفه من (التحكيم) ، والاعتراف بالخطأ ، ومواصلة القتال ، فلما رفض ، خرجوا عليه ،
وباعوا أول إمام في تاريخ (الفرق الإسلامية) لا ينتمي لقبيلة (قريش) ، وهو (عبدالله بن وهب
الراسبي) عام ٢٨ هـ - ٦٥٨م ، حيث توالى ثوراتهم وحروبهم ضد علي ، ومعاوية - رضي الله
عنهما - ، وضد الأمويين ، والعباسيين على امتداد التاريخ الإسلامي . وقد انقسمت حركة
(الخوارج) على نفسها ، واشتهر من فرقها : (الأزارقة) ، و (النجدات) ، و (الصفرية) ، و
(العجاردة) ، و (البهيسية) ، و (الإياضية) ، ولم يبق منها إلا هذه الأخير (الإياضية) في أنحاء
من (عُمان) ، و (زنجبار) ، و (المغرب العربي) ، وللخوارج مجموعة من المبادئ ، أهمها :
١ - الدعوة إلى إمامة الصالح من المسلمين من خلال (الشورى) ، بغض النظر عن نسبه
، وجنسه ، ولونه .

٢ - الثورة المستمرة ، والخروج الدائم ، وتجريد السيف ضد نظم الحكم الجائرة - في
ظنهم - .

٣ - الحكم على مرتكبي (الكبيرة) بالكفر والخلود في النار ، إذا لم يتب .
انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١١٤ - ١٣٨ ، و : أحمد عطية الله : القاموس
الإسلامي ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ ، و : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٦٣١ - ٦٣٣ .
و : لمزيد من المعلومات حول (الخوارج) . انظر : د / سليمان بن عبدالله السويكت :
الخوارج في العصر الأموي ، و : د / عامر النجار : الخوارج - عقيدة وفكر وفلسفة .

١ معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٨٠م) هو معاوية بن أبي سفيان
(صخر) بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي . صحابي ، ولد في (مكة)
، وكان أحد دهاة العرب ، فصيحاً ، حليماً ، وقرراً ، أسلم يوم (فتح مكة) عام ٨ هـ - ٦٢٩م
، فجعله الرسول ﷺ من كتابه . ولما ولي أبو بكر - رضي الله عنه - ولاه قيادة جيش تحت
إمرة أخيه (يزيد بن أبي سفيان) - رضي الله عنهما - ، ولما ولي عمر - رضي الله عنه - جعله
والياً على (الأردن) ، ثم ولاه (دمشق) بعد وفاة أميرها أخيه (يزيد) - رضي الله عنه - جاء

المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، تطور الأمر إلى وقوع معركة بين الفريقين ، على شاطئ الفرات في العراق ، هي (معركة صفين) عام ٣٧هـ - ٦٥٧م ، وعندما لاح النصر فيها إلى جانب علي - رضي الله عنه - ، لجأ أصحاب معاوية - رضي الله عنه - إلى خدعة رفع المصاحف فوق أسنة الرماح ، وقالوا : هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، فقال أهل (العراق) ، خاصة القراء منهم : نجيب إلى كتاب الله ، وحاول علي - رضي الله عنه - حملهم على مواصلة القتال ، موضحاً لهم أن الأمر خدعة ، فخالفوا رأيه ، وأرغموه على وقف القتال ، انتظاراً للتحكيم بين الفريقين ، وفي طريق عودة علي - رضي الله عنه - وأصحابه إلى (العراق) ، انتظاراً لنتائج التحكيم ، إنقسم أصحابه على أنفسهم ، فاعتزله زهاء (اثني عشر ألفاً) ، لقبوله مبدأ (التحكيم) - وهم الذين أرغموه عليه - ، حيث وقعت عام ٣٨هـ - ٦٥٩م بين

عثمان - رضي الله عنه - فجمع له الديار الشامية كلها ، ولما ولي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عزله ، فنادى بالثأر لدم عثمان - رضي الله عنه - واتهم علياً بدمه ، لتتشب الحروب بينهما ، وانتهى الأمر بإمامته على (الشام) ، ولما بويع الحسن بن علي - رضي الله عنهما - بالخلافة بعد مقتل والده ، تنازل حقناً لدماء المسلمين عن الخلافة لمعاوية - رضي الله عنه - عام ٤١هـ - ٦٦١م ، الذي اتخذ من (دمشق) مقراً للخلافة الأموية التي أسسها ، وهي أول دولة ملكية في تاريخ الإسلام . كان معاوية أحد العظماء الفاتحين في الإسلام ، بلغت فتوحاته (المحيط الأطلسي) غرباً ، وبلاد السودان جنوباً ، وهو أول مسلم ركب البحر للغزو ، حيث فتحت في عهده جزائر بحر الروم ، وحاصر (القسطنطينية) براً وبحراً عام ٤٨هـ - ٦٦٨م) ، وأول من اتخذ المقاصير (الدور الواسعة المحصنة) ، وأول من اتخذ الحرس والحجاب في الإسلام ، وأول من نصب (المحراب) في المسجد ، وأول من ضربت في عهده (الدنانير) من المسلمين ، كان طويلاً جسيماً ، يخطب قاعداً . له في كتب الحديث (١٣٠ حديثاً) ، خلفه ابنه (يزيد) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١١٩ - ١٦٢م ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤١٢ - ٤١٤ ، والزركلي : الإعلام ج ٧ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

الفريقين معركة (النهر وان) ، التي انتهت بهزيمتهم (١)٠.

وبذلك نشأت فرقة (الخوارج) (٢) في (المجتمع الإسلامي) .

ج - الغلو في حب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ادعاء ١ :

ذكرنا - قبل قليل - (٣) أن (عبد الله بن سبأ) أندس في محبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، فأرناؤه إليه (٤) ، فصار يثبت في السر - دون علمه - الدعاوى الكفرية الآتية :

١ - دعوى النبوة لنفسه ! ، يقول المؤرخ الشيعي (الكشي) (٥) :

« إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة » ! (٦).

٢ - دعوى نبوة علي - رضي الله عنه - ! ، يقول (الملطي) (٧) - رحمه الله

١ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٧٥ وج ٥ ص ٥ - ٩٢ . و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨١ - ٣٢١ .

٢ لمزيد من المعلومات حول (أثر أهل الكتاب ولاسيما اليهود في فرقة الخوارج) . انظر : د / جميل المصري : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ص ٣٤١ - ٣٤٣ .

٣ راجع : ص ٥٤١ .

٤ انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٥

٥ الكشي : (؟ - ٣٤٠ هـ = ؟ - ١٩٥١ م) هو أبو عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي . نسبة الى (كش) من بلاد (ما وراء النهر) . فقيه ومؤرخ شيعي (إمامي) ، اشتهر بكتابه : (معرفة أخبار الرجال) : انظر : الزركلي : الاعلام ج ٦ ص ٣١١ .

٦ د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٣٣ ، نقلا عن : الكشي : معرفة أخبار الرجال ص ٩٨ .

٧ الملطي : (؟ - ٣٧٧ هـ - ٩٨٧ م) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي العسقلاني . فقيه شافعي ، وعالم بالقراءات . ولد بـ (ملطية) ، ونزل (عسقلان) ، له مؤلفات كثيرة ، من أهمها : (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) . توفي بـ (عسقلان) . انظر : النوري : طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ١١٢ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٥ ص ٣١١ .

تعالى - :

« والصنف الذي يقال لهم السبائية يزعمون أن علياً شريك النبي ﷺ في النبوة ، وأن النبي مقدّم عليه إذا كان حياً ، فلما مات ورث النبوة ، فكان نبياً يوحى إليه ، ويأتيه جبريل - عليه السلام - بالرسالة » (١).

٣ - دعوى ربوبية علي - رضي الله عنه - ! ، يقول (الكشي) :

« [إن] عبدالله بن سبأ ... ادعى الربوبية في أمير المؤمنين » (٢).

٤ - دعوى ألوهية علي - رضي الله عنه - ! ، يقول (الكشي) :

« إن عبدالله بن سبأ كان يدّعي النبوة وزعم أن أمير المؤمنين - عليه السلام - هو الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين - عليه السلام - ، فدعاه ، وسأله ، فأقر بذلك (٣) ، وقال : نعم أنت هو ، وقد كان ألقى في روعي أنك أنت الله وأني نبي ، فقال له أمير المؤمنين - عليه السلام - : ويلك قد سخر منك الشيطان ، فأرجع عن هذا ، ثكلتك أمك وتب ، فأبى ، فحبسه واستتابه ثلاثة أيام ، فلم يتب ، فأحرقه بالنار . والصواب أنه نفاه الى المدائن بعد أن شفع له » (٤) .

وقد ترتب على هذه الدعوى الأخيرة (الألوهية) التي صرفها (ابن

١ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٥٨ .

و : انظر : د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢١١ ، نقلا عن : المامقاني : تنقيح المقال في أحوال الرجال ج ٢ ص ١٨٣ .

٢ د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٧٢ - ٧٣ ، نقلا عن : الكشي : معرفة أخبار الرجال ص ١٠٠ .

٣ الصحيح أن (ابن سبأ) لم يجاهر بدعوى (الألوهية) أمام علي - رضي الله عنه - ، كما جاهر أتباعه ، ولذلك حرقهم ، أما هو فنفاه - على الراجح - والله أعلم .

٤ د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٣٣ - ٣٤ ، نقلا عن : الكشي : معرفة أخبار الرجال ص ٩٨ .

سباً) إلى علي - رضي الله عنه - ما يأتي :

أ - ما تزعمه (السبئية) من أن علياً - رضي الله عنه - قادر على إحياء الموتى ! (١) ، حيث يزعمون أنه كان راضياً عن عن مقولتهم بـ (ألوهيته) ، ولكنه حرقهم (٢) ؛ لأنهم أفسدوا السر ، ثم أحياهم بعد ذلك ! (٣) .
ب - ما تزعمه (السبئية) من أن علياً - رضي الله عنه - يعلم الغيب ! (٤) .
حيث يروى الثقات - عندهم - ، وهم في الحقيقة كاذبون ، عن علي - رضي الله عنه - رضي الله عنه - أنه قال :

« ولقد أعطيت الست : علم المنايا ، والبلايا ، والوصايا ، وفصل الخطاب ، واني لصاحب الكرات (٥) ، ودولة الدول ، واني لصاحب العصا والميسم (٦) ، والدابة التي تكلم الناس » ! (٧) .

ج - ما تزعمه (السبئية) من أن الرسول ﷺ كتم (تسعة أعشار) القرآن الكريم ، وعلمه عند علي - رضي الله عنه - ! (٨) حاشا رسول الله ﷺ عن ذلك .

-
- ١ انظر : ابن حبان : المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ج ٣ ص ٨ ، و : الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٦١ .
 - ٢ راجع : ص ٥٤٩ .
 - ٣ انظر : الهمداني : تثبيت دلائل النبوة ج ٢ ص ٥٤٩ - ٥٥٠ .
 - ٤ انظر : القمي : المقالات والفرق ص ٢١ .
 - ٥ الكرات : أي الرجعات إلى الدنيا . انظر : الكليني : الأصول من الكافي ، تعليق المحقق : علي أكبر الغفاري ج ١ ص ١٩٨ .
 - ٦ الميسم : المكواة ، التي ترسم بها الدواب . انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط (مادة الوسم) ج ٤ ص ١٨٦ .
 - ٧ الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ١٩٨ .
 - ٨ انظر : د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢٠٧ ، نقلا عن : الجوزجاني : الضعفاء (مخطوط) ق ٣ / ب .

وقد تحولت هذه الدسائس التي بثها (ابن سبأ) من همسات سرية إلى أقوال علنية ، يرددها المتأثرون من فرقته (السبئية) ، فرُفع أمرهم إلى الخليفة أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب - رضي الله عنه - ، (١) فجمعهم، وجادلهم بالتي هي أحسن (٢) ، فلما لم يرتدعوا ، نكل بهم أشد تنكيل ، وذلك بحرقهم (٣) أحياءاً بالنار ؛ لردتهم (٤) عن الإسلام ، وهمّ بقتل زعيمهم (ابن سبأ) (٥) ، ولكن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أشار

١ انظر : ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٢ ص ٢٧٠ .

٢ انظر : المرجع السابق ج ١٢ ص ٢٧٠ .

٣ انظر : ابن حجر : فتح الباري ج ١٢ ص ٢٧٠ ، و : الكيني : الأصول من الكافي : ج ٧ ص ٢٥٧ - ٢٥٩ .

و : لمزيد من المعلومات حول (إحقاق السبئية) . انظر : د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢١٤ - ٢١٩ .

و : قد أوردت كتب الحديث حادثة إحقاق علي - رضي الله عنه - لطائفة من الناس ارتدوا عن الإسلام . انظر : صحيح البخاري : (كتاب الجهاد والسير «٥٦») ، (باب لا يعذب بعذاب الله «١٤٩») ج ٤ ص ٢١ ، و : سنن أبي داود : (كتاب الحدود) ، (باب الحكم فيمن أرتد) حديث رقم (٤٣٥١) ج ٤ ص ١٢٦ ، و : سنن الترمذي : (كتاب الحدود «١٥») ، (باب ما جاء في المرتد «٢٥») حديث رقم (١٤٥٨) ج ٤ ص ٥٩ ، و : مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢١٧ .

٤ يزعم السبئيون أن علياً - رضي الله عنه - كان راضياً عن مقتلهم بـ (ألوهيته) ، ولكنه أحرقهم ؛ لأنهم أفشوا السر ، وفي ذلك يقول الهمداني - رحمه الله تعالى - :

« والشيع الذين يقولون بقوله [أي بمقولة ابن سبأ] ... يقولون : أمير المؤمنين كان راضياً بقوله ويقول الذين حرقهم ، وإنما أحرقهم ؛ لأنهم أظهروا السر ، ثم أحياهم بعد ذلك » : تثبيت دلائل النبوة ج ٢ ص ٥٤٩ - ٥٥٠ .

ثم قالوا في أثناء عملية الإحقاق :

« الآن علمنا أنك إله ؛ لأن النار لا يعذب بها إلا الله » : البغدادي : الفرق بين

الفرق ص ٢٢٥ .

٥ انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ ، و : د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره

في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢١٨ ، نقلا عن : الجوزجاني : الضعفاء (مخطوط) ق ٣

/ ب ، و : د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٥١ - ٥٣ ، نقلا عن : ابن

عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) -

عليه بعدم قتله (١) ، ولعله لم يجاهر بمقولته فيه أمامه (٢) ؛ لأنه لا يعتقدها ، كما جاهر بها أتباعه ، لاعتقادهم إياها ، أو لعله تظاهر بالتوبة ، ليتابع دسائسه (٣) ، ففناه - على الراجح (٤) - إلى (ساباط المدائن) (٥) .

ولكن (ابن سبأ) ظل يبث ضلالاته - من هناك - سرّاً ، حتى قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، كما سنرى في الفقرة التالية :

د - مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :

لقد كانت المحصلة النهائية لهذا الانقسام الذي حدث في (الامة الإسلامية) ، أن دبّر (الخوارج) - وكانوا قبلاً من شيعة علي - مؤامرة لقتل من يسمونهم زعماء الفتنة (علي بن أبي طالب) - رضي الله عنه - في (الكوفة - العراق) ، و (معاوية بن أبي سفيان) - رضي الله عنه - في (دمشق - الشام) ، و (عمرو بن العاص) - رضي الله عنه - في (الفسطاط -

١ انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ ، و : القمي : المقالات والفرق ص ٢٠ .

٢ انظر : الهمداني : تثبيت دلائل النبوة ج ٢ ص ٥٥٠ .

٣ انظر : د / عبدالرحمن الميداني : مكائد يهودية ص ١٦٩ .

٤ انظر : د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢١٨ .

٥ نقلا عن : الكشي : معرفة أخبار الرجال ص ٩٨ - ١٠٠ ، و : المامقاني : تنقيح المقال ج ٢ ص ١٨٤ .

٥ انظر : الهمداني : تثبيت دلائل النبوة ج ٢ ص ٥٤٩ ، و : البغدادي : الفرق بين الفرق ص

٢٣٥ ، و : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ ، و : الكرمانلي : الفرق الإسلامية (ذيل

كتاب شرح المواقف) ص ٥٣٤ و : ابن حجر : لسان الميزان ج ٣ ص ٢٩٠ ، و : القمي :

المقالات والفرق ص ٢٠ ، و : د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٦٤ ، نقلا

عن : النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٤ .

مصر) ! (١).

ولم ينجح في هذه المؤامرة الا الخارجي (٢) (عبدالرحمن بن ملجسم) (٣) ، الذي تمكن من قتل أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) - رضي الله عنه - في (الكوفة) عام ٤٠ هـ - ٦٦٠ م ! (٤).

وقد ترتب على مقتل علي - رضي الله عنه - توالى مجموعة من العقائد الخطيرة الأخرى ، التي بثها (عبدالله بن سبأ) في اتباعه (السبئية) ، ومن أهمها :

١ - الرجعة : حيث يعتقدون رجوع الأموات إلى الدنيا ! ، وكان مبدؤها - كما ذكرنا قبل قليل - قول (عبدالله بن سبأ) :

١ انظر : الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٥ ص ١٤٣ و ١٤٩ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦١ و ٣٦٤ - ٣٦٥ .

٢ يقول الدكتور / جميل عبدالله المصري :

« وابن ملجم هو عبدالرحمن بن ملجم المرادي ، وهو من تجوب من حمير ، وعداده في مراد من كنده . ولا أستبعد يهودية ابن ملجم الحميري ، فحمير عرفت بكثرة يهودها ، ومنهم عبدالله بن سبأ .» : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ص ٣٣٨ .

٣ عبدالرحمن بن ملجم : (؟ - ٤٠ هـ = ؟ - ٦٦٠ م) ، هو عبدالرحمن بن ملجم المرادي القدولي الحميري . فاتهك ثائر ، من اشداء الفرسان ، أدرك الجاهلية ، ورحل من (اليمن) إلى (الحجاز) في خلافة عمر - رضي الله عنه - ، فقرأ على معاذ بن جبل - رضي الله عنه - ، فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة ، ثم شهد (فتح مصر) عام ٢٠ هـ - ٦٤٠ م ، فسكنها ، كان من شيعة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وشهد معه (موقعة صفين) عام ٣٧ هـ - ٦٥٧ م ، ثم خرج عليه ، حتى تمكن من قتله في (الكوفة) - كما فصلنا ذلك أعلاه - ، وقد اقتصر الحسن بن علي - رضي الله عنهما - منه ، حيث قطعت يداه ورجلاه ، وهو لا ينفك عن ذكر الله تعالى ، فلما عمدوا إلى لسانه شق ذلك عليه ، حيث قال : وددت أن لا يزال فمي بذكر الله رطباً ، ثم أجهزوا عليه . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٣ - ٤٠ ، و : الزركلي : الاعلام ج ٣ ص ٣٣٩ .

٤ انظر : الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٥ ص ١٤٣ - ١٥٢ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٧ - ٣٦٦ .

«لعب من يزعج أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ... ،
فمحمداً أحق بالرجوع من عيسى !» (١) .

والهدف تحويل تلك (الرجعة) إلى علي - رضي الله عنه - ، حيث
يعتقدون برجوعه (٢) إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، فيملؤ الأرض عدلاً كما
ملئت جوراً ! (٣) .

ومن مقتضيات عقيدة (الرجعة) - عندهم - القول بأن علياً - رضي الله
عنه - ، حي لم يموت حقيقة (٤) ، ولن يموت حتى يملك الأرض ، ولذلك كذب
(ابن سبأ) من بلغه نعي علي - رضي الله عنه - ! ، يقول المؤرخ الشيعي
(النوبختي) :

« ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن ، قال للذي نعاه كذبت ، لو
جئتنا بدماعه في سبعين صرة ، وأقمت على مقتله سبعين عدلاً ، لعلمنا أنه لم
يمت ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض ! » (٥) .

١ راجع : ص ٥٣٦ .

٢ لقد وضع (الشيعة) على الرسول ﷺ حديثاً ، نسبوه إلى (جعفر الصادق) - رحمه الله
تعالى - ، جاء فيه :

« انتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين وهو نائم في المسجد ... ، ثم قال : يا علي إذا
كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك ! » راجع : هذا
الحديث الموضوع كاملاً ، ص ٥٥٤ .

٣ انظر : الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ١ ص ٨٦ ، و : القمي : المقالات
والفرق ص ١٩ ، و : محمد هديق حسن خان : خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب
والأديان ص ٣٣ و ٤٤ .

٤ يعتقد السبئيون أنهم لا يموتون - أيضاً - موتاً حقيقياً ، وإنما تطير أرواحهم ، ولذلك كان من
أسمائهم : (الطيارة) ! انظر : المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٢٩ .

٥ د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٦٧ ، نقلاً عن : النوبختي : فرق الشيعة ص
٤٣ .

و : انظر : القمي : المقالات والفرق ص ٢٠ - ٢١ ، و : الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٨١ ،
و : ابن حبان : المجروحين ج ١ ص ٢٩٨ ، و : الهمداني : تثبیت دلائل النبوة ج ٢ ص ٥٤٩ ،
و : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ .

ثم يعلن أن المقتول ليس علياً - رضي الله عنه - ، وإنما هو شيطان ،
تصور للناس في صورة علي (١) - رضي الله عنه - ، حيث يقول :
«كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى ، كذلك كذبت
النواصب (٢) والخوارج في دعواها قتل علي» (٣).
ويعلل السبثيون اختفاء علي - رضي الله عنه - بـ (الغيبة) (٤) ، ومن
هنا كانوا يعتقدون : - أن البرق سوطه ، والرعد صوته (٥) ، وأنه في
السحاب (٦) ، ولذلك إذا نشأت سحابة بيضاء صافية منيرة مبرقة مرعدة ،
قاموا إليها يبتهلون ويتضرعون (٧) ، ويقولون : (عليك السلام يا أمير
المؤمنين) (٨).

- أنه دابة الأرض ، حيث يقول (ابن سبأ) لـ (علي) - رضي الله عنه -
لما بويع بالخلافة :

-
- ١ انظر : الكرمانى : الفرق الإسلامية ص ٣٤ .
 - ٢ المقصود بـ (النواصب) عند (الشيعة) : أهل السنة ، الذين ناصبوا علياً - رضي الله عنه -
العداء ، في زعمهم ، قاتلهم الله تعالى .
 - ٣ البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
 - ٤ انظر : الكرمانى : الفرق الإسلامية ص ٣٤ .
 - ٥ انظر : الملطى : التنبيه والرد ص ١٨ ، و : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ ، و :
الكرمانى : الفرق الإسلامية ص ٣٤ ، و : محمد خان : خبيئة الاكوان ص ٣٣ و ٤٤ .
 - ٦ انظر : المقدسى : البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٢٩ ، و : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ ،
و : الكرمانى : الفرق الإسلامية ص ٣٤ ، و : محمد خان : خبيئة الاكوان ص ٣٣ و ٤٤ .
 - ٧ انظر : الملطى : التنبيه والرد ص ١٨ .
 - ٨ انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ ، و : الكرمانى : الفرق الإسلامية ص ٣٤ .

« أنت دابة (١) الأرض » (٢) .

ولذلك وضعوا حديثاً على الرسول ﷺ نسبوه (٣) إلى (جعفر الصادق) - رحمه الله تعالى - ، أنه قال :

« انتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه ، فحركه برجله ، ثم قال له : قم يا دابة الله ، فقال رجل من أصحابه يا رسول الله : أيسمي بعضنا بعضاً بهذا الاسم ؟ ، فقال : لا والله ، ما هو إلا له خاصة ، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ (٤) ، ثم قال : يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ، ومعك ميسم تسم به أعداءك » (٥) .

١ يشير إلى الآية الكريمة ، التي سترد في النص التالي أعلاه .

٢ د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٤٠ ، نقلاً عن : ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) .

و : انظر : الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ١٩٨ ، و : الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٢٠ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

٣ هذه الرواية ، كغيرها من الروايات الكثيرة التي ينسبها (الشيعة) زوراً وبهتاناً إلى (جعفر الصادق) - رحمه الله تعالى - ، ذلك الرجل الذي أخذ عنه كثير من السلف الصالح ، وعلى رأسهم الإمامان : أبو حنيفة ومالك - رحمهما الله تعالى - . ولمزيد من المعلومات عنه . راجع : ترجمته : ص ٥٧٠ .

٤ سورة النمل ، آية : ٨٢ .

٥ د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٤١ ، نقلاً عن : تفسير القمي ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١ .

و : انظر : الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٢٠ ص ٢٥١ .

٢ - الحلول : حيث يعتقدون حلول روح الله تعالى في علي - رضي الله عنه - ، ولذلك جعلوه (إلهاً) ! (١) - تعالى الله عما يعتقدونه الظالمون علواً كبيراً - .

٣ - التناسخ : حيث يعتقدون تناسخ الجزء الإلهي الذي حل في علي - رضي الله عنه - من إمام إلى إمام (٢) .

وبعد فهذه أهم العقائد التي قالت بها (السبئية) في حق علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، في حياته : قبل وصوله (الخلافة) ، وفي أثنائها ، وبعد مماته ، فهل لتلك العقائد وجود في (الشيعة) ، الذين يدعون حب علي - رضي الله عنه - ، ويتبرعون من (السبئية) ؟ ، هذا ما سنعرفه في الفقرة التالية :

هـ - علاقة التشيع باليهودية :

ذكرنا - قبل قليل - (٣) أن (التشيع) لـ (علي بن أبي طالب) - رضي الله عنه - ، قد ابتدأ قبل أن يصل إلى (الخلافة) ، وذلك من خلال

١ انظر : المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٢٩ ، و : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٢ ، و : الكرمانلي : الفرق الإسلامية ص ٣٤ ، و : د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢١٣ ، نقلاً عن : محمد جواد مغنية : مع الشيعة الإمامية ص ٣٩ - ٤٠ .

٢ انظر : المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٢٩ ، و : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ ، و : د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢١٣ ، نقلاً عن : محمد جواد مغنية : مع الشيعة الإمامية ص ٤٠ .

٣ راجع : ص ٥٣٨ .

الفكرة اليهودية (١)، التي بثها (عبدالله بن سبأ) ، في مسألة (الوصية) من الرسول ﷺ لعلي - رضي الله عنه - من بعده بالخلافة ! .

وقد تبلور هذا الأمر - في نهاية الأمر - بتسلل (العقائد السبئية) - التي ذكرنا طرفاً منها فيما مضى (٢) - إلى فرق (الشيعة) (٣) ، على

١ يزعم بعض علماء الشيعة : أن الرسول ﷺ هو الذي وضع أصول (التشيع) لعلي - رضي الله عنه - ، بينما يزعم بعضهم : أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم الذين وضعوه بعد تمتع بعضهم عن مبايعة أبي بكر - رضي الله عنه - . ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د / فتحي الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالاديان المغايرة للإسلام ص ٢٣ - ٢٧ . ولكن (التشيع) الذي نتج عنه فرق (الشيعة) المعروفة - حالياً - ، إنما هو نتاج (السبئية) ، بزعامة اليهودي المنافق (عبدالله بن سبأ) ، في عهد عثمان - رضي الله عنه - ، كما فصلنا ذلك أعلاه .

٢ راجع : (آثار عبدالله بن سبأ في إذكاء الفتنة بين المسلمين) ص ٥٣٣ ، و : (الفلــو في حب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ادعاء) ص ٥٤٦ ، و : (مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -) ص ٥٥٠ .

٣ الشيعة : الشيعة مصطلح مشتق من (المشايعة) وهي : المتابعة والمناصرة ، ويراد به : شيعة علي بن أبي طالب وآل بيته - رضي الله عنهم - ، الذين قالوا بأحقية علي ثم أبنائه وأحفاده - من بعده - بـ (الإمامة) بعد الرسول ﷺ ، على خلاف فيمن وضع أصول (التشيع) ، والراجع أن (التشيع) - بمعناه المعروف حالياً - هو نتاج (السبئية) - كما فصلنا ذلك أعلاه - . وقد اختلفت (الشيعة) بعد مقتل الحسين بن علي - رضي الله عنهما - عام ٦١ هـ - ٦٨٠م إلى عدة فرق ، أهمها :

١ - الغلاة : وهم فرق كثيرة ، أهمها :

أ - السبئية : وهم الذين بدأوا فكرة (التشيع) ، بمعناه المعروف حالياً ، بقيادة اليهودي المنافق (عبدالله بن سبأ) ، الذي تنسب إليه السبئية - كما ذكرنا قبل قليل - .

ب - الكيسانية : وهم فرق كثيرة ، أهمها : ١ - المختارية ، ٢ - الأبوعمرية ، ٣ - الكربية ٤ - الحربية ٥ - البينانية ، ٦ - الجناحية .

ج - الإسماعيلية : وهم فرق كثيرة ، أهمها : ١ - القرامطة ، ٢ - الفاطمية ، ٣ - الدروز ، ٤ - الحشاشون ، ٥ - البهرة ، ٦ - الاغاخانية .

٢ - الإمامية : وهم القاطنون بإمامة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعد الرسول ﷺ نصاً ظاهراً ، ثم أبنائه وأحفاده من بعده ، وعددهم (اثنى عشر) إماماً ، هم : ١ - علي ، ٢ - الحسن ، ٣ - الحسين ، ٤ - زين العابدين ، ٥ - الباقر ، ٦ - الصادق ، ٧ - الكاظم ، ٨ -

خلاف بينها في مقدار ما تسلل إليها بين الغلاة والمعتدلين !
ولذلك نرى بعض معتقدات (الشيعة) ، توافق (١) بعض معتقدات
(السبئية) ، كما يوضحها الجدول الآتي :

المعتقدات السبئية (اليهودية)	المعتقدات الشيعية (الرافضية)
✽ الرجعة : أي رجعة علي - رضي الله عنه - إلى الدنيا قبل يوم القيامة ! (٢) .	✽ جاء في (أوائل المقالات في المذاهب المختارات) : «وافقة الإمامية» (٣) على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل

الرضا ، ٩ الجواد ، ١٠ - الهادي ، ١١ - العسكري ، ١٢ - المهدي .
ومن أسماء هذه الفرقة : (الاثني عشرية) ؛ لاعتقادهم إمامة (اثني عشر) إماما - كما
قدمناه - . و (الرافضة) ؛ لرفضهم إمامة الخلفاء الثلاثة السابقين على علي - رضي الله عنه
- ، وهم : أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - . و (الجعفرية) ، نسبة إلى (جعفر
الصادق) الإمام السادس الذي وضع - في زعمهم - أصول (المذهب الفقهي الجعفري) ، و
(الإمامية) هم أكثرية (الشيعة) في العالم .

٣ - الزيدية : وهم أتباع (زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) - رضي الله
عنهم - ، الذين ساقوا الإمامة في نسل الحسن والحسين - رضي الله عنهما - ، وهم يعترفون
بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - ، مع أحقية علي - رضي الله عنه - عليهم
بالخلافة . وهم من أقرب (الفرق الشيعية) إلى أهل (السنة) ، وموقعهم في (اليمن) .
انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٤ - ١٩٨ ، و : د / فتحي الزغبي : غلاة
الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ١٩ - ٣٤٩ ، و : أحمد عطية الله : القاموس
الإسلامي ج ٤ ص ٢١٧ - ٢١٩ .

١ انظر : د / سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص
٢٣٢ - ٢٣٤ ، و : إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ٣٣١ - ٣٩٩ .

و : لمزيد من المعتقدات المتوافقة بين (السبئية) و (الشيعة) : انظر : د / حمدي عبدالعال
: السبئيون منهجاً وغاية ص ٣٦ - ٧٦ .

٢ راجع : ص ٥٣٥ .

٣ راجع : التعريف بـ (الشيعة) ص ٥٥٦ .

المعتقدات السبئية (اليهودية)	المعتقدات الشيعية (الرافضية)
	يُـوم القِيَامَة ، وإن كان بينهم في معنى الرجعة خلافاً ! (١) .
❦ الوصية : أي وصية الرسول ﷺ - لعلي رضي الله - بالخلافة من بعده ! (٣) .	❦ جاء في (الأصول من الكافي) (٢) : «فكان علي - عليه السلام - وكان حقه الوصية التي جعلت لـه ، والاسم الأكبر ، وميراث العلم ، وآثار علم النبوة» ! (٤) .
❦ الألوهية : ومن لوازمها - علم علي - رضي الله عنه - للغيب ! (٥) .	❦ من لوازم الألوهية : - جاء في (الأصول من الكافي) : «إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم» ! (٦) .

- ١ د/ سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢٣٣ ، نقلا عن : المفيد : أوائل المقالات في المذاهب المختارات ص ٥١ .
 - ٢ (الأصول من الكافي) للكليني : هو أصح الكتب عند (الشيعة) ، ومنزلة - عندهم - تفوق منزلة (صحيح البخاري) عند أهل (السنة) ، لأن منهم من يقدمه على (القرآن الكريم) ! .
 - ٣ راجع : ص ٥٣٦ .
 - ٤ الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٩٤ .
 - ٥ راجع : ص ٥٤٨ .
 - ٦ الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٥٨ .
- وقد عقد الكليني - بعد ذلك - بابا ، عنوانه : (أن الأئمة - عليهم السلام - يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم » ! : الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٥٨ .
- ويقول (الخميني) زعيم (الشيعة) المعاصرين :
- « إن للإمام مقاماً محموداً ، ودرجة سامية ، وخلافة تكوينية ، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ، وإن من ضرورات مذهبنا أن لائمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل » ! : الحكومة الإسلامية ص ٤٧ .

المعتقدات السبئية (اليهودية)	المعتقدات الشيعية (الرافضية)
<p>- علم علي - رضي الله عنه - لـ (تسعة أعشار) القرآن الكريم ، التسي كنمها الرسول ﷺ ! ، (١) - فيما يزعمون - .</p>	<p>- جاء في (الأصول من الكافي) رواية منسوبة إلى جعفر الصادق) - رحمه الله تعالى - أنه قال : «إن عندنا لمصحف فاطمة (٢) - عليها السلام - ، قال [أي الراوي] : قلت : وما مصحف فاطمة - عليها السلام - ، قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما ما فيه من قرآنكم حـرف واحد ! » (٣) .</p>
<p>سب الصحابة ، ولا سيما الخلفاء الثلاثة ، الذين تولوا الخلافة قبل علي - رضي الله عنه - ، وهم : أبو بكر وعمر وعثمان</p>	<p>جاء في (الأصول من الكافي) عندما يزعمونه من قول الله تعالى : (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم) (٤) :</p>

١ راجع : ص ٥٤٨ .

٢ المقصود : (فاطمة بنت رسول الله ﷺ) راجع : ترجمتها ص ٥٦٤ .

٣ إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقرآن ص ٣٢ ، نقلا عن : الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٣٩ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقرآن .

٤ الملاحظ أن هذا النص دمج لآيتين كريميتين من كتاب الله تعالى ، هما :
قوله سبحانه :

﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾ : سورة
النساء ، آية : ١٣٧ .

وقوله سبحانه :

﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون﴾ : سورة آل
عمران ، آية : ٩٠ .

المعتقدات السبئية (اليهودية)	المعتقدات الشيعية (الرافضية)
- رضي الله عنهم - ! (١) .	«إنها نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا بالنبي ﷺ في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية» ! (٢)
❦ البداء : وهو من معتقدات (السبئية) ، الذين يلزم منه ظهور ما كان خافياً على الله ! (٣) - تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً - (٥)	❦ جاء في (الأصول من الكافي) - بعد أن عقد فيه (كتاب التوحيد) (باب البداء) - (٤) : « لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فـتـروا عن الكلام فيه » ! (٦) .

١ راجع : ص ٥٣٧ .

٢ الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٢ .

والمقصود بـ (فلان وفلان وفلان) : أبوبكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - ، كما أبان ذلك شارح الكافي ! . انظر : د/ سليمان العودة : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢٣٤ ، نقلاً عن : الصافي شرح الكافي .

وجاء في (أوائل المقالات في المذاهب المختارات) :

«واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحريهم أمير المؤمنين - عليه السلام - ، وأنهم بذلك في النار مخلدون » ! . د/ سليمان العودة . عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢٣٤ ، نقلاً عن المفيد : أوائل المقالات في المذاهب المختارات ص ٤٨ .

و : لمعرفة شيء من سب (الخميني) إمام الشيعة المعاصرين لأبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - . انظر : إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ٣٤٣-٣٤٦ .

٣ انظر : الملطي : التنبيه والرد ص ١٩ ، و : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٦ .

٤ انظر الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ١٤٦ .

٥ راجع : (مفهوم البداء) ص ٣٠٥ .

٦ الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ١٤٨ .

وهذا (أي تسلل المعتقدات السبئية اليهودية (١) إلى الفرق الشيعية
الرافضية) ، هو ما ألمح إليه بعض (٢) مؤرخي الشيعة ، بعد أن ذكروا
يهودية (عبد الله بن سبأ) ، وبعض عقائده التي أخذ بها (الشيعة) ! :
يقول (القمي) : (٣)
« فمن ها هنا قال من خالف الشيعة : إن أصل الرفض مأخوذ من
اليهودية » (٤).

ومثله يقول (النوبختي) : (٥)
« فمن هنا قال من خالف الشيعة : إن أصل الرفض مأخوذ
من اليهود » (٦).

-
- ١) لمزيد من المعلومات حول (أثر اليهود في فرق الشيعة) . انظر : د/ جميل المصري : أثر أهل
الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ص ٣٦١ - ٤١٠ ، و : د/ فتحي
الزغبني : غلاة الشيعة وتأثرهم بالاديان المغايرة للإسلام ص ٣٥٧ - ٤٤٨ .
 - ٢) أما علماء أهل (السنّة) فهم مطبقون على أن (التشيع) مأخوذ من أصل يهودي ، ومثالا على ذلك
يقول شيخ الاسلام (ابن تيمية) - رحمه الله تعالى :
« إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق (عبدالله بن سبأ) ، فإنه أظهر الاسلام وأبطن اليهودية » :
مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٨٣ .
 - و : لمزيد من المعلومات حول أقوال أهل (السنّة) في هذا الموضوع . انظر : د/ سليمان
المعوية : عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٢٣٥ .
 - ٣) القمي : (؟ - ٣٠٠ هـ = ؟ - ٩١٣ م) هو أبو القاسم سعد بن عبدالله الأشعري القمي . فقيه
ومؤرخ شيعي ، سافر كثيراً في طلب (الحديث) له مؤلفات كثيرة ، من أهمها : (المقالات والفرق)
و (مناقب رواية الحديث) ، و (مثالب رواية الحديث) ، و (فضل قم والكوفة) ، و (فضل العرب)
، و (المنتخبات) ، و (الرد على الغلاة) . انظر : الزركلي : الاعلام ج ٣ ص ٨٦ .
 - ٤) المقالات والفرق ص ٢٠ .
 - ٥) راجع : ترجمة (النوبختي) ص ٥٣٧ .
 - ٦) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ٧٥ ، نقلا عن : النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٤ .

ويقول (ابن المرتضى) (١) :

«وأما الرافضة فحدث مذهبهم بعد مضي الصدر الأول ، ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص في علي جلي متواتر ، ولا في اثني عشر كما زعموا ، وقد مر أن أول من أحدث هذا القول عبد الله بن سبأ ، ولم يظهر قبله» (٢) .

وهذا ما صرح به المستشرق الألماني (يوليوس فلهاوزن) (٣) ، حيث

يقول :

«إن مذهب الشيعة الذي ينسب إلى عبد الله بن سبأ على أنه مؤسسه ،

١ ابن المرتضى : (٧٧٥ - ٨٤٠ هـ = ١٣٧٣ - ١٤٣٧ م) هو أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل بن منصور الحسيني الهاشمي القرشي . من أئمة (الشيعة الزيدية) ، ولد في (دمار - اليمن) وبويع بالإمامة بعد موت (الناصر) عام ٧٩٣ هـ - ١٣٩١ م في (صنعاء) ، ولقب بـ (المهدي لدين الله) ، وقد بويع في اليوم نفسه لـ (المنصور علي بن صلاح الدين) ، فنشبت فتنة ، انتهت بأسر (ابن المرتضى) ، وحبسه في (قصر صنعاء) فيما بين عامي ٧٩٤ - ٨٠١ هـ = ١٣٩٢ - ١٣٩٩ م ، حيث تمكن من الفرار ، فعكف على التصنيف ، إلى أن توفي ، من كتبه : (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) ، وله شرح عليه ، عنوانه : (غايات الأفكار ونهايات الأنظار المحيطة بمعجائب البحر الزخار) ، ويحتوي على كتاب ، سماه : (المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل) . ومن هذا الأخير اختزل المستشرق الألماني (سوستة ديفلد فلز) كتاباً ، سماه (طبقات المعتزلة) . ولـ (ابن المرتضى) مصنفات كثيرة في الفقه ، والفرض ، وأصول الفقه ، وأصول الدين ، واللغة العربية ، والمنطق ، والتاريخ . توفي في (جبل حجة) غربي (صنعاء) . انظر : الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٢٦٩ .

٢ طبقات المعتزلة ص ١٣ .

٣ يوليوس فلهاوزن : (١٨٤٤ - ١٩١٨ م = ١٢٦٠ - ١٣٣٦ هـ) مستشرق ألماني كان من أساتذة (مدرسة غوتنجن) . صنف المؤلفات الكثيرة في تاريخ العرب قبل الإسلام وآثارهم الدينية والمدنية ، ثم تتبع أخبارهم بعد الإسلام في عهد الدولتين : الأموية والعباسية ، ومن أشهر كتب : (دين العرب في الجاهلية) ، و (تاريخ الدولة الأموية) ، و (أشعار الهذليين) ، و (الشيعة والخوارج) . وله تأليف أخرى عن (الأسفار المقدسة) ، ذهب فيها مذهب الإباهيين .! انظر : الزركلي : الأعلام ج ٨ ص ٢٦٠ ، و : نجيب العقيقي : المستشرقون ج ٢ ص ٢٨٦ -

٣٨٧ .

إنما يرجع إلى اليهود (١) أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين» (٢).

وهكذا ، تحول (التشيع) من مناصرة لـ (علي بن أبي طالب) - رضي

الله عنه - بـ (الخلافة) ، إلى دين جديد ، مغاير لدين الإسلام ، في مجمل

عقائده (٣)، تحت دعوى (حب آل البيت) ١ .

❁ الشيعة وآل البيت :

ألا يحق لنا أن نتساءل - بعد ذلك كله - : عن (عبدالله بن سبأ)

وأتباعه (السبئية) ، هل كانوا محبين لـ (علي بن أبي طالب) وآل بيته -

رضي الله عنهم - على الحقيقة ؟ ١ .

١ - موقف الشيعة من آل البيت :

إن اختيار ذلك اليهودي المنافق (عبدالله بن سبأ) لـ (علي بن أبي

طالب) - رضي الله عنه - ، ليخصه ببدعة (الوصية) من الرسول ﷺ له بـ

(الخلافة) من بعده ، ليس حياً فيه ، وإنما هو للكيد لهذه (الأمة المسلمة)

من خلاله ، وذلك للمزايا ، التي يختص بها دون غيره من الناس ، لكونه :

١ يقول (الشعبي) - وهو ميال إلى التشيع - :

« إن محنة الرافضة محنة اليهود ، قالت اليهود : لا يكون الملك إلا في آل داود ، وقالت

الرافضة : لا يكون الملك إلا في آل علي بن أبي طالب » : ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص

٢٤٩ .

٢ الشيعة والخوارج ص ١٧٠ - ١٧١ .

٣ لا يقتصر اختلاف (الشيعة) عن أهل (السنة) في (العقيدة) ، بل إن (الفقه) موضع

خلاف من باب أولى ، وأكبر مثال على ذلك (المتعة) ، التي يرى (الشيعة) جوازها ! - انظر

: محمد مال الله : الشيعة والمتعة .

ابن عم الرسول ﷺ ، وتربى في بيته ، وأخيه (من المؤاخاة) ، وصهره ،
 لزوجاه من ابنته (فاطمة الزهراء) (١) - رضي الله عنها - ، وأبوتيه
 لسبطيه (الحسن) (٢) و (الحسين) (٣) - رضي الله عنهما - ، ولسابقته
 في الإسلام ، وبلائه في المعارك ، ولبشرى الرسول ﷺ له بالجنة (٤) .

ولذلك ، اختاره ، « إلا أنه كان يدرك أن تحقيق هذه الدعوة لعلّي
 وأبنائه ، هدم لأهدافه ، فمعنى استقرار الخلافة لعلّي ، أنها أصبحت
 تراثاً لآل البيت ، قل أن ينازعهم فيه أحد ... ، فكان على السبئيين أن
 يعملوا جهدهم على أن تظل دعوتهم لأمامة علي وبنيه فكرة مجردة ... ، ولا
 تحط على أرض الواقع ، يستغلونها دائماً في انقسام المسلمين وإشغالهم
 بأنفسهم ، وهذا ما يفسر لنا كيف أن المتأمرين على عثمان من الكوفة
 والبصرة ومصر ، رغم أنهم جميعاً كانوا موجهين من السبئية ، إلا أن كل
 فريق منهم كان يطلب الإمامة لإمام غير الذي يطلبه الآخر ، فأهل الكوفة
 كانوا يرغبون الزبير ، وأهل البصرة كانوا يرغبون طلحة ، وأهل مصر
 كانوا يرغبون علياً (٥) ، وهذا ما يفسر لنا - أيضاً - دورهم في اغتيال

١ فاطمة الزهراء : (١٨ ق ٠ م - ٦٠٥ - ٦٣٢م) هي أم الحسن فاطمة بنت رسول الله ﷺ
 الهاشمية القرشية ، وأما خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - صمائية ، وسيدة نساء
 العالمين ، ناهية ، وإحدى الفصيحات العاقلات ، تزوجها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
 ، وأنجبت له (الحسن) ، و (الحسين) ، و (أم كلثوم) ، و (زينب) - رضي الله عنهم
 - . ولها في كتب الحديث (١٨ حديثاً) . توفيت بعد أبيها رسول الله ﷺ . ب (ستة
 أشهر) ، وهي أول من عمل لها (النعش) في الإسلام . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء
 ج ٢ ص ١١٨ - ١٣٤ ، و : ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٣٦٥ - ٣٦٨ ، و :
 الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ١٣٣ .

٢ راجع : ترجمة (الحسن) ص ٥٦٧ .

٣ راجع : ترجمة (الحسين) ص ٥٦٨ .

٤ راجع : ترجمة (علي بن أبي طالب) ص ٥٤١ .

٥ انظر : الطبري : تاريخ الأمم ج ٤ ص ٣٤٩ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٩٤ .

علي - رضي الله عنه - (١) ، ودفع أبنائه إلى مصارعهم (٢) ، ودورهم في موقع الجمل (٣) ، وغيرها من الدماء المسفوكة لأئمة الأمة وعلمائها ، لتظل أمة بين مقتول يناح عليه ، وتحيا ذكراه على مدى التاريخ بالعويل والنواح وشق الجيوب ولطم الخدود ، وبين مطالب بثأر لا تهدأ نار الانتقام في قلبه « (٤) .

وهذا هو الموقف الحقيقي لأكثرية (الشيعة) - على مدى تاريخهم -

١ ويتبع دور (السبئية) في مقتل علي - رضي الله عنه - محاولتهم قتل معاوية وعمرو بن العاص - رضي الله عنهما - ، راجع : (مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-) ص ٥٥٠ .

٢ وفي تفصيل مصارع أبناء علي وأحفاده - رضي الله عنهم - يقول الدكتور (حمدي عبدالعال) - الأستاذ في كلية الشريعة بـ (جامعة الكويت) :-

« لم يلبثوا [أي السبئية] بعد اغتيال علي أن بايعوا ابنه الحسن ، فلما قام بأمره ، والتف الناس حوله لقتال معاوية ، وخشوا من تمام الأمر له ، دفعوا (سنان الجمفي) لاختياله وهو بساباط المدائن أحد أوكار السبئية ، قطعنه في جنبه طمعة صرعته عن فرسه ، فلما شفي منها ، وأحس الغدر والخديعة ، وأدرك أن الدعوة له دلالة ليست إلا راية القتال يرفعها السبئيون لاستمرار انقسام الأمة والقتل بينها ، بادر بمبايعة معاوية ، حتى يفوت على السبئيين أغراضهم ، ويفضل مبارته سمي العام الذي تنازل فيه (عام الجماعة) ، ثم بعد الحسن زينوا لأخيه (الحسين) القيام بحقه في الإمامة ، حتى إذا اغتر بهم ، وخرج داعياً لنفسه ، غدروا به ، وتركوه وحيداً في أهل بيته أمام الوالي الأموي : (عبيد الله بن زياد) ؛ ليقتلهم صبراً . ثم بعدها أخذوا يقتلون لـ (يزيد بن علي بن الحسين) صباح مساء ، وفي الغدو والرواح ، يحسوه للثأر ، ويمنوه بالخلافة ، فلما اغتر بهم ، وقام لدعوتهم ، أسلموه وأهل بيته غدرأ إلى [الوالي الأموي] : (يوسف بن عمر الثقفي) ، ليقتلهم أشنع قتله ، ويمثل بهم أبشع تمثيل ، ليزداد العويل والصراخ في الأمة بقتل آل بيت نبيها ، ويزداد معه مقدار الغضب والحقد والبغض بين الأمة « : السبئيون منهاجاً وغاية ص ٨٩ - ٩٠ .

و : لمزيد من المعلومات حول غدرهم بـ (آل البيت) - رضي الله عنهم - انظر: إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ١٦٣ - ٢٠٤ .

٣ راجع : (إشعال الحرب في موقعة الجمل) ص ٥٤١ .

٤ د / حمدي عبدالعال : السبئيون منهاجاً وغاية ص ٨٨ - ٨٩ .

من (آل البيت) ، إنه موقف يقوم - بإيجاز - على اتخاذهم تكأة ، يعتمدون عليها في إثارة (الفتنة) ، حيث يتشدقون بادعاء حبهم بالكلام ، وتكذب كل ذلك الأفعال ، فما هو موقف (آل البيت) منهم ، يا ترى ؟ .

٢ - موقف آل البيت من مدعي التشيع :

لقد أدرك (آل البيت) حقيقة بغض أكثرية مدعي (التشيع) لهم ، ولذلك وقفوا منهم موقفاً حازماً ، فكانوا ينزلون بهم - إذا استطاعوا - أقسى العقوبات ، كموقف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من (السبئية) ، حين نفى زعيمهم (عبدالله بن سبأ) ، وحرق بعض أتباعه . (١) .

وكتاب (نهج البلاغة) (٢) حافل بخطب علي - رضي الله عنه - في ذم أولئك الأعداء ، ومن ذلك ما جاء في (خطبة الجهاد) :
« يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال ، لوددت أنني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندماً ، وأعقبت سدماً (٣) ، قاتلكم الله ، لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرعتموني

١ راجع : ص ٥٤٩ .

٢ إن بعض الخطب الواردة في (نهج البلاغة) ليست لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وإنما هي منسوبة إليه . انظر : الشريف الرضي : نهج البلاغة ، تقديم الشارح : محمد عبده ص ١١ .

٣ السدم : الهم مع الندم والغيط . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة السدم) ج ٤ ص ١٢٨ .

نغب (١) التهمام (٢) أنفاسا ، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان (٣)

وقد أدرك أبنائوه وأحفاده - من بعده - حقيقة مواقف مدعي (التشيع) ،
التي تقوم - في حقيقة الأمر - على بغضهم (٤) ، فأعلنوا البراءة منهم ،
وحذروا من الانسياق وراء ضلالتهم .

قأمير المؤمنين (الحسن بن علي) (٥) - رضي الله عنهما - لما بايعه
(الشيعة) بالخلافة ، اشترط عليهم الصدق في الطاعة ، ولكنهم غدروا بهم ،
وحاولوا اغتياله ، فازداد لهم بغضاً ، ولذلك تنازل - (معاوية بن أبي

١ النغب : جمع نغبة ، وهي الجرعة . انظر : الفيروز أبادي : القاموس المحيط (مادة نغب) ج ١
ص ١٣٣ .

٢ التهمام : الهم . انظر : الشريف الرضي : نهج البلاغة ، شرح : محمد عبده ص ٧٨ .
ولم أتمكن من العثور على هذه الكلمة (التهمام) في المعاجم اللغوية . وفي - نظري - أن :
كون (التهمام) من (الهم) وجيه ، لشبهها بكلمة (التكرار) من (الكر) .

٣ الشريف الرضي : نهج البلاغة ص ٧٧ - ٧٨ .

٤ انظر : إحصان إلهي ظهير : الشيعة وأهل البيت ص ٢٩ - ٣٠٦ .

٥ الحسن بن علي : (٣ - ٥٠ هـ = ٦٢٤ - ٦٧٠ م) هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي
طالب الهاشمي القرشي ، وأمّه فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - . صحابي ، ولد في (
المدينة) ، ونشأ في بيت النبوة . وهو خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم ، وثاني الأئمة الاثني
عشر عند (الشيعة الإمامية) . كان عاقلاً ، حليماً ، محباً للخير ، فصيحاً ، من أحسن الناس
منطقاً وبديهة . بايعه أهل العراق بعد مقتل والده أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) - رضي
الله عنه - عام ٤٠ هـ - ٦٦١ م ، ولكنه رأى منهم نكوصاً ، فتنازل لمعاوية بن أبي سفيان -
رضي الله عنهما - عام ٤١ هـ - ٦٦١ م في (بيت المقدس) ، حقناً لدماء المسلمين ، فسمي
ذلك العام (عام الجماعة) ، وانصرف إلى (المدينة) حيث أقام فيها إلى أن توفي - فيما
يقال - مسموماً ، وإليه نسبة (الحسينيين) ، انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٤٥ -
٢٧٩ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٣٠ ، و : الزركلي :
الأعلام ج ٣ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

سفيان) - رضي الله عنهما - عن الخلافة (١) ، عام ٤١ هـ - ٦٦١ م ، مفوتاً على (السبئيين) أغراضهم (٢) ! ، وكان يقول لمن أدعى أن أباه علياً - رضي الله عنه - سيبعث قبل يوم القيامة :

« كذبوا ، ليس أولئك شيعته ، أولئك أعداؤه » (٣) .

وأما (محمد بن علي) المعروف بـ (ابن الحنفية) (٤) - رحمه الله تعالى - ، فقد كان أكثر (آل البيت) حذراً من مدعي (التشيع) ، ولذلك نصح أخاه (الحسين بن علي) (٥) - رضي الله عنهما - بعدم الاستجابة

١ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ١٥٨ - ١٦٢ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦ - ١٨ .

٢ راجع : الهامش رقم (٢) ص ٥٦٥ .

٣ ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٩ .

٤ محمد بن علي - ابن الحنفية : (٢١ - ٨١ هـ = ٦٤٢ - ٧٠٠ م) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، المعروف بـ (ابن الحنفية) - نسبة إلى أمه - . تابعي ، ولد في (المدينة) وكان واسع العلم ، ورعاً ، شجاعاً ، أسود اللون ، وكان (المختار الثقفي) يدعو إلى إمامته ، ويؤمن أنه (المهدي) ، حيث تزعم فرقة (الكيسانية) من (فرق الشيعة) أنه لم يموت ، وأنه يقيم بـ (جبل رضوى) في (ينبع - الحجاز) . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١١٠ - ١٢٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٦ ص ٢٧٠ .

٥ الحسين بن علي : (٤ - ٦١ هـ = ٦٢٥ - ٦٨٠ م) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، وأمّه فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - . صحابي ، ولد في (المدينة) ، ونشأ في بيت النبوة ، وهو ثالث الأئمة الاثني عشر عند (الشيعة الإمامية) . دعاه أشياعه إلى (الكوفة) بعد وفاة (معاوية بن أبي سفيان) - رضي الله عنهما - وتولية ابنه (يزيد) عام ٦٠ هـ - ٦٨٠ م ، ليبياعوه بالخلافة ، فارتحل من (مكة) إلى (الكوفة) في مواله وفساته وذرائه ونحو (٨٠ رجلاً) من أتباعه ، فوجه إليه (يزيد) جيشاً اعترضه في (كربلاء) ، فنشب قتال بين الطرفين ، قتل فيه (الحسين) - رضي الله عنه - وكثير من (آل بيته) . وقد اختلف في الموضع الذي دفن فيه رأسه ، فقيل في (دمشق) وقيل في (كربلاء) مع الجثة ، وقيل في مكان آخر ، وكان مقتله يوم الجمعة ١٠ محرم عام ٦١ هـ ، الذي عده (الشيعة) يوم حزن - إلى يومنا هذا - ، وإليه نسبة (الحسينيين) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٨٠ - ٣٢١ ، و : ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٣٣١ - ٣٣٤ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ٢٤٣ .

لهم (١) ، ولكنه لم يفعل ، فغدروا به ، وتركوه وحيداً ، ليواجه مصيره وأهل بيته ، عام ٦١ هـ - ٦٨٠ م (٢) ! ، وكان (ابن الحنفية) يقول :

» أهل بيتين من العرب ، يتخذهما الناس أنداداً من دون الله : نحن وبنو عمنا هؤلاء « (٣) ، يعني : بني هاشم وبني أمية (٤) .

وأما (علي بن الحسين) الملقب بـ (زين العابدين) (٥) - رحمه الله تعالى - ، فقد انقطع إلى العلم والعبادة ، وكان ينحي باللائمة على أولئك الأعداء (الشيعة) ، حيث يقول :

» لعن الله من كذب علينا ، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد أدعى أمراً عظيماً ، ما له لعنه الله ، كان علي عبداً لله صالحاً ، أخاً لرسول الله ﷺ ، وما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله

١ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤١ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٧٨ .

٢ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤١ - ٤٧٠ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦٢ - ٢٢٢ .

٣ ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٩٤ .

٤ انظر : المرجع السابق ج ٥ ص ٩٤ .

٥ علي بن الحسين - زين العابدين : (٣٨ - ٩٤ هـ = ٦٥٨ - ٧١٢ م) هو أبوالحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، الملقب بـ (زين العابدين) ، تابعي ، ولد في (المدينة) وهو رابع الأئمة الاثني عشر عند (الشيعة الإمامية) ، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والكرم والورع . وليس لـ (الحسين) السبط - رضي الله عنه - عقب إلا منه ، وأبناؤه : محمد (الباقر) ، وزيد (الشهيد) ، وعمر (الأشرف) ، وعبدالله (الباهر) ، وعلي (الأصغر) ، وحسين (الأصغر) - رحمهم الله تعالى - ، وإلى الأخير (حسين) يرجع نسب الباحث . وقد توفي (زين العابدين) - رحمه الله تعالى - في (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ ص ٣٨٦ - ٤٠١ ، و : علي بن الحسن بن شذيم الحسيني : زهرة المقول في نسب ثاني فرعي الرسول ﷺ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٢٧٧ .

ولرسوله ، وما نال رسول الله ﷺ الكرامة إلا بطاعته لله» (١) .

ويقول أيضاً - :

« أحبونا حب الإسلام لله عز وجل ، فإنه ما برح بنا حبكم حتى صال علينا عاراً» (٢) .

وأما (محمد بن علي بن الحسين) الملقب بـ (الباقر) (٣) - رحمه الله تعالى - ، فقد وقف كوالده من مدعي (التشيع) ، فحين بلغته فكرة (البراءة) ، قال :

« بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ، وينالون من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، ويزعمون أنني أمرتهم بذلك ، فأبلغهم أنني إلى الله منهم برئ ، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بديانتهم ، لا نالقتني شفاعة محمد أن لم أكن استغفر لهما وأترحم عليهما» (٤) .

وأما (جعفر بن محمد) الملقب بـ (الصادق) (٥) - رحمه الله تعالى

١ د / سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٧٣ - ٧٤ ، نقلا عن : الكشي : معرفة أخبار الرجال ص ١٠٠ .

٢ أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ج ٣ ص ١٣٦ .

٣ محمد بن علي بن الحسين - الباقر : (٥٧ - ١٠٤ هـ = ٦٧٦ - ٧٣٢ م) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي (القرشي ، الملقب بـ (الباقر) . تابعي ولد في (المدينة) ، وهو خامس الأئمة الاثني عشر عند (الشيعة الإمامية) . كان عابداً ، عالماً ، ولا سيما في (تفسير القرآن الكريم) . توفي بـ (الحميمة) ، ودفن في (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٠١ - ٤٠٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٦ ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

٤ أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٣ ص ١٨٥ .

٥ جعفر بن محمد - الصادق : (٨٠ - ١٤٨ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٥ م) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، الملقب بـ (الصادق) . تابعي ، ولد في (المدينة) ، وهو سادس الأئمة الاثني عشر عند (الشيعة الإمامية) ، كان من أجلاء التابعين ، وله منزلة رفيعة في العلم ، أخذ عنه جماعة ، منهم الإمامان أبوحنيفة ومالك - رحمهما الله تعالى - ، وإليه نسبة (المذهب الجعفري) المذهب الفقهي لـ (الشيعة الإمامية) .

- ، فقد نسب إليه (الشيعة) زوراً وبهتاناً روايات كثيرة (١) ، ولكن موقفه الحقيقي منهم هو ما يعبر عنه ، بقوله :
«لعن الله عبد الله بن سبأ إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين ، وكان والله طائعاً ، الويل لمن كذب علينا ، وإن قوماً يقولون فينا ما لانقول في أنفسنا ، نبرأ إلى الله منهم» (٢) .
وهذه هو موقف كل مسلم مخلص : البراءة من أولئك (الشيعة)
الحاقدين .

وبعد ، فهذه أهم أحداث (الفتنة الكبرى) ، التي قام (اليهود) بدور فاعل فيها ، من خلال اليهودي المنافق (عبد الله بن سبأ) ، فهل كانت (القوة الخفية) - التي عرفت فيما بعد بـ (الماسونية) (٣) - هي المحرك له ؟
- الذي أراه - والله أعلم - : أنه ليس ببعيد أن يكون لـ (القوة الخفية) ذلك الدور ، عن طريق (عبد الله بن سبأ) اليهودي ، الذي أسلم نفاقاً ؛ ليتمكن من تحريف (الدين الاسلامي) ، فهم خبراء في هذا المجال ، كما رجحنا - من قبل - احتمال أن يكون لها دور ، عن طريق (بولس) اليهودي ، الذي تنصر نفاقاً ؛ ليتمكن من تحريف (الدين النصراني) (٤) ! .

كان لـ (الصادق) أخبار مع الخلفاء العباسيين ، وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق . توفي بـ (المدينة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٥٥ - ٢٧٠ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٢٦ .

- ١ راجع : ص ٥٥٤ .
- ٢ د/ سعدي الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٧٢ - ٧٣ ، نقلا عن : الكشي : معرفة أخبار الرجال ص ١٠٠ .
- ٣ راجع : (الحركة الماسونية) ج ٣ ص ٣٠٤ .
- ٤ راجع : ص ١٩٢ .

ولكن دور الاثنين متفاوت تفاوتاً عظيماً ، فالأول (بولس) تمكن من القضاء على (الدين النصراني) الصحيح ، أما الآخر (ابن سبأ) ، فقد تمكن من إضلال طائفة من المسلمين ، وفي محاولة القضاء على الإسلام دولة ، أم (الدين الإسلامي) فهو محفوظ بحفظ الله تعالى له ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والحمد لله تعالى ، حيث يقول سبحانه :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١).

وهذا ليس قليلاً من ذلك الدور الخطير ، الذي قام به ذلك اليهودي الخبيث (ابن سبأ) ، في أحداث (الفتنة الكبرى) ، التي نشأ عنها ظهور أعظم فرقتين ، شرختا في الإسلام شرخاً لم يجبر - إلى يومنا هذا - وهما (الشيعة) و (الخوارج) .

وستواصل الحديث - إن شاء الله تعالى - عن (الفرق العقدية) في موضع آخر (٢) .

ثانياً : أثر العنصرية اليهودية في العهد الأموي :

إن (آثار العنصرية اليهودية) في عهد (الدولة الأموية) (٣) ، تتمثل

١ سورة الحجر ، آية : ٩ .

٢ راجع : (نشأة الفرق العقدية الضالة) ص ٥٩٧ .

٣ الدولة الأموية : نسبة إلى الفرع الأموي من (قريش) . أسسها خليفته الأول (معاوية بن أبي سفيان) - رضي الله عنه - بعد انتهاء (دولة الخلافة الراشدة) ، وتنازل (الحسن بن علي) - رضي الله عنهما - عام ٤١ هـ - ٦٦١ م . وعاصمتها (دمشق) ، وهي أول دولة وراثية في الإسلام ، وقد تعاقب على حكمها (ثلاثة عشر خليفة) ، أشهرهم : (معاوية بن أبي سفيان) ، و (عبد الملك بن مروان) ، و (الوليد بن عبد الملك) ، و (سليمان بن عبد الملك) ، و (عمر بن عبد العزيز) ، و (هشام بن عبد الملك) . وقد شهد (العهد الأموي) الفتوحات الإسلامية العظيمة في الهند ، والسند ، وما وراء النهر ، والاندلس . وقد سقطت (الدولة الأموية) بمقتل آخر خلفائها (مروان بن محمد) على يد (العباسيين) عام ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م ؛ لتحل محلها .

في مكائد (١) فكرية كثيرة ، من أهمها ما يأتي :

١ - الإسرائيليات في التفسير والحديث :

لقد تسرب (الفكر اليهودي) إلى (التفسير) و (الحديث) ، عبر مرحلتين رئيسيتين ، هما :

أ - مرحلة الرواية :

لما كان (القرآن الكريم) قد حوى كثيراً من التفصيلات ، التي جاء بها عن قصص الأمم الغابرة ، مقتصرأ في ذكر حوادثها على موضع العبرة والعظة ، فقد كانت النفوس البشرية تميل إلى معرفة هذه التفصيلات ، فيلقون بعض الذين اعتنقوا الإسلام (٢) ، من (أهل الكتاب) ، صدقاً أو

(الدولة العباسية) ، إلا أن (عبدالرحمن الداخل) الأموي ، استطاع أن يؤسس في (الأندلس) - التي فتحت في عهد (الدولة الأموية الأولى) عام ٩٢ هـ = ٧١١ م - (الدولة الأموية الأندلسية) ، عام ١٢٨ هـ - ٧٥٦ م ، التي شهدت عصر الازدهار الحضاري الإسلامي . وقد تعاقب على حكمها (سبعة عشر خليفة) ، أشهرهم : (عبدالرحمن الداخل) ، و (عبدالرحمن الناصر) ، وكان آخرهم (أمية بن عبدالرحمن) ، الذي انتهت (الدولة الأموية الأندلسية) بنهاية حكمه عام ٤٢٢ هـ - ١٠٣١ م . انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج١ ص ١٨٢ - ١٨٥ ، و : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٧٠٩ . و : لمزيد من المعلومات حول (الدولة الأموية) . انظر : محمد الخضري بك : الدولة الأموية .

١ لقد عانيت صعوبة بالغة في وضع هذه المكائد اليهودية - أعلاه - ضمن (العهد الأموي) ؛ لأنها لم تبدأ به ، ولم تنته عنده ، ولكن أثرت وضعها فيه ؛ لأن بداية الانحراف - ولا سيما في النقل عن (الإسرائيليات) - إنما تمت في هذا العهد .

٢ من أشهر من عرف برواية (الإسرائيليات) من (اليهود) الذين أسلموا صدقاً - إن شاء الله تعالى - : من الصحابة (عبدالله بن سلام) - رضي الله عنه - ، ومن التابعين (كعب الأحبار) - رحمه الله تعالى - . انظر : د/ محمد سيد حسين الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٨٨ - ٩٥ .

نفاقاً ، فيسألونهم عما تتوق نفوسهم إلى معرفته ، فيجيبون عليه ، حتى جاءت جماعات من المفسرين القصاص ، الذين أقرطوا في الأخذ عنهم ، إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً (١) ١٠

ب - مرحلة التدوين :

حين دون (الحديث الشريف) ضمن ما دون من العلوم المختلفة ، كان (التفسير) باباً رئيساً من أبوابه ، وما جمع من (المأثور) كان - أول الأمر - مذكوراً بأسانيده ، وكان في جملة خاليا من (الإسرائيليات) ، إلا قليلاً منها ، مما لا يعارضه نص شرعي ، وبعض منها روي عن رسول الله ﷺ من طريق صحيح (٢) .

ولما انفصل (التفسير) عن (الحديث) ، ودون كل منهما على حده ، كان ما يدون منه في أول الأمر يدون مقروناً بأسانيده ، وكان فيما يدون طائفة من (الإسرائيليات) ، التي في بعضها نكارة ، لتجيء - بعد ذلك - طبقة ممن دونوا (التفسير) ، حذفوا الأسانيد ، ولم يتحروا الدقة فيما يكتبون ، فجمعوا الصحيح وغير الصحيح في مصنفاتهم ، وفي ضمن ذلك كثير من (الإسرائيليات) ، حتى جاءت جماعات من المفسرين أقرطت في تدوين تلك (الإسرائيليات) ، إلى درجة جعلتهم لا يتركون شاردة ولا واردة ، حتى وإن كانت معارضة لصريح (القرآن الكريم) وصحيح (الحديث

١ انظر : د / محمد السيد حسين الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث من ٢٠ - ٢٨ و

١١٩ - ١٣٢ .

٢ انظر : المرجع السابق من ٣١ .

الشریف) (١) ، ثم لا يتورع بعضهم - أحياناً - عن نسبة ذلك الهراء إلى الرسول ﷺ (٢) ! .

وهذا ما يعرف بـ (الإسرائيليات في التفسير والحديث) :

١ - مفهوم الإسرائيليات :

أ - المعنى اللغوي لكلمة (الإسرائيليات) :

الإسرائيليات جمع ، مفردة (إسرائيلية) ، نسبة إلى (بني إسرائيل - اليهود) (٣) .

ب - المعنى الاصطلاحي للإسرائيليات :

لفظ (الإسرائيليات) ، وإن كان يدل ظاهره على القصص ، الذي يروى في كتب (التفسير) و (الحديث) ، عن مصادر يهودية ، فإنه يدل على معنى أوسع من القصص اليهودي ، حيث يشمل جميع الأساطير القديمة ، المنسوبة إلى أي مصدر ، سواء أكان يهودياً ، أم نصرانياً ، أم غيرهما ، وإنما أطلقت كلمة (الإسرائيليات) من باب التغليب ؛ لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات يرجع إلى أصل يهودي (٤) .

١ انظر : المرجع السابق ص ٣٢ - ٣٣ .

٢ انظر : د / محمد بن محمد أبو شعبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٩٤ و ٢٣٧ .

٣ انظر : محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٩ ، و : د / محمد أبو شعبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٢ .

٤ انظر : د / محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٩ - ٢١ ، و : د / محمد أبو شعبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٤ .

٢ - أقسام الإسرائيليات :

تنقسم (الإسرائيليات) إلى (ثلاثة أقسام) (١) ، حسب الاعتبارات الآتية :

أ - باعتبار الدرجة :

تنقسم (الإسرائيليات) باعتبار (الدرجة) ، إلى (ثلاثة أقسام) ، هي :

١ - صحيح ، ومثاله : ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال :

« إن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ (٢) ، قال : في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً » (٣) .

٢ - ضعيف ، ومثاله : ما روي عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قول الله تعالى : (ق) (٤) ، أنه قال :

« خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً ، يقال له : قاف ، سماء الدنيا مرفوعة عليه ،

١ انظر : د / محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٤٧ - ٥٤ .

٢ سورة الأحزاب ، آية : ٤٥ .

٣ الحديث سبق تخريجه . راجع : ص ١١٧ .

٤ سورة ق ، آية : ١ .

ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ،
ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً ، يقال له
: قاف ، السماء الثانية مرفوعة عليه ، حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر
وسبعة أجبل وسبع سماوات ، قال : وذلك قوله تعالى : ﴿ والبحر يمده من
بعده سبعة أبحر ﴾ (١) » (٢) .

وقد عقب الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - على هذه الرواية ،
بقوله :

« وكان هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل » (٣) .

إلى أن قال في سندها :

« فإستار هذا الأثر فيه انقطاع » (٤) .

« ولعل البلاء فيه من المحنوف » (٥) ؛ مما يدل على أنه قد يكون مكذوباً

على ابن عباس - رضي الله عنهما - ؛ لأن المشهور عنه أنه - أي حرف

(القاف) - اسم من أسماء الله تعالى (٦) .

٣ - موضوع ، ومثاله : ما روي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -

في تفسير قول الله تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ * فلما بلغ معه

السعي قال يابني أني أرى في المنام أني أذبحك فأنظر ماذا ترى قال

يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما

١ سورة لقمان ، آية : ٢٧ .

٢ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٢١ .

٣ المرجع السابق ج ٤ ص ٢٢١ .

٤ المرجع السابق ج ٤ ص ٢٢١ .

٥ د / محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٠٢ .

٦ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٢١

أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا
كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح
عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك
نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحاق
نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه مبين ﴿ ١ ﴾ ، أنه قال :

« الذبيح إسحاق » (٢) .

وقد جاء هذا الحديث الموضوع بعدة روايات (٣) ، بعضها مرفوع إلى
الرسول ﷺ (٤) ، وكلها لا تصح ولا تثبت (٥) ، حتى قال الإمام ابن كثير -
رحمه الله تعالى - :

« وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق ، وحكي
ذلك عن طائفة من السلف ، حتى نقل عن بعض الصحابة - رضي الله عنهم -
أيضا ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أخبار أهل
الكتاب ، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة ، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى
أنه إسماعيل » (٦) - عليه السلام - .

أما حقيقة هذه المرويات ، فهي « من وضع أهل الكتاب ؛ لعداوتهم

١ سورة الصافات ، آية : ١٠١ - ١١٣ .

٢ الطبري : جامع البيان ج ٢٣ ص ٨١ .

٣ انظر : المرجع السابق ج ٢٣ ص ٧٨ - ٨٣ .

٤ انظر : المرجع السابق ج ٢٣ ص ٨١ .

٥ انظر : د / محمد أبو شهبة : الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٥٣ .

٦ تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٤ .

و : لمزيد من المعلومات حول (حقيقة الذبيح) انظر : رسالتي لمرحلة (الماجستير) : الفكر
الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي ص ٥١٣ - ٥٢٠ .

المتأصلة من قديم الزمان للنبي الأمي العربي ، وقومه العرب ، فقد أرادوا أن لا يكون لإسماعيل الجد الأعلى للنبي والعرب فضل أنه النبيح ، حتى لا ينجر ذلك إلى النبي ﷺ ، وإلى الجنس العربي ٠٠٠ ، ولأجل أن يكون هذا الفضل لجدهم إسحاق - عليه السلام - ، لا لأخيه إسماعيل ، حرفوا التوراة في هذا « (١) » ، وفي كل ماله علاقة برسول الإسلام محمد ﷺ (٢) ! .

ب - باعتبار الموافقة :

تنقسم (الإسرائيليات) باعتبار (موافقتها لما في شريعتنا الإسلامية ومخالفتها) إلى (ثلاثة أقسام) ، هي :

١ - موافق لما في شريعتنا ، ومثاله : ما رواه أبوسعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود ، فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ، قال : بلى ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة ، كما قال النبي ﷺ ، فنظر النبي ﷺ إلينا ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه » (٣) .

-
- ١ د / محمد أبو شهبه : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
 - ٢ راجع : (تحريف البشارات بنبو محمد ﷺ في العهد القديم - التوراة) ص ٩٢ .
 - ٣ البخاري - واللفظ له - : (كتاب الرقاق «٨١») ، (باب يقبض الله الأرض «٤٤») ج ٧ ص ١٩٤ ، و : صحيح مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم «٥٠») ، (باب نزل أهل الجنة «٣») حديث رقم (٢٧٩٢/٣٠) ج ٤ ص ٢١٥١ .

٢ - مخالف لما في شريعتنا (١) ، ومثال : ما ذكرناه عن (العهد القديم) - المحرف - من قصص نسج خيالها (الكتبة اليهود) ضد الانبياء - عليهم السلام - (٢) ، مثل : إتهام نبي الله (داود) - عليه السلام - بقتل أحد قواده المجاهدين ، من أجل الاستيلاء على زوجته (٣) ، فقد روى السدي - رحمة الله تعالى - في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾ * إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأتاب * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴿ (٤) ، أنه قال :

«كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوم يقضي فيه بين الناس ، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة ،

-
- ١ ليس المقصود بـ (المخالفة لشريعتنا) جميع ما ورد من (الإسرائيليات) ، التي ثبتت من طريق صحيح ، فإنها تخالف شريعتنا ، وهي صحيحة بالنسبة للشريعة السابقة ؛ لأن بعض فروع الشريعة تختلف من رسول إلى رسول . راجع : (جدلهم في قضية النسخ) ص ٣٠٣ .
 - ولكن المقصود (المخالفة لشريعتنا) في بعض (الإسرائيليات) ، التي لم تثبت ، كما هو الحال في هذه القضية المدونة أعلاه - عن عدم عصمة داود - عليه السلام - ؛ لأن عصمة الانبياء - عليهم السلام - خبر ثابت في شريعتنا ، فلا يمكن أن يتغير بأي حال من الأحوال .
 - ٢ راجع : (التطاول على مقام أنبيائهم - عليهم السلام -) ص ٢٣٣ .
 - ٣ هذه الرواية مأخوذة في مجملها عن (العهد القديم) - المحرف ، مع حذف إتهام داود - عليه السلام - بالزنا من هذه المرأة قبل الزواج منها . انظر : صموئيل الثاني : ٢٧-٢/١١ .
 - ٤ سورة ص : آية : ٢١ - ٢٥ .

وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب ، قال : يا رب إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي ، فأعطني مثل ما أعطيتهم ، وأفعل بي مثل ما فعلت بهم ، قال : فأوحى الله إليه : إن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه ، وابتلى إسحاق بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف ، وإنك لم تبتل من ذلك بشيء ، قال : يارب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطني مثل ما أعطيتهم ، قال : فأوحى إليه : إنك مبتلى ، فاحترس ، قال : فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب ، حتى وقع عند رجله وهو قائم يصلي ، فمد يده ليأخذه ، فتنحى فتبعه ، فتباعد حتى وقع في كوة ، فذهب ليأخذه ، فطار من الكوة ، فنظر أين يقع ، فبيعت في أثره ، قال : فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجمل الناس خلقاً ، فجاءت منها التفاتة فأبصرته ، فألقت شعرها ، فاستترت به ، قال : فزاده ذلك فيها رغبة ، قال : فسأل عنها ، فأخبر أن لها زوجاً ، وأن زوجها غائب بمسلة كذا وكذا ، قال : نبعث إلى صاحب المسلة أن يبعث (أهريا) (١) إلى عدو كذا وكذا ، قال : فبعثه ، ففتح له ، قال : وكتب إليه بذلك ، قال : فكتب إليه أيضاً : أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا ، أشد منهم بأساً ، قال : فبعثه ، ففتح له أيضاً ، قال : فكتب إلى داود بذلك ، قال : فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا ، فبعثه ، فقتل في المرة الثالثة ، قال : وتزوج امرأته . قال : فلما دخلت عليه ، قال : لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين ، فطلباً أن يدخلوا عليه ، فوجداه في يوم عبادته ، فمنعهما الحرس أن يدخلوا ،

١ اسمه في (المهد القديم) : (أوريا) . راجع : ج ٤ ص ٢١٥ .

فتسوروا عليه المحراب ، قال : فما شعر وهو يصلي إذ هو بهما بين يديه جالسين ، قال : ففزع منهما ، فقالا : لا تخف ، إنما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض ، فأحكم بيننا بالحق ... ، ولا تخف ، واهدنا إلى ... عدل القضاء ، قال : فقال : قصا علي قصتكما ، قال : أحدهما : إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ، فهو يريد أن يأخذ نعجتي ، فيكمل بها نعاجه مائة ، قال : فقال للآخر : ما تقول ؟ ، فقال : إن لي تسعاً وتسعين نعجة ، ولأخي هذا نعجة واحدة ، فأنا أريد أن آخذها منه ، فأكمل بها نعاجي مائة ، قال : وهو كاره ؟ ، قال : وهو كاره ، قال : إذن لا ندعك وذاك ، قال : ما أنت على ذلك بقادر ، قال : فإن ذهبت تروم ذلك ... ، ضربنا منك هذا وهذا وهذا ... ، قال : يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا ، حيث لك تسع وتسعون امرأة ، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة ، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته ، وتزوجت امرأته ، قال : فنظر ، فلم ير شيئاً ، فعرف ما قد وقع فيه ، وما قد ابتلي به ، قال : فخر ساجداً ، قال : فبكى ، قال : فمكث يبكي ساجداً أربعين يوماً ، لا يرفع رأسه ، إلا لحاجة منها ، ثم يقع ساجداً يبكي ، ثم يدعو ، حتى نبت العشب من دموع عينيه ، قال : فأوحى الله إليه بعد أربعين يوماً : يا داود ارفع رأسك ، فقد غفرت لك ... » (١)!

وهذه القصة بجميع رواياتها (٢) ، التي يرفع بعضها إلى

الرسول ﷺ (٣) ، باطلة ؛ لأنها تذهب بعصمة داود - عليه السلام - ،

١ الطبري : جامع البيان ج ٢٣ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

٢ انظر : المرجع السابق ج ٢٣ ص ١٤٦ - ١٥١ .

٣ انظر : المرجع السابق ، ج ٢٣ ص ١٥٠ - ١٥١ .

والأنبياء معصومون - كما هو معلوم - (١).

والمحققون من المفسرين على أن تلك الروايات باطلة (٢) ، حتى قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - .

«قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه » (٣).

إلى أن قال :

« فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضاً » (٤).

ولكن الدكتور (محمد بن محمد أبو شهبة) (٥) - أستاذ علوم القرآن والحديث ب (جامعة الأزهر) و (جامعة أم القرى) ، رحمه الله تعالى - يتساءل عن التفسير الصحيح لهذه الآيات الكريمة ، ثم يرد ، بقوله :

«والجواب : أن داود - عليه السلام - كان قد وزع مهام أعماله ، ومسؤولياته نحو نفسه ، ونحو الرعية على الأيام ، وخص كل يوم بعمل ، فجعل يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء وفصل الخصومات ، ويوماً للاشتغال بشؤون نفسه وأهله ، ويوماً لوعظ بني إسرائيل .

ففي يوم العبادة : بينما كان مشغولاً بعبادة ربه في محرابه ، إذ دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور ، ولم يدخل من المدخل المعتاد ،

١ انظر : ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٧٤ ، و : د/ محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٦٧ .

٢ انظر : د/ محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٦٤ - ٢٦٨ .

٣ تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣١ .

٤ المرجع السابق ج ٤ ص ٣١ .

٥ لم أقف له على ترجمة .

فارتاع منهما ، وفزع فزعاً لا يليق بمثله من المؤمنين ، فضلاً عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل ، الواصلين بحفظه ، ورعايته ، وظن بهما سوءاً ، وإنهما جاءا ليقطلاه ، أو يبغيا به شراً ، ولكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن ، وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه ، فلما قضى بينهما ، وتبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما ، استغفر ربه ، وخر ساجداً لله تعالى ، تحقيقاً لصدق توبته والإخلاص له ، وأناب إلى الله غاية الإنابة .

ومثل الأنبياء في علو شأنهم ، وقوة ثقتهم بالله والتوكل عليه ، ألا تعلق نفوسهم بمثل هذه الظنون بالأبرياء ، ومثل هذا الظن - وإن لم يكن ذنباً في العادة - إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى ، والأليق بهم فالرجلان خصمان حقيقة ، وليس ملكين كما زعموا ، والنعاج على حقيقتها ، وليس ثمة رموز ولا إشارات ، وهذا التأويل هو الذي يوافق نظم القرآن ويتفق وعصمة الأنبياء ، فالواجب الأخذ به ، ونبذ الخرافات ، والباطيل ، التي هي من صنع بني إسرائيل ، وتلقفها القصاص وأمثالهم ممن لا علم عندهم ، ولا تمييز بين الغث والسمين » (١) .

ثم ذكر (أبو شهبه) ، وجوهاً أخرى محتملة لتفسير تلك الآيات الكريمة (٢) ، ولكنها لا ترق إلى الوجه الأول الذي أثبتناه .

٣ - مسكوت عنه في شريعتنا ، من غير مؤيد ولا معارض ، ومثاله : ما رواه : السدي - رحمه الله تعالى - أنه قال في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ

١ الإسراييليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٦٩ .

٢ انظر : المرجع السابق ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... ﴿١﴾ :

«كان رجل من بني إسرائيل مكثراً من المال ، وكانت له ابنة ، وكان له ابن أخ محتاج ، فخطب إليه ابن أخيه ابنته ، فأبى أن يزوجه إياها ، فغضب الفتى ، وقال : والله لأقتلن عمي ، ولأخذن ماله ، ولأنكحن ابنته ، ولأكلن ديتة ، فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل ، فقال : يا عم ، انطلق معي ، فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلني أصيب فيها ، فإنهم إذا رأوك معي أعطوني ، فخرج العم مع الفتى ليلاً ، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه ، كأنه لا يدري أين هو ، فلم يجده ، فأنطلق نحوه فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه ، فأخذهم ، وقال : قتلتم عمي ، فأدوا إلى ديتة ، وجعل يبكي ، ويحثو التراب على رأسه ، وينادي واعماء ، فرفعهم إلى موسى [عليه السلام] ، فقاضى عليهم بالدية ، فقالوا له : يا رسول الله ، ادع لنا ، حتى تبين له من صاحبه ، فيؤخذ صاحب الجريمة ، فوالله إن ديتة علينا لهينة ، ولكننا نستحي أن نغير به ... ، فقال لهم موسى : (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) ، قالوا : نسألك عن القتل ، وعن قتله ، وتقول : اذبحوا بقرة ، أتتهزأ بنا ؟ ، قال موسى : (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) ، قال ابن عباس [رضي الله عنهما] : فلو اعترضوا بقرة ، فذبحوها ، لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى ، فشدد الله عليهم ، فقالوا : (أدع لنا ربك يبين لنا ما هي) ، [وهذا ما قصته الآيات الكريمة ، حيث يقول الله تعالى : ﴿وَإِنْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ * قالوا ادع لنا

ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض (١) ولا بكر (٢) عوان (٣) بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون * وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴿٤٤﴾ ، فطلبوها فلم يقدروا عليها ، وكان رجل من بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه ... ، فمرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة ، فأبصروا البقرة عنده ، فسألوه أن يبيعهم إياها بقرة ببقرة فأبى ، فأعطوه ثنتين فأبى ، فزادوه حتى بلغوا عشراً فأبى ، فقالوا : والله لا نتركك حتى نأخذها منك ، فانطلقوا به إلى موسى ، فقالوا : يا نبي الله ، إنا وجدنا البقرة عند هذا فأبى أن يعطيناها ، وقد أعطيناها ثمناً ، فقال له موسى : أعطهم بقرتك ، فقال : يا رسول الله ، أنا أحق بمالي ، فقال : صدقت ، وقال للقوم : ارضوا صاحبكم ، فأعطوه وزنها ذهباً فأبى ، فأضعفوا له مثل ما أعطوه وزنها ، حتى أعطوه وزنها عشر مرات ، فباعهم إياها ،

١ الفارض : الهرمة ، التي لا تند . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٣٣٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٠٩ .

٢ البكر : الشابة ، التي لم تند إلا ولداً واحداً . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٣٣٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٠٩ .

٣ العوان : النصف التي بين الهرمة والشابة ، قد ولدت وولد ولدها . انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٣٣٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٠٩ .

٤ سورة البقرة : آية ٦٧ - ٧٣ .

وأخذ ثمنها ، فقال : اذبحوها ، فذبحوها ، فقال : اضربوه ببعضها ، فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين ، فعاش ، فسأله : من قتلك ؟ ، فقال لهم : ابن أخي ، قال : أقتله ، وأخذ ماله ، وأنكح ابنته ، فأخذوا الغلام ، فقتلوه (١).

ج - باعتبار موضع الخبر :

تنقسم (الإسرائيليات) ، باعتبار (موضع الخبر الإسرائيلي) إلى (ثلاثة أقسام) ، هي :

١ - ما يتعلق بالعقائد ، ومثاله : ما رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال :

«جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، وسائر الخلائق على أصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ، تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وما قدره الله حق قدره﴾ (٢) (٣).

٢ - ما يتعلق بالأحكام ، ومثاله : ما رواه البراء بن عازب - رضي الله عنه - أنه قال :

«مر على النبي ﷺ يهودي محمماً مجلوداً ، فدعاهم ﷺ ، فقال : هكذا

١ الطبري - واللفظ له - : جامع البيان ج ١ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٠٩ .

٢ سورة الزمر ، آية : ٦٧ .

٣ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب تفسير القرآن «٦٥») ، (تفسير سورة الزمر «٣٩») ، (باب قوله وما قدره الله حق قدره «٢») ج ٦ ص ٣٣ ، و : صحيح مسلم : (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم «٥٠») ، (كتاب صفة القيامة والجنة والنار) ، حديث رقم (٢٧٨٦/١٩) ج ٤ ص ٢١٤٧ ، و : سنن الترمذي : (كتاب تفسير القرآن «٤٨») ، (باب تفسير سورة الزمر «٤١») ، حديث رقم (٣٢٣٨) ج ٥ ص ٣٧١ .

تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ ، قالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم ، فقال : أنشدكم بالله ، الذي أنزل التوراه على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ ، قال : لا ، ولو لا أنك تشدتنى بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، قلنا : تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه ، فأمر به فرجم^(١).

٣ - ما يتعلق بالمواعظ والحوادث ، التي لا تمت إلى العقائد والأحكام بصلة ، ومثاله : ما رواه ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - أنه قال :

«إن الله أمره [يعني نوحاً - عليه السلام -] أن يصنعها [أي السفينة] - من خشب الساج ، وأن يجعل طولها ثمانين ذراعاً ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار ، وأن يجعل لها جؤجؤاً (٢) أزور (٣) يشق الماء» (٤).

٣ - حكم رواية الإسرائيليات :

إن ما جاء من (الإسرائيليات) موافقاً لما في شريعتنا الإسلامية ، صدقناه ، وجازت روايته ، وما جاء مخالفاً لما في شريعتنا ، كذبناه ، وحرمت روايته ، إلا لبيان بطلانه ، وما سككت عن شريعتنا ، توقفنا فيه ، فلا نحكم

١ الحديث سبق تخريجه . راجع : ص ٣٦٤ .

٢ الجؤجؤ : الصدر ، والمقصود هنا : مقدمة السفينة . انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة جاجأ) ج ١ ص ٤٢ .

٣ الأزور : المائل ، والمقصود هنا : أن مقدمة السفينة مائل - انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة زور) ج ٤ ص ٣٣٣ .

٤ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٤٤ .

و : هذه الرواية مأخوذة في مجملها عن (التوراة) . انظر تكوين ١٤/٦ - ١٦

بصدقه ولا بكذبه ، وتجوز روايته فيما قد يجوزُه العقل ؛ لأن غالب ما يروى من ذلك راجع إلى القصص والأخبار ، لا إلى العقائد والأحكام ، وفي الاكتفاء بما في شريعتنا - الكاملة - عنه غنية (١).

والأصل في جواز رواية ما سكنت عنه شريعتنا ، ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه قال : أن النبي ﷺ قال : «بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» (٢).
ثم يطبق - بعد ذلك - على ما جازت روايته مسألة (درجة الحديث) : صحة ، وضعفاً ، ووضعاً ، كما ذكرنا قبل قليل (٣).

٤ - خطر الإسرائيليات على الفكر الإسلامي :

لقد أصبحت (الإسرائيليات) ، ولاسيما ما كان منها منسوباً إلى رسول الله ﷺ زوراً - وهو ما يعرف بـ (الوضع في الحديث) - مصدراً من المصادر الدخيلة التي شوهت (الفكر الإسلامي) الناصع ؛ لتكون هدفاً للمستشرقين من اليهود - وغيرهم - للطعن - مرة أخرى - في الإسلام ! (٤).

١ انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٢١ ، و : د / محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٦٨ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د / محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٥٥ - ٧١ .

٢ صحيح البخاري - واللفظ له - : (كتاب الأنبياء «٦٠») ، (باب ما ذكر عن بني إسرائيل «٥٠»)
ج ٤ ص ١٤٥ ، و : سنن أبي داود : (كتاب العلم) ، (باب الحديث عن بني إسرائيل) حديث رقم (٣٦٦٢) ج ٣ ص ٣٢٢ ، و : سنن الترمذي : (كتاب العلم «٤٣») ، (باب في الحديث عن بني إسرائيل «١٣») ، حديث رقم (٢٦٦٩) ج ٥ ص ٤٠ ، و : مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ١٥٩ .

٣ راجع : (باعتبار الدرجة) ص ٥٧٦ .

٤ انظر : د / محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٣٢ ، و : د / محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٩٤ .

وهذا ما تنبّهت له جهابذة الأمة الإسلامية منذ القديم ، حيث تصدّروا لهذه المشكلة ، فوضعوا قواعد في دراسة الأحاديث ، لمعرفة الغث من السمين ، وهذا ما يعرف بـ (مصطلح الحديث) (١) .
ولكن الحاجة ما تزال قائمة في تخليص كتب (التفسير) (٢) و (الحديث) من هذا الهراء الفكري الدخيل .

١ مصطلح الحديث : علم وضع أصوله علماء (الأمة الإسلامية) ؛ لمعرفة أحوال (الحديث النبوي) - الشريف - ، من حيث سنّده ، ومثله ؛ لتمييز الصحيح من السقيم . انظر : د/ محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص ١٤ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د/ محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث .

٢ من أشهر كتب (التفسير) التي تذكر (الإسرائيليات) بأسانيدها ، ولا تنقد ما ترويه إلا قليلاً : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري .

و : من أشهر كتب (التفسير) التي تذكر (الإسرائيليات) بأسانيدها ، ثم تعقب عليها ببيان ما فيها من الأباطيل ، إلا نادراً ؛ تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير .

و : من أشهر كتب (التفسير) التي تذكر (الإسرائيليات) دون أن تغفل شاردة أو واردة ، ولا تسند شيئاً من ذلك ، ولا تعقب عليها ببيان ما فيها من باطل : الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، للثعلبي .

و : من أشهر كتب (التفسير) التي تذكر (الإسرائيليات) ولا تسندها ، ولكنها أحياناً تشير إلى ضعفها ، وأحياناً تصرح بعدم صحتها ، وأحياناً تروي ما تروي دون أن تنقدها ولو بكلمة واحدة ، على الرغم من مخالفتها القواعد الشرعية : لياق التأويل في معاني التنزيل ، للخازن .

و : من أشهر كتب (التفسير) التي تذكر (الإسرائيليات) ولا تسندها ، وهي حين تذكرها لا تقصد إلا بيان ما فيها من زيف وباطل ، ونادر جداً إلا تذكر شيئاً ولا تعقب عليه : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي .

و : من أشهر كتب (التفسير) التي حملت على المفسرين ، الذين أغرموا برواية (الإسرائيليات) حملة شعواء ، وتطرف أصحابها فقتلوا من تنسب إليهم - ولو ادعاءً - من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - بما لا يتفق وكرامتهم ، ثم هم على الرغم من ذلك يقعون بما عابوه على غيرهم من رواية (الإسرائيليات) تورطاً بليغاً : تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، لمحمد رشيد رضا .

انظر : د/ محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٢١ - ١٩٤ ، و : د/ محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١١٤ - ١٤٧ .

٢ - تزييف التاريخ الإسلامي :

لقد تسرب (الفكر اليهودي) ، المعروف بـ (الاسرائيليات) - التي تحدثنا عنها في الفقرة السابقة - إلى (التاريخ الإسلامي) ، عبر ثلاث مراحل رئيسة ، هي :

أ - مرحلة الرواية الشفهية :

ظهرت هذه المرحلة (الرواية الشفهية) في (العهد الراشدي) ، من خلال (القصص القرآني) ، الذي سرعان ما أصبح منفذاً من أسهل المنافذ ، التي تسرب منها (الفكر اليهودي) ، عن طريق (القصاصين) ، وكان أغلبهم من (اليهود) ، الذين لم يحسن إسلامهم ، فقد كانوا يمزجون الخبر الشفهي بشيء من الأساطير اليهودية ، التي لا يتورعون عن نسبة أكثرها - زوراً - إلى الرسول ﷺ ؛ مما أدى إلى حشو (التاريخ) ببعض تلك الخرافات ، التي اعتمد عليها بعض المؤرخين في المراحل التالية (١).

ب - مرحلة التدوين التاريخي :

تمخض عن هذه المرحلة (التدوين التاريخي) ، التي صاحبت تدوين (التفسير) و (الحديث) ، ظهور كتب (المغازي والسير) ، التي لم تسلم من تسرب (الفكر اليهودي) إليها ، عن طريق (الاسرائيليات) ، المنسوب

١ انظر : د/ محمد محمد زغروت : أثر الفكر اليهودي في كتابة التاريخ الإسلامي من ١٠ - ١٣ .

أكثرها إلى الرسول ﷺ ! (١).

ج - مرحلة التاريخ العام :

وهذه المرحلة (التاريخ العام) ، التي كتبت فيها التواريخ المطولة ، والتي تناول تاريخ البشرية ، منذ خلق الكون ، مروراً ببداء الخليقة ، وحتى عصر مؤلفيها ، لم تسلم هي الأخرى من تسرب (الفكر اليهودي) إليها ، ولاسيما ما يخص (التاريخ اليهودي) (٢).

ومما زاد الطين بلة في هذه المرحلة : أن تحررت أكثر هذه الكتب من أساليب المحدثين ، المعتمدة على سلسلة الإسناد ! (٣).

وهذا يستدعي المؤرخين المسلمين (٤) للعمل الجاد ، من أجل تنقية (التاريخ الإسلامي) مما تسرب إليه من أفكار باطلة ، ولاسيما (الفكر اليهودي) ، من خلال الاستفادة من مناهج المحدثين (٥) في تنقية (السنة النبوية) مما علق بها من مثل تلك الأفكار المشابهة (٦) .

هذه أهم (آثار العنصرية اليهودية) في (العهد الأموي) ، وهي - كما رأينا - آثار فكرية ، ما يزال مجتمعنا الإسلامي يعاني منها إلى يومنا هذا .

١ انظر : المرجع السابق ص ١٥ - ١٩ .

٢ انظر : المرجع السابق ص ٢١ .

٣ انظر : المرجع السابق ص ٢٣ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : د/ محمد زغروت : أثر الفكر اليهودي في كتابة التاريخ الإسلامي .

٤ هنالك جهود موفقة ، بدأها في هذا المضمار بعض المفكرين المسلمين ، من أمثال المحدث العراقي الدكتور (أكرم ضياء العمري) رئيس (المجلس العلمي) ورئيس (قسم الدراسات العليا) في (الجامعة الإسلامية) بـ (المدينة) ، وذلك في كتابه : المجتمع المدني في عهد النبوة .

٥ راجع : التعريف بـ (مصطلح الحديث) ص ٥٩٠ .

٦ راجع : (خطر الإسرائيليات على الفكر الإسلامي) ص ٥٨٩ .

ثالثاً : أثر العنصرية اليهودية في العهد العباسي :

لقد توسعت (آثار العنصرية اليهودية) في (العهد العباسي) ، عنها في (العهد الأموي) - ، فشملت - بالإضافة (١) إلى النواحي الفكرية - النواحي العسكرية ، التي ساهمت في سقوط (الدولة العباسية) (٢) ، على ما سنفصله فيما يأتي :

١ من آثار اليهود في (الناحية الاجتماعية) في (العهد العباسي) التعامل بـ (الربا) ، وهذا ليس جديداً عليهم ، فهم أربابه في مختلف العصور . انظر : آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

٢ الدولة العباسية : نسبة إلى (العباس بن عبدالمطلب) - رضي الله عنه - . أسس العباسيون دولة عظيمة ، خليفاتها الأول : (أبو العباس السفاح) ، ومؤسسها الحقيقي : خليفاتها الثاني (أبو جعفر المنصور) . وعاصمتها (بغداد) ، وهي أطول دول العالم عهداً ، إذ يزيد عمرها على (سبعة قرون) ، حيث تعاقب على حكمها (أربعة وخمسين خليفة) ، وقد مرت (الدولة العباسية) بـ (ثلاثة أدوار) رئيسة ، هي :

١- دور الازدهار : الذي ابتدأ منذ تأسيسها عام ١٣٢هـ - ٧٥٠م ، حتى نهاية عهد خليفاتها العاشر : (المتوكل) ، عام ٢٤٧هـ - ٨٦١م . ومن أشهر خلفاء هذا الدور : (هارون الرشيد) ، و (المأمون) .

٢- دور الاستقرار والتفكك : الذي ابتدأ منذ عهد خليفاتها الحادي عشر : (المنتصر) ، عام ٢٤٧هـ - ٨٦١م ، وانتهى بمقتل آخر خلفائها : (المستعصم بالله) ، عام ٦٥٦ - ١٢٥٨م ، وبه تنتهي (الدولة العباسية) .

٣- دور الخلافة الشكلية : الذي ابتدأ بنقل (المماليك) في مصر مركز (الخلافة العباسية) من (بغداد) - بعد سقوطها - إلى (القاهرة) ، ببيعتهم (المستنصر) ، عام ٦٥٩هـ - ١٢٦١م ؛ ليتوالى بعده خلفاء ليس لهم من الأمر شيء ، كان آخرهم (المتوكل الثالث) ، الذي فتح - على عهده - العثمانيون مصر ، عام ٩٢٢هـ - ١٥١٧م ، لتنتهي بذلك (الخلافة العباسية) .

انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٧١٧ - ٧١٨ ، و : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٥ ص ٨٤ - ٩٠ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٧٦ - ١١٧٨ .

و : لمزيد من المعلومات حول (الدولة العباسية) . انظر : محمد الخضري بك : الدولة العباسية .

١ - محاولة الاستيلاء على بيت المقدس :

تحدثنا - فيما مضى - (١) عن أشهر الحركات اليهودية ، التي حاولت العودة باليهود إلى (فلسطين) ، وهنا سيكون حديثنا عن حركتين ظهرت في المحيط الإسلامي (٢) ، لتحقيق الهدف نفسه ، وهما :

أ - حركة (أبي عيسى الأصفهاني) (٣) :

وقد ادعى هذا اليهودي ، الذي ظهر في (أصفهان) ، في بلاد (فارس) ، في أواخر عهد (الدولة الأموية) ، أنه هو (المسيح المنتظر) ، الذي سيعود باليهود إلى (بيت المقدس) ، حيث أعد لذلك جيشاً قوامه (١٠,٠٠٠ مقاتل) من اليهود ، ولكن (الدولة العباسية) - التي خلفت (الدولة الأموية) - تمكنت من القضاء عليها ، ففر (أبو عيسى) باتجاه الشمال ! (٤).

ب - حركة (داود الرائي) (٥) :

١ راجع : (المحاولات اليهودية العودة باليهود إلى فلسطين) ج ١ ص ٢١٠ .
٢ لمزيد من المعلومات حول (الحركات اليهودية التي ظهرت في عهود الدولة الإسلامية) . انظر : د/حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي ص ١١٥ - ١٢٧ ، و : عبدالعزيز مصطفى : قبل أن يهدم الأقصى ص ١٣٥ - ١٣٦ .

٣ أبو عيسى الأصفهاني : (القرن ٢هـ - ٨م) هو أبو عيسى إسحاق بن يعقوب عوبديا الأصفهاني يهودي ، ولد في (أصفهان) في بلاد (فارس) ، وقد تناول (الشريعة اليهودية) بالتغيير والتبديل ، بدأ (أبو عيسى الأصفهاني) أولى خطواته بادعاء (المسيحانية) بمحاولة القيام بحركة تهدف إلى العودة باليهود إلى (فلسطين) ، ولكن مصير هذه الحركة - كما ذكرنا أعلاه - كان الفشل . انظر : د/ حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي ص ١١٥ ، و : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ٢٢٢ .

■ انظر : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ١ (اليهودية) ص ٢٢٢ ، نقلا عن :

Mgrayolis: Gnd Mark : A History of the Jewish people P. 259.

٥ داود الرائي : (٥٢٩ - ٥٥٨هـ = ١١٣٥ - ١١٦٣م) هو داود بن سليمان الرائي . يهودي ، ولد في مدينة (آمد) في إقليم (كرديستان) . ودرس في شبابه (التوراة) و (التلمود) على أكثر أساتذة

وقد ادعى هذا اليهودي ، الذي ظهر في (آمد) ، في إقليم (کردستان) ، حوالي عام ٥٥٨هـ - ١١٦٣م ، أنه هو (المسيح المنتظر) ، الذي سينتزع (بيت المقدس) من المسلمين ، ليقم عليها دولة يهودية ، حيث تحمس لتلك الحركة كثير من اليهود ، ولاسيما (يهود أذربيجان) ، الذين كونوا جيشاً من المتطوعين ، وضعوه تحت قيادته ، ولكن الجيوش الإسلامية تمكنت من الفتك بجيوشه ، والقضاء عليه هو نفسه في المعركة (١) ! .

٢ - القول ببدعة خلق القرآن الكريم :

لقد تسربت إلى فكر (المعتزلة) (٢) بعض الأفكار اليهودية ، كـ

عصره ، ومن أشهرهم (حسداي) رئيس اليهود في العراق . كما أتقن العلوم العربية المزدهرة - آنذاك - ، وأوغل في تعلم السحر ، والتنجيم ، وسائر هذه المعارف السرية . بدأ (داود) الراشي خطواته الأولى نحو ادعاء (المسيحانية) حوالي عام ٥٥٨هـ - ١١٦٣م ، بمحاولة القيام بحركة تهدف إلى العودة باليهود إلى (فلسطين) ، ولكن مصير هذه الحركة - كما ذكرنا أعلاه - كان الفشل ، حيث انتهت بقتله ؛ ليتحول - بعد ذلك - عند اليهود إلى أسطورة ، حافلة بالخوارق الخرافية ! . انظر : د/ حسن ظا : الفكر الديني اليهودي ص ١١٦ - ١١٩ .

١ انظر: د/ حسن ظا : الفكر الديني اليهودي ص ١١٧ - ١١٨ .

٢ المعتزلة : فرقة كلامية إسلامية ، ظهرت في (أواخر القرن الأول الهجري) ، وبلغت شأوها في (العصر العباسي الأول) ، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها (واصل بن عطاء) مجلس (الحسن البصري) ، لقول (واصل) بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، خلافاً لما يراه (أهل السنة) من أنه لا يخرج من دائرة الإيمان ، ولما يراه (الخوارج) من أنه كافر . امتازت هذه الفرقة بحرية الفكر ، والاعتداد بالعقل ، وقوة الحجة ، ولهذه الفرقة مدرستان رئيستان : إحداهما في البصرة ، ومن أشهر رجالها : واصل بن عطاء ، و عمرو بن عبيد ، وأبو الهذيل ، والجاحظ ، والنظام . والأخرى في (بغداد) ، ومن أشهر رجالها : بشر بن المعتمد ، وأبو موسى المردار ، وثمامة بن الأشرس ، وأحمد بن أبي دؤاد . وقد رفض أئمة هذه الفرقة الوظائف الإدارية ، ليتفرغوا للبحث والمناظرة ، ثم انغمسوا في السياسة . والمعتزلة (أصول خمسة) يدور عليها مذهبهم : ١ - العدل ، ٢ - التوحيد ، ٣ - المنزلة بين المنزلتين ، ٤ - الوعد والوعيد ، ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٤٣ - ٨٥ ، و: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧١٨ . ولمزيد من المعلومات حول فرقة (المعتزلة) . انظر : عواد بن عبدالله المعتق : المعتزلة

(بدعة القول بخلق القرآن (١) الكريم) (٢) ، التي قال بها - لأول (٣) مرة - (٤) - اليهودي (لبيد بن الأعصم) (٥) ، الذي سحر الرسول ﷺ (٦) .

٣ - نشأة الفرق العقدية الضالة :

تحدثنا - فيما مضى - عن دور اليهود في نشأة أعظم فرقتين ، شرختا في الإسلام شرخا لا يجبر ، من خلال أحداث (الفتنة الكبرى) (٧) ، وهما

وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها .

١ لقد سافت (المعتزلة) عدة حجج بواطل ، ادعوا فيها أنها تثبت بدعتهم القاطنة بـ (خلق القرآن) !
- انظر : عواد بن عبدالله المعتق : المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منه ص ١١٦ - ١٢٥ .

٢ لقد اقتنع الخليفة العباسي (المأمون) بهذه الفكرة الاعتزالية (بدعة القول بخلق القرآن الكريم) .
- بتأثير من وزيره إمام المعتزلة (أحمد بن أبي دؤاد) ، فأجبر العلماء على القول بها عام ٢١٨هـ - ٨٢٣م ، فأصابهم من جراء ذلك بلاء عظيم . و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع - انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ٦٣٩ - ٦٤٥ ، و : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٢٢ - ٢٢٦ . و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ و ٣٦٥ - ٣٦٩ .

٣ يقال : إن أول من قال بـ (خلق القرآن) هو (المغيرة بن سعيد العجلي) ، وكان من أتباع (عبدالله بن سبأ) اليهودي ! . انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ١ ص ١٤٨ .

٤ لقد كان داعية القول بـ (بدعة خلق القرآن الكريم) هو إمام المعتزلة (أحمد بن دؤاد) الذي أخذها عن (البشر المريسي) - وهو من أصل يهودي - ، عن (الجهم بن صفوان) ، عن (الجعدي بن درهم) ، عن (أبان بن سماعيل) ، عن (طالوت) - اليهودي - عن خاله (لبيد بن الأعصم) - اليهودي - الذي قال بها لأول مرة - كما ذكرنا أعلاه . انظر : ابن نباتة : سرخ العيون ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، و : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٨٢ ، و ج ١٠ ص ٣٠ و ٣٥٢ .

و عن يهودية (بشر المريسي) . انظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٧ ص ٦١ .
و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع - انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٠ .
و : أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٦١ - ٢٠٧ .

٥ راجع : ترجمة (لبيد بن الأعصم) ص ٣٧٤ .

٦ راجع : (محاوالتهم القضاء على نشاط الرسول ﷺ بالسحر) ص ٣٧٤ .

٧ راجع : (الفتنة الكبرى) ص ٥٢٦ .

فرقتا (الشيعة) (١) و (الخوارج) (٢) ؛ ليبدأ - بعد ذلك - مسلسل نشأة الفرق العقدية الضالة (٣) .

وحسبنا من تلك الفرق ما كان الأثر اليهودي فيها مباشراً ، كما سنرى في الفقرة التالية :

§§ الباطنية :

يعتبر (التشيع) ثوباً يتستر به كل من يريد أن يبذر الفتن ضد الإسلام والمسلمين (٤) ، وذلك عن طريق ابتداء مناهج باطنية في تأويل (الشريعة الإسلامية) الواضحة ، على نحو يفضي إلى نسخها تماماً ! (٥) .
فما (الباطنية) - هذه - ياترى ؟ .

١ - مفهوم الباطنية :

أ - المعنى اللغوي لكلمة (الباطنية) :

الباطنية : نسبة إلى (الباطن) ، وهو داخل كل شيء (٦).

ب - المعنى الاصطلاحي للباطنية :

- ١ راجع : (علاقة التشيع باليهودية) ص ٥٥٥ .
- ٢ راجع : (نشأة فرقة الخوارج) ص ٥٤٣ .
- ٣ انظر : د / جميل عبدالله المصري : اثر أهل الكتاب في الفتن والحرب الأهلية في القرن الأول الهجري ص ٣١٥ - ٣٢٦ ، و : د / محمد علي الزعبي : حقيقة الماسونية ص ٢٢٢ - ٢٢٦ .
- ٤ انظر : أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٧٦ .
- ٥ انظر : د / محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - عقائدها وحكم الإسلام فيها ص ٢٠ - ٢١ .
- ٦ انظر : الفيروزآبادي : القاموس المحيط (مادة البطن) ج ٤ ص ٢٠٢ .

الباطنية : اتجاه تشيعي (١) بعمومه ، يندرج تحته عدة فرق ، يجمع بينها مبدأ تأويل النصوص الظاهرة بتأويلات باطنية (٢) رمزية ، تشير إلى حقائق معينة ، لا يدركها - في زعمهم - إلا العقلاء ، ممن أخذوا بهذا الاتجاه (٣) .

٢ - نشأة الباطنية :

تحدثنا - فيما مضى - عن دور اليهود - بقيادة (عبد الله بن سبأ) - في نشأة (التشيع) ، إبان أحداث (الفتنة الكبرى) (٤) ، في (العقد الرابع) من (القرن الأول الهجري) ، ليزداد الأمر ضراوة مع قيام اليهودي المنافق (ميمون القداح) (٥) ، بـ (الكوفة) عام ٢٧٦هـ - ٨٨٩م ،

١ انظر : د/ صابر طعيمة : دراسات في الفرق (الشيعة ، النصيرية ، الباطنية ، الصوفية ، الخوارج) ص ٨٧ .

٢ من التأويل الباطني في قول الله تعالى : ﴿ وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ : سورة النحل ، آية : ٩٠ : أن الفحشاء : أبوبكر الصديق ، والمنكر : عمر بن الخطاب ، والبغى : عثمان بن عفان . انظر : الديلمي : بيان مذهب الباطنية ويطالونه ص ٥٣ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : الديلمي : بيان مذهب الباطنية ويطالونه ص ٣٩ - ٥٨ .

٣ انظر : أباحامد الغزالي : فضائح الباطنية ص ١١ ، و : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢ ، و : الديلمي : بيان مذهب الباطنية ويطالونه ص ٤ .

و : لمزيد من المعلومات حول (التأويل الباطني) . انظر : د/ فتحي محمد الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالاديان المغايرة للإسلام (اليهودية ، المسيحية ، المجوسية) ص ٣٩٦ - ٤٠٩ .

٤ راجع : (الفتنة الكبرى) ص ٥٢٦ .

٥ ميمون القداح : (حوالي ١٠٠ - ١٧٠هـ = ٧١٨ - ٧٨٦م) هو أبوشاكر ميمون بن سعيد - أوديسان أو غيلان - القداح ، رأس الفرقة (الميمونية) - الإسماعيلية ، الباطنية - . ولد بـ (مكة) ، وانتقل إلى (الأهوار) ، كان يظهر (التشيع) ، ويبطن (الزندقة) . اتصل بـ (محمد الباقر) وابنه (جعفر الصادق) - رحمهما الله تعالى - ، ويقال : إنه أدرك (محمد بن إسماعيل بن جعفر) - الذي تنسب إلى أبيه فرقة (الإسماعيلية) - ، ويقال : إنه لقنه مذهب (الباطنية) . رحل إلى (طبرستان) ، و (فلسطين) ، واستقر في (سلمية) بـ (سورية) ، حيث ألف كتابيه :

داعيا إلى الاتجاه الباطني في تأويل النصوص (١) - كما ذكرت قبل قليل - .

ولم تلبث (الباطنية) أن ظهرت فيها العقائد اليهودية ، المطعمة بالوثنية : الفارسية ، واليونانية ، بعد صبغها بصبغة إسلامية خادعة ، كفكرة : النور المحمدي ، وعصمة الأئمة ، ومعجزاتهم ، وتقديسهم ، والغيبة ، والرجعة ، والبداء ، والحلول ، وتجسيد الألوهية ، والتأويل ، والتشبيه ، إلى غير ذلك من الأفكار (٢) .

٣ - الفرق الباطنية:

تندرج (الباطنية) - على العموم - تحت (المذهب الشيعي) ، الذي أصبح - في نهاية الأمر - تابعا لها ، مع عدة فرق (٣) ، كلها تسعى إلى

(الميزان) ، و (الهداية) ، وتوفي بها ، عمل على إدخال (الفلسفة اليونانية) في المذهب الباطني ، ويقال : إن (الفاطميين) من نسله . انظر : إحسان إلهي ظهير : الإسماعيلية - تاريخ وعقائد ص ٣٩ - ١٠٠ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٣٤١ .

١ انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٨٢ و ٢٨٥ - ٢٨٦ ، و : الحمادي : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم ص ٣٢ - ٣٤ ، و : الديلمي : بيان مذهب الباطنية وطلانه ص ٤ ، و : إحسان إلهي ظهير : الإسماعيلية - تاريخ وعقائد ص ٥٣ - ٥٥ ، و : د / فتحي محمد الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام (اليهودية ، المسيحية ، المجوسية) ص ١٥٤ و ٣٨٤ - ٣٨٥ و : عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني : مكاييد يهودية عبر التاريخ ص ١٧١ - ١٧٧ .

٢ انظر : د / على سامي الفشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٤٧ ، و : د / محمد الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الاسلامي ص ٢١ .

و : لمزيد من المعلومات حول تأثير هذه الافكار اليهودية على (الباطنية) . انظر : د / فتحي الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ٣٩٦ - ٤٤٨ .

٣ انظر : الديلمي : بيان مذهب الباطنية وطلانه ص ٢١ - ٢٥ ، و : د / صابر طعيمة : دراسات في الفرق ص ٧٨ ، و : العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها ص ٨٩ - ٣٢٤ ، و : د / محمد الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الاسلامي ص ٥٥ - ٤٣٤ ، و : د / فتحي الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ٧٤ - ٢٦٨ .

القضاء على الإسلام والمسلمين ، منذ نشأتها ، وإلى يومنا هذا (١) .

وكل هذه (الفرق الباطنية) (٢) ، يتجلى فيها الأثر اليهودي نشأة وأحداثاً (٣) ، ولكن المقام لا يتسع للحديث التفصيلي عنها ، وذلك لأمر ، أهمها :

١ - أن أثر اليهود في تلك (الفرق الباطنية) سري محض ، تمثل في الدور القيادي لمديرها اليهود ، الذين أعلنوا الإسلام نفاقاً ؛ ليتمكنوا من إحداث هذا الشرخ العظيم ، الذي تعاني منه (الأمة الإسلامية) ، إلى يومنا هذا .

٢ - أن تلك (الفرق الباطنية) قد تبلورت مذاهبها - فيما بعد - بمعزل عن التوجيه اليهودي المباشر ، على الرغم من التأثير اليهودي الجلي ، عن طريق تغلغل العقائد اليهودية فيها - كما ذكرنا قبل قليل - (٤) .

١ - انظر : د / محمد الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٤٣٥ - ٤٤٩ .

٢ - من أهم (الفرق الباطنية) :

١ - الشيعة ، ولاسيما (الرافضة) . راجع : التعريف بـ (الشيعة) ص ٥٥٦ .

٢ - الإسماعيلية : ويندرج تحتها عدة فرق ، أهمها :

أ - القرامطة . ب - الفاطمية . ج - الدروز . د - الحشاشون . هـ - البهـرة .
و - الأغاخانية . ز - إسماعيلية الشام ، وغيرها كثير . انظر : إحسان إلهي ظهير :
الإسماعيلية - تاريخ وعقائد ، و : الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض : الموسوعة
الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٤٣ - ٥٢ و ٢٠٨ - ٢٢١ و ٢٢٧ و ٣٩٣ - ٣٩٨ .

٣ - النصيرية . انظر : الحسيني عبدالله : الجذور التاريخية للتصيرية العلوية ، و :
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٥٠٩ - ٥١٧ .

٤ - لمزيد من المعلومات حول أثر (الباطنية) على العالم الإسلامي . انظر : د / محمد الخطيب :
الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٤٣٥ - ٤٤٨ ، و : عبدالرحمن الميداني : مكايد
يهودية ص ١٨٦ - ٢٠٥ .

٤ - راجع : (نشأة الباطنية) ص ٥٩٨ .

ولذلك ، عدّلت عن الحديث عنها للسببين السابقين (١) .

٤ - تزوير كتاب علي الرسول ﷺ :

لقد ادعى يهودي ، يزعم أنه من (يهود خيبر) في (أوائل القرن الرابع الهجري) أن معه كتاباً من الرسول ﷺ بإسقاط (الجزية) عن (يهود خيبر) ، فلما رفع أمره إلى الوزير العباسي (ابن الفرات) (٢) ، نظر في الكتاب (٣) ، فقال لصاحبه :

« هذا مزور ؛ لأن (خيبر) ، افتتحت بعد تاريخ كتابك بـ (سبعة وستين يوماً) ، ولكننا نحتمل عنك جزيتك ، إعظماً لحق من لجأت إلى الاعتصام به » (٤) .

كما أظهر يهودي آخر ، يزعم أنه من (يهود خيبر) - أيضاً - كتاباً

١ لمزيد من المعلومات حول (الباطنية) . انظر : الحمادي : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم ، و : أباحامد الغزالي : فضائح الباطنية ، و : الدليمي : بيان مذهب الباطنية ويطلائه ، و : د / صابر طعيمة : العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها ، و : د / محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - عقائدها وحكم الإسلام فيها .

٢ ابن الفرات : (٢٤١ - ٣١٢ هـ = ٨٥٥ - ٩٢٤ م) هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى ابن الفرات . وزير ، من الدهاة الفصحاء الأدباء الأجواد ، ولد في (النهروان الأعلى) - بين بغداد وواسط - واتصل بـ (المعتضد بالله) ، فولاه (ديوان السواد) ، ثم بلغ رتبة الوزارة في أوائل أيام (المقتدر) - بعد أن مهد له الدولة - ، فتولاها (ثلاث مرات) ، الأولى فيما بين عامي ٢٩٦ - ٢٩٩ هـ = ٩٠٨ - ٩١١ م ، انتهت بقيض (المقتدر) عليه ، وسجنه (خمس سنين) ، وأخرج من السجن إلى الوزارة عام ٣٠٤ هـ - ٩١٦ م ، فأقام (سنة وخمسة أشهر) ، ثم نكب بعدها عام ٣٠٦ - ٩١٨ م ، وسجن في قصر الخلافة (خمس سنين) ، وأخرج عام ٣١١ هـ - ٩٢٣ م ، وأعيد إلى الوزارة ، فبطلش بخصومه ، واتسق له الأمر (عشرة أشهر و ١٨ يوماً) ، قبض عليه عام ٣١٢ هـ - ٩٢٤ م ، حيث قتل ، وطرحت جثته في نهر (بجلة) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٤٧٤ - ٤٧٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٣٢٤ .

٣ انظر : الصابي : الوزراء (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) ص ٧٧ - ٧٨ .

٤ المرجع السابق ص ٧٨ .

من الرسول ﷺ بإسقاط (الجزية) عن (يهود خيبر) (١) ، فعرض على
(الخطيب البغدادي) (٢) ، فقال عنه :

« هذا مزور ... في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان ،
ومعاوية أسلم يوم الفتح [عام ٥٨ هـ - ٦٣٠م] ، وخيبر كانت في سنة
سبع [من الهجرة - ٦٢٨م] ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وكان قد مات يوم
الخنق في سنة خمس [من الهجرة - ٦٢٧م] » (٣) .
وهكذا ، لا يتورع اليهود عن استغلال أية وسيلة ممكنة - كعادتهم -
في سبيل تحقيق مطامعهم الدنيئة !

١ انظر : ياقوت : معجم الأدباء أو طبقات الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج ١ ص
٢٤٧ - ٢٤٨ ، و : آدم مئز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري ج ٢ ص ١٣٣ .
٢ الخطيب البغدادي : (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ = ١٠٠٢ - ١٠٧٢ م) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت
البغدادي ، المعروف بـ (الخطيب) . ولد في (غزية) - قرية في منتصف الطريق بين (مكة) و
(الكوفة) - ونشأ في (بغداد) ، رحل في طلب العلم إلى (مكة) ، و (البصرة) ، و (الدينور) ، و
(الكوفة) ، وغيرها ، وعاد إلى (بغداد) ، فقرَّبَه (ابن مسلمة) وزير (القائم) العباسي ، وعرف
قدره ، ثم حدثت شؤون ، خرج على إثرها مستتراً إلى (الشام) عام ٤٦٢ هـ - ١٠٧١ م ، فأقام
في (دمشق) ، و (صور) ، و (طرابلس) ، و (حلب) . ولما مرض مرضه الأخير أوقف كتبه وفرق
جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث . كان فصيح اللهجة ، عارفاً بالأدب ، يقول
الشعر ، ولوعاً بالمطالعة والتأليف ، حتى بلغت مصنفاته ما يزيد على (٧٩ كتاباً) ، من أهمها
: (تاريخ بغداد) ، و (البخلاء) ، و (الكفاية في علم الرواية) ، و (الفوائد المتتخبة) ، و
(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) ، و (تقييد العلم) ، و (شرف أصحاب الحديث) ، و
(الأسماء والألقاب) ، و (الأمالي) ، و (تلخيص المتشابه في الرسم) ، و (الرحلة في طلب
الحديث) ، و (الأسماء المبهمة) ، و (الفقيه والمتفقه) ، و (السابق واللاحق في تباعد ما بين
الراوي عن شيخ واحد) ، و (موضح أوهام الجمع والتفريق) ، و (اقتضاء العلم والعمل) ،
و (المتفق والمفترق) . توفي بـ (بغداد) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص
٢٧٠ - ٢٩٧ ، و : الزركلي : الأعلام ج ١ ص ١٧٢ .

٣ ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٤٨ .

٥ - ظهور الجمعيات السرية:

تشكل فرقة (إخوان الصفا) (١) ، التي نشأت في (البصرة) في (العراق) (٢) في (القرن الرابع الهجري) (٣)، جمعية علنية في رسائلها (٤)

١ إخوان الصفا : جماعة سرية ، دينية (إسماعيلية شيعية باطنية) ، سياسية ، فلسفية ، عاشوا في (البصرة) ، في (العراق) ، في (النصف الثاني من القرن ٤ هـ) ، تحت مسمى (إخوان الصفا وخلان الوفا) ، وكتبوا أسماء أشخاصهم ، حتى اختلف المؤرخون في تحقيقها . ويذكر منهم : أبوسلمان محمد بن بشير البستي المقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، ومحمد بن أحمد النهرجوري ، وزيد رفاعه ، والعوفي . صاغ (إخوان الصفا) مذهباً زعموا أنه أقرب الطرق الى رضوان الله تعالى ، على أساس التوفيق بين (الشريعة الإسلامية) ، و (الفلسفة اليونانية) ، بعد أن تدنست الأولى - في زعمهم - بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، وضمنوا هذه الآراء كتاباً عرف باسم (رسائل إخوان الصفا) ، يشتمل على (٥٢ رسالة) تبحث في (أربعة أقسام) : قسم في الرياضيات ، وقسم في الطبيعيات ، وقسم في العقليات ، وقسم في الإلهيات ، فضلاً عن الرسائل الجامعة ، التي توضح ما جاء في هذه الرسائل . انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ١ ص ٤٩ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٦ ، و : موسوعة السياسة ج ١ ص ١١٢ .

٢ انظر : د/ عمر فروخ : إخوان الصفا - درس ، عرض ، تحليل ص ١٨ ، و : سعيد زايد : رسائل إخوان الصفا ص ٧ ، و : د/ نادية جمال : فلسفة التربية عند إخوان الصفا ص ٨٧ ، و : علي بلحاج قاسم : إخوان الصفا في الميزان ص ١٥ ، و : يوحنا قمير : إخوان الصفا ص ١٠ .

٣ انظر : د/ عمر فروخ : إخوان الصفا ص ٢٤ ، و : سعيد زايد : رسائل إخوان الصفا ص ٧ ، و : د/ نادية جمال : فلسفة التربية عند إخوان الصفا ص ٩٠ ، و : علي قاسم : إخوان الصفا في الميزان ص ١٣ ، و : يوحنا قمير : إخوان الصفا ص ١٠ .

٤ يقارن (إخوان الصفا) بين رسائلهم و (القرآن الكريم) ، فيزعمون أن رسائلهم للخاصة ، بينما (القرآن الكريم) للعامة ! . انظر : د / محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - عقائدها وحكم الاسلام فيها ص ١٧٣ .

و : لمزيد من المعلومات حول (رسائل إخوان الصفا) . انظر : د/ عمر فروخ : إخوان الصفا ص ٣٣ - ١٨٤ ، و : د/ مصطفى غالب : إخوان الصفا ص ٣٠ - ١٩٣ ، و : د/ نادية جمال : فلسفة التربية عند إخوان الصفا ص ١٢٥ - ٤٠٥ .

، سرية إسماعيلية (١) في أهدافها (٢)، وهذا ما قرره (كارداي) (٣) ، في صدق ، حيث يقول :

« إن هذه الجماعة لم تكن جمعية فلسفية بسيطة ، وإنما كانت إلى جانب ذلك شيئاً آخر ، وإن كان من العسير أن يقال ماهو ذلك الشيء بالضبط ،... إنه يحوم حولها سر غريب ، وهو الذي يمنع من كشف غايتها وأعمالها ووسائلها ، ولكن الأمر المؤكد هو أن (إخوان الصفا) كانت لديهم أدوات أخرى للدعاية ، غير مؤلفاتهم ، بل أن هذه المؤلفات (رسائل إخوان الصفا) نفسها ، لم تقل كل شيء عنهم ، ولم توضح كيف كانوا ، ولا ماذا كانوا يفعلون ، ولكنهم كانوا يشتغلون بالسياسة» (٤) .

ولكن هذه الرسائل فيها ما يشف عن يهودية مؤلفيها ، الذين يرنون بأبصارهم إلى (فلسطين) ، فقد جاء فيها :

« تتقلب بنا تصارييف الزمان ونوائب الحدثان ، حتى جاء وقت

١ انظر : د/ عمر فروخ : إخوان الصفا ص ٥ - ٦ و ٣١ - ٢٢ ، و : سعيد زايد : رسائل إخوان الصفا ص ٨ ، و : د/ مصطفى غالب : إخوان الصفا ص ٢٠ - ٢٩ ، و : د/ تادية جمال : فلسفة التربية عند إخوان الصفا ص ٩٣ ، و : علي قاسم : إخوان الصفا في الميزان ص ١٦ .
بينما يرى الدكتور (عمر فروخ) - بعد أن عرض لإسماعيلية (إخوان الصفا) - أنهم ليسوا (إسماعيليين) ، على الحقيقة ، بل إنهم لا يهتمون بـ (الدين) أصلاً ، وأن ما ورد من أسماء ، ك : محمد ، والقرآن ، والإسلام ، وآل البيت ، وعلي ، وكربلاء ، إنما هي رموز باطنية ؛ لأنهم هاجموا بعض المعتقدات الشيعية ، ك : (الإمامة) و (الإمام المنتظر) . انظر : إخوان الصفا ص ٢٢ - ٢٤ .

٢ انظر : محمود ثابت الشاذلي : الماسونية عقدة المولد وعار النهاية ص ٢٨ - ٤٣ ، و : د/ محمد علي الزغبى : الماسونية في العراق ص ١٦٧ - ١٧١ ، و : حقيقة الماسونية ص ٣٣٥ - ٣٣٧ ، و : د/ محمد الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ١٦٩ - ١٧٧ ، و : علي قاسم : إخوان الصفا في الميزان ص ٢١ و ٢٦ .

٣ كارداي : لم أقف على ترجمة له .

٤ محمود الشاذلي : الماسونية عقدة المولد وعار النهاية ص ٣٠ .

الميعاد ، بعد تفرق في البلاد ، في مملكة صاحب الناموس (١) الأكبر ،
وشاهدنا مدينتنا الروحية ، المرتفعة في الهواء! (٢) .
وهنا تعود المسألة مرة أخرى إلى التمهيد للاستيلاء على (بيت
المقدس) ، كما هو ديدن اليهود في كل زمان ومكان .

٦ - دخول الرموز اليهودية في تراث الطرق الصوفية :

لقد وردت في كثير من (الكتب الروحانية الصوفية) بعض (الرموز
اليهودية) (٣) ، المشتملة على (الطلاسسم) ، ولا سيما (النجمة
السداسية) (٤) ، حيث أعطي لكل طلسم اسم من أسماء الله
الحسنى (٥) ! تعالى الله عن عبث الظالمين علواً كبيراً .

٧ - محاولة الاستيلاء على فلسطين :

لقد اتفقت رئاسة (الجالوت) (٦) اليهودية ، مع (الدولة

١ راجع : (التوراة أو الناموس) ج ١ ص ٨٦ .

٢ محمود الشاذلي : الماسونية عقدة المولد وعار النهاية ص ٢٩ .

٣ يذكر الشيخ / محمد بن ناصر أبوحبيب : أن (ابن عربي) صاحب (وحدة الوجود) يهودي ، أدخل
في (الطرق الصوفية) منهجه الفاسد في تأويل النصوص ! . انظر : أثر القوة الخفية الماسونية
على المسلمين ص ٣٤ - ٣٨ .

كما هو حال اليهودي (ميمون القداح) الذي دعا إلى الاتجاه الباطني في تأويل النصوص : راجع
(الباطنية) ص ٥٩٧ .

٤ راجع : التعريف بـ (النجمة السداسية) ج ٤ ص ٣٤١ .

٥ انظر : محمود الشاذلي : الماسونية عقدة المولد وعار النهاية ص ٤٩ - ٥٠ ، نقلاً عن : محمد
عبدالله الكاسي : الرسالة في وقوع إشارة الرسم الخماسي الاكرم على عبارة اسم الله الاعظم ،
مطبعة حسان ، القاهرة ، ص ٤٨ - ٤٩ .

٦ الجالوت : كلمة عبرية بمعنى (الجالية) . انظر : د/ حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي ص

البيزنطية) (١) ، في (القرن الرابع الهجري) ، على القيام بدور
تجسسي على (الدولة الفاطمية) (٢) ، في مصر (٣) ؛ من أجل تسهيل
احتلال أملاكها ، على أن تكون (فلسطين) من نصيب اليهود (٤) .
وقد انتدب لهذا الغرض اليهودي العراقي (يوسف بن يعقوب بن

١ راجع : التعريف بـ (الدولة الرومانية) ج ١ ص ٢١٧ .

٢ الدولة الفاطمية : نسبة إلى أسرة تدعى الانتساب إلى (فاطمة الزهراء) - رضى الله عنها - .
أسس الفاطميون دولة باطنية شيعية إسماعيلية ، قامت - أول الامر - في تونس ، بقيادة خليفتها
الأول (عبيد الله المهدي) عام ٢٩٧هـ - ٩٠٩م ، الذى أخذ من (القيروان) عاصمة لها ، ثم نقلها
إلى مدينة (المهديّة) عام ٣٠٨هـ - ٩٢٠م . وفى عهد خليفتها الرابع (المعز لدين الله) نجح
قائده (جوهر الصقلى) فى فتح (مصر) عام ٣٥٨هـ - ٩٦٩م ، وفيها بنى مدينة (القاهرة) ، التى
أصبحت عاصمة (الدولة الفاطمية) ، حيث أقاموا (الجامع الأزهر) . امتد سلطان الفاطميين إلى
غرب الجزيرة العربية ، وسوريا ، و فلسطين ، حتى أنهم هددوا عاصمة العباسيين (بغداد)
نفسها . ولكنها مالبثت أن فقدت الأجزاء القريبة من الدولة وكونت دويلات منفصلة . يبلغ عدد
الخلفاء الفاطميين (أربعة عشر خليفة) ، أشهرهم - بالإضافة إلى السابقين - (الحاكم بأمر الله
: ٣٨٦ - ٤١١ هـ = ٩٩٦ - ١٠٢٠م) ، وآخرهم : (العاقد لدين الله) ، الذى انتهت (الدولة
الفاطمية) بوفاته ، عام ٥٦٧ هـ - ١١٧١م ؛ لتقوم عقباها (الدولة الأيوبية) . انظر : الموسوعة
العربية الميسرة ص ١٢٦٧ ، و : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٧١٩ ، و : ابن حماد : أخبار
ملوك بني عبيد وسيرتهم ص ٣٣ - ١١٠ .
و : لمزيد من المعلومات حول (الدولة الفاطمية) . انظر : ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد
وسيرتهم .

٣ لقد وصلت العلاقات بين (الدولة الفاطمية) - الباطنية - ، وبين اليهود - الذين كانوا يقيمون
فيها - حداً فاق كل تصور . حتى قال أحد الشعراء المصريين :
يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك .

انظر : السيرطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ج ٢ ص ٢٠١ .

٤ انظر : د/ محمد الزمعي : الماسونية في العراق ص ١٩٥ ، و : حقيقة الماسونية ص ٣٣٣ ،
نقلا عن : ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد (مخطوط) .

كلس) (١)، الذي حلّ مصر زاعماً للإسلام (٢)، فتسلم مركزاً مرموقاً عند الفاطميين ، استطاع من خلاله اختلاس كثير من الأسرار المالية والحربية! (٣).

ولكن الفاطميين استطاعوا أن يلمسوا خيانتة ، فأعدموه وشريكه اليهودي (الفضل بن أبي الفضل) (٤) عام ٣٨٠هـ - ٩٩٠ م (٥).

٨ - المساهمة في تمويل الحروب الصليبية :

لقد التقت مصالح الاقطاعيين الأوروبيين مع مصالح المرابين اليهود ، وذلك بشن حملة كبرى على (المشرق العربي الإسلامي) ، الذي ينعم بالخيرات (٦).

وقد انتشر اليهود في أنحاء أوروبا كلها لإقناع النصارى ، عن طريق

١ يوسف بن يعقوب بن كلس : (؟ - ٣٨٠هـ = ؟ - ٩٩٠) هو أبو الفرج يوسف بن يعقوب بن كلس . يهودي عراقي ، قام بدور تجسسي على (الدولة الفاطمية) بمصر ، فقتله (الفاطيون) - كما فصلنا ذلك أعلاه -

٢ يذكر ابن خلكان - رحمه الله تعالى - أن اسمه (يعقوب بن كلس) ، وأنه أسلم في مصر ، وحسن إسلامه ، ولم يذكر قصة الغدر ، التي أوردها الدكتور محمد علي الزعبي ، نقلاً عن : ابن حماد في كتابه . أخبار ملوك بني عبيد (مخطوط) ، وقد اطلعت على نسخة مطبوعة من هذا الكتاب ، ولكنني لم أجد أي إشارة إليه مطلقاً . راجع : (فهرس المراجع) ج ٤ ص ٥٨٧ . وقد يكون المقصود : ابن يعقوب الذي أشار إليه ابن خلكان - رحمه الله تعالى - ، وهو (يوسف) ، والله أعلم .

٣ انظر : د/ محمد الزعبي : الماسونية في العراق ص ١٩٥ ، و : حقيقة الماسونية ص ٣٣٣ .
٤ الفضل بن أبي الفضل : (؟ - ٣٨٠هـ = ؟ - ٩٩٠م) يهودي ، اشترك مع (يوسف بن يعقوب بن كلس) في التجسس على (الدولة الفاطمية) بمصر ، فقتل معه - كما فصلنا ذلك أعلاه - .
٥ انظر : د/ محمد الزعبي : الماسونية في الطرد ص ١٩٥ ، و : حقيقة الماسونية ص ٣٣٣ .
٦ انظر : وليم غاي كار : اليهود وراء كل جريمة ص ٦٠ - ٦١ ، و : أحجار على رقعة الشطرنج ص ٥٥ - ٥٦ ، و : هاني نقشبتي : يهود تحت المجهر ص ١٤٦ - ١٤٧ .

فتح أبواب الخزائن المالية اليهودية على مصاريعها ، للإعداد لتلك الحملة ، التي تتخذ ستاراً دينياً ؛ من أجل استعادة (بيت المقدس) من المسلمين ! (١) ،

وبذلك كان اليهود هم (القوة الخفية) ، التي عملت من وراء الستار على قيام (الحروب الصليبية) (٢) التي توالى في (تسع حملات) ، استمرت ما يزيد على قرنين من الزمان ؛ فقد ابتدأت أولها عام ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م ، وانتهت آخرها بانتصار المسلمين ، وهزيمة الصليبيين ، ورحيلهم من حيث جاؤوا ، عام ٦٩٠ هـ - ١٢٩١ م (٣) .

٩ - مساعدة التتار في إسقاط الدولة العباسية :

لقد ساعد اليهود (التتار) (٤) ، الذين اجتاحتهم (المشرق العربي

١ انظر : ولیم کار : اليهود وراء كل جريمة ص ٦١ ، و : هاني نقشبتي : يهود تحت المجهر ص ١٤٧ ، و : حسن خالد : موقف النبي ﷺ من الديانات الثلاث - الوثنية واليهودية والنصرانية ص ٨٩ ، و : د/ سعيد محمد أحمد باتاجة : نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية ص ٣١ .

٢ انظر : ولیم کار : اليهود وراء كل جريمة ص ٦١ ، وهاني نقشبتي : يهود تحت المجهر ص ١٤٧ .

٣ لمزيد من المعلومات حول (الحروب الصليبية) . انظر : د/ محمد ماهر حمادة : وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ، و : د/ سي . سميل : الحروب الصليبية .

٤ التتار : اسم عام ، أطلق على شعوب خليطة من عدة قبائل بدوية ، تسكن شمال سلسلة جبال آسيا الوسطى ، وقد اكتسحت تلك الشعوب أجزاء من آسيا وأوروبا بزعامة (المغول) في (القرن ١٣ م) ، حيث اشتهروا بغزواتهم الوحشية على (المشرق العربي الإسلامي) عامة و (العراق) خاصة ، وبعد أن انحسرت موجات غزوهم ظل (التتار) يسيطرون على كل (روسيا) و (سينيريا) - تقريباً - ، من خلال مملكتهم الواسعة (إمبراطورية الجحفل الذهبي) ، حتى (أواخر القرن ١٥ م) ، حين تمزقت إلى إقاليم عديدة مستقلة ، حيث سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين والروس القيصرية ، ومع ذلك ظلت (سينيريا) تعرف بـ (بلاد التتار) ، وظلت (القرم) تعرف بـ (بلاد التتار الصغرى) مدة طويلة ، وقرب انتهاء (القرن ١٦ م) ، كان تتار روسيا قد وصلوا إلى درجة

الإسلامي) ، حيث دلّوهم على مواطن الثغرات ، التي عن طريقها تمكنوا من (إسقاط الدولة العباسية) عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م ، في بغداد ، وهذا ما تؤكدُه الوثائق الغربية (١) .

وبذلك انهار الصرح الإسلامي العظيم المتمثل في (الخلافة الإسلامية العباسية) .

رابعاً : أثر العنصرية اليهودية في العهد الأندلسي :

عندما وصل الجيش الإسلامي إلى (الأندلس) عام ٩٢ هـ - ٧١١ م ، وجد المسلمون في كل مدينة فتحوها طائفة من اليهود المستعبدين (٢) ،

عالية من الحضارة ، ولم يحتفظ منها بحياة البداوة إلا أقليات صغيرة ، ويصل عدد (التتار) في جمهوريات ما يعرف بـ (الاتحاد السوفيتي) - سابقاً - حسب احصاء عام ١٩٧٠م - ١٣٩٠هـ (٦ ملايين) تتري ، يتكلمون - لغة من أصل تركي ، ويعتق معظمهم الإسلام ، ويؤلفون معظم سكان (جمهورية التتار) الروسية . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٩٠ ، و : موسوعة السياسة ج ١ ص ٦٨٤ ، و : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ١ ص ٤٤٠ .

١ لقد صرح الكاتب المسرحي التاريخي المصري (محفوظ عبدالرحمن) في برنامج بثه (التلفزيون السعودي) ، في يوم الجمعة : (الساعة ١٢ر٣٠ ليلاً) ، في ٣ ذي القعدة عام ١٤١١هـ - ١٧ آيار (مايو) ١٩٩١م ، بهذه القضية (مساعدة اليهود التتار في إسقاط الدولة العباسية) ، من خلال (الوثائق الغربية) .

و : انظر - أيضاً - عبدالله ناصح علوان : الإسلام والقضية الفلسطينية ص ٣٥ .

و : لمزيد من المعلومات حول (سقوط الدولة العباسية) . انظر : د/ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية .

٢ لقد عانى اليهود في (الأندلس) من ظلم النصارى (القوط) كثيراً ، ولذلك اتصلوا - كما يرى الدكتور / السيد عبدالعزيز سالم - بيهود المغرب ؛ لاغراء المسلمين بفتح (الأندلس) ؛ نكاية بالنصارى ، على الرغم من انعدام الأدلة التاريخية على ذلك ، ودليلهم الوحيد ، استنتاجي ظني ، وهو : أن المسلمين عاملوهم - بعد الفتح - معاملة حسنة - كما ذكرنا أعلاه - . انظر : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ص ١٣٣ .

فحرروهم ، فكان اليهود يعرضون - في المقابل - خدماتهم ، فكثيراً ما كان يوكل قائد الجيش الإسلامي إلى اليهود حراسة المدن المفتوحة ، وتأمينها تحت إمرة عدد قليل من الجنود المسلمين (١).

ولكن اليهود - كعادتهم في كل زمان ومكان - لم يرعوا هذا الجميل للمسلمين ، فقاموا بأدوار سلبية في (الدولة الأندلسية) (٢)، من أهمها :

❖ توسيع شقة الخلاف بين الإمارات الأندلسية :

لقد عمل اليهود على توسيع شقة الخلاف بين الإمارات الأندلسية الإسلامية المتنازعة ، في (القرن الخامس الهجري) ، إبان حكم

- ١ - انظر : المقري : نفع الطيب من حصن الأندلس الرطيب ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
- ٢ - الدولة الأندلسية : نسبة إلى الاسم الذي أطلقه العرب على (شبه جزيرة أيبيريا) ، إبان الحكم الإسلامي لها ، الذي ابتدأ مع الفتح الأموي عام ٩٢ هـ - ٧١١ م ، على يد (طارق بن زياد) . وقد مر الحكم الإسلامي في (الأندلس) بالعصور الآتية :
- ١ - عصر الولاة : الذي ابتدأ منذ الفتح الإسلامي عام ٩٢ هـ - ٧١١ م ، إلى قيام الحكم الأموي .

٢ - العصر الأموي : الذي ابتدأ مع دخول (عبدالرحمن الداخل) الأموي إليها عام ١٣٨ هـ - ٧٥٦ م ، إلى قيام عصر الطوائف .

٣ - عصر الطوائف : الذي ابتدأ عام ٤١٤ هـ - ١٠٢٣ م ، وانتهى بعصر المرابطين .

٤ - عصر المرابطين والموحدين : الذي ابتدأ عام ٤٤٨ هـ - ١٠٥٦ م ، وانتهى بعصر السقوط .

٥ - عصر السقوط : الذي ابتدأ فيه تساقط أمارات الأندلس واحدة بعد الأخرى ، في يد النصارى ، إلى أن سقطت آخرها (إمارة غرناطة) ، عام ١٤٩٧ هـ - ١٤١٢ م ، وبسقوطها تنهى دولة الإسلام من (الأندلس) ، بعد أن قدمت لأوروبا حضارة عظيمة ، ساهمت مساهمة فعالة في نهضتها الحديثة .

انظر : موسوعة السياسة ج ١ ص ٧٧ - ٨٣ ، و : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٦ .

و : لمزيد من المعلومات حول (الأندلس) . انظر : د/ عبدالرحمن علي الحجى : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧ هـ = ٧١١ - ١٤٩٢ م .

(الطوائف) (١) في (الأندلس) (٢) ، وكان من مكائدهم :

- تجرؤ الوزير اليهودي في إمارة غرناطة (يوسف بن شموئيل بن التفريفة) (٣) في (أواسط القرن الخامس الهجري) ، على الطعن في

١ الطوائف : ملوك حكموا بعد اضمحلال أمر (الخلافة الأموية) في (الأندلس) ، فيما بين عامي ٤١٤ - ٤٨٥ هـ = ١٠٢٣ - ١٠٩٢م ، حيث اختص الأمراء ، والوزراء ، وزعماء العرب ، وأعيان البربر ، في ناحية من (الأندلس) ، منهم : (بنو عباد بأشبيلية) ، و (بنو زيوي في غرناطة) ، و (بنو جهور بقرطبة) ، و (بنو حمود في ملقة والجزيرة) ، و (بنو ذي النون في طليطلة) ، و (الصفالبة والعامريون في بلنسية) ، و (بنو الألفطس في بطليوس) ، و (بنو تجيب في سرقسطة) ، و (بنو صمادح في المرية) ، و (بنو رزين في السهلة) ، و (بنو برزال في قرمونة) ، و (بنو القاسم في ألفت) ، و (بنو مزين في شلب) ، و (بنو مجاهد في دانية وطرطوشة وميورقة والجزر الشرقية) ، و (بنو هود في قلعة أيوب) ، و (بنو هارون في شنت مارية) ... الخ . اشتغل ملوك الطوائف بحرب بعضهم لبعض ، والتجأوا إلى ملوك الفرنجة مستنصرين ، حتى وصل (يوسف بن تاشفين) من المغرب ، وقضى عليهم جميعاً ، ثم أقام (دولة المرابطين) في (الأندلس) . انظر : د/ عبدالرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ص ٣٢١ - ٤١٦ ، و : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٤ ص ٥٥٧ - ٥٥٨ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٦٥ .

٢ انظر : د/ محمد بحر عبد الحميد : اليهود في الأندلس ص ٣٨ - ٤٣ .
و : انظر - أيضاً - : د/ محمد عبد الحميد : اليهود في الأندلس ص ٤٨ - ٤٩ ، نقلا عن : مقالة للدكتور (صموئيل ستيرن) في : (Romanic et Occidentlig) ، القدس ، عام ١٩٦٣م ، ص ٢٥٦ .

٣ يوسف بن شموئيل بن التفريفة : (؟ - ٤٥٩ هـ = ؟ - ١٠٦٧م) وزير يهودي في (إمارة غرناطة) ، كما كان أبوه وزيراً - أيضاً - . تسلط الابن على مقدرات الدولة ، فحرب قومه اليهود ، وساعدهم على تثبيت (اللغة العبرية) ، وبعث (الثقافة اليهودية) ، وحاول تشكيك المسلمين بخصوص (القرآن الكريم) ، فقتله المسلمون و (٤٠٠٠ يهودي) من قومه ، وأرغموا الباقيين منهم على مغادرة (غرناطة) . انظر : لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ج ١ ص ٤٣٤ - ٤٤٠ ، و : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥ ، و : رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق د/ إحسان عباس ج ١ ص ٨ - ١٩ ، و : غازي فريج : النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة ص ١٣٧ ، و : د/ كامل سحافان : اليهود تاريخ وعقيدة ص ٣٣ - ٣٤ .

(القرآن الكريم) (١) !

ولكن المسلمين (٢) ثاروا عليه ، فقتلوه و (أربعة آلاف) من قومه عام ٤٥٩هـ - ١٠٦٧م ، مع إرغام الباقين منهم على مغادرة إمارتهم (٣) .
ولا يستبعد أن يكون لليهود دور - ولو غير مباشر - في سقوط (الدولة الإسلامية) في (الأندلس) .

خامساً : أثر العنصرية اليهودية في العهد العثماني :

- ١ انظر : رسائل ابن حزم ج ٣ ص ١٩ ، و : ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ج ٢ ص ١١٤ .
ومن أشعار (ابن النفريلة) في السخرية بـ (القرآن الكريم) ، قوله :
نقشت في الخد سطرًا من كتاب الله موزون
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
انظر : ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ج ٢ ص ١١٤ :
يشير - قاتله الله تعالى - إلى قوله سبحانه :
﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴾ : سورة آل عمران ، آية : ٩٢ .
ويلاحظ أن (ابن يسام ، وابن سعيد) يصرفان هذه الأحداث لأبيه (شموئيل) . انظر : ابن يسام :
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج ٢ ص ٧٦١ - ٧٦٩ ، و : ابن سعيد المغرب في حلي المغرب ج ٢ ص ١١٤ .
- ٢ لقد رد الإمام (ابن حزم) - رحمه الله تعالى - جميع افتراءات (ابن النفريلة) على (القرآن الكريم) . انظر : رسائل ابن حزم ج ٣ ص ٤١ - ٧٠ .
- ٣ انظر : ابن يسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج ٢ ص ٤٦٩ ، و : لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ج ١ ص ٤٤٠ .

لقد وجد اليهود (١) في (الدولة العثمانية) (٢)، سواء منهم من كان

١ لقد شهد (العهد العثماني) ظهور (الحركة الصهيونية) عام ١٨٩٧م - ١٣١٥هـ ، ومن هنا تأتي صعوبة وضع هذا التاريخ المحدد للفصل بين فترتين زمنيّتين : (قبل ظهور الحركة الصهيونية) و (بعد ظهور الحركة الصهيونية) :

- فهناك نظريات وحركات لها عظيم الأثر في مجتمعنا الإسلامي قد ظهرت فعلياً (قبل ظهور الحركة الصهيونية) ، مثل : النظريات : الاقتصادية ، والنفسية ، والاجتماعية . راجع : (نظريات العلوم الحديثة) ج ٣ ص ٥٣٤ . والحركات : الماسونية ، والبهائية ، والقاديانية . راجع : (الحركات الهدامة) ج ٣ ص ٣٠٤ .

ولكن التأثير الحقيقي لتلك النظريات والحركات لم يتبلور في مجتمعنا الإسلامي إلا (بعد ظهور الحركة الصهيونية) ، التي تعاونت معها ضد الإسلام والمسلمين تعاوناً عميقاً ، ولذلك ساكتفي - هنا - بهذه الإشارة الخاطفة ، على أن أعود إليها مرة أخرى - ، في موضع أنسب لها ، وذلك لسببين :

١- أن تأثير تلك النظريات والحركات في مجتمعنا الإسلامي لم يتبلور خلال (العهد العثماني) - الذي خرجت فيه - ، بل بعد (ظهور الحركة الصهيونية) - كما ذكرنا قبل قليل . -

٢- أن اتبعات تلك النظريات والحركات قد زامن فترة (العهد العثماني) ، الذي انتهى بسقوط (الخلافة الإسلامية) ، بينما تأثير تلك النظريات والحركات في مجتمعنا الإسلامي ما كان له أن يظهر لولا دعم (الحركة الصهيونية) المستمر إلى يومنا هذا .

٢ الدولة العثمانية : نسبة إلى مؤسسها التركماني (عثمان بن أرطغرل) ، الذي كان في خدمة (الدولة السلجوقية) ، في حرس الحدود مع (الدولة البيزنطية) ؛ ليستقل بعد انهيارها عام ٦٩٩هـ - ١٢٩٩م ، بجزء من (بحر مرمرة) - كما استقل غيره من الحراس - ، حتى تم له ، ثم خلفائه من بعده ، التوسع على حساب (الدولة البيزنطية) ، فاتخذوا مدينة (بورصة) عاصمة لهم ، ثم (أدرنة) ، ثم (القسطنطينية) - عاصمة (الدولة البيزنطية الشرقية) - ، التي فتحها السلطان (محمد الفاتح) عام ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م ؛ لتكون عاصمة (الدولة العثمانية) ، تحت مسمى (استانبول) . وقد تعاقب على حكم (الدولة العثمانية) (ثمانية وثلاثون سلطاناً) ، أشهرهم (محمد الفاتح) ، و (سليمان القانوني) ، و (عبد الحميد الثاني) . وقد شهد (العهد العثماني) فتوحات في جنوب أوروبا في (البلقان) ، كما شملت فتوحات العثمانيين : الشام ، والعراق ، وشمال أفريقيا ، والجزيرة العربية ، وغيرها . وقد ألغيت (الدولة العثمانية) في عهد آخر سلاطينها (عبدالمجيد الثاني) ؛ لتحل محلها - بعد فصل جميع ممتلكاتها - (الجمهورية التركية) ، التي أعلنها (مصطفى كمال أتاتورك) ، عام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م ؛ لتنتهي بذلك - ولأول مرة - (الدولة الجامعة للمسلمين) حتى الآن . انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٥ ص ٢٧٦ - ٢٨٤ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، و : موسوعة السياسة ج ١ ص ٧٠٩ - ٧١٩ .

يقيم في البلاد الإسلامية قبل الفتوح العثمانية (١) ، أو من وجد منهم داخل البلاد الجديدة المفتوحة (٢) ، أو من فرّ منهم من الاضطهادات النصرانية - خاصة اضطهاد (محاكم التفتيش) (٣) ، بعد زوال الحكم الإسلامي (٤) من آخر معاقله في (إمارة غرناطة) بالأندلس ، عام ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م - الملاذ الآمن ، في أراضي (الدولة العثمانية) ، التي

١ انظر : د/ احمد نوري النعيمي : أثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين من ١٨ - ١٩ .

٢ انظر : المرجع السابق من ١٩ .

٣ محاكم التفتيش : محاكم مهمتها التحقيق في بعض الممارسات الدينية ، ابتدأت - لأول مرة - حوالي عام ١٢٣٣م - ٦٣٠هـ ، حينما كلف (البابا) بعض الرهبان بالتحقيق في ممارسات (الطائفة الالبيجنسية) سرّاً شعارها الدينية في جنوب فرنسا ، ثم تطورت تلك المحاكم - التي استمرت إلى (القرن ١٩) بلجوها إلى أساليب التعذيب . أما المحاكم المعقودة - هنا - ، فهي المحاكم التي أقامها الملك الأسباني (فرديناند الخامس) ، وزوجته الملكة (إيزابيلا) عام ١٤٧٨م - ٨٨٣هـ ، ضد المسلمين واليهود في (الأندلس) ، حيث مورست بحقهم الاضطهادات القاسية التي تنتهي إما : بالتنصر ، أو القتل ، أو التشريد ، وبذلك خلت - أو كادت - الأندلس من المسلمين ومعهم اليهود . وقد حوّل البابا (بولس الثالث) منذ عام ١٥٤٢م - ٩٤٩هـ اختصاصات ومحاكم التفتيش إلى إدارة حكومية ، دعيت (مجمع محاكم التفتيش) أو (المكتب المقدس) ، وما يزال لهذا المجمع أو المكتب الحديث الحق في إصدار الأحكام بشأن قضايا الايمان ، والشؤون الخلقية ، والحقوق الاسرية ، كما أنه يقع على عاتقه - أيضاً - رقابة المطبوعات . انظر : الموسوعة العربية الميسرة من ١٦٥٤ - ١٦٥٥ ، و : محمد علي قطب : مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس من ٤٥ - ١٣٠ .

٤ كان عدد (اليهود) الذين فروا من (الأندلس) أكثر من (٢٥٠.٠٠٠) . انظر : يوري أندرييف : الصهيونية بين التخرصات والواقع من ٢٤ .

وكان عدد المهاجرين اليهود إلى (الدولة العثمانية) يزيد على (٦٠٠ عائلة) . انظر : أنور الجندي : معالم التاريخ الإسلامي من ١١٩ .

وقد دخل (يهود الأندلس) إلى أراضي (الدولة العثمانية) في عهد السلطان العثماني (بايزيد الثاني بن محمد الفاتح : ٨٨٦ - ٩١٨هـ = ١٤٨١ - ١٥١٢م) ! . انظر : حسان حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩م ، من ٢٨ .

احتضنتهم (١) بعطف ، فعاشوا في مختلف ربوعها آمنين ، في كافة شؤون حياتهم (٢) ، وفي هذا يقول الزعيم الصهيوني (حاييم وايزمن) :
 «إنني أفضل عدم اقراراف الظلم ؛ لأن العالم الإسلامي يعامل اليهود وبقدر كبير من التسامح ؛ فقد فتحت الامبراطورية العثمانية أبوابها لليهود عندما طردتهم أسبانيا ، ويجب على اليهود ألا ينسوا ذلك » (٣) .
 إلا أن اليهود - عموماً - نسوا كل ذلك ، حتى صاروا مصدر إفساد في (المجتمع الإسلامي) - عموماً - ، وفي (تركيا) - على وجه الخصوص - ، حيث طائفة (الدونمة) ، التي سنتحدث عنها في الفقرة التالية :

✽ طائفة الدونمة اليهودية :

في عام ١٦٤٨م - ١٠٥٨هـ (٤) إدعى اليهودي التركي (شبتاي زفي) (٥) في (أزمير) ، أنه هو (المسيح المنتظر) ، الذي سيأخذ بيد اليهود ،

١ انظر : داود عبد العفو سنقرط : القوى الخفية لليهودية العالمية - الماسونية ص ١٢٨ ، و : عبدالله التل : الاقوى اليهودية في معازل الإسلام ص ٧٥ ، و : د / أحمد النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ص ١٥ - ١٦ ، و : مصطفى طوران : يهود الدونمة ص ٥٣ ، و : د / محمد علي الزعبي : الماسونية في العراق ص ١٤٦ ، و : حسان علي حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩م ، ص ٢٨ .

٢ انظر : سليمان ناجي : المفسدون في الأرض ص ٣١٠ - ٣١١ ، و : زحف الطاعون المزمع - التحركات اليهودية عبر التاريخ ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، و : رفيق النقشة : الاستعمار وفلسطين ص ٢٩ - ٣١ ، و : د / عبدالغني عبود : اليهود واليهودية والإسلام ص ١٥٠ - ١٥٢ ، و د / أحمد النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ص ١٦ - ٢١ ، و : حسان حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ص ٢٨ .

٣ كيث ماجواير : تهويد القدس ص ٧ .

٤ لقد ظهر في عهد (الدولة العثمانية) مدعي للمسيحانية قبل (شبتاي زفي) ، ألا وهو (دافيد ريوبيني) الذي ظهر عام ١٥٢٤م - ٩٣٠هـ . راجع : (حركة دافيد ريوبيني) ج ١ ص ٢٢٠ .

٥ راجع : ترجمة (شبتاي زفي) ج ١ ص ٢٢٢ .

ويؤسس لهم دولة في (فلسطين) ، فيها يسودون العالم ، فصدقه كثير من اليهود في كل مكان ، حتى علا أمره ؛ مما حدا بالسلطات العثمانية إلى القبض عليه في (استانبول) ، حيث حكم عليه بالإعدام عام ١٦٦٦م - ١٠٧٦هـ ؛ ليُشهر - عبر خطة محكمة (١) - إسلامه عام ١٦٦٦ م - ١٠٧٧ هـ ، وتسمى بـ (محمد عزيز أفندي) ، ثم هذا حذوه في ادعاء الإسلام كثير من أتباعه (٢) ، الذين عُرفوا في - (المجتمع التركي) - بعد افتضاح أمرهم بممارسة الطقوس اليهودية (٣) - بـ (الدونمة) (٤) ، بمعنى

- ١ انظر : سليمان ناجي : المفسدون في الأرض ص ٣١١ - ٣١٢ ، و : زحف الطاعون المزمع ص ٢٥٠ ، و : د/ أحمد النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ص ٢٣ .
- ٢ انظر : مصطفى طوران : يهود الدونمة ص ٧ - ٢٦ ، و : د/ محمد عمر : يهود الدونمة ص ١٤ - ٢٨ ، و : عبدالله التل : الاتقى اليهودية ص ٧٥ - ٧٦ ، و : د/حسن ضاظا : الفكر الديني اليهودي ص ١٢٦ - ١٢٧ ، و : د/ عبد الحميد متولي : نظام الحكم في إسرائيل ص ٣١٧ - ٣١٨ ، و : د/ أحمد النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ص ٢٧ ، و : موسوعة المفاهيم ص ٢٢٦ .
- ٣ لمعرفة هذه الطقوس اليهودية ، راجع : التعريف بـ (الدونمة) في الهامش التالي .
- ٤ الدونمة : كلمة تركية ، تعني (المرتدين) ، وهو اصطلاح على طائفة يهودية تركية ، من اليهود الذين أفروا من الإضطهاد النصراني في أسبانيا في نهاية (القرن ١٥م) ، واستوطنوا في (سلانيك) باليونان ، إبان خضوعها للحكم العثماني . أشهرت هذه الطائفة إسلامها بعد إسلام زعيمها (شبتاي زفي) ، مع احتفاظهم بيهوديتهم في السر ، فكان كل فرد منهم يسمى باسمين : علني إسلامي ، وسري يهودي ، وهم يصلون ويصومون ويحجون كالمسلمين ، ولهم مدارسهم الخاصة ، كما أن لهم مقابرهم الخاصة ، ولا يتزوجون إلا فيما بينهم . مع الإباحية الجنسية ، وهم لا يؤمنون بـ (اليوم الآخر) ، وبعد وفاة زعيمهم (شبتاي) انقسمت (الدونمة) إلى (ثلاث فرق) : (اليعاقبة) و (القراقاشيون) و (القابانجيون) ، و لـ (الدونمة) اسمان آخران : (الرجعيون) و (السباتيون) . وقد قامت طائفة (الدونمة) بمهمة كبيرة في الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ م - ١٣٢٦ هـ . فكان العديد منهم في القيادات العسكرية ، حيث عملوا على إسقاط (الخلافة العثمانية) و مؤازرة (الحركة الصهيونية) ، إلا أن شمل هذه الطائفة تفرق إثر اتفاقية تبادل السكان بين تركيا واليونان ، بعد حرب عام ١٩٢٤ م - ١٣٤٢ هـ ، ومع ذلك فقد امتنع هؤلاء بشكل عام - عن الهجرة إلى إسرائيل - فيما بعد - ؛ لبقوا عنصر إفساد في المجتمع التركي

(العودة والرجوع) (١) ، أو بالمصطلح العربي (المرتدون) (٢)

يقول (إسحاق بن زفي) (٣) ثاني رئيس لدولة إسرائيل :

« إن يهوداً كثيرين وكثيرين جداً يعيشون بين الشعوب بطبيعتين ،
إحداهما ظاهرة ، وهي إعتناق دين الشعب الذي يعيشون في وسطه ،
اعتناقاً جماعياً وظاهرياً ، والثانية باطنة ، وهي إخلاص عميق
لليهودية » (٤) !

وقد تعاونت هذا الطائفة اليهودية (الدونمة) مع كافة (القوى الدولية)

إلى يومنا هذا . انظر : مصطفى طوران : يهود الدونمة ، و : د/ محمد عمر : يهود الدونمة ،
و : محمد علي قطب : يهود الدونمة ، و : د/عبدالمعزم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة
اليهودية ص ١٠١ - ١٠٣ ، و : د/ عبدالحميد متولي : نظام الحكم في إسرائيل ص ٣١٤ -
٣٢٠ ، و : د/ أحمد النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين
ص ٢٣ - ٢٩ ، و : د/ محمد الزعبي : الماسونية في العراق ص ١٤٦ - ١٥٢ ، و : داود
سنقرط : القوة الخفية لليهودية العالمية - الماسونية ص ١٢٨ - ١٣٥ ، و : موسوعة المفاهيم
ص ١٩١ و ٢٢٦ .

١ انظر : مصطفى طوران : يهود الدونمة ص ٥ .

٢ انظر : د/ محمد الزعبي : الماسونية في العراق ص ١٤٦ ، و : د/ أحمد النعيمي : أثر الأقلية
اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ص ٢٣ ، و : موسوعة المفاهيم ص ١٩١ .
٣ إسحاق بن زفي : (١٨٨٤ - ١٩٦٣ م = ١٣٠١ - ١٣٨٣ هـ) سياسي صهيوني ، ثاني رؤساء
(دولة إسرائيل) ، ولد في (أوكرانيا) ، وهاجر إلى (فلسطين) عام ١٩٠٧ م - ١٣٢٥ هـ ،
وشارك في النشاطات الصهيونية المختلفة ، أسس مع الزعيم الصهيوني (بن جوريون) في
(نيويورك) ، (جمعية الرولد) ، عام ١٩١٥ م - ١٣٣٣ هـ ، وساهم في تجنيد (اللواء اليهودي) ،
الذي شارك في (الحرب العالمية الأولى) ، وعينه (هربرت صموئيل) المندوب السامي البريطاني
الأول في (فلسطين) عضواً في (المجلس الاستشاري لحكومة فلسطين) ، وفي عام ١٩٢٠ م -
١٣٣٨ هـ انتخب أميناً لنقابة العمال (الهستدروت) ، وانتخب من (حزب الماباي) في (الكنيست)
الأول والثاني ، ثم انتخب رئيساً للدولة عام ١٩٥٦ م - ١٣٧٥ هـ . انظر : موسوعة السياسة ج
١ ص ٥٦٥ - ٥٦٦ ، و : موسوعة المفاهيم ص ١٢١ .

٤ د/ محمد الزعبي : الماسونية في العراق ص ١٤٦ ، نقلا عن : إسحاق بن زفي : الدونمة ، عام
١٩٥٧ م .

- وعلى رأسها (اليهودية العالمية) - في تدمير (الخلافة العثمانية الإسلامية) ، على ما يأتي :

١ - إقامة المحافل الماسونية :

لقد أسس يهود (الدونمة) أول محفل ماسوني في تركيا في (سلانيك) (١) - مركز تجمعهم - عام ١٦٨٣م - ١٠٩٤ هـ ، ومن هذا المحفل انتشر أخطبوط (المحافل الماسونية) (٢) ، التي ساهمت مساهمة فعالة في تحقيق الاهداف اليهودية في (الدولة العثمانية) ، كما سنرى في الفقرة التالية :

٢ - إثارة النعرات الطائفية :

لقد عقدت الزعامات اليهودية في مدينة (كاتوفيج) - البولندية - عام ١٨٤٥ م - ١٢٦١ هـ ، مؤتمراً يهودياً ، وكان في مقدمة قراراته : إفساد العلاقات بين الحكومة التركية المسلمة وبين الأقليات النصرانية ، ولاسيما (الطائفة الأرمنية) (٣) ؛ لكي يسهل على اليهود الحلول مكان (الأرمن) في السيطرة الاقتصادية ، التي يرجون من تحقيقها إخضاع الحكومة العثمانية - ذات الحاجة الدائمة إلى المال - لإرادتهم (٤) !.

١ سلانيك : مدينة يونانية ، كانت خاضعة - آنذاك - للحاكم التركي . راجع : التعريف بـ (سلانيك) ج ٣ ص ٢٣٧ .

٢ انظر : داود سنقرط : القوى الخفية لليهودية العالمية - الماسونية ص ١٢٩ ، و : سليمان ناجي : المفسدون في الأرض ص ٣١٢ .

٣ انظر : سليمان ناجي : زحف الطاعون المزمع ص ٢٥١ .

٤ انظر : المرجع السابق ص ٢٥١ .

حلول مناسبة لإعادة المياه إلى مجاريها ، فسن تشريعاً جديداً ، حفظ بموجبه حقوق الأقليات ، حيث أعاد إلى (الطائفة الأرمنية) ما كان لهم من حقوق (١) .

ولكن اليهود خشوا مغبة ذلك على مكانتهم ، فقام اليهودي التركي (مدحت باشا) (٢) بانقلاب على السلطان (عبد العزيز) في ٣٠ آيار (مايو) عام ١٨٧٦م - جمادى الأولى ١٢٩٣ هـ ، ذهب السلطان (٣)

١ انظر : سليمان ناجي : زحف الطاعون المزمع ص ٢٥٢ .

٢ مدحت باشا : (١٢٣٨ - ١٣٠١ هـ = ١٨٢٢ - ١٨٨٣ م) سياسي تركي ، ولد في (استانبول) ، وكان أبوه قاضياً ، وسماه (محمد شفيق) ، ولكن اسم (مدحت) غلب عليه ، تعلم (العربية) ، و (الفارسية) ، وتقلب في الوظائف ، حتى كان والياً على (الدانوب) ، حيث قضى على ثورات (البلفار) بشجاعة ، ثم عاد إلى (استانبول) رئيساً لـ (مجلس الشورى) ، وعين والياً على (بغداد) فيما بين عامي ١٢٨٦ - ١٢٨٨ هـ = ١٨٦٩ - ١٨٧١م ، حيث دعي بعدها إلى (استانبول) معزولاً ، ولكنه مالبث أن تولى منصب (الصدارة العظمى) أي (رئيس الوزراء) ، وأصدر (الدستور العثماني) عام ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م ، ولم تتفق وجهتا نظره ونظر السلطان (عبد الحميد الثاني) في سياسة الدولة ، فجرد من الوزارة ، فسافر إلى (أزمير) ، حيث اعتقل ، وحوكم بتهمة المشاركة في قتل السلطان (عبد العزيز) ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم اكتفي بنفيه إلى (الطائف) ، حيث قتل فيما بعد ، يقال إنه من (يهود الدونمة) . انظر : الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ١٩٥ ، و : سليمان ناجي : زحف الطاعون المزمع ص ٢٥٢ .

٣ لقد وصل اليهود إلى القصور السلطانية العثمانية ، فذهب على أيديهم بعض السلاطين ، حتى أن اليهودي المنافق (مياستر جاكوب) ، الذي كان يخفي يهوديته تحت اسم (يعقوب باشا) ، أصبح طبيباً للسلطان (محمد الفاتح) - رحمه الله تعالى - ، ولكنه تمكن من تسميمه عام ٨٨٦هـ - ١٤٨١م ، بمادة (العاكور) - وهو في لون الماء - ، مقابل الرشاوى اليهودية ، التي بلغت (١٠٠.٠٠٠ روقاً من الذهب) . انظر : د / أحمد النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ص ١٩ - ٢٠ ، و : عبدالله التل : الأقوى اليهودية ص ٧٥ ، و : د / سعيد محمد أحمد باناجه : نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية ص ٨٦ .

كما ذهب - أيضاً - السلطان (سليمان القانوني) وأحفاده عام ١٥١٢ م - ٩١٨ هـ ، على يد اليهودية الداعرة (نوريانو) . انظر : عبدالله التل : الأقوى اليهودية ص ٧٥ ، و : د / سعيد باناجه : نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية ص ٨٦ .

و : لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع . انظر : مصطفى طوران : أسرار الانقلاب

ضحيتـــــــــــــــــه (١) ، حيث عادت الاضطهادات مرة أخرى ؛ لتندلع الثورات على إثرها في كل ولايات البلقان (٢) ؛ مما حدا بـ (روسيا) - القيصرية - إلى التدخل ؛ لتحقيق أطماعها القديمة في (البلقان) ، فاندلعت الحرب بين الدولتين ؛ لتنتهي بعقد (معاهدة سان ستيفانو) (٣) عام ١٨٧٨ م - ١٢٩٥ هـ ، التي قبلت فيها تركيا المطالب الروسية في (البلقان) (٤) ، فالتجأ الزعماء (الأرمن) إلى روسيا ، التي أوعزت لـ (الحكومة العثمانية) بالحد من غلواء (اليهود الدونمة) ، فطار صواب اليهود من مغبة هذا التحول المفاجيء على أوضاعهم في تركيا ، وخشوا ألا يقف الانتصار الروسى عند حد ازدياد نفوذ (القيصرية الروسية) في (الدولة العثمانية) ، بل يتعداه إلى تثبيت أقدام (القيصرية) في (روسيا) نفسها ، التي كانت (اليهودية العالمية) تعمل منذ أمد بعيد على الاطاحة بها ، وأن يؤدي كل هذا إلى تبخر الاطماع اليهودية في (الدولة العثمانية) برمتها (٥) !

ولتفادي هذا الخطر ، سارعت (المحافل الماسونية) - اليهودية - في أوروبا إلى إقناع الدول الغربية بخطر هذه المعاهدة - الأنفة - على مصالحها في (الدولة العثمانية) ، ولذا سارعت بريطانيا إلى إقناع (الدولة العثمانية) بالتخلي عن هذه المعاهدة المجحفة بحقها ، ففعلت ، حيث انفجرت الحرب مجدداً ، وتابع الجيش الروسي زحفه ، حتى كار أن يدخل

العثماني ص ١٢ - ١٣ .

١ انظر : سليمان ناجي : زحف الطاعون المزمع ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

٢ انظر : المرجع السابق ص ٢٥٣ .

٣ لمزيد من المعلومات حول هذه المعاهدة . انظر : د/علي حسون : العثمانيون والروس ص ١٣٨ - ١٤٢ .

٤ انظر : سليمان ناجي : زحف الطاعون المزمع ص ٢٥٣ .

٥ انظر : المرجع السابق ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(استانبول) - العاصمة - ، إلا أن الأساطيل البريطانية اجتاحت (البحر الأسود) ، وضيق الخناق على الروس ، فاضطرتهم إلى الانسحاب (١) ! .
وبذلك ، وقعت (الدولة العثمانية) تحت رحمة الدول الغربية - المتآمرة مع اليهود - للتدخل في شؤونها الداخلية ، حيث يتجلى ذلك في (مؤتمر برلين) المعقود في ١٣ حزيران (يونيه) عام ١٨٧٨م - ١٢ جمادى الآخرة ١٢٩٥ هـ ؛ للنظر في نتائج (معاهدة سان ستيفانو) الملغاة ، ووضع الأسس الكفيلة لحماية الأقليات النصرانية في (الدولة العثمانية) (٢) ! .

ولكن نتائج هذا المؤتمر جاءت مغايرة كلياً لما يتوخى منه ؛ لأن المؤتمرين رفضوا مقترحات زعماء تلك الأقليات ، ولاسيما زعماء (الطائفة الأرمنية) ، خصوصاً وأنهم اتهموا (يهود الدونمة) بالإساءة إليهم ، فكان هذا الاتهام - وحده - كافياً لرد دعاواهم من قبل المؤتمرين ، وبذلك وقع (الأرمن) من جديد بين براثن الأتراك ، الذين حقدوا عليهم ، من جراء مسلكهم المشين ، مع أن سفراء الدول المؤتمرة - بوحى من (المخافل الماسونية اليهودية) - هم الذين شجعوهم على ذلك (٣) ! .

وهكذا تحقق حلم اليهود ، وحدثت عدة مذابح لـ (الأرمن) ، إنتهت بإبعادهم تدريجياً من الميادين الاقتصادية ، حيث حل (يهود الدونمة) محلهم (٤) ! .

١ انظر : المرجع السابق ص ٢٥٤ .

٢ انظر : المرجع السابق ص ٢٥٥ .

٣ انظر : المرجع السابق ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

٤ انظر : المرجع السابق ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

و : لمزيد من الأمثلة حول توريث السلاطين العثمانيين لصالح اليهود . انظر : سليمان ناجي :

المفسدون في الأرض ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .

وعندما تحققت السيطرة الاقتصادية «للاجالية اليهودية في تركيا ، تحولت زعامتهم إلى النواحي الأخرى من مخططاتهم السرية ، التي كانت أصلاً متجانسة مع المخططات الصهيونية » (١) ، التي ظهرت - رسمياً - فيما بعد (٢) ، كما سنرى في الفقرة التالية :

٣ - إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية :

لقد حاولت (اليهودية العالمية) - بزعامة (هرتزل) - منذ عام ١٨٩٦م - ١٣١٣ هـ ، أي قبل ظهور الحركة اليهودية الأخيرة (الصهيونية) - رسمياً - بعام واحد ، وحتى بعد ظهورها ، من خلال (المؤتمر الصهيوني الأول) ، المعقود بزعامة (هرتزل) ، في (بال - سويسرا) ، عام ١٨٩٧م - ١٣١٥ هـ ، الوصول إلى اتفاق مع السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) (٣) - رحمه الله تعالى - ؛ من أجل الحصول على ترخيص باستيطان اليهود في (فلسطين) ؛ باعتبارها من ضمن أملاكها !

إلا أن هذه المحاولات (٤) جميعها باءت بالفشل الذريع ؛ نظراً لصلابة موقف السلطان ، الذي رفض هذا الموضوع رفضاً قاطعاً ، حيث يقول :

« لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها ، فإذا قسمت الإمبراطورية ، فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل » (٥) .

١ سليمان ناجي : زحف الطاعون المزمع ص ٢٥٧ .

٢ راجع : (الحركة الصهيونية) ج ١ ص ٢٤٣ .

٣ راجع : ترجمة (عبد الحميد الثاني) ج ٣ ص ٢٣٠ .

٤ لمعرفة هذه المحاولات . راجع : (المحاولات الصهيونية السياسية لدى الدولة العثمانية) ج ٣

ص ١٣ .

٥ يوميات هرتزل ص ٣٥ .

ولكن على الرغم من هذا الفشل الذريع الذي واجهه (الصهيونية) في بداية مراحلها ، إلا أنها استطاعت أن تتغلب على هذه المعضلة ، حيث سلكت سبيلا آخر ، قد يحقق لها أكثر مما تريد - فيما لو نجحت به - ، ألا وهو (إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية) ، الذي كان من ضمن مقررات (المؤتمر الصهيوني الأول) ، المعقود في (بال - سويسرا) ، عام ١٨٩٧م - ١٣١٥ هـ ، حيث جاء فيه :

« في حال استمرار رفض السلطان للمطالب الصهيونية ، فإن تحطيم الإمبراطورية التركية شرط أساسي لإقامة حكومة صهيونية في فلسطين » (١) ! .

عند ذلك ، بدأت (الصهيونية العالمية) تعمل - مع كافة القوى (المحلية : القوميين ، وأكثرهم من يهود الدونمة ، والدولية : الماسونية ، والصليبيين) - بجد منقطع النظير ، لتحقيق هذا الهدف (إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية) ! .

٤ - إحياء القوميات الجاهلية :

لقد كانت المحصلة النهائية لتذبذب (الدولة العثمانية) ، هي ظهور (القوميات الجاهلية) .

فقد تبنت (جمعية الاتحاد والترقي) (٢) - التي تضم (يهود الدونمة) - الاتجاه القومي المعزوف بـ (الطورانية) ، والقاضي بسياسة تنريك (الدولة العثمانية) ، وصهر جميع شعوبها في بوتقة (القومية التركية) ! .

١ جواد رفعت ألتخان : الإسلام وبنو إسرائيل ص ١٥٢ .

٢ راجع : (جمعية الاتحاد والترقي) ج ٣ ص ٢٣٦ .

ومن هنا بدأت ردة الفعل لدى الشعوب الأخرى التابعة لـ (الدولة العثمانية) ، للمطالبة بقومياتها الخاصة بها ، ولاسيما (القومية العربية) !
وبهذا تحول ولاء المسلمين من (الإسلام) ، إلى الولاء لـ (القوميات الجاهلية) !

وهذان الحدثان العظيمان الأخيران : (إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية ، وإحياء القوميات الجاهلية) ، لابد من إرجائهما - الآن - ؛ لأن التسلسل التاريخي في هذا الفصل ينتهي بظهور (الحركة الصهيونية) عام ١٨٩٧م - ١٣١٥ هـ ، وهو البداية الفعلية لمحاولات اليهود - وأعوانهم ، ولاسيما إخوانهم (يهود الدونمة) - في (إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية) و (إحياء القوميات الجاهلية) ، وهذا ما سنتحدث عنه - إن شاء الله تعالى - تفصيلاً في موضع آخر (١) .

وماتزال طائفة (الدونمة) - اليهودية - بؤرة فساد في المجتمع التركي المسلم - إلى يومنا هذا - في كافة شؤون حياته : الدينية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والإعلامية (٢) ، والخلقية ، وغيرها (٣) .

١ راجع : (إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية) ج ٣ ص ٢٣٢ . و : (إحياء القوميات الجاهلية) ج ٣ ص ٢٦١ .

٢ يسيطر (يهود الدونمة) في تركيا سيطرة شبه تامة على كافة وسائل الإعلام ، ولاسيما (الصحافة) ، حيث يمتلكون كبريات الصحف التركية ، وأكثرها انتشاراً : (حرية) ، و (ترجمان) ، و (جمهورية) ، و (طنين) ، و (مليت) ، وغيرها . انظر : داود سنقرط : القوى الخفية لليهودية العالمية - الماسونية ص ١٤٥ .

٣ انظر : مصطفى طوران : يهود الدونمة ص ٤١ - ٤٩ ، و : د/ محمد عمر : يهود الدونمة ص ٣٨ - ٥٥ ، و : داود سنقرط : القوى الخفية لليهودية العالمية - الماسونية ص ١٣٦ - ١٣٢ و ١٤٥ ، و : سليمان ناجي : زحف الطاعون العزمن ص ٢٥٧ - ٢٦٠ ، و : د/ أحمد النعيمي : أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ص ٢٨ - ٢٩ . و : د/

وبعد : فإن دور اليهود في (الحضارة الإسلامية) في مختلف عهودها السياسية - كما رأينا - كان سلبياً ؛ لأنه متصل بإحداث الفتنة فيها ومن ثم انهيارها ! (١) .

وبذلك انتهى نشاط اليهود العنصري السري ؛ لينتقلوا إلى النشاط العلني - مرة أخرى - ، بعد ظهور الصيغة الحديثة لليهودية (الحركة الصهيونية) ، والذي استمر إلى يومنا هذا ، كما سنرى ذلك - إن شاء الله تعالى - في الفصل التالي (٢) :

عبد الحميد متولي : نظام الحكم في إسرائيل ص ٣٢٠ ، و : د / عبد المنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٠٢ .

١ انظر : أنور الجندي : المخططات التلمودية اليهودية ص ١٧٥ .

٢ راجع : (أثر العنصرية اليهودية بعد ظهور الحركة الصهيونية) ج ٣ ص ٣ .

(فهرس الموضوعات)

(فهرس الموضوعات)

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني : آثار العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي :	٦٣٦ - ٤
ج ٣ ص	٨٧٣ - ٣
مدخل في : الآثار العنصرية :	١١ - ٥
أولاً - آثار العنصرية على المجتمع الإسلامي :	٦
١ - المجتمع الإسلامي .	٧
٢ - اليهود في المجتمع الإسلامي :	٧
أ - التشتت اليهودي .	٨
ب - التهويد .	٨
ثانياً - آثار العنصرية اليهودية في المجتمعات البشرية الأخرى .	١٠
الفصل الأول : أثر العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي قبل ظهور الحركة الصهيونية :	٦٣٦ - ١٢
المبحث الأول : أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي :	٤٩٨ - ١٤
توطئة في : الوجود اليهودي والإسلامي في منطقة (يثرب - المدينة) :	١٥
أولاً - الوجود اليهودي والإسلامي في منطقة (يثرب - المدينة) :	١٥
١ - الوجود اليهودي في منطقة (يثرب - المدينة) :	١٥
أ - جنسية اليهود في يثرب .	١٥

الموضوع	الصفحة
ب - هجرات اليهود إلى يثرب .	٢٧
ج - سكان يثرب .	٣٠
د - قبائل اليهود في يثرب .	٣١
هـ - منازل اليهود في يثرب .	٣٢
و - سيطرة اليهود في يثرب .	٣٣
ز - ثقافة اليهود في يثرب .	٣٤
ح - انتهاء سيطرة اليهود في يثرب .	٣٩
١ - أسباب اختيار اليهود لمنطقة يثرب .	٤٣
٢ - الوجود الإسلامي في منطقة (يثرب - المدينة) :	٤٥
أ - لقاء الرسول ﷺ بحجاج يثرب .	٤٨
ب - بيعة العقبة الأولى .	٥١
ج - بيعة العقبة الكبرى .	٥٣
د - المؤامرة الكبرى .	٥٤
هـ - الهجرة النبوية إلى يثرب .	٥٩
ثانياً - موقف الأنصار واليهود من الرسول ﷺ :	٦٣
١ - موقف الأنصار من الرسول ﷺ .	٦٤
٢ - موقف اليهود من الرسول ﷺ :	٦٥
أ - علم اليهود بمبعث الرسول ﷺ في مكة .	٦٥
ب - استقبال اليهود للرسول ﷺ في المدينة .	٧١
ج - العلاقات بين الرسول ﷺ واليهود .	٧٣
د - المعاهدات بين الرسول ﷺ واليهود .	٧٩

الموضوع	الصفحة
❦ وثيقة موادة اليهود .	٨٠
- أثر العنصرية اليهودية في العهد النبوي :	٨٧
أولا - إنكارهم نبوة محمد ﷺ .	٨٨
١ - تصريحهم بأن محمداً ﷺ ليس هو النبي المنتظر :	٩٠
أ - تحريف البشارات بنبوة محمد ﷺ في العهد القديم (التوراة) .	٩٣
ب - تحريف البشارات بنبوة محمد ﷺ في العهد الجديد (الإنجيل) .	١٠٦
٢ - مطالبتهم للرسول ﷺ بالمطالب المتعنتة :	١٢٦
أ - طلبهم : أن ينزل الرسول ﷺ عليهم كتاباً من السماء .	١٢٦
ب - طلبهم : أن يفجر الرسول ﷺ لهم أنهاراً .	١٢٩
ج - طلبهم : أن يكلمهم الله تعالى مباشرة .	١٣٢
٣ - ادعاؤهم أنهم ما تركوا الإيمان بمحمد ﷺ حسداً :	١٣٥
أ - دعواهم : أن محمداً ﷺ لا تسنده المعجزات .	١٣٥
ب - دعواهم : أن دعوة محمد ﷺ مخالفة لدعوة إبراهيم - عليه السلام - .	١٣٧
ج - دعواهم : إنهم أهل علم .	١٣٨
د - دعواهم : أن الهدى في اتباع سبيلهم .	١٣٩

الموضوع	الصفحة
هـ - دعواهم : أنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم فقط .	١٤١
٤ - محاولاتهم الطعن فيما جاء به محمد ﷺ من القرآن الكريم .	١٤٤
ثانياً : مجادلتهم للرسول ﷺ في الشؤون الدينية :	١٤٥
١ - جدلهم في العقائد :	١٤٦
٥ العقيدة الدينية عند اليهود :	١٤٦
أ - عقيدتهم في الله تعالى :	١٤٩
١ - العجل الذهبي .	١٤٩
٢ - الحية النحاسية .	١٥٢
٣ - الأصنام الوثنية .	١٥٣
٥ جدلهم في الله تعالى :	١٥٩
١ - الأقاويل الكاذبة :	١٦٠
أ - تهجمهم على ذات الله تعالى .	١٦٠
ب - إشراكهم بالله تعالى .	١٦٢
٢ - المزاعم الباطلة :	١٦٣
أ - زعمهم : أن الله فقير .	١٦٣
ب - زعمهم : أن يد الله مغلولة .	١٦٦
ج - زعمهم : أن الله جاهل .	١٦٩
د - زعمهم : أن عزيزاً ابن الله .	١٧٠
هـ - زعمهم : أنهم أبناء الله وأحباؤه .	١٧٢

الموضوع	الصفحة
ب - عقيدتهم في الملائكة - عليهم السلام :-	١٨١
✞ جدلهم في جبريل - عليه السلام - .	١٨١
ج - عقيدتهم في الكتب السماوية :	١٨٧
١ - العهد القديم (التوراة) .	١٨٨
٢ - العهد الجديد (الإنجيل) .	١٩٠
٣ - القرآن الكريم .	٢١٠
✞ جدلهم في القرآن الكريم :	٢١١
١ - إنكارهم : نزول الوحي على البشر .	٢١٢
٢ - إنكارهم : أن يكون القرآن الكريم	
منزلاً من عند الله تعالى .	٢١٥
٣ - إنكارهم : أن يكون القرآن الكريم حقاً .	٢١٥
٤ - إنكارهم : أن يكون القرآن الكريم متناسقاً .	٢١٧
٥ - إنكارهم : القرآن الكريم لأن جبريل	
- عليه السلام - هو الذي جاء به .	٢٢٠
د - عقيدتهم في الأنبياء - عليهم السلام - :	٢٢١
١ - الأنبياء السابقون - عليهم السلام - .	٢٢١
٢ - أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام - .	٢٢٤
✞ موقف اليهود من أنبيائهم - عليهم السلام - .	٢٢٥
✞ التطاول على مقام أنبيائهم - عليهم السلام - .	٢٣٣
١ - جدلهم في ملة إبراهيم - عليه السلام - .	٢٣٧
٢ - جدلهم في ملة إسماعيل وإسحاق ويعقوب	
والأسباط - عليهم السلام - .	٢٤٠

الصفحة	الموضوع
٢٤١	٣ - جدلهم في نبوة سليمان - عليه السلام - .
٢٤٣	٣ - الأنبياء اللاحقون - عليهم السلام - :
٢٤٤	أ - عيسى - عليه السلام - .
٢٧٢	ﷺ جدلهم في نبوة عيسى - عليه السلام - .
٢٧٣	ب - محمد ﷺ .
٢٧٤	هـ - عقيدتهم في اليوم الآخر :
٢٨٣	ﷺ أسباب إهمال اليهود لعقيدة اليوم الآخر .
٢٨٦	ﷺ حرص اليهود على الحياة .
٢٩١	ﷺ جدلهم في اليوم الآخر :
٢٩٢	١ - زعمهم : أن ذنوبهم مغفورة .
٢٩٣	٢ - زعمهم : أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة .
٢٩٦	٣ - زعمهم : أن الجنة لن يدخلها إلا اليهود .
٣٠٣	٢ - جدلهم في الشرائع :
٣٠٣	أ - جدلهم في قضية النسخ :
٣٠٣	١ - مفهوم النسخ .
٣٠٥	٢ - مفهوم البداء .
٣٠٧	٣ - ثبوت النسخ .
٣١٦	ب - جدلهم في تحويل القبلة :
٣١٦	١ - بين القبلتين الأولى والأخيرة .
	٢ - الشبهات التي أثارها اليهود بعد تحويل القبلة .
٣٢٢	

الموضوع	الصفحة
٣ - دحض الشبهات التي أثارها اليهود بعد تحويل القبلة .	٣٢٤
ج - جدلهم فيما حرم عليهم من الطيبات .	٣٤٣
ثالثاً - محاولتهم إثارة جدل ديني بين الرسول ﷺ والطوائف الأخرى .	٣٥٠
رابعاً - محاولتهم إحراج الرسول ﷺ بالأسئلة التعنتية :	٣٥٢
١ - سؤالهم : عن علامة النبي .	٣٥٢
٢ - سؤالهم : عن الروح .	٣٥٢
٣ - سؤالهم : عن ذي القرنين .	٣٥٧
٤ - سؤالهم : عن ذكورة الولد وأنوثته .	٣٥٨
٥ - سؤالهم : عن الرعد .	٣٥٩
٦ - سؤالهم : عن كلام الميت .	٣٥٩
٧ - سؤالهم : عن أول أيام الآخرة .	٣٦٠
خامساً - محاولاتهم استدراج الرسول ﷺ بعروض المزالق :	٣٦٤
١ - محاولتهم أن يقر الرسول ﷺ حكمهم الوضعي في الزاني المحصن .	٣٦٤
٢ - محاولتهم أن يحكم الرسول ﷺ على خصومهم بالباطل .	٣٦٧
سادساً - محاولتهم إيذاء الرسول ﷺ بالقول السبيء :	٣٦٨
١ - خطابهم الرسول ﷺ بكلمة (راعنا) .	٣٦٩

الموضوع	الصفحة
٢ - تحيتهم الرسول ﷺ بكلمة (السام) .	٣٧١
سابعا - محاولتهم القضاء على نشاط الرسول ﷺ بالسحر .	٣٧٤
ثامنا - محاولتهم إقناع الرسول ﷺ بالجلء عن المدينة .	٣٧٦
تاسعا - محاولتهم إثارة الفتنة بين المسلمين .	٣٧٨
عاشرا - إيجادهم المنافقين من العرب في المجتمع الإسلامي .	٣٨٢
حادي عشر - مناصحتهم للأنصار بعدم الإنفاق على المهاجرين .	٣٨٧
ثاني عشر - تظاهروهم بالدخول في الإسلام نفاقاً .	٣٩١
ثالث عشر - دخولهم الإسلام ثم الارتداد عنه .	٣٩٣
رابع عشر - ضغوطهم النفسية على من أسلم منهم .	٣٩٦
خامس عشر - أشعارهم العدائية ضد المسلمين :	٣٩٨
١ - أبو عفك .	٣٩٩
٢ - كعب بن الأشرف .	٤٠٠
سادس عشر - نقصهم للمعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ معهم :	٤٠٦
١ - الناحية الفكرية .	٤٠٧
٢ - الناحية العسكرية :	٤١٥
٣ - غزوات اليهود :	٤١٧
١ - غزوة بني قينقاع :	٤١٧

الموضوع	الصفحة
أ - تاريخ الغزوة .	٤١٧
ب - أسباب الغزوة :	٤١٨
١ - تهديدهم بمحاربة المسلمين .	٤١٨
٢ - كشفهم عن عورة المرأة المسلمة .	٤١٩
ج - وقائع الغزوة .	٤٢٠
د - نتائج الغزوة .	٤٢٢
٢ - غزوة بني النضير :	٤٢٤
أ - تاريخ الغزوة .	٤٢٤
ب - أسباب الغزوة :	٤٢٥
١ - تحريضهم قريشاً على قتال المسلمين .	٤٢٥
٢ - محاولتهم اغتيال الرسول ﷺ .	٤٢٨
ج - وقائع الغزوة .	٤٣١
د - نتائج الغزوة .	٤٣٥
٣ - غزوة بني قريظة :	٤٤٠
أ - تاريخ الغزوة .	٤٤٠
ب - أسباب الغزوة :	٤٤٢
تحالفهم مع القبائل العربية الوثنية (الأحزاب) على حرب المسلمين .	٤٤٢
ج - وقائع الغزوة .	٤٤٦
د - نتائج الغزوة .	٤٥٥
٤ - غزوة خيبر :	٤٦١

الصفحة	الموضوع
٤٦١	أ - تاريخ الغزوة .
٤٦٢	ب - أسباب الغزوة :
٤٦٢	١ - تحريضهم القبائل العربية الوثنية (الأحزاب) على حرب المسلمين .
٤٦٢	٢ - تحريضهم يهود بني قريظة على التحالف مع (الأحزاب) على حرب المسلمين .
٤٦٥	٣ - تأليفهم جيشاً جديداً لحرب المسلمين .
٤٦٥	ج - وقائع الغزوة .
٤٦٩	د - نتائج الغزوة .
٤٧٣	أسباب عداة اليهود للرسول ﷺ والمسلمين والإسلام .
٤٨٩	المبحث الثاني : أثر العنصرية اليهودية في بقية العهود الإسلامية :
٤٩٩-٦٢٦	توطئة في : الوجود الإسلامي واليهود في البلاد التي عرفت بـ (العالم الإسلامي) :
٥٠٠	أولاً - الوجود الإسلامي في البلاد التي عرفت بـ (العالم الإسلامي) :
٥٠٠	ب (العالم الإسلامي) :

الموضوع	الصفحة
ثانياً - الوجود اليهودي في البلاد التي عرفت بـ (العالم الإسلامي) :	٥٠٠
- أثر العنصرية اليهودية في بقية العهود الإسلامية :	٥١٠
أولاً - أثر العنصرية اليهودية في العهد الراشدي :	٥١٠
١ - حركة الردة .	٥١١
٢ - هل مات خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصادق - رضي الله عنه - قتيلاً على يد اليهود	٥١١
٣ - هل لليهود دور في مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .	٥١٢
٤ - الفتنة الكبرى :	٥٢٦
أ - شخصية عبد الله بن سبأ .	٥٢٧
ب - ظهور عبد الله بن سبأ بين المسلمين .	٥٣٣
ج - آثار عبد الله بن سبأ في إنكفاء الفتنة بين المسلمين :	٥٣٥
١ - دور عبد الله بن سبأ في مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه -	٥٣٨
٢ - دور عبد الله بن سبأ في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :	٥٤٠
أ - إشعال الحرب في موقعة الجمل .	٥٤١
ب - نشأة فرقة الخوارج .	٥٤٣

الموضوع	الصفحة
ج - الغلو في حب علي بن أبي طالب	٥٤٦
- رضى الله عنه - ادعاء آ .	٥٥٠
د - مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٥٥٥
- رضى الله عنه - .	٥٦٣
هـ - علاقة التشيع باليهودية .	٥٦٣
§ الشيعة وآل البيت :	٥٦٦
١ - موقف الشيعة من آل البيت .	٥٧٢
٢ - موقف آل البيت من مدعي التشيع .	٥٧٣
ثانياً - أثر العنصرية اليهودية في العهد الأموي :	٥٩١
١ - الإسرائيليات في التفسير والحديث .	٥٩٣
٢ - تزيف التاريخ الإسلامي .	٥٩٤
ثالثاً - أثر العنصرية اليهودية في العهد العباسي :	٥٩٥
١ - محاولة الاستيلاء على بيت المقدس .	٥٩٧
٢ - القول ببدعة خلق القرآن الكريم .	٥٩٧
٣ - نشأة الفرق العقدية الضالة .	٦٠١
§ الباطنية .	٦٠٣
٤ - تزوير كتاب علي الرسول ﷺ .	٦٠٥
٥ - ظهور الجمعيات السرية .	٦٠٥
٦ - دخول الرموز اليهودية في تراث الطرق الصوفية .	٦٠٧
٧ - محاولة الاستيلاء على فلسطين .	
٨ - المساهمة في تمويل الحروب الصليبية .	

الموضوع	الصفحة
٩ - مساعدة التتار في إسقاط الدولة العباسية .	٦٠٨
رابعاً - أثر العنصرية اليهودية في العهد الأندلسي :	٦٠٩
توسيع شقة الخلاف بين الإمارات الأندلسية .	٦١٠
خامساً - أثر العنصرية اليهودية في العهد العثماني :	٦١٢
طائفة الدونمة اليهودية .	٦١٥
١ - إقامة المحافل الماسونية .	٦١٨
٢ - إثارة التفرقات الطائفية .	٦١٨
٣ - إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية .	٦٢٣
٤ - إحياء القوميات الجاهلية .	٦٢٤
- فهرس الموضوعات .	٦٢٧-٦٤٠

والحمد لله رب العالمين ..